

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي لياس / سيدي بلعباس



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

اليهود و النصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية و المصادر الغربية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ:

- أ.د. هلايلي حنفي

إعداد الطالبة:

بوشيبة دهيبة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. مكحلي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيس اللجنة
أ.د. هلايلي حنفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. شويتام أرزقي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا مناقشا
أ.د. دادة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. لحرمر قادة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

إن الأحق بالشكر والحمد الدائم، هو الله تعالى، فلولا رضاه عنا وإعانتة لنا

بكل خير لما وصلنا إلى جني هذه الثمرة.

شكر خاص إلى الأستاذ الدكتور المشرف على البحث "هلايلي حنفي"، الذي

ساعدني وكان لي نعم الموجه، والذي لم يبخل عليّ بنصائحه القيّمة

وتوجيهاته السديدة.

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة الأطروحة.

كما أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا العمل.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا الى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما .

والى الزوج الفاضل الذي ساندني وصبر علي طيلة مدة انجاز هذه الأطروحة ،

فجازاه الله عني كل خير.

والى أولادي أحمد المعتصم بالله ، والمعتز بالله ، وفاروق ، وياسين ، والى حبيبتي

الصغيرة كوثر.

والى اخوتي وأخواتي خاصة حنان وعلياء ، وخيرة .

بوشيبة ذهبية .

مختصرات البحث

R.A : Revue Africaine.

P U F: publication universitaire française.

R H M : revue d histoire maghrébine.

R A : revue Algeria 1952

A C C M :archive chamb re comèrciale de marseille.

P I F A : publication de l institut français d archéologie orientale .

R E J :revue des études juives .

R H R : revue d -histoire religieux.

مقدمة

مقدمة

تشكل الدراسات العرقية مواضيع شائكة و معقدة خاصة تلك المتعلقة بطائفة اليهود والنصارى في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، فأغلب الدراسات التي ناقشت هذه المسألة لم تعتمد ازدواجية المادة وإنما اكتفت بمعالجتها من وجهة نظر غربية -الكتابات الغربية-، ورغم ذلك لم تتطرق إلا لأحد جوانبها (السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي) أما التعرض لها مجتمعة فهذا ما لم نلمسه في أغلب الدراسات.

التي جعلت من مواضيع الأقليات منطلقا لمهاجمة الحكم العثماني بالإيالة، فغلب التطرف على الموضوعية التاريخية فيها وهذا ما أدى إلى غموض بعض قضايا الأقليات (اليهود والنصارى) التي ظلت عسيرة الفهم وصعبة التفسير في ضوء الاعتماد الأحادي على النصوص الأجنبية.

فالوثائق العثمانية التي تكونت نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر وتعليمات وقرارات كانت تصدر عن حكام الإيالة، وموظفي البايك أو ترد عليه من سلاطين الباب العالي وموظفيه، كما كان قسم منها ناتج من المرسلات الغربية التي شملت نشاط وكلاء الإيالة بالخارج، أو قناصل أوتجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر، فترتب عن طبيعة تكوين هذه الوثائق تداخل المعلومات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية في كثير منها. مما جعل الرجوع إليها أمرا مهما وذا فائدة، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أية وثيقة أو مصدر منها، رغم ما فيها من صعوبة في استخلاص المعلومات وترتيبها والانتفاع بها، وهذا مع إشارة كثير من المؤرخين والأرشفة أهمية الرصيد الوثائقي العثماني من

أجل كتابة تاريخ الجزائر العثمانية، وأشار جون ديني في بداية 1920م بخصوص ذلك: " لقد تم كتابة تاريخ الجزائر انطلاقا من واقع المصادر الأوربية، واليوم حان الوقت للعودة إلى الوثائق العثمانية المخطوطة، في أرشيف حكومة الجزائر العامة " والموجود في مراكز الأرشيفات الأجنبية المختلفة منه.

فاستغلال الوثائق العثمانية والمتمثلة في سجلات بيت المال والبايليك، وهي تلك الدفاتر الإدارية الخاصة بالتجارة الداخلية والخارجية للآيالة (المكوس، الضرائب، العشور الاسواق، اللزمة، أتوات الدول الاجنبية، مبالغ جزية الطوائف الدينية بالآيالة، الضرائب المفروضة على أهل الذمة) فتكون من خلال هذه الوثائق رصيذا تاريخيا مهما يوضح الأسس والمبادئ التي كان يقوم عليها المجال الاقتصادي في الآيالة .

ووثائق المحاكم الشرعية، تعتبر من أهم المصادر لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والإداري للجزائر في العهد العثماني، نظرا لطبيعتها، فهي تتعلق اساسا بالأوقاف (الحبوس)، وبالملكيات الخاصة وبمعاملات البيع والشراء وبالخصومات وعقود الزواج والطلاق وبالصداق وبالإرث وبالهبية وبالشفعة وبالخصومات التي تعلقت بجميع فئات مجتمع الآيالة توزعت وثنائق المحاكم الشرعية على ثلاث وخمسين ومائة علبة، وهي تخص في معظمها مدينة الجزائر والبليدة والقليلة والمدية ومليانة...، كما أنه لكل بايليك وثنائق خاصة به .

وإذا كانت وثنائق المحاكم الشرعية مسجلة في بعض الولايات العربية، بعضها باللغة العربية والبعض الآخر باللغة التركية، فان وثنائق المحاكم الشرعية بالجزائر مسجلة كلها باللغة العربية . هـ . تغطي فترة معتبرة تمتد من الأول من القرن السادس عشر إلى النصف الـ بـ ن التاسع عشر .

تتمثل طبيعة وثائق المحاكم الشرعية أنها حددت وبدقة مهام القاضي (قضايا الأحوال الشخصية، الجناح والجنايات، الاستئناف، محكمة تجارية...) ولعل هذا ما أدى إلى تنوع الرصيد الوثائقي بها والذي يعتبر ميدانا خصبا لأي دراسة تاريخية.

كما نجد أن دفتر مهم لا يقل أهمية عنها فهو يتضمن جميع الأوامر والأحكام والفرمانات الصادرة من السلاطين العثمانيين في مختلف المجالات الموجهة إلى الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها إيالة الجزائر 1553-1805 يحتوي هذا الرصيد على 16-911 وثيقة .

أما خط همايون أودفاتر نامة همايون هي دفاتر أحدثت في نهاية القرن 17م، شملت جميع الرسائل السلطانية والمعاهدات والاتفاقيات الصادرة من السلاطين العثمانيين أو البشوات بالولايات العثمانية مع جميع المتعاملين الأجانب أو الموظفين الرسميين .

كما يشكل دفتر التشريرات أهم الوثائق الإدارية العثمانية الرسمية المكتوبة، وعلى هذا الأساس فإن فهرس فانيان يشير إلى دفتر التشريرات، حيث كتب أنه: " تقارير ورسائل وملاحظات باللغة التركية حول تاريخ الجزائر منذ عهد الداى شعبان(1103هـ- 1692م)، حتى أوائل الاحتلال الفرنسي، النسخ بدأ باسم محمد الكاتب، وقسم كبير منه تم ترجمته إلى الفرنسية من طرف ألبير دوفون والمخطوط بالتركية، مكتوب بالخط الديواني ومنسوخ نسخ مختلفة ". يشتمل دفتر التشريرات على كثير من الأحداث التاريخية، وهو يتعلق بضرائب العشور والزكاة واللزمة والغرامة والمعوج جزية اليهود، والعوائد والدنوش ورسوم الحكور المفروضة على أراضي البايليك، كما يتضمن معلومات كثيرة

عن غنائم الجهاد البحري وأتوات وهدايا الدول الأجنبية، ورسوم الجمارك والأسواق.

وحركة الجيوش البرية والبحرية والحاميات العسكرية والثكنات، أجور الإنكشاريين ورؤساء البحر، ورواتب الموظفين والعمال، وصفقات التجهيز وشراء العتاد والأسلحة، ومصاريف الموظف والمرافق العامة، من عيون وسواقي، كما تتصل بأوجه الإنفاق على تلك الهدايا التي كانت تبعث بها الإيالة إلى إستانبول، والهدايا التي كانت تتلقاها من سلاطين الدولة العثمانية.

يعكس دفتر التشريعات واقع الادارة العثمانية لإيالة الجزائر، السياسية والعسكرية، والاقتصادية، حيث اهتمت الإدارة بتقيد أعمالها ومذكراتها العامة، وما تقرره من نظم وقوانين، كان هذا السجل محفوظ في خزائن الباشوات وتولى الباشكاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه، وهذا السجل يعتبر وثيقة من اغرب الوثائق المتعلقة بتاريخ العهد العثماني. فهو بالفعل يعبر عن تنظيم إدارة إيالة الجزائر التي تحمل معاني الدولة وهياكلها.

وهذا ما جعله إحدى أهم الوثائق العثمانية التي تعكس بصدق الحقائق التاريخية، التي أعطت صورة عامة عن أحوال أهل الذمة -اليهود والنصارى- بإيالة الجزائر، وأواخر العهد العثماني .

فالوثائق العثمانية تقدم للباحث والمؤرخ المادة الخام، وتشكل في نفس الوقت منطلق لأي عمل تاريخي يرمي إلى إجراء دراسة واقعية عن أحوال الرعايا الأجانب، حسبما تتطلبه الحقيقة التاريخية، وتقتضيه النظرة الموضوعية. ومنه جاءت هذه الدراسة الموسومة د والنصارى بالجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية" الذي حاولت من خلاله

تركيب موضوع تاريخي حول اليهود والنصارى بالايالة من خلال ازدواجية الأصول التاريخية (الوثائق العثمانية - المصادر الغربية) وذلك لتوضيح تفاعله مع النظام العثماني، ومدى تأثير هذه الأقليات على جميع مستويات هيكل الدولة (الاجتماعية - الاقتصادية - الدبلوماسية والعلاقات الخارجية).

غير أن منطلق هذه الدراسة نابع من ميول شخصية، وهي التعرف على الأقليات الدينية بالمجتمع الجزائري وتفاعلها معه، ومدى تأثيرها على هيكل الدولة الجزائرية .

إن موضوع اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني لم يحظى بدراسات متخصصة باستثناء بعض الدراسات المتعلقة باليهود التي تعرض إليها بعض الباحثين والمؤرخين في بعض الرسائل والأطروحات الجامعية تطرقت بإسهاب لواقع اليهود بايالة الجزائر من بينها رسالة الماجستير محمد دادة، بعنوان: اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18 حتى 1830)، جامعة دمشق 1985م. ونجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية. كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون وهي دراسة في جزأين.

وهي دراسات تشكل أرضية تاريخية لفهم طبيعة التواجد اليهودي بالجزائر وما ترتب عنه من تفاعلات عديدة سياسية واقتصادية، والتي اتخذنا منها منطلق لدراسة طبيعة الوجود النصراني بالايالة.

إن دراسة واقع اليهود والنص^٥ رائر خلال العهد العثماني يعتبر معقدا وصعبا كون معظم الوثائق والمصادر لم تعطى حقائق مطلقة حول هذه

الفئة باستثناء بعضها التي اتسمت بنوع من المغالاة والتضليل التاريخي، وفي معظمها الوثائق الفرنسية والاسبانية وذلك لتبرير النزعة الاستعمارية المسيحية، فهي صورت معظم حالات النصارى بالجزائر في واقع مزري متغاضية عن تجاوزات القناصل والتجار في السياسة الداخلية والخارجية للجزائر. هذا مع ذكر تواطؤ يهودي مسيحي لتدمير الهياكل التنظيمية لحكومة الإيالة الجزائرية واستنزاف طاقاتها الاقتصادية لاغراق الأهالي في مشاكل خانقة تبعاتها غلاء الأسعار وإرتفاع الضرائب وقلة الموارد المعيشية، وذلك لإثارة القاعدة الاجتماعية العريضة ضد الحكام حتى يتسنى لليهود والنصارى تحقيق مصالحهم الخاصة والتحضير لمشروع إحتلال الجزائر في المستقبل.

إن الدراسات التاريخية العرقية تعد من المسائل المبهمة وهذا راجع لعدة اعتبارات نفسية ودينية واجتماعية خاصة بهذه الفئات، ومنه نخلص إلى اشكالية في ماذا تمثل الإطار الاثني التاريخي لليهود بالجزائر خلال العهد العثماني؟ ومدى فاعلية هذه الفئة في المجتمع؟ طبيعة تأثيراتها على السياسة الداخلية والخارجية للإيالة؟ وماهي التفسيرات التاريخية الواقعية لعلاقتها مع حكام الإيالة على اختلاف مراحلها؟ لماذا اتخذ معظم النصارى من الجزائر قاعدة لاستقرارهم؟ على الرغم من العداء التقليدي بين المسيحية والاسلام؟ هل شكلت الوثائق الأرشيفية والمصادر الغربية تفسيرات حقيقة لواقع اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني؟

إن الإجابة عن مجموع هذه التساؤلات اقتضى الاعتماد على بيبيوغرافيا متنوعة، باللغتين العربية والأجنبية و عدتنا على توضيح بعض القضايا التاريخية، ويمكن تصنيفها على الش

1- الأرشيف الوطني :

اعتمدنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي حصلنا عليها من مركز الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية بالحامة.

2- الأرشيف الفرنسي :

والمتمثل أساسا في أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا، يتميز هذا الرصيد بالتنوع من حيث المادة التاريخية، وذلك يعكس حقيقة العلاقات الجزائرية الفرنسية بصفة عامة ومع مرسيليا بصفة خاصة، حيث اعتمدنا على بعض الوثائق من المجموعة ل، وبعض الوثائق التي لم نعرف كيفية تصنيفها كون إننا حصلنا عليها من طرف بعض الأصدقاء الذين ترددوا على الأرشيف الفرنسي .

واعتمدنا في دراستنا لهذه الطوائف العرقية في الجزائر على مجموعة المصادر الغربية ،نذكر على سبيل المثال:

Le Royaume d ;Alger,L,augier De Tassy

Voyage dans La Régence D,alger,Thoms Shaw

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المصادر التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية ، مذكرات شالر، ومذكرات كاتكارت، ومذكرات تيدنا.

وقد اتبعنا في دراسة موض ز والنصارى بالجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية" على المنهج التحليلي المقارن الذي يهدف تحليل وتعليل الأحداث والوقائع التاريخية.

يتكون الموضوع من ثلاثة عناصر أساسية :

- اليهود.
- النصارى.
- الجزائر العثمانية.

وعليه فإننا قسمنا موضوعنا هذا حسب العناصر الأساسية إلى مقدمة وقسمين أردفنا كل قسم بثلاثة فصول عالجنا فيها موضوع الدراسة، ثم خاتمة التي استخلصنا فيها مجموعة من الاستنتاجات ، وألحقنا ذلك بمجموعة من الملاحق والفهارس.

وجاءت دراستنا للموضوع كالتالي :

مقدمة

القسم الأول – اليهود في إيالة الجزائر العثمانية (1518-1830)

قسمناه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الإطار التاريخي الاثني ليهود الجزائر، تطرقنا فيه إلى الهجرات التاريخية لليهود، التوزيع الديموغرافي ما بين 1492 إلى 1830، تطور الوجود اليهودي بالجزائر من خلال المصادر .

الفصل الثاني: طائفة اليهود في مجتمع الإيالة وهو حول الحياة الاجتماعية ليهود ،العلاقات والمعاملات لليهود با/ ح هم البعض ومع المسلمين بمختلف مستوياتهم من خلال الوثائق العثمانية (سلسلة المحاكم الشرعية) والمصادر الغربية.

الفصل الثالث: تطور النفوذ الاقتصادي والسياسي لليهود في الجزائر: الذي تمحور حول سيطرة اليهود على التجارة الداخلية للبيالك وهيمنتهم على مقاليد تجارة الخارجية - التصدير، الاستيراد- تجارة الأسرى، الأعمال المصرفية والقروض، وهذا بالتواطؤ مع بعض الشخصيات السياسية في الإيالة .

القسم الثاني : النصارى في إيالة الجزائر العثمانية (1518-1830)

الفصل الأول: الكتابات الغربية وتاريخ الجزائر العثمانية التي تعرضت إلى جوانب مختلفة عن الإيالة، ونذكر منها تقارير القناصل، وكتابات الرحالة والرهبان، ومذكرات الأسرى والجواسيس، مع توضيح طبيعة هذه الكتابات التاريخية.

الفصل الثاني: الأقليات النصرانية بالجزائر العثمانية: الوجود النصراني بالجزائر وعلاقته بالسكان كما قسمنا هذه الأقليات إلى قسمين الأحرار(الاعلاج، القناصل، التجار، الأطباء، الجواسيس)، وشملت الأسرى بمختلف جنسياتهم ومستوياتهم الاجتماعية.

الفصل الثالث: ثنائية العلاقات الجزائرية الغربية -التي حاولنا التطرق فيها إلى نقطتين أساسيتين المجال الاقتصادي، من خلال البيوت التجارية والشركة الإفريقية الفرنسية باعتبارهما الممثل الاقتصادي الحصري لفرنسا بالجزائر خلال الفترة العثمانية، وعلاقتها التجارة الخارجية -استيراد وتصدير- مبادلات تجارية.. الخ، بالمدن والبيس.

وانهينا دراستنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث المتواضع.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن البحث في مجال التاريخي يعتبر مساهمة في بناء كيان الأمة، لكن على أهميته تعثره بعض الصعوبات، من بينها تداخل المعلومات التاريخية المتعلقة بالطوائف الدينية، وتضاربها مع بعضها البعض في معظم قضايا اليهود (الاحصائيات)، صعوبة الوصول إلى المادة التاريخية خاصة الأرشفية منها، نظرا لقلّة الامكانيات، فمثلا عند انتقالنا إلى مركز الأرشيف الوطني بالعاصمة عانينا من قلة وانعدام إمكانيات التصوير خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الوثائق المصورة في شكل ميكروفيلم والتي يتطلب التعامل معها والبحث فيها وقتا طويلا وجهدا مضاعفا، مما جعلنا نعتمد على العدسة المكبرة طيلة ترددنا على مركز الأرشيف.

أما الأرشيف الخارجي فهو يشكل مثلا حيا للبيروقراطية (الأرشيف المغربي)..

لكن رغم ذلك فإننا منذ أن باشرنا في تحليل الموضوع حاولنا تحري الدقة والموضوعية دون النظر إلى طبيعة أودين الطائفة، وهذا هو الجوهر في أي عمل تاريخي محاولين بذلك أن يرقا موضوعنا المتواضع إلى مستوى الدراسات التاريخية المتقدمة.

وفي الأخير نرجو من خلال هذا العمل أن نكون عند حسن ظن الأستاذ المشرف (الدكتور هلايلي حنيفي) ي ناء الاشراف والتوجيه دون كلل أو ملل جزاه الله عنا كل خير.

ك

المدخل:

أولاً: تعريف أهل الذمة

ذكر المقرئبي أن الذمة في اللغة هي العهد والكفالة والضمان¹، وجمعها ذمام؛ أي

¹- أبي الفتح المقرئبي، المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمد فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة لبنان الناشر، ط1 ،

كل حرمة تلزمك مذمة إذا ضيعتها، فيقال فلان له ذمة أي له حق، ففي حديث علي رضي الله عنه وكرم وجهه "ذمتي رهينة وأنا به زعيم"... أي ضمانني وعهدي رهن الوفاء به¹ ، كما أنها تفسر بالأمان والضمان لأنها تدخل في أمان المسلمين وذمتهم، وسمي أهل الذمة بأهل العقد² ، وهو العهد أو المعاهدة أي الاتفاق الذي يبرم بين ولي امر المسلمين وأهل الذمة وفق شروط أساسية يجب احترامها من الطرفين، فهم أولئك الذين يؤدون الجزية من أهل الكتاب³ .

ويرى ابن منظور أن الذمة هي العهد، والعهد هو الميثاق، أي ما يجب الوفاء به لأن نقضه يوجب الذم⁴ لقوله تعالى: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً"⁵، فالعهد هو كل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من الميثاق فهو عهد الموثق واليمين، يحلف بها الرجل تقول على عهد الله وميثاقه وأخذت عليه الله وميثاقه لقوله عز وجل: "كيف يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين، كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة"⁶ أي أن الذمة هي العهد لأن كليهما يستوجب الذم⁷؛ فيرى الفقهاء أن مصطلح أهل الذمة يقصد به من عاهدتهم الإمام أو نائبه من غير المسلمين عهداً

بيروت: 1999 ، ص 103 ؛ الزبيدي محب الدين محمد، تاج العروس في جواهر القاموس، تج: علي بشيري، دار الفكر، بيروت: 1994 ، مج 16 ، ص ، ص 264-265.

¹- جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب، تج: علي بشيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 ، ج 5 ، ص 61. 1988 .

²-- أبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تج: سمير مصطفى، صيدا، بيروت : المكتبة العصرية ، 2001 ص 164 .

³- تقي الدين النبهاني ، الشخصية الإسلامية، ج 2 ، بيروت : دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003 ، ص 223 .

⁴- ابن منظور، المصدر نفسه، ص 265 ؛ حسن الممي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تق: الشاذلي القليبي، بيروت : دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1998 ، ص 15 .

⁵ - سورة الإسراء ، الآية 34 .

⁶ . سورة التوبة الآية ، -

⁷- محب الدين محمد لزبيدي ، تاج العروس... ، ص 264

مؤبدا على أنهم وفي أنفسهم وأموالهم وأغراضهم وعقيدتهم نظير التزام بدفع الجزية ونفوذ أحكام الإسلام كلها¹. فالذمي هو كل من يتدين بغير الإسلام، ويعيش في حمايته وفي كنف المجتمع الإسلامي محافظا على دينه بغير الإسلام²، فأهل الذمة هم الذين يدفعون الجزية للمسلمين الذين عاهدوهم على الحماية والأمان وتسهيل الأعمال³. غير أن مصطلح أهل الذمة لا يرتبط بأهل الكتاب⁴ وحسب، فالصابئة⁵ والمجوس بالرغم من كونهم غير كتابيين إلا أنهم أدرجوا ضمنهم⁶، فيجوز عقد العهد معهم ولكن لا يجوز مناكحتهم وأكل ذبائحهم، خاصة وأن الكتاب قد رفع عنهم. واستشهد الفقهاء بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أخذ الجزية منهم بشهادة الصحابي عبد الرحمان بن عوف وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر⁷ فأهل الذمة سواء كانوا من أهل الكتاب أو أهل العقيدة أو ملة ليس لها كتاب، فإن لهم العهد بمقتضى ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيتمتعون بالأمن على أنفسهم وعقيدتهم وأموالهم وأغراضهم فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

شروط عقد الذمة

1الجزية

- ¹- عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، مصر: دار النشر الجامعات، ط1، 1999، ص 13 .
- ²- النبهاني تقي الدين، المرجع السابق، ص، ص223
- ³- حسين الحاج حسين، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: ، ص335
- ⁴- أهل الكتاب: هم الخارجون على الملة الحنيفة والشريعة الإسلامية من اليهود والنصارى و الكتاب وهو التوراة والإنجيل، لذلك سمو بأهل الكتاب؛ انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي حنا، دار المعرفة، بيروت: د-ت، ج1، ص247
- ⁵- الصابئة: فرقة وثنية يعبدون الكواكب؛ انظر: وهبة الزحلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط3، دمشق، 1981، ص714
- ⁶- عطية فياض، المرجع السابق، ص14 .
- ⁷- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله أحكام أهل الذمة، تح: يوسف بن أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، الرمادي للنشر، الذمام: 80.ط1 ن 1997، ص، ص79

الجزية وجمعها جزى أو جزى، وقد أشار ابن منظور إلى أنها خراج الأرض وجزية الذمي هو ما يؤخذ من أهل الذمة، فهي عبارة عن المال الذي يعقد، وهي فعلة من الجزاء كأنما جزت عن قتله¹، ويقول الفاسي هي الخراج المجهول على رأس الذمي جزاء ال من عليه بالإعفاء من القتل وكرهه على الإسلام². وقد أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس³. فالجزية ما هي إلا ضريبة على الأشخاص الغير مسلمين، فهي تؤخذ من أهل الذمة نظير حمايتهم والمحافظة عليهم وبديل عدم قيامهم بواجب الدفاع الوطني عن كيان الدولة وحماية المواطنين⁴ لما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"⁵.

والجزية إلى كونها علامة تدل على الخضوع للحكم الإسلامي، فهي أيضا تؤخذ كبديل مالي عن الخدمة العسكرية المفروضة على المسلمين؛ لقوله تعالى: "قاتلوا الذين لا يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"⁶ أي أن يلزموا قدرة ويلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم حتى يكونوا بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة من حر وحررة وعبد وأمة جزاء عن كفرهم⁷. وشروط أخذ الجزية تتمثل أساسا فيما يلي:

- 1- **العقل**: فلا جزية على مجنون، لأنها لحقن الدم وهو محقون.
- 2- **البلوغ**: فلا جزية على الصبي، وإذا بلغ ولد ذمي، فهو في أمان فلا

¹ - ابن منظور، لسان العرب...، ج 14، ص 137

² - الكتاني الفاسي، التراتيب الإدارية، تج: عبد الله الخالدين، بيروت: دار الرقم، ص 311.

³ - ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص، ص 79

⁴ - وهبة الزجيلي، فقه الإسلام وأدلتها، ج 6، دمشق: دار الفكر، ط 2، 1985، ص 691

⁵ - السيد سابق، فقه السنة، القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، ط 1، 1999، ج 3، ص 418

⁶ سورة التوبة، الآية 29.

⁷ - ابن القيم، أحكام أهل الذمة...، ص 150.

يغتال، بل يقال له لا نترك في دار الإسلام إلا بجزية¹.

3- الحرية: فلا جزية على العبد ولا على سيده بسببه.

4- الذكورة: فلا جزية على المرأة لأنها ليست من أهل القتال، والله أوجب الجزية على المقاتلين.

5- أن يكون كتابيا أي من اليهود والنصارى.

6- الصحة والمقدرة المالية: فلا تجب على المريض مرضا مزمنا كما لا

تجب على الفقير المتعطل عن العمل، ولا على الرهبان الذين لا يخالطون الناس². وأخذ الجزية يشترط أن يكون ويراعى فيها الرفق واللطف، دونما أن يسويها وصمة من الذل والإهانة، ... فلا يضرب أحد من أهل الذمة في أدائهم الجزية ولا يقاموا في الشمس وغيرها، ولا يجعل عليهم في أبدانهم شيء من المكاره ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم ولا يخرجون من الحبس حتى تستوفي منهم الجزية، واللجوء إلى الحبس يكون في حال العناد مع القدرة على الأداء³.

شروط عقد الذمة:

تميز الدين الإسلامي بالسماحة والعفو، فشرع الله عز وجل عقد الذمة مع غير المسلمين من أجل تحقيق التعايش السلمي مع المسلمين وغيرهم، شريطة أن يكون هذا العقد وفق شروط وضوابط شرعية، فتحفظ له بذلك ما له وما عليه، وتمثلت هذه الشروط فيما يلي:

1- أن يتولاه الإمام أو نائبه فيه ، أو ممثلي السلطة المركزية كالأمير والوالي وقادة الجيش لأنها من المهام التي تحتاج للنظر فيها والاجتهاد، ولن يكون هذا إلا من ولاة الأمور، ويشترط من الذمي لفظ كلمة" قبلت "أو" رضيت "بذلك .

¹ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة...، ص151

²- وهبة الزجيلي، المرجع السابق، ص444.

2- أن يكون للمسلمين إل يه حاجة وفيه مصلحة بأن يكون في المسلمين ضعف لقة عدد أو مال أو بعد العدو أو يطمع في إسلامهم لمخالطتهم المسلمين أو في قبولهم الجزية .

3 - أن يكون التعامل في حدود ما أباحتها الشريعة الإسلامية فيكون تعامل المسلم مع الذمي حسب هذا العقد في حدود المباح سواء في محل العقد من سلع وبضائع وانتقال حقوق وتبادل التزامات أو في الإجراءات الشكلية لإتمام العقد¹.

4 - أن يقتصر على المدة المشروعة.

5 - أن يبذلوا الجزية، ويسري هذا العقد على الشخص الذي عقده ما دام حيا وعلى ذريته من بعده²، وبموجب عقد الذمة هذا إذا توفرت فيه الشروط السالفة ال ذكر يترتب عليه مجموعة من الحقوق اللازمة لأصحاب هذا العقد من أهل الذمة وفي المقابل تكون عليهم واجبات يتحتم عليهم أدائها. وإن كانت هناك شروط ينبغي توفرها لعقد الذمة، فإن هناك حقوق³ تحق لأهل الذمة، وهي كالتالي:

*التزام تقريرهم في بلاد الإسلام ما عدا الحرم المكي⁴، لقوله تعالى: {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}.

*توفير الأمن والأمان لأهل الذمة، إذ لا ينبغي التعدي على أموالهم الخاصة ودمائهم وأغراضهم، وعدم التعرض لما يملكه الذمي من خمر أو خنزير بالسرقة أو الإلتاف ما التزم الذمي بعدم إظهارها أو بيعها للمسلم، فإن حدث ذلك فعلى المسلم أن يضمن ما أتلفه للذمي من خمر أو خنزير ويكون الضمان بالقيمة لا بالمثل⁵.
حماية الذمي من الأخطار الداخلية والخارجية .

*عدم هدم الكنائس والدير¹.

¹ - عطية فياض، فقه المعاملات المالية...، ص 35 .

² السيد سابق، فقه السنة، ص 48 .

³ - وهبة الزجيلي، الفقه الإسلامي ، ص 450 .

⁴ - ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج 1 ، ص 149 .

⁵ - عطية فياض، المرجع السابق، ص 38 ، 39.

* حرية التدين :لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية والرجوع إلى رؤسائهم.
الدينين في أحوالهم الشخصية.

إضافة إلى هذه الحقوق، فعقد الذمة يبيح لهم حرية العمل والكسب والتعامل مع المسلمين وفيما بينهم، وممارسة كل أنواع النشاط الاقتصادي كما يجوز لهم تولي وظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلب عليها الصبغة الدينية كالإمامة وحكم الدولة... إلخ، وللذمي حق في أرضه له ولعقبه وعقبه أسلم أم لا ما عدا الحرم المكي كما ذكرنا سالفًا، أما عن حياة الذمي فله نصف دية المسلم² .

أما عن واجبات أهل الذمة فعليهم بأداء الجزية وفق شروطها، وإن مروا على المسلمين فينبغي ألا تتعدى ضيافتهم ثلاثة أيام، كما هم ملزمين بالخراج³ لقوله تعالى { :أم تسألهم خرًا فخارج ربك خير وهو خير الرازقين }⁴، وعليهم ألا يبنوا كنيسة ولا يتركوها مبنية في بلدة بناها المسلمون أو فتحوها عنوة، مصداقًا لقوله تعالى "وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"⁵، وعليهم ألا يركبوا الخيل والبغال النفيسة فمنعوا من ركوب السروج، ومنعوا من تعليية بيوتهم على أبنية المسلمين... إلخ⁶.

ثانيا :هجرات أهل الذمة إلى المغرب الاوسط

¹أحمد بن يحيى الوئشيسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية؛ والأندلس والمغرب، تح :محمد حجي، ج1 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1981 ، ص226 .

²- سعدي أو حبيب، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ج1 ، دمشق : دار الفكر ، ط2 ، 1984 ، ص424 .

³ - الخراج :هو ضريبة سنوية توضع على رقاب الأراضي من حقوق تؤدي عنها والخراج يختلف عن الجزية في كونها نص أما الخراج اجتهاد، والجزية أقلها مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد أما الخراج أقله أو أكثره مقدر بالاجتهاد، كما أن الخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام في حين أن الجزية تسقط بحدوث الإسلام؛ انظر :الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 181

⁴- سورة المؤمنين ،الآية72 .

⁵ سورة الجن ،الآية.18

⁶- الوئشيسي، المعيار المعرب ،ج1 ،ص253 .

عرفت بلاد المغرب منذ فترات تاريخية قديمة العديد من الهجرات البشرية إليها من مختلف الاجناس والقوميات ولعل أهم هذه الهجرات تعود إلى اليهود والنصارى

الهجرات المسيحية:

يمثل الحضور المسيحي بالجزائر إحدى أهم الفئات الدخيلة على المجتمع منذ عقود طويلة، مشكّلة إحدى أهم العناصر البشرية الفعّالة فيه، غير أننا لا نستطيع الجزم حول تاريخ الاتصال الفعلي بهذه المنطقة، فالمصادر اللاتينية والعربية لا تكاد تفصل في الموضوع فصلاً تاماً، ولعل الأمر راجع لتعرض منطقة الشمال الإفريقي عامة والجزائر خاصة خلال فترات تاريخية معينة إلى تدفق عناصر بشرية متنوعة لأغراض دينية، سياسية واقتصادية. يختلف النصارى عن اليهود في الفكر والمعتقد والأعراف والتقاليد، فما المقصود بالنصارى أو النصرانية؟

ماهية النصارى

لغة: نصر، ينصر، انتصاراً، أي أيده ودعمه، من المناصرة والمآزرة.

اصطلاحاً:

تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل منذ نحو 1900 سنة¹، وقد بني على أصول ثلاثة

- 1- الخالق واحد ولكنه في وحدته مؤلف من ثلاثة أصول وهي الأب والابن وروح القدس وهذا ما يعبر عنه بالتثليث².
- 2- الابن: وهو المسيح تجسد واستقر في بطن مريم العذراء حتى استتم شهور الحمل الطبيعي ثم ولد ولما شب أخذ يدعو الناس إلى الإيمان به وبأبيه.

¹ - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، بيروت: دار الفكر، ص 197.

² - محمد فريد وجدي، المرجع نفسه، ص 198.

3- العالم: الكون كله كان ملوثاً بقدر الخطيئة التي ارتكبها آدم بالأكل من الشجرة وقد نهى أن يأكل منها، فأرسل الله ابنه المسيح إلى الأرض وقضى عليه بالصلب ليكون فدية عن جميع الخلق.

أما روح القدس، فقد ورد في أكثر النصوص المسيحية حتى في كتابات يوحنا ما يدل على أن روح القدس هي هبة يهبها الله لمن يدعوته بإخلاص فيعمل في الإنسان كقوة أو فضيلة معطاة من الله.¹ والنصارى أو النصرانية نسبة لبلدة الناصرة بفلسطين وهي التي ولد فيها المسيح عيسى عليه السلام، وقيل إشارة لنصرهم له وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، وبين لنا الله سبحانه وتعالى أمرهم في قوله تعالى: " قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ"². وفي العصور المتأخرة أطلق عليها المسيحية نسبة للمسيح عيسى عليه السلام، فالمسيحية³ هي النصرانية⁴ والنصارى هم الطائفة التي اتبعت تعاليم الدين النصراني.

نصارى المغرب الأوسط:

تعتبر منطقة المغرب ذات البعد المكاني مهمة جداً لقربها من أوروبا، مما جعلها تعرف حركات تنصيرية⁵ منذ القرون الأولى، فالمنفذ الذي دخلت منه النصرانية كان قرطاجة وهذا خلال القرن 2م، وقد تميزت المدن بكثرة معتنقي هذه الديانة فقامت الكنائس وامتدت بصورة

1 - محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص 199.

2 - سورة الصف، الآية 14.

3 - المسيح والمسيحية، قال أهل اللغة له خمس معاني، قيل المسيح لسياحته في الأرض، ولأنه ممسوح الرجل ليس لرجله أخص، وقيل خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل المسيح الصديق، واستقتت الكلمة من المسيح للتعبير عن الديانة المسيحية أو النصرانية.

أبي الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، 2002/1423، بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، ص 94-95.

4 - ناصر الفقاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، طبعة 1993/1413، العربية السعودية: دار ناصر العقل، ص 18.

5 - كمال محمد جاد الله، الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 10، شوال- ذي الحجة، أكتوبر- ديسمبر 2011، بريطانيا: المنتدى الإسلامي، ص 04.

سطحية على طول الشريط الساحلي في المغربين الأوسط والأقصى وصولاً لطنجة¹، والمعتقد أن والدة القديس أوغستين كانت بربرية الأصل وهذا ما يدعونا للقول أن بعض القبائل البربرية كانت على النصرانية، لكن المعتقدات لم تخرج عن تقديس الإله "بعل مولوخ"، أدى هذا الأمر إلى مطاردة روما لأصحاب المعتقد في المنطقة، بالإضافة إلى وجود معتقد آخر كانت روما تتبناه وهو عقيدة التثليث.

عرفت منطقة الشمال الإفريقي كباقي مناطق الحوض المتوسط الاحتلال الروماني حيث عمدت هذه الإمبراطورية إلى نقل معتقداتهم إلى المنطقة وترسيم الدين الروماني كدين رسمي لروما على يد قسطنطين الأول²، كان من الواجب أن تسعى إدارة روما بالمغرب الأوسط إلى نشره بين جموع القبائل البربرية.

تشير أغلب المصادر إلى فئة النصارى حتى نهاية العهد الروماني من فئات السكان التي كانت تستوطن الشمال الإفريقي قبل الفتح العربي الإسلامي، ويميّز هؤلاء عن العناصر السكانية الأخرى بأنهم لم يمتزجوا بالسكان المحليين أو البربر إلا في حالات نادرة ومحدودة، من ذلك ما روي أن الكاهنة البربرية كان لها ابن رومي³ كما تبين أن أغلب الروم كانوا يستقرون في المدن الساحلية المحصنة بدءاً من برقة وانتهاءً بطنجة ويستدل على ذلك ما رواه ابن عذارى عن جرجير في سياق Gregarie قائد الروم في إفريقيا، حديثه عن حملة عبد الله ابن أبي السرح قال: « وكان سلطانه - أي جرجير - من أطرابلس إلى طنجة⁴ ».

وكذلك ما قاله يليان حاكم طنجة لعقبة بن نافع أثناء حملة عقبة الثانية لفتح المغرب الأقصى، قال له يليان: « قد تركت الروم وراء ظهرك وما أمامك إلا البربر ». ومن المدن التي استوطنها النصارى، الرمادة، برنيق في منطقة برقة، مدائن قسطلية كثوزر والحامة وتقيوس

1 - بديعة الغازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 2007/1428، الرباط: مطبعة المعارف المغربية، ص 11.

2 - هو إمبراطور روماني يعتبر فترة حكمه نقطة تحول في الديانة المسيحية (272-337م)، ففي عام 331م أصدر مرسوم ميلانو، سميت القسطنطينية باسمه، توفي في سنة 337م. أنظر:

Bertrand Laçon Tiphane, Constantin un Auguste chrétien, paris : Arman Colin, 2012, p. 256.

3 - معظم المصادر تعرضت إلى هذه النقطة، غير أنها لم توضح في سياقها التاريخي هل هذا يعني أن الكاهنة تزوجت من أحد الرومان، فكان لها ابن رومي، أما أنه نسبة إلى ديانة النصرانية، وصف على أنه رومي.

4 - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 48.

ونقطة وكذلك طبنة والمنستير التي كانت من أعظم مدائنهم وحصونهم وقرطاجنة وباغاية وفرادي المسيلة في منطقة الزاب وتاهرت وسبته وطنجة ونفيس في منطقة سوس¹. حافظ الروم على الديانة النصرانية وذلك بغرض المذهب الكاثوليكي المسيحي كمذهب رسمي لرعاياها بشمال إفريقيا (الجزائر)، وبغزو الوندال 435-534م فرضوا المذهب الأرسوي²، يفهم ذلك ضمن الإشارات التي وردت في المصادر، فقد أورد ابن عذارى نسا قال فيه: « وكان ملك القسطنطينية العظمى وروما يؤدي إليه كل نصراني في بر وبحر جزية منهم المقوقس صاحب الإسكندرية وبرقة ومنهم صاحب أطرابلس وصبرة وروم إفريقيا»³.

تشير أغلب المصادر أن فئة النصارى بالجزائر حتى نهاية العهد الروماني قليلة لكن تستوقفنا إشارة واضحة أن عددهم كان لا يستهان به في هذا الحيز الجغرافي، وهناك إشارة واضحة أن القديس Augustin⁴ أرسل أمرا للبابا سباستيان بأن يعين أسقفا لرعيته بفوسالا⁵ وهنا يتضح كثرة أتباع هذه الديانة.

أضفت الفتوحات الإسلامية على المغرب طابعا جديدا، فشرط الفاتحين كانت واضحة لأهالي المنطقة: (الإسلام أو الجزية أو الحرب)، قاومت بعض عناصر الروم المعتقد الدخيل عليهم، لكن سرعان ما اندحروا ولم تجد الفلول المسيحية وراءها إلا البحر، فالتجؤوا إلى الجزر البحرية المقابلة للساحل الإفريقي مثل جزيرة صقلية ومالطة وسردينيا وكورسيكا، كما لجأت جماعات منهم إلى المناطق الداخلية قسنطينة وبلاد الجريد ثم أسلموا بعد ذلك ليحافظوا على أنفسهم وأموالهم من المسلمين الفاتحين.

أدى ضعف السلطة السياسية في المغرب الإسلامي لبلاد المغرب العربي دراسة لجهود الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب،

1 - محمد علي الأحمد، مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي دراسة لجهود الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب، الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2011، ص 31.

2 - محمد علي الأحمد، المرجع نفسه، ص 32.

3 - محمد البكري، المسالك والممالك، ص 155.

4 - القديس أوغستين (354م- 430م) ولد بمدينة Thagaste (سوق أهراس حاليا) من أب وثني وأم مسيحية، رحل إلى روما ودرس الخطابة في ميلانو، تأثر بالمذهب الريبي "الشك"، اعتنق المسيحية عام 386م ثم عاد لهيبونيس "عناية" وأسس رهبانيته التي لا تزال إلى اليوم، ألف كتاب "الاعترافات" 400م، و"مدينة الله" سنة 410م، توفي بهيبونيس سنة 430م.

جورج الطرابيشي، معجم الفلاسفة، لبنان: دار الطليعة للنشر، ص 117-122.

5 - فوسالا (تبعد ستون كيلومتر عن عناية).

المسيحية كدين وليس كطائفة، إلى أن جاء إدريس الأكبر فوحد القبائل وقضى على المسيحية. شهدت فترة المرابطين والموحدين حراكا للنصارى كفتة كفلت لها دولة الإسلام حقوقها، فتقلدوا المناصب في عهد المرابطين حتى وصولا لدرجة روبرتير¹، وامتهن النصارى في عهد الموحدين الزراعة²، كما تقلدوا وظائف عليا في الدولة، ومنهم المستعربون³ الذين حافظوا على أرواحهم وممتلكاتهم مقابل الجزية وكفلت لهم دولة الموحدين امتيازات مقابل خدمات معينة للدولة الموحدية، وتعدى الأمر إلى أن أصبح للأمير حرس من النصارى، وفي فترة الموحدين نشط التبشير المسيحي مع انطلاق المذهب الفرنسيكاني⁴ سنة 1208، وقد تم قتل المبشرين الأربعة الذين أرسلهم المجمع الديني الكاثوليكي من طرف الأمير الموحي سنة 1220، ولم ينج منهم سوى واحد الذي فرّ إلى المغرب الأوسط والأدنى ومع تولي المأمون بن منصور الحكم سنة 627-630هـ/1231-1234م سمح ببناء أول كنيسة نصرانية بالمغرب الإسلامي، وقد اشترط ملك قشتالة⁵ على المأمون أن تشيّد كنيسة للنصارى لأداء الصلوات وأن يسمح لهم بدق الناقوس كل صلاة مقابل أن يدعمه بالمؤمن والجنود وأن يؤيده في حروبه مع خصومه ومناوئيه.

وعلى ما يبدو فإنه في عهد الدولة الزيانية حافظ النصارى على مكانتهم الاجتماعية في المملكة حيث شكلوا إحدى فئاتها السكانية، فوجد منهم الأطباء والمهندسين والنحاتين والتجار

1 - روبرتير هو قائد الحامية في الجيش المرابطي.

2 - إيمان عبد الرحمن حسن العثماني، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر يوسف بن تاشفين، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 05، السنة 1435/2014، ص ص 04-05.

3 - المستعربون هم المسيحيون الذين كانوا يعيشون في الأندلس خلال الحكم الإسلامي وتحديثوا العربية ومارسوا تقاليد العرب Mozarab.

- مايكل إيبالزا، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس، ص 227.

4 - هي جماعة دينية مسيحية تأسست على يد الراهب فرنسيس الأسيزي، وقد انبثقت عن الطائفة الكاثوليكية وتفرعت إلى ثلاثة مذاهب الكبوشينيس، رهبان الفرنسيكان، وأديرة الفرنسيكان والهدف منها مواجهة التراجع الروحي وانتشار البدع النصرانية جنوب فرنسا وإيطاليا ومواجهة الإسلام خاصة بعد أن تعددت منافذه إلى أوروبا. أنظر:

J. Moorman, A History of the Franciscan Order from its Origin to the Year 1517, paris: Pierre Fontaine 1955, p 125.

5- مملكة قشتالة بالإسبانية Reino Castilla واحدة من ممالك القرون الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا، تسمى مقاطعة كاستيا، برزت عندما استقل بها Ferman Gonzalez عام 961م أشهر ملوكها ألفونسو السادس .

والعبيد، فقد اشتغلت النساء النصرانيات كوصيفات للأميرات الزينيات وكجواري داخل القصور.

أما عن مناطق التمرکز المسيحي في بلاد المغرب الأوسط فقد استقروا بالعديد من مدنه، من بينها قسنطينة التي عاهدوا أهلها على دفع الجزية مقابل البقاء واستقروا بمدينة طبنة ببلاد الزاب ومدينة بونة التي كانت مركز إشعاع ديني كيف لا وهي مدينة أوغستين العالم بدين النصرانية الذي استقطب الجالية المسيحية ومدينة باغاية التي استقر بها الجند والعجم من أهالي خراسان وعجم من بقايا الروم، وجزائر بني مزغنة التي وجدت بها كنيسة عظيمة بقي منها جدار من الشرق

وفي القرن الخامس هجري وجدت فئة من النصارى في مدينة تلمسان كانت لهم كنائس يقيمون فيها شعائرهم الدينية ويعود هذا للحرية التي كانوا يتمتعون بها في هذه المنطقة¹ ، وتواجدوا أيضا في مدينة مليانة وأرزيو التي بناها الروم . وقد اعتبرت تلمسان منطقة استقطاب وجذب الأقليات المسيحية لموقعها الجغرافي الذي يسمح بتنوع الأنشطة وممارسة التجارة ومختلف الحرف، كما جذبت مدينة تاهرت حاضرة الرستميين بالمغرب الأوسط عددا كبيرا من النصارى، ويظهر أنهم اتخذوا بعض الأحياء مستقرا لهم مثل حي الكنيسة الذي أقيم على مكان مرتفع في المدينة بنوا فيه منازل وقصورا .

الاستقرار اليهودي ببلاد المغرب:

اختلفت المصادر التاريخية على تحديد الوجود اليهودي في بلاد المغرب، فهناك من ير جعه إلى العهد الفينيقي إذ أرسوا سفنهم بسواحل المنطقة وهناك من يذكر بأن وجودهم كان منذ القدم إذ قدموا من بلاد الشام واستقروا بمدينة آيت داوود¹ 2 ؛ كما يرجع ابن خلدون أصل البربر إلى كنعان بن حام بن نوح الذين اعتنقوا

¹- عبد العزيز فيلالي ، دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الاسلامي ،دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر : 2012، ص64 ، 65.

المسيحية عن بني إسرائيل عند استئصال ملكهم وسلطانهم².
وعلى العموم فالهجرات اليهودية لبلاد المغرب كانت حسب الظروف السياسية والاقتصادية، وأبرزها هجرة يهود فلسطين سنة 320 ق.م؛ وإذ كان المسيحيون قد استقروا في المناطق الساحلية فإن اليهود سكنوا السواحل والمناطق الداخلية استقر اليهود مدينة تنس المعروفة بموقعها الجغرافي وغناها بالمواد الاقتصادية، وقد شيدت من طرف جماعة من أهل الأندلس سنة 262 هـ / 875 م ، و قلعة بني حماد "التي ينسب إليها أحد رجال الدين اليهود المعروف بإبراهيم القلعي وسكنوا واريجلان³ التي تعد مدخل عبيد السودان إلى المغرب الأوسط وإفريقية⁴ ؛ كما، استقروا بمدينة أشير وهي مدينة محدثة تقع مقابل مدينة بجاية الواقعة على الساحل ويقال أن تسميتها شبيهة لاسم قبيلة يهودية ورد ذكرها في التوراة باسم أشير⁵ ؛ كما سكنوا مدينة تيهرت التي تعد أهم مدن المغرب الأوسط⁶ ، رحل إليها اليهود منذ نشأتها وتزايدوا بعد قيام الخلافة الفاطمية، فعملوا على تجارة الكتان، وعاش بها عالم اللغويات يهودا بن قريش ؛ كما سكنوا مدينة تلمسان عاصمة الزيانيين، وأصبحوا حلقة وصل مع يهود المغرب الأقصى، فازداد ثراؤهم فيها خاصة مع نهاية العصر الوسيط ؛ وسكنوا مدينة نكور التي تعد ميناء بحريا التي كان بها بابا يعرف باباب اليهود .

1- آيت داوود :مدينة قديمة شيدها الأفارقة فوق جبل عال، اشتهرت بكثرة الصناعات، وقسوة الحياة؛ انظر : مارمول كريخال، إفريقيا، تر :محمد حجي، محمد زينير، أحمد توفيق،المغرب : دار المعرفة، 1984 ، ج2 ص 20 .

2 عبد الرحمن ا بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج6 ، ص109 .

3 واريجلان أو وارجلا :مدينة واقعة في الصحراء الشرقية من الجزائر على بعد 210 كلم في الجنوب الشرقي من مدينة غرداية، وتكتب اليوم ورقلة؛

انظر :التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تج :محمد بو عبد الله، الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 م، ص287.

4البكري أبي عبد الله ، المسالك والممالك، تج :جمال طلبة، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ، ص62.

5 عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي، (22- 462 هـ / 642 - 1070م) دار روتابرينت ، ط 1، 2001، ص 46.

6 عبد الرحمن بشير، المرجع نفسه، ص46

ثالث: انعكاسات التواجد الذمي بالمغرب الأوسط

الدور السياسي و العسكري لأهل الذمة:

أ- الدور السياسي:

ظهر اليهود بشكل ملفت للانتباه في العلاقات الدبلوماسية مع البلدان النصرانية ساعدهم في ذلك اتقانهم للغة العربية و اللغات الأوروبية ساعدهم على أن يكونوا مترجمين تعتمد عليهم الدولة الزيانية في علاقاتها مع البلاد المسيحية ، لابرارم اتفاقيات تجارية أو معاهدات صلح ، فأرسل السلطان عثمان بن يغمراسن اليهودي ابراهام بن جلال سفيرا على مملكة الأروغون سنة 690 هـ / 1291 م، بصحبة الفقيه محمد صبيح الى حاكم قشتالة¹ ، وقد كانت تربطه بالملك جاك الثاني علاقة صداقة.

كانت هذه المعاهدة من أجل تجديد معاهدة سنة 685 هـ / 1286 م التي كانت

بين الملك الأروغوني و الملك القشتالي سانشو الرابع ، و قد نصت هذه المعاهدة على تقسيم بلاد المغرب إلى مناطق نفوذ كما اتخذ الملوك المسيحيين بعض اليهود سفراء لهم فأرسل ملك اسبانيا ألفونسو الثالث و ملك الأروغون جاك الثاني اليهوديين سمو أل بن جلال و بن دافي إلى بلد المغرب الأوسط و غرناطة² و قد استعاد ملوك النصارى من تواجدهم ببلاد المغرب الأوسط فاتخذوهم جواسيس لحسابهم .

يذكر المؤرخون بأنهم لم يكن لهم تأثير في الجانب السياسي باستثناء الدور الذي لعبته المرأة النصرانية. فغالبا ما كانت تؤخذ الأسيرات المسيحيات إلى القصر الملكي لأداء دورهن كحريم للسلطان³ ، أو للمساعدة في أمور الحرم الملكي و الإشراف على

¹ عبد العزيز فيلالي دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الاسلامي ، الجزائر :دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،2012 ، ص.19 ،

² عمر سعيدان ، علاقات اسبانية القطلانية بتلمسان في الثلاثين الأول والثاني من القرن 14م ،الجزائر :منشورات تالة ،ط2 ،ص27.

³ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص67.

تربية الصغار وقد برزت في هذا الدور القهرمان دعد التي كان لها صيت آنذاك كما ذكر ابن خلدون .

بالرغم من انحصار دور النصارى بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ، إلا أنه كانت هناك علاقات دبلوماسية مع البلاد النصرانية ، و التي ساعد فيها أهل الذمة على تسهيل التواصل ، خاصة من طرف القناصل ، كما لعب المترجمين دورا هاما فيها ؛ و يذكر بعض المؤرخين بأنه حدث تحالف ثلاثي (1) بين يغمراسن بن زيان و حاكم قشتالة و حاكم غرناطة ، لعلمه م بحساسة العلاقة بين الزيانيين و المرينيين . و لما علم السلطان أبي يوسف المريني راسل السلطان يغمراسن طالبا منه الصلح لكنه رفض و أعلن تحالفه مع ملوك العدو الأخرى²

و قد ربطت الدولة الزيانية مع ملوك الأروغون معاهدات في المجال التجاري ، كتلك التي أبرمت سنة 764 هـ / 1362 م بين ملك الأروغون بطرس السابع ونصت على الحياد و عدم تقديم المساعدة من طرفيهما لأعداء الطرف الآخر ، و في نفس الوقت الاتفاق على الصلح لمدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ المعاهدة³ و مما سبق يتضح أن ملوك النصارى استغلوا الصراع القائم بين الدولة الزيانية و بني مرين و اتخذوه كوسيلة لخدمة مصالحهم في سواحل المغرب الإسلامي ، و ما يؤكد هذا وجود القناصل و ممثلين لكل من الأروغون و قشتالة في المغرب الأوسط بالرغم من الصراع الذي كان بينهما كما يؤكد لنا شارل ديفورك أنه كانت هناك مراسلات بين حاكم الأروغون و السلطان

¹ - ابن خلدون ، العبر...، ج 7 ، ص203.

²الناصرى أحمد السلاوي ، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تح محمد عثمان ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2007، ص53 ص54.

³Dhina Atallah , Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles .O.P.U, Alger,. p528-529.

أبو حمو الثاني بعد استرجاعه عاصمة الزيانيين سنة 787 هـ / 1385 م ، يطالبه بارجاع سلع التجار و اليهود المايورقيين التي عثر عليها بقصره أيام دخول المرينيين سنة 784 هـ / 1382 م .

في عهد السلطان أبي تاشفين طالبه جاك الثاني حاكم الأروغون بتسليم الأسرى ، لكن السلطان رفض بحجة حاجته لهم في اقتصاد الدولة الزيانية ، و سيخلي سبيل (البعض منهم محافظا بذلك على العلاقات الودية بين البلدين¹ و قد كانت عملية فك الأسرى تتم بالتبادل أو التفاوض أو بالفدية ، وما هذا الا دليل واضح على وجود أطراف تلعب دور الوسيط بين الطرفين ؛ فهذا هو ذا ديفورك يؤكد ذلك من خلال افتداء الأسير القطلاني، من طرف العاهل الزياني أبو تاشفين عبد الرحمان الأول بن موسى 718 هـ - 749 هـ / 1318 م - 1348 م بمبلغ قدر بأربعمائة أو خمسمائة دينار.²

ان أمراء بني زيان غالبا ما كانوا يعتمدون على التجار المسيحيين و قادة الميليشات العسكرية في بعثاتهم نحو بلاد النصارى حيث بعث السلطان أبو حمو موسى الثاني بن يوسف ي على الكانية و عرف أيضا بالكانة في رحلة دبلوماسية إلى حاكم الأروغون سنة 759 هـ - 760 هـ / 1358 م - 1359 م³؛ في أواخر الدولة الزيانية ضعفت و أصبحت العلاقات غير ودية ، خاصة بعد تدخل الدولة العثمانية في المنطقة باسم الحماية ، فاستعان السلطان أبي حمو المعروف بأبي قلمون بعد أن خلع من منصبه بالامبراطور شارل الخامس لمساعدته على أهل تلمسان و الأخوين خير الدين و عروج ، فزوده بجيش من النصارى و استعاد الحكم من جديد لكن بوفاته امتنع أخيه عن مساندة و مسالمة الاسبان⁴

¹ -1. Atta allah dhina;OP-CIT;p 515.

² Dufourcq; hespaigne catalane et le Maghreb au XIII et XIV siecle ; PUF , p503

³ . -3 Durfoucq,IBID , P 472 .

2- الدور العسكري:

يعود تواجد العنصر الذمي في الجيش المغربي الى فترات سابقة ، إذ أن سلاطين بلاد المغرب غالبا ما استعانوا على المرتزقة في جيوشهم ، و في غالبية الأحيان كانوا من النصارى الذي يرجع تواجدهم في التركيبة العسكرية المغاربية الى القرن 6 هـ / 12 م، إذ استخدمهم المرابطون كعناصر متطوعة للدفاع عن المملكة إلى جانب الجيش المحلي.¹

أما في العهد الموحي فقد استخدموا الجند النصارى في الجيش ايام الخليفة المأمون 626 هـ - 630 هـ / 1228 م - 1232 م التي كانت ترافقه و تعمل على مناصرته ضد الأعداء، مثلما جرى سنة 636 هـ / 1228 م ، وقد اهتم بهم السلطان فأنزلهم بحي خاص بهم و بنى لهم كنيسة لأداء شعائرهم الدينية ، وكانت هي أول كنيسة تبنى بالمغرب الأقصى² أما الحكم الزياني فقد انتقل ال عنصر المسيحي إلى الجيش الزياني عقب انهزام الموحدين سنة 646 هـ / 1248 م ، وقد كانت به فرقة من المرتزقة يتراأسها" قائد "، و يذكر ابن خلدون أن الجند النصارى قاموا بانقلاب على السلطان يغمراسن بن زيان أثناء استعراض عسكري بباب القرماديين³

و بعد هذه الحادثة قام السلطان الزياني بالتخلص منهم جميعهم⁴ في سنة 665 هـ / 1266م، عاد الجند النصارى الى الجيش الزياني ، فيذكر ابن خلدون⁵ بأنه وجدت

¹ - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد..في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1 ، تح عبد الحميد حاجيات ، الجزائر :مطبعة الاخوين الشرفاء ، ص206 .

² - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص187 .

⁴عبدالعزیز فيلالي ، المرجع نفسه ، ص188 .

⁵ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد...، ج 1 ، ص206 .

فرقة مسيحية هامة، تتكون من الكتالونيين، والاراغونيين، بقيادة الأب فيلارجو قيوم غالسيران دي كارتيليا فارس من الروم يقاتلون إلى جانب يغمراسن، 670 هـ / 1271 م (كان نحو 500) ضد بني مرين، الذين تمكنوا من القضاء عليهم جميعا و في سنة 679 هـ / 1290 م ترأس الفرقة العسكرية القائد جوم بيريز هجين الملك بيار الثالث الارغوني.

و قد " أدت البابوية دورا هاما على الجند المسيحي اذ تولت مهمة التوعية و الحث على التحلي بالسلوك القويم و عدم اعتناق الاسلام و التمسك بديانتهم المسيحية، اذ برز دورهم سنة 689 هـ / 1290 م ؛ و يعد البابا نيكولا الرابع قائدا للمسيحيين الذين يعملون مرتزقة في الفرق العسكرية لصالح المسلمين بلاد المغرب عامة، ومدينة تلمسان على وجه الخصوص.

أما الفرقة الأروغونية الكتلونوية، التي تخدم سلاطين تلمسان، فقد ترأسها ، Rodrigo Sanghez de vergays "الفارس رودريغو سانثيز دي فيرغاييس وقد استمر وجود الميليشيات المسيحية في الدولة الزيانية، بعد الحصار الطويل، الذي تعرضت له مدينة تلمسان من قبل المرينيين في عهد أبي حمو موسى الأول، وكان "Filipe di moria". قائدها آنذاك الفارس فيليب دي موريا وكان يرأس الفرقة الميورقية، ما بين سنتي 725 هـ / 1325 م، بعض هجين جاك (Jacque II) أرباب السيف من النصارى، مثل ابن الملك جاك الثاني الأروغوني، وصار هذا الأخير يقوم مقام الوسيط الدبلوماسي بين سلطان تلمسان والملك الأروغوني . واستخدم أبو حمو الزياني الثاني المرتزقة المسيحيين في

جيشه¹ وصنفهم ضمن المماليك الخاصة بحراسته وفي هذا الصدد يقول صاحب البغية " : فاستركب الحرم وحمل الأموال واكفل بذلك الخصيان والنصارى المستخدمين¹"، وقد وجد عاهل أروغون فائدة كبيرة في وجود الفرق العسكرية

¹ - أبي حمو موسى الثاني الزياني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تح :محمود بوترة ، الجزائر : دار الشيماء للنشر و التوزيع دار النعمان للطباعة و النشر ، 2012 ، ص201-208.

المسيحية، في خدمة الدولة الزيانية وغيرها، لأنه كان يأخذ ضرائب غير مباشرة، عن رواتبهم يقسمها العاهل الزياني . كما كان الجند بدورهم، يقدمون جزء من رواتبهم للخبزينة الأروغونية² . وكانت رواتب هذه الفرق المسيحية، الملازمة للخدمة مرتفعة، بحيث تتراوح ما بين خمسة دنانير وخمسين دينارا ذهبيا في كل شهر تعيين قيادات الجند بأنفسهم، وعزلهم حسب مشيئتهم ، و كانوا يطالبون في كثير من الأحيان، بمد نفوذهم إلى قيادات الجند النصارى المرتزقة العاملين بالمغرب الأوسط، وبعاصمته تلمسان على وجه الخصوص، أو المارين بها مهما كانت جنسياتهم الأوروبية.

والظاهر أن الجند المرتزقة، كانوا يسكنون، في حي منفصل خاص بهم، يعرف بربض النصارى، و كانوا يتمتعون بأداء شعائرهم الدينية، ويديرون شؤونهم بأنفسهم، كما كانوا معفيين من جميع الضرائب والرسوم الجمركية، ويخضعون لسلطة قوادهم القضائية بالرغم من كل الامتيازات التي حظي بها الجند في الجيش الزياني إلا أنهم لم تكن لهم أحقية ملك العقارات و الاقطاعات على عكس الجند في بني حفص.

خطر النصارى و سقوط دولة بني زيان:

في أواخر حكم بني عبد الواد أصبحت الدولة تضعف ، و أخذت بعض المدن تستقل عن السلطة المركزية ، و خلعت بعض القبائل عن طاعة السلطان ، كما حدث في عهد محمد الثابتي الذين أصبحوا ينضمون إلى أعدائه كلما هجموا عليه في أراضيه.

و في سنة 897 هـ / 1492 م سقطت غرناطة في يد الاسبان و قضوا بذلك على آخر

¹- يحي بن خلدون ، بغية الرواد...، ج 2 ، ص 142 .

²- عبدالعزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 189 .

دولة في الأندلس ، فهاجر العديد منها إلى بلاد المغرب الإسلامي ، و تبعهم
النصارى الذين باشروا في الاغارات على سواحل بلاد لمغرب الأوسط للاستلاء
على الموانئ و استنزاف خيرات المنطقة و السيطرة على نشاطها التجاري¹
و في سنة 906 هـ / 1501 م ، شن البرتغاليون هجوما على المرسى الكبير
ووهران ، و لكنهم أخفقوا في محاولتهم هذه و كانوا قد احتلوا كثيرا من موانئ
المغرب الأقصى ، مما جعلهم يستحذون على قسم كبير من تجارة السودان ثم
تعرض الميناء سنة 910 هـ / 1505 م إلى هجوم الاسبان فاتجه السلطان محمد
الثابتي مسرعا لحمايته لكنهم اعترضوه بوهران و هزموه و نهبوا أمتعته ،
فعر ذلك في نفس السلطان الذي تأثر و مرض و توفي على إثرها ، فخلفه ابنه
أبو عبد الله محمد الخامس² و تفاقم الوضع السياسي و اشتد خطر النصارى الذين
استولوا على وهران سنة 914 هـ / 1509 م، و احتلوا بجاية سنة 915 هـ / 1510 م ،
و انتهكوا الحرمان فيها مما زاد من مخاوف المدن الأخرى التي أعلنت طاعتها للاسبان
فرأى محمد الخامس وجوب طاعة الاسبان فرحل إلى نك قشتالة سنة 918 هـ /
1512م مقدا له الهدايا و عقد صلح معهم ، التزم فيه بالتبعية لهم و دفع ضريبة
سنوية ، و تمويل الحامية الاسبانية بما تحتاج إليه من مؤن³
و في سنة 920 هـ / 1514 م استولى بابا عروج على مدينة جيجل معلنا المعادة
للاسبان ، ثم دخل الجزائر بطلب من أهلها ، و مليانة و المدية و تنس... و في هذه
الفترة ظهرت القوة العثمانية ببلاد المغرب الأوسط ، كما توفي محمد الخامس سنة
922هـ / 1516 م و خلفه أخوه أبو حمو الثالث الملقب بأبي قلمون⁴

¹- عبد الحميد حاجيات ، دراسات حول التاريخ السياسي و الحضاري لتلمسان و المغرب الإسلامي ، ج 1 ، الجزائر
:عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، 2012 ، ص85 .

²- عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، الجزائر : ديوان المطبوعات
الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 2007 ، ص130 ، ص131.

³- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص86 .

⁴- عبدلي لخضر ، المرجع نفسه ، ص129 ، ص130.

اعتمد السلطان أبي قلمون على مسالمة الاسبان و مصالحتهم متبعا نهج أخيه ، هذا ما أثار أهل تلمسان الذين استعانوا بعروج على أبي حمو الثالث و تنصيب أبي زيان الثالث على العرش ، فاستجد السلطان أبي قلمون بالاسبان الذين حاصروا المنطقة و قتلوا عروج سنة 924 هـ / 1518 م ، و أعادو أبي حمو الثالث إلى منصبه . و تغيرت وجهة الاسبان إلى محاولة التخلص من العثمانيين بسواحل شمال افريقيا ، و المبادرة بالقضاء عليهم قبل أن يستقل أمرهم و توحيد البلاد.

و كانت سياسة الاسبان هي مسالمة ملوك تلمسان و الاكتفاء بعقد الصلح الذي أمضاه معهم أبو حمو الثالث الذي توفي سنة 934 هـ / 1529 م ، و قد عرفت الدولة الزيانية تقلصا ملحوظا في مناطق نفوذها¹.

بعد وفاة أبي قلمون خلفه ابنه أبو محمد عبد الله الثاني بن محمد الثابتي ، و قد عرفت فترة حكمه بسيطرة العثمانيين على المنطقة خاصة بعد تحرير حصن البنيون من قبضة الاسبان ؛ و قام السلطان أبي زيان بالاتفاق سريا مع خير الدين بعد ضغط الأهالي عليه و فيه هذه الفترة كان الاسبان منشغلين بإخماد الفتن ، فلم يتعرضوا له حتى وافته المنية سنة 947 هـ / 1540 م.

كان له ولدين أبو عبد الله محمد و الثاني أبو زيان أحمد فخلف أبو عبد الله أباه الذي الذي أبدى تبعيته لاسبان ، منتهجا سياسة أبيه . في عهده فشل كارل الخامس في غزوه لمدينة الجزائر سنة 948 هـ / 1541 م ، ثم ثار أبو زيان سنة 949 هـ / 1542م على أخيه الذي تمكن من خلعه من منصبه بمساعدة العثمانيين و انتصب من جديد على العرش الزياني.

فاستعان أبي محمد بالاسبان الذين أغاروا على المنطقة بقيادة كارلس الخامس و انهزموا شر هزيمة بمنطقة بنواحي عين تموشنت تعرف بشعبة اللحم سنة 950 هـ /

¹- عبدلي لخضر ، المرجع السابق ، ص130 .

1543م ، و اجه أبي محمد الاسبان بوهران الذين صمموا على الانتقام لمقتل ضحاياهم و احتلوا تلمسان في نفس السنة و قتلوا و خربوا ما بها من عمران و أعادوا محمد السادس على العرش في حين أبي زيان فر نحو صحراء أنجاد و تبعه الاسبان و هزموه قرب واد ملوية في سنة 951 هـ / 1541 م جمع أبو زيان الأنصار و اتجه نحو تلمسان فخرج إليه محمد السادس الذي انهزم و عاد إلى المدينة فطرده الأهالي و أعادوا أبا زيان على العرش الذي تحالف مع العثمانيين.

إن اضطراب الأوضاع السياسية والعسكرية بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية تبين التواطؤ الواضح لأهل الذمة (اليهود والنصارى) مع القوى المسيحية المعادية للإسلام في المنطقة.

القسم الأول

يهود الجزائر

ال

المفصل الأول

الإطار التاريخي و الإثني ليهود

الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول: الإطار التاريخي و الإثنوي ليهود الجزائر خلال العهد العثماني

أولا - التطورات التاريخية للوجود اليهودي بالجزائر:

تعتبر المسائل العرقية من أعقد الدراسات التاريخية التي شغلت العديد من الباحثين والمؤرخين خاصة المتعلقة بأهل الذمة (اليهود-النصارى) بموازاة مع الدراسات الأخرى التي اهتمت بالبربر والعرب في منطقة شمال أفريقيا وخلصت إلى نتائج قيمة في هذا السياق، غير أنها لم تهتم في مقابل ذلك بالمستوطنين اليهود الذين استقروا بها منذ العصور القديمة وحتى إن تعرضت لها، فدراستها يكتنفها الغموض وتعترتها السطحية وتبقى مجرد فرضيات واحتمالات في غياب الشواهد التاريخية والدلائل الأثرية بحيث تتعد الإشكاليات حول الجذور التاريخية لهذه الفئة وكل ما يتعلق بالهجرة¹، الاستقرار، التمازج والتفاعل في

¹ - عرف مصطلح الهجرة من طرف معجم العلوم الاجتماعية : على أنه تحركات جغرافية أفراد وجماعات كما عرفها معجم المصطلحات الجغرافية على أنها انتقال الأفراد من مكان إلى آخر للاستقرار فيه. مفهوم الهجرة وأنها:

تجمع الكتابات المتخصصة على أن الهجرة هي التغير الدائم أو شبه الدائم في مكان الإقامة، وقد حاولت تلك الكتابات أن تصل إلى القوانين التي تتحكم بتلك العملية سواء في مستوى وعوامل حدوثها أو مستوى النتائج والآثار الناجمة عنها هي صنفين أساسيين:

- الهجرة المحافظة

- الهجرة ذات النمط الجديد

ويتفرع هذين الصنفين الأساسيين إلى الأنماط الخمسة التالية:

- الهجرة البيئية: وهي التي تستند إلى محل بيئي، ويتمثل في قصور البشر في سيطرتهم على البيئة المحيطة ، حيث تصبح هناك قوة طرد، والهجرة البيئية ، قد تنطبق على هجرة الجماعات البدوية من مكان إلى آخر أو من إقليم لآخر مع محافظتها على خصائص حياتها.
- الهجرة الإلزامية أو القسرية : وهي تحدث نتيجة ضغوط اجتماعية ذات طابع سياسي لا علاقة للبيئة بها.
- هجرات الضغط : هي النمط السابق من الهجرة التي يكون أمام المهاجر من خيار سوى الهجرة في حين أن هذا النمط يتميز عن سابقه، مع تعرض المهاجر للضغط، إلا أنه يكون في موقف يستطيع معه أن يقرر الهجرة أو البقاء.
- الهجرة الحرة: رغبة المهاجرين فيها تتشكل من إمرا بارزا وواضحا في ظهور الدافع للهجرة عندهم ، وكأي ضغط بيئي أو اجتماعي .
- الهجرة الجماعية : وهي التي تترتب عن الهجرات الحرة وتعتبر نتيجة طبيعية لها وتتمثل في تلك الهجرات القائمة على إغراء المهاجرين بحيث يقررون اللحاق بهم أو الهجرة على شكل موجات سكانية متتالية ، انظر تيسير عبد الحميد عياد ، هجرات اليهود وأثارها على اقتصاد الأراضي الفلسطينية المحتلة، 1967، ص 13.

المجتمعات التي وفدت إليها، لأن أغلب الأصول والمصادر أهملت هذا الجانب¹ فأثارت جدلا كبيرا حول ملابسات الوجود اليهودي بالجزائر.

غير أنه يمكن استرجاع واستحضار المعالم الأساسية والعرضية لظهور اليهود بالجزائر منذ العصور القديمة استنادا إلى التاريخ القديم للشرق الأوسط، والحضارات والأمم التي توالى عليه وإلى تاريخ شمال أفريقيا والغرب بشكل خاص. يمكن دراسة هذه العينة الاجتماعية وأطوار هجرتها على الرغم من الاختلاف حول هذا الموضوع بين الباحثين حيث يذكر "Maurice EisenBeth" و "André Chouraqui" أن النواة الأولى للجالية اليهودية في المغرب² ترجع إلى الهجرات الباكرة لمجموعة من اليهود رافقوا الفينيقيين الأوائل الذين أسسوا مدينة قرطاجة 814 ق.م.

ويضيف دارمون Darmon أن اليهود جاءوا نازحين من مصر بعد تحطيم المعبد الذي بناه أونياس Onias ثم تفرقوا في أفريقيا فاستوطنت مجموعة منهم تلمسان³ وضواحيها.

أما كلود مارتن Claude Martin يرى بأن استيطان اليهود للمغرب يرجع للعلاقة التجارية بين التجار اليهود مع الساميين في السواحل الأفريقية منذ الألف الثانية قبل الميلاد، حيث عرفت المنطقة قدوم موجات يهودية⁴.

إن الفصل في هذه الفرضيات ضربا من المستحيل نظرا لغياب الأدلة والشواهد التاريخية، وفي كنف هذا الغموض يمكن ترجيح فرضية الهجرة اليهودية إلى شمال أفريقيا،

¹ -Joseph toledano : les juifs maghrébins, paris,1983,page 11.

²- André Chouraqui : Marche vers l'occident : les juifs d'Afrique du nord, presse universitaire de France, Paris :saint Germain1954, page 11.

Voir aussi Maurice EisenBeth : les juifs en Algérie et en Tunisie durant l'époque turque in R.A, N°03,Alger : O.p.u, page 152.

³- Darmant , origine et constitution de la communauté israélites de Tlemcen in R.A.N° 14,Alger :o.p.u 1870 , pp376-377.

⁴- Claude Martin, les israélites Algériens de 1830-1902 ,paris : 1936,p09.

إلى بواكير الألف الأولى قبل الميلاد ارتبطت في علاقة مدينة صور بالعبرانيين¹ إبان حكم الملك حيرام وسليمان الحكيم ، وهذا حسب ما جاء في الإصحاح الخامس من التوراة.

" وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان لأنه سمع أنهم نصبوه ملكا مكان أبيه لأن حيرام كان محبا لداود كل الأيام، فأرسل سليمان إلى حيرام يقول أنت تعلم أن داود أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتا لاسم الرب إلهه بسبب الحروب² التي أحاطت به حتى جعلهم الرب تحت بطن قدميه والآن فقد أرادني الرب إلهي من كل الجهات فلا يوجد خصم ولا حادث شر وأنا ذا قائل على بناء بيت باسم الرب إلهي كلما كلم الرب داود³ قائلاً إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو بيتي البيت لاسمي والآن فأمر إن يقطعوا لي أرزا من لبنان ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب ما تقول لأن تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيديويين،⁴ فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح وقال: مبارك اليوم الرب الذي أعطى داود ابنا حكيما على هذا الشعب الكثير أرسل حيرام إلى سليمان قائلاً: قد سمعت ما أرسلت به إلي أن أفعل كل مسرتك في خشب الأرز وخشب السرو، عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر وأنا أجعله إرماتا في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه وأنفقه هناك وأنت تحمله وأن تعمل مرضاتي بإعطائك طعاما لبيتي، فكان حيرام يعطي سليمان خشب أرز وسرو وحسب كل مسرته وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف ذكر حنطة طعاما

¹ - العبرانيون حسب التوراة ينتسبون إلى عابر من سلالة أرفشكاد ابن سام وقد كان لعابر ولدان احدهما فالج والثاني يقطان وتعددت المحاولات لتفسير اسم العبرانيين وتعددت الآراء حوله، وقد اعتبر بعضهم أن أسماء " الخيرو" و " الهيرو" و " العبيرو" هي أسماء واحدة، وقالوا بأن هذه التسمية كانت تطلق على القبائل الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وكان العبرانيون رابع شعب سامي سكن الهلال الخصيب بعد الأشوريين والكنعانيين والأراميين وكان العبرانيون القدامى خاصة في العصور الأولى من تاريخهم ينقسمون إلى اثني عشر قبيلة أوسطها سميت بأسماء أبناء يعقوب عليه السلام : راؤبين، أوجاد، أشير، زيلون، شمعون ، لأوي، يهودا، بساكر، يوسف، بنيامين، نفتالي ، أنظر: موسوعة عالم الأدب ، الجزء -7-، ص 26-30، وأيضا عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، ط1 ، 1999، ج4، ص112

² - أشار الحق تبارك وتعالى إلى ذلك في سورة البقرة الآية 249-250 قال تعالى : " قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ..."

³ - هو نبي الله داود عليه السلام اختارته القبائل اليهودية ملكا عليها 1015 ق.م-975 ق.م جنوب فلسطين، هذا بعد اغتيال الملك شاول حوالي 1010 ق.م أو 1000 ق.م ويحدد حسن محمد عبد الرحمن في كتابه " العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل " تاريخ اعتلاء داود العرش سنة 1049 ق.م.

انظر فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزء الأول ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1426هـ - 2005، ص31.

⁴ - الصيديويون : أهالي صيدا بلبنان المشتغلين، بصناعة الخشب.

لبيته وعشرين كر زيت... هكذا كان سليمان يعطي حيرام سنة فسنة، والرب أعطى سليمان حكمة كما كلمه وكان صلح بين حيرام وسليمان وقطعا كلاهما عهدا...¹.

يصور هذا النص المقتطف من التوراة تلك العلاقات الودية التي جمعت بين حيرام الملك وسليمان عززتها المبادلات التجارية بين الطرفين حيث ذكر النص أن النبي سليمان عليه السلام استورد بعض المواد الأولية المتمثلة في (الأرز والسرور)، كما طلب من حيرام إعانتة ببعض الخبرات الفنية للصوريين لبناء معبد أورشليم. وهذا مقابل الحبوب (الحنطة، الزيت) التي سوف يمنحها العبرانيون للصوريين، لعلّ هذا ما يفسر سيطرة اليهود على تجارة الحبوب في القرن 10 ق.م، وهي فترة الانتعاش الاقتصادي للساحل الفينيقي عامة ومدينة صور خاصة تحت حكم الملك حيرام (939-989 ق.م) الذي شجع التجارة البحرية في الحوض المتوسط فأصبحت صور رائدة في جلب الحبوب التي تنتجها المستوطنات الفينيقية في مقدمتها أوتيكاً.² غير أنه بعد وفاة الملك سليمان توقفت التجارة البحرية نظراً لانعدام الخبرات الفنية وبالتالي عدم قدرة العبرانيين على تصميم السفن من ارتياد البحار. والجدير بالذكر أن الصوريين برعوا في عبور البحار منذ القرن 12 ق.م، وهم أصحاب الفضل في وصول السفن التجارية اليهودية إلى ترشيش.³

والواقع لا توجد أدلة كافية توضح الاستيطان اليهودي في مشال أفريقيا ولاسيما مع تذبذب العلاقات التجارية بعد وفاة الملك سليمان، حيث كان اليهود يترددون على الوكالات التجارية (Factories commerciales) المنتشرة على الحوض الشرقي والغربي للمتوسط (ليكسوس-أوتيكاً-قادس-ازيليس-طرابلس-كركون...)، ثم يرجعون إلى موطنهم بالشرق الأدنى (فلسطين- الشام) بعد أن يكونوا قد أتموا معاملاتهم التجارية هناك.⁴

1 - الكتاب المقدس (التوراة) أي كتاب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة 1960، ص 527-529.
2 - أوتيكاً: تعني المدينة العتيقة، تأسست في الألف الثانية قبل الميلاد أي حوالي 1101م وتدل الحفريات على أنها تأسست على مرتفع من مصب نهر، مجرده شمال تونس حالياً لا يبعد عن مدينة قرطاجة إلا بـ 15 ميلاً.
3 - ترشيش: تدل على مناجم القصدير والرصاص الذي كان ستخرج من جنوب غرب شبه جزيرة أيبيريا، أنظر : مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي (647م – 1269م) من الفتح حتى سقوط الموحدين ، ص 13.
4 - محمد دادة، ملامح من أوضاع اليهود في شمال أفريقيا خلال الاحتلال الروماني – الوندالي والبيزنطي، مجلة التاريخ، العدد الأول، وهران 1996، ص 58-63.

إن غياب الأدلة التاريخية والشواهد المادية ترجح فرضية ظهور اليهود بشمال أفريقيا إلى قرابة 3000 سنة أي خلال مراحل الاستيطان الفينيقي لسواحل المتوسطي في القرن 8 ق.م ولا يمكن اعتبار هذا التواجد فعليا ابتداء من هذا الزمن¹، وهي تبدو نوعا ما الأقرب منطقيا وتاريخيا، غير أن هذا التمرکز لا يتعدى في معظمه بعض الأفراد وهم التجار اليهود أساسا.

وعلى ما يبدو فإن معالم الوجود اليهودي بالمنطقة لم تتضح إلا بعد سقوط مملكة يهودا على يد البابليين بزعامة ينبوخد نصر 586 ق.م وحملة تيتوس Titus على القدس 70م، حيث هاجر عدد كبير من اليهود إلى المغرب.

أخيرا يمكن القول أن هجرة اليهود إلى شمال أفريقيا عامة والجزائر خاصة كانت في شكل حركة تجارية أو نفي قسري أو لجوء سياسي وهذا خلال 1101 ق.م، 930 ق.م، 586 ق.م - 320 ق.م - 135 ق.م - 70م.

يعتبر الوجود اليهودي بالجزائر قديم جدا غير أن تحديد بداياته غير معروف إلى وقتنا هذا، الأمر الذي أحدث اختلافات كثيرة بين الباحثين حول ملابساته الحقيقية.

1- الهجرات الباكرة لليهود إلى الجزائر:

تكونت اليهودية بالجزائر نتيجة تكاثف عدّة هجرات إلى شمال إفريقيا نظرا لما لحق بهم من شتات². اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هجرة الجماعات اليهودية الأولى إلى

¹ - تروي الأساطير اليهودية أن اليهود كانوا منقسمين إلى 12 قبيلة، عشرة منها تشكل مملكة الشمال (مملكة إسرائيل) التي كان ملكها شاول، واثنان تشكلان مملكة الجنوب (مملكة يهودا) والتي نشأت حسب الرواية التوراتية بعد تمرد داوود ضد جالوت واتجه إلى الجنوب، ليتخذ من مدينة الخليل عاصمة له، ولما سقطت مملكة الشمال في يد الآشوريين عام 721 ق.م هجر سكانها الذين ذابوا في المجتمع الجديد، لكن كثيرا من اليهود لا يؤمنون باختفاء هذه القبائل وإنما يعتبرونها مفقودة، وهم في انتظار عودتها، وحين اكتشفت أمريكا 1492م، قيل أن سكانها يمثلون هذه القبائل، ثم قيل ذلك من قبائل الفلاشا في إثيوبيا، وهكذا تظل هذه الأسطورة تأسر كثيرا من اليهود المؤمنين بها وأغلب الظن أنها أبيت نظرا للصراعات الكثيرة التي واجهها اليهود منذ حوالي 1010 ق.م.

² - بعد وفاة النبي سليمان عليه السلام تفككت وحدة بني إسرائيل نظرا للثورات الداخلية، والتي نتج عنها الانقسام مرة ثانية (الانقسام الأول كان في حدود 1000 ق.م) إلى مملكتي يهودا وإسرائيل، ثم كثرت النزاعات بينهما، هذه الأزمات أدت إلى سقوط مملكة إسرائيل على يد الآشوريين 722 ق.م، واستمرت مملكة يهودا حتى سقطت على يد القائد البابلي بني وخذ

الجزائر فالرأي الأول يربطها بمراحل الاستيطان الفينيقي لسواحل شمال أفريقيا أي خلال القرن 10 ق.م ، حيث ازدهرت التجارة البحرية في الحوض المتوسط وتحول المحطات التجارية إلى مستوطنات منذ القرن 8 ق.م فدفع الفضول التجاري باليهود إلى الهجرة لسواحل شمال أفريقيا على شكل دفعات متتابعة¹ غير أنه لا نسجل استقرار للجماعات اليهودية بالمنطقة نظرا لعودة السفن التجارية اليهودية إلى الشرق الأدنى بعد الانتهاء من المعاملات التجارية وهنا يمكن أن نرجح احتمالين :

- الحاجة الملحة للمواد الأولية بالشرق الأدنى هي التي كانت تدفع بالتجار اليهود إلى عدم الاستقرار بالمنطقة.
 - المنافسة التجارية الحادة بين الفينيقيين والإغريق والتي لم تكن في صالح التجار اليهود في إقامة علاقات تجارية واسعة الأمر الذي دفع بهم إلى العودة إلى (فلسطين- الشام) بعد التزود بالمواد الخام خاصة المعادن.
- غير أنه مع تأسيس مدينة قرطاجة 814 ق.م ظهرت موجات يهودية بالمغرب تمركزت على طول المحور التجاري الممتد من سرتا إلي سطيف شاملا سور الغزلان وقالمة وتبسة وخنشلة....وذلك لطبيعتهم الميالة إلى التجارة أكثر من أي نشاط آخر² (صياغة الذهب و الصيرفة).

أما الرأي الثاني يرجع الجذور اليهودية إلى الحقبة الرومانية معتمدا في نظريته على المصادر المادية (الآثار) التي أشارت بطريقة أو بأخرى إلى استقرار الجنس اليهودي بالمنطقة وهذا من خلال الحماية التي وفرها لهم الحاكم الروماني أوغستين Auguste

نصر 586ق.م، الذي حطم الهيكل وشرّد اليهود واستولى على القدس واعتقل مئات الآلاف وأخذهم أسرى إلى بغداد، يعتبر بنبوخذ نصر أول من وقع الوثيقة الشتات. أنظر: فوزي سعد ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ج 1 ، ص 31.

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ، الجزائر، تونس ، المغرب الأقصى من البدء حتى الفتح الإسلامي 647 م، تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، تونس : الدار التونسية للنشر، ص67.

² - Richard Ayoun et Bernard Cohen, les juifs d'Algérie 2000 ans d'histoire, paris : édition Jean claude Lattes, 1982,page 27.

(63ق.م- 14 ق.م)¹ فصار اليهود في ظل الوثنية الرومانية يتمتعون بكامل الحقوق التي تتمتع بها بقية الشعوب ويعيشون حسب قوانينهم الخاصة.²

الأمر الذي سمح لهم بترك بصماتهم في الجهات التي استوطنوها ، حيث عثر على عمود أثري شمال مدينة تبسة (منطقة هنشيرفواغة) يحمل آثار كتابة بالأحرف اللاتينية تدل على أسماء عبرية، ومجموعة من الأواني من بينها فوانيس ذات السبعة فروع والتي ترمز لليهودية ، ضف إلى ذلك بعض العادات والتقاليد اليهودية التي وجدت لدى بعض القبائل الصحراوية (التوارق) في عادات وأعراف الزواج والمتمثلة في عادة Les sandales cousins croisés³ حيث يقدم العريس لعروسه يوم الزفاف في أجواء من الرمزية والسريالية وهذه النظرية ترجح فرضيتين :

- الأولى : كثافة العنصر اليهودي مع تواجد أو عبور يهودي غامض بالجزائر .
- الثانية: تهوّد بعض القبائل الجزائرية وبذلك إضافتها إلى الرصيد البشري العبري⁴ وربما لا تكون يهودية بالضرورة والأمر لا يتعدى التأثر بالعادات اليهودية المستحبة التي قد تكون انتقلت إليها عن طريق التجارة الصحراوية التي شكل فيها اليهود محورا هاما.

بذلك يربط هذا الرأي أوامر الاستقرار إلي عام 70م (بعد حملة Titus 39م-81م على مدينة القدس وتحطيم الهيكل وتشريد اليهود خارج فلسطين ، حيث انتقلت جماعات من اليهود إلي مناطق مختلفة من العالم منها شمال أفريقيا وشكّلوا جزءا مهما من المجتمع الروماني حيث ذكر حيون وبرنارد كوهين⁵ أن الحضور اليهودي في العهد الروماني كان بارزا في مختلف الميادين بالأوراس وجبال القصور والصحراء بل ساعدتهم الظروف الأمنية حتى الانخراط في الجيش الروماني.

¹ - كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي لليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، ص21.
² - Maurice Eisenbeth, les juifs en Algérie et Tunisie, revue africaine N°93.1952 , PP126-127.

³ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص34.

⁴ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

⁵ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص34.

Bernard Cohen, Richard Ayoun, les juifs d'Algérie 2000ans d'histoire . p29.

سمح هذا التطور النسبي وهذا الاستقرار لليهود بتنظيم وتنسيق حياتهم الاجتماعية والدينية حسب التعاليم التلمودية وتعاونوا مع الزعماء الروحيين والحاخامات على إحياء الذاكرة الجماعية الإسرائيلية للديانة اليهودية لحماية الخاصية الثقافية والدينية للمجتمع العبري أمام القيود الرومانية التي مست الطقوس اليهودية طيلة الاحتلال الروماني للجزائر، هذا أمام التخوف الشديد من التآمر اليهودي على الديانة المسيحية الفتية، حيث عكف بعض رجال الدين المسيحيين أمثال: Saint Augustain (354م-430م)، Saint Jérôme (347م-420م)، Tertullien (155م-220م) على تقويض الوجود اليهودي بالمنطقة والعمل على الحد من انتشارهم أمام إلحاح الكنيسة والقلق على الديانة المسيحية من الخطر اليهودي، سعت الإمبراطورية الرومانية إلى تطبيق قانون كركلا l'édit de Caracalla¹ سنة 212م الذي منح حق المواطنة droit de cité لجميع الناس الأحرار بالأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية دون العبيد، مما أعطى لليهود فرصة ثمينة لتدعيم نفوذهم وتقوية الهياكل الدينية والاجتماعية والاقتصادية اليهودية.

ولعل هدف الإمبراطور الروماني من تطبيق هذا القانون يرجع إلى عدة اعتبارات :

- مهادنة العناصر اليهودية التي أصبحت تشكل جزءا مهما من المجتمع الروماني من الناحية السياسية والاقتصادية لذلك رأت من الأولويات ضمها إلى جانبها لأن قمعها في مثل هذه المرحلة يعتبر انتحارا للسلطة الرومانية بالمنطقة نظرا للعلاقات الواسعة التي جمعت اليهود مع البربر العدو التقليدي للرومان.
- منع أي تحالف يهودي بربري ضد الإمبراطورية الرومانية وبالتالي استبعاد أي اتفاق بين الطرفين لأنه بعد أن يصبح اليهود رعايا رومانيين سوف يتجنب البربر التعامل أو الوثوق بهم.

¹ - يعتبر قانون كركلا نوعا من سياسة المهادنة نظرا للثورات التي شنها اليهود في وجه الامبراطورية الرومانية، حيث ثاروا سنة 115م بمصر ضد سلطة الامبراطور الروماني Trajan (53م - 117م) واستطاعوا بقيادة رئيسهم Andréa نشر الفوضى والاضطرابات نظرا للعداء بين اليهود والرومان المسيحيين فاندلعت الثورة اليهودية (115-117م) التي أشعل فتيلها الحاخام أكيبا Akiba أب الستة التلمودية بلبيا، ذبح اليهود خلالها 200 ألف مسيحي بلبيا ، و240 ألف في قبرص رغم جهود الامبراطور Trajan (53م- 117م) استمرت الفوضى حتى تمكن الامبراطور: Hadrien (76م-138م) من تشكيل جيش نكل باليهود وتشيدهم من جديد، انظر حسن خربوطلي ، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية ، مصر ، المطبعة الفنية الحديثة، 1969 ، ص98.

■ محاولة الإمبراطورية الرومانية تقوية سلطتها المركزية بشمال أفريقيا وذلك باتباع سياسة التسامح الديني ومبدأ التعاطف العرقي مع جميع رعاياها بالأقاليم الخاضعة لسلطتها تجاوزا للأزمات الداخلية التي يمكن أن تتولد عن طريق التضييق الديني والتمييز العرقي (تجنب فكرة المفاضلة بين الأجناس لما تبثه من أزمات داخلية).

إن هذا القانون منح اليهود الحرية المطلقة أدت إلى تجاوزات خطيرة هددت الهيكل السياسي الروماني في كثير من المرات، فأصدرت الإمبراطورية الرومانية القانون التيودوزي Le code Theodosien¹ سنة 533م الذي حدّ من النفوذ اليهودي وقلّص من الممارسة الحرّة للطقوس الدينية اليهودية، رافقها الطرد الجماعي من الوظائف العمومية.

هذه الإجراءات الاستثنائية الرومانية بقيت محصورة على العموم في المستوى الديني والسياسي-الاجتماعي ولم تتوسع إلى المستوى الاقتصادي وبذلك بقي اليهود يتمتعون باستمرار بحرية التجارة والتنقل ومن هنا يمكن أن نتبع هجرة اليهود إلى شمال أفريقيا عبر محورين أساسيين:

أ. من فلسطين إلى مصر ثم برقة ثم باقي المناطق الأفريقية خاصة الساحلية.
ب. من اليمن والجزيرة العربية إلى أثيوبيا ثم الانتشار في الصحراء وصولاً إلى المغرب الأقصى.

بعد أن توضحت لليهود المسالك صوب شمال أفريقيا وسمحت الظروف بالاستيطان هاجرت أعداد كبيرة من اليهود إلى المنطقة طواعية واحتكر اليهود التجارة بأنواعها ولا سيما تجارة البشر، وسيطروا على أسواق النخاسة (الرقيق) وهنا نطرح إشكالية : هل كانت مزاوله هذا النوع من التجارة انجراف وراء تيار عام بهدف تحقيق الربح خاصة أن المال يعتبر الدين الثاني لليهود، أم كان انتقاماً من البشرية كلّها على ما حل باليهود من تشريد وتهجير على أيدي أعدائهم عبر مراحل مختلفة من تاريخهم؟

¹ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق،ص 41.

تأرجحت الهجرة اليهودية خلال العهد الروماني بين الاضطراب والاستقرار إلا أن براعتهم في الصرافة جعلت بعض الأباطرة الرومان يمنحونهم امتيازات سياسية واقتصادية، من ذلك استخدام اليهود في جباية الضرائب ومنح لقب Ethnarque¹ لأصحاب الثروة والجاه منهم وجعلوا صاحب هذا اللقب مسؤولاً عن الطائفة² اليهودية ويتكفل بجمع الضرائب من بني طائفته التي عرفت نوعاً من الاستقرار الذاتي³ وهذا ما دفع الحركة الديموغرافية اليهودية أن تتوغل تدريجياً نحو الداخل، وذلك سعياً لربط علاقات بالقبائل المحلية (البربرية) والتي كانت في أغلبها تجارية.

ساعدت الطبيعة التضاريسية للمناطق الداخلية اليهود على تكوين مجتمع إثني مغلق للحفاظ على الجغرافية العقائدية للديانة اليهودية ورسم أبعاد سياسية مستقبلية⁴ للعرق الإسرائيلي.

عرف اليهود نوعاً من الحرية خلال الوجود الوندالي (430-533م)⁵ ببلاد المغرب وأخذ استقرارهم يتكرس نظراً لعداء الوندال للمسيحية الكاثوليكية فحدث تقارب بينهم ومن اليهود الذين عرفوا كيفية استغلال الظروف السياسية للمنطقة وأقاموا تجارة واسعة حققت لهم أرباحاً طائلة ساعدتهم في شراء المناصب لتأمين حياة حرة آمنة والتي كانت نسبية خلال الحقبة الرومانية ، فاتسعت دائرة الهجرة اليهودية لشمال أفريقيا وأخذت أعداداً كبيرة منهم تتوافد وتنتشر بالجزائر بل توغلوا حتى في الصحراء.⁶

بعد سقوط الوندال على يد البيزنطيين عادت الإجراءات الاستثنائية بمختلف أشكالها إلي الجزائر لتمارس على اليهود والبربر على السواء وفي عهد الإمبراطور Justinien

¹ - Ethnarque أو Ethnarch كلمة أغريقية مؤلفة من قسمين إيتنوس وتعني القوم وأرخ بمعنى الرئيس أو الحاكم والمعنى باللغة العربية حاكم القوم أو رئيس القوم ، وهو لقب كان يمنح لأهم فرد في الجماعة اليهودية في المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الروماني وكانت له صلاحيات قضائية وغدارية واسعة منها جمع الضرائب.

² - كمال صحراوي ، المرجع السابق، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 24.

⁴ - محمد سعيد مسعود، العرب والقوات الأجنبية، دار الزائد العربي، لبنان ، ص 27.

⁵ - فاطمة بوعمامة ، اليهودية في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9 هـ / 13-15م ، الجزائر ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ط1432هـ/ 2011 م ، ص 25.

⁶ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 25.

(527م-565م) فزادت هذه الإجراءات تعقيدا حيث أعلن سنة 533م¹ مصادرة المعابد اليهودية (Les synagogues) وتحويلها إلى كنائس، وفرض التنصير الإجباري على اليهود ، وفي سنة 535م طبق البيزنطيون قانون La nouvelle 37 بشمال أفريقيا حيث تضع ممارسة الطقوس والاحتفالات الدينية اليهودية والآرية (Des Ariens) والدوناتية (des donatistes) وحرمت المادة الثامنة منه فتح المعابد اليهودية وحدت من جوانبها الشعائرية سنة 545م على إثر إصدار Novelle 131، ثم تلتها إجراءات استثنائية جديدة سنة 553م قيدت اليهود من الناحية الدينية وبالتالي شلت حركتها داخل المجتمع وتوقف نشاطهم الاقتصادي نظرا لسياسة التصنيف التي لحقت بهم، وهنا يشير Eisenbeth أنه مقابل التصنيف الذي شهده اليهود تحت حكم الامبراطور البيزنطي جوستيتيان عرفوا متسعا من الترحيب لدى الأمازيغ في شمال أفريقيا² جعلهم يتوغلون حتى المناطق الداخلية، ويتأكد ذلك من خلال المناطق التي استقروا بها مثل عنابة، سكيكدة، جيجل، بجاية، دلس، تنس.... الخ.

ربما ظهر هذا التقارب في عهد الامبراطور موريس (582م-602م) الذي انتهج نوعا من التسامح الديني تجاه اليهود والذي ألغى التنصير الإجباري وجمّد بعض القوانين الاستثنائية وبذلك عرفت الأزمة اليهودية انفراجا نسبيا بعد أن أمعن البيزنطيون بجموعهم ضربا وطرادا أدى بهروب العديد من اليهود إلى الصحراء والاحتماء عند بعض القبائل البربرية وتمركزوا في مدن شمال الصحراء مثل غرداية والقرارة وتوات³ وتنميط وورقلة والوادي....، أين شكلوا بعد عدة قرون عصب اقتصادي حساس⁴ يتحكم في المبادلات التجارية الصحراوية.

¹ - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق، ص 25.

² - Maurice Eisenbeth, le Judaisme nord african, constantine :édition pierre Brahan 1931,page 09.

³ - تذكر المصادر حادثة تاريخية ليهود توات مع الشيخ المغيلي الذي حاربهم، فوزي سعد الله ، المرجع السابق ص 47-48.

⁴ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 49.

وبموجب هذا التقارب الذي لا يتعدى حسب اعتقادنا العلاقات التجارية أسس المؤرخون اليهود هوية خيالية مشتركة بين اليهود والبربر ويعملون على ربط البربر باليهود، وترويج فكرة التاريخ المشترك والثقافة المشتركة¹، واللغة العبرية البربرية المشتركة وذلك عندما وضعت أغلب الأطروحات اليهودية الأطر العامة للعلاقة والمصير المشترك بين العنصر البربري واليهود، وذكرت نوبان البربر في اليهود وليس العكس والأمر في نظرنا لا يتعدى التحضير لمستقبل العلاقات الإسرائيلية الجزائرية وتمهيدا للتطبيع حسب ما تقتضيه الساحة السياسية للمصالح الإسرائيلية.

فنسجت العديد من الروايات لتحقيق هذه الأهداف السياسية وتجلى ذلك عندما جعلت من الكاهنة² رمزا لليهودية المشتركة³، حيث تحدث المؤرخون خاصة اليهود منهم عن اعتناق الكاهنة وقبيلة جراوة لليهودية ودفاعها عن هذه الديانة أمام الإسلام ومواجهتها للفتح الإسلامي حتى انهزامها سنة 695م ، وأجمع على هذا الرأي كل من Gabriel compas و Henri Carnot و Emerit Mercier لتضخيم مسألة يهود البربر، كما صورت الكتابات اليهودية الكاهنة ملكة يهودية تنحدر من أصول فلسطينية⁴، ومن بين الآراء رأي الكاتبة

¹ - ورد ذكر الثقافة والعادات المشتركة في كتاب :

Communautés juives des Marges sahariennes du Maghreb «MaràeauGast» édité abitbol, Jérusalem 1982 institut Ben Zvi, Jérusalem dans études les Sandales du cousin croisé.

ذكر فيه عادة أو فلكلور قديم لدى القبائل الصحراوية (التوارق) بالهقار هي خلع النعل (le déchausment) تتمثل في تقديم الزوج لعروسه أثناء حفل الزفاف نعلا تقليديا في أجواء من الرمزية والسريالية، وحسب الباحث هي عادة مأخوذة منذ القديم من يهود الصحراء، والتي تكون قد انتقلت إلى الهقار عبر القوافل التجارية لليهود توات أو يهود القرارة أو ربما ساهم في نشرها التوارق لتأثرهم بكل ما يمت بصلة للديانة اليهودية ، فحسب Gast فإن هذه العادة ما هي إلا تأثير اليهود مع مختلف جوانب حياة القبائل البربرية (التل أو الصحراء على حدّ السواء غير مدرك أن اليهود أقلية والأقلية تنصهر في الأغلبية ، فهل ممارسة هذه العادة أو الطقوس من طرف قبائل التوارق دليل على أنهم يهود؟!).

² - الكاهنة هي ملكة بربرية اسمها داهيا بنت ثابت بن تيغان وقيل داهيا بنت ماتيا بنت تيغان، كان زوجها لرجل من رؤساء قبيلة جراوة، إحدى قبائل البتر المقيمة بجل الأوراس، وتنتهي بنسبها إلى جراو جدّ القبيلة التي كانت الكثرة والرئاسة فيها قبل الإسلام ، وذكر أنه لها ولدان أحدهما من أب بربري والآخر من يوناني ، وكانت الكاهنة تدعي الاطلاع على الغيب والتكهن للناس، فعرفت بذلك في قومها ، واستبدت بالملك بعد زوجها وصارت ملكة على قومها لمدة خمس وعشرين سنة، وقيل عاشت مائة وسبعا وعشرين سنة ، وهي التي هزمت حسان بن النعمان في غزواته الأولى، فانسحب إلى برقة إثر ذلك ، ثم خربت البلاد إثر انسحاب حسان، حتى لا يعاود المسلمون الفتح ولما جاء المدد لحسان هاجم الكاهنة وقتلها في معركة عنيفة بعد انهزام جيشها 84 هـ، وقد اختلف في ديانة الكاهنة وتضارب الآراء بين المؤرخون القدامى والمحدثين، فمنهم من قال انها كانت على الديانة اليهودية منهم بن خلدون ومنهم من قال أنها كانت تعبد صنما من خشب تضعه على جملها وكانت ترقص حوله وتبخره في مناسبات مختلفة .

³ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 43.

⁴ - عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، 422هـ-462هـ-642م-1070م، مصر: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية" 2001، ص 64.

اليهودية الفرنسية تونسية الأصل جيزيل حليمي في رواية لها بعنوان " الكاهنة" والتي دافعت فيها جيزيل عن يهودية الكاهنة خاصة في مقدمة الرواية وعلى ما يبدو من خلال صياغتها ان جيزيل كانت تدافع عن أصولها اليهودية وعن فكرها العبري، جعلت منها تنستر وراء كتاباتها بحثا عن هوية مفقودة، وانتماء عقائدي منتشر دم.

تلقت هذه الرواية ردًا من المؤرخ عثمان سعدي عندما قال " أن حليمي زعمت أن الكاهنة يهودية ويبدو أن يهودية حليمي¹ تغلبت على تقديمها والغاية من هذا الادعاء هو إثبات يهودية قبلية جراوة بصورة آلية مع العلم أن تهود البربر² بما فيهم الكاهنة أمر مختلف

1 - عثمان سعدي، مقال بجريدة القدس العربي، عدد 23، جوان 2007.
2 - البربر : إن أصل اشتقاق كلمة البربر في اللغة تعني تخليط الكلام مع غضب ونفور، فيقال بربرت الدول، أي صوتت في الماء، وبربر فلان، أكثر الكلام في جلبه وصياح، وبربر الأسد علا صوته عن الهياج وسمي بربرا أنظر ابن منظور ، محام بن مكرم (711هـ-1311م)، لسان العرب (15ج)، دار صادر ، بيروت ، جزء 4 ، ص 55-56، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب (ت 833هـ/1420) ، القاموس المحيط (4ج)، دار الجيل، بيروت ، جزء 1، ص 384.
اما اصطلاحا : هو اسم اطلقه اليونان والرومان على من يعتبرونهم أقل منهم حضارة وأنهم أجانب عن حضارتهم وينعتونهم بالهمج(Barbari) وروى الطبري أن أفريقيش بن قيس بن صيفي (من ملوك حمير) لما غزا المغرب قيل الإسلام رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم، ووعى اختلافها وتنوعها، تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسمو بالبربر، أنظر الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ-933م) تاريخ الأمم والملوك (11ج) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت: دار سويدان ، جزء 1، ص 442.
وقال الناصري واما تسميتهم بالبربر ، فإنه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان ، كان له ولد اسمه بر، فخرج مغاضبا لأبيه وإخوته إلى جهة المغرب فقال الناس بر، بر أي توحش في البراري، فيسموا لذلك بربر.
فلفظه بربر تدل إما على الرطانة والجلبة، والضوضاء، وإما على القوة والهمجية ، ولم تطلق على جنس معين، وإنما كان الحكام يطبقونها على الأقوام التي تخالفهم في الجنس ، ونقلها عنهم المؤرخون والرحالة.
=ونجد اختلافا للمؤرخون وعلماء الانساب الواسع حول تلك الأصول، ونجد تعدد نظرياتهم المتباينة، فالبعض يرى أن البربر أخلاط من الكنعانيين ، والعماليق، كانوا بفلسطين ثم هاجروا إلى المغرب، يرى البعض أن البربر من غسان وغيرهم من اليمن تفرقوا إثر سيل العرم، وقيل من لحم وحزام، كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر احتلهم القبط عنها، فعبروا النيل إلى بلاد المغرب وانتشروا فيها ، راجع الناصري أحمد بن خالد (ت 1319-1911) لاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى 9 ج تحقيق جعفر محمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب ، 1954، ج 1، ص 60.
ويقول ابن خلدون " والحق الذي لا ينبغي التحويل على غيره في شأنهم ، بانهم من ولد كنعان ، بن حام بن نوح، كما تقدم في أنساب الخليفة، وأن اسم أبيهم " مازيغ"، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ-1406م)العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (14ج- 7 مجلدات)،بيروت: دار الكتاب اللبناني ، طبعة ثانية ، 1979، الجزء 6، ص 190.
ويرى فريق من النسابة والمؤرخون أن بعض بطون البربر ذات أصول عربية ، قال اليعقوبي " وبتون لواتة يقولون أنهم من ولد لواتة بن بر بن قيس بن عيلان وبعضهم يقول أنه قوم من لحم كان أولهم من أهل الشام، فنقلوا إلى هذه الديار، وبعضهم يقول أنهم من الروم يقول : وتزعم هوارة أنهم قوم من الروم جهلوا أنسابهم، راجع اليعقوبي أحمد بن وهب بن واضح (ت 292هـ-904م) البلدان، النجف: المطبعة الحيدرية، الطبعة الثالثة 1957 ، ص 97-99.
وجاء في القصد والأمم نسبت بعض بطون البربر إلى العرب فيقول: " وقيل أن كتامة وصنهاجة من ولد أفريقيش بن صيفي الحميري ، وقالت طائفة منهم كزناتة أنهم من لحم وزويلة تزعم أنهم من جرهم وهوارة أنهم من عامله وأنهم انتقلوا من الشام، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م) القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم والبربر، القاهرة:نشر مكتبة القدسي، 1931، ص 10.

فيه. حيث تفيدنا المصادر بمعلومات عن عقائد البربر قبل الفتح العربي الإسلامي للشمال الافريقي، تدل على أن أغلبهم كانوا على الوثنية¹، ويذكر البكري أن بعض البربر كانوا على المجوسية² أما ابن خلدون الذي عرض وجهة نظره عن ديانة المغاربة قبل الفتح الإسلامي حتى عهد الدولة الأغلبية³ وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم بالمشرق والمغرب إلا في بعض الأحيان يدينون بدين من غلب من الأمم... ولا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم.... وعندهم كلهم أخذوا دين النصرانية⁴ ويضيف كذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوا من بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم، كما كان جراوة أهل جبل الأوراس قبلية الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نفوسة من بربر أفريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياتة، وبنوفزان من برابرة المغرب الاقصى حتى محاذ إدريس الأكبر⁵.... جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل، فكان البربر بأفريقية والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الإفرنج وعلى دين النصرانية".

ويفرد المراكشي ، قبيلة صنهاجة البربرية بنسبها العربي بقوله، البربر كلهم ولد حام بن نوح ، خلا صنهاجة فهم من حمير ،أنظر: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت 647هـ-1249) العجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة: 1963 ، ص 27-29. ويؤيده بذلك ابن خلدون ويضيف أن كتامة أيضا من أصل عربي حيث يقول " ولا خلاف بين نسابة العرب ان شعوب البربر كلهم من البربر الا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسابة العرب خلافا والمشهور أنهم من اليمانية ويدعم رأيه بما جاء به بعض النسابة البربر " مثل لواتة يزعمون أنهم من حمير و هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك، وزناتة تزعم نسابتهم أنهم من حمير ويذكر ابن خلدون هؤلاء النسابة البربر وقال هاني بن بكور الفيرسي و سابق بن سليمان المطمطي وكهلان بن لؤي ، وأيوب بن أبي زيد وغيرهم من نسابة البربر ، أن البربر فرقتان هما البتر والبرانس، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان، والبرانس بنو برانس بن سفجو بن أمزيغ بن كنعان بن حام ، وهذا ما يعتقد نسابة البربر ويضيف ابن خلدون أن للبربر أصول متعددة من حمير ومضر والقيط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم أفريقش بربر لكثرة كلامهم وقول ابن خلدون بأن البربر كلهم من أبناء حام بن نوح عدا البطون التي أشار إليها النسابة العرب هو الأقرب للصواب.

- 1 - ابن عذارى أحمد بن محمد المراكشي (ت 695هـ-1295م) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب (4 ج) تحقيق ج س كولان ، ليفي بروفسان، الجزء 1 ، مطبعة بريل، 1948، ص 24.
- 2 - ابن عذارى احمد بن محمد المراكشي، المصدر نفسه، ص 24.
- 3 - الدولة الأغلبية ، نسبة إلى مؤسسها ابراهيم بن الاغلب، تأسست سنة 184 هـ -800م، بالمغرب الادنى بامر من الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور ، لمواجهة الدولة الادريسية الشيعية.
- 4 - عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه ، الجزء 6 ، ، ص 213-214-215.
- 5 - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي هرب إلى مصر رفقة مولاة راشد القرشي بعد انتصار العباسيين عليه في موقعة فخ. 69-785م، ثم توجه نحو المغرب ونزل في الواليلي عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي فأكرم وفادته وعمل على نشر دعوته، واستطاع بفضل فصاحته أن يؤثر بالقبائل البربرية بعد ان عرفت صلته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجمعت عليه قبائل أوربة و مغيلة وتبعته قبائل زناتة : لواتة ، سدراتة، مكناس ، وبايعوه بالامامة سنة 172هـ-788م وظهرت بذلك دولة الأدارسة.

واستخدام ابن خلدون لكلمة ربما هو عدم الجزم والتأكيد على روايته، لان الفراغ الروحي الذي طبع المجتمع البربري قبل الإسلام جعلهم يعتقدون عدة ديانات بل كان فيهم حتى الوثنيين.

كما يؤكد البكري أن أغلب البربر بما فيهم بربر المغرب الأقصى كانوا نصارى في قوله " أفتتح عمر ابن العاص رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى¹. ويوافقه بن أبي الدينار في هذه المسألة " افتتح جبال نفوسة وكانوا على دين النصرانية².

إذن فالنصرانية³ هي العقيدة التي غلبت على البربر خلال هذه الفترة أما تهود هذه القبائل فهو أمر نسبي⁴، اقترن بظاهرة ظرفية لحالات استثنائية تكون قد نجمت عن احتكاك اليهود بهذه القبائل أثناء المعاملات التجارية، وربما يكون هذا التهود نادر بعيدا جدا زمنيا، يعود إلى عهد الثورة اليهودية بليبيا (115م- 117م)، أما بخصوص إشارة ابن خلدون إلى انتشار الديانة اليهودية بين البربر لم يقصد به الفصل والتعميم، وإنما التنوع العقائدي في بلاد المغرب لأنها شكلت عبر مراحل مختلفة من التاريخ منطقة توافد أجناس وقوميات مختلفة.

منه نرى أن انتشار الديانة اليهودية بين القبائل البربرية أمر متضارب فيه، فلربما تقتصر على أفراد معينة ليس بالضرورة كل القبيلة، وهذا يعطينا صورة واضحة عن حرية الاعتقاد لدى أفراد القبائل البربرية، ففي بعض الحالات تختلف عقيدة سيّد القبيلة عن رعيته، بالإضافة إلى ذلك نستبعد تأثير البربر بالديانة اليهودية نظرا لصعوبة طقوسها ومراسيمها والتشدد في التقيد بها، وإن وجد هذا التأثير فإنه يقتصر على بعض العادات والتقاليد اليهودية التي تأثرت بها بعض القبائل البربرية خاصة الصحراوية كعادة خلع النعل يوم الزفاف *déchaussement* وهي أن يقدم العريس لعروسه نعلا في أجواء رمزية، ولعل هذا

1 - عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق دي سلان، بغداد:نشر مكتبة المثنى، 1965، ص 162.
2 - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد تمام، تونس:نشر مكتبة العتيقة، ص 28-29-30.
3 - غلبت النصرانية على المجتمع في شمال أفريقيا نظرا للأجناس التي توافدت عليه منذ القرن الاول الميلادي حتى الفتح الاسلامي.
4 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 46.

التوافق في العادات يرجع إلى اختلاط اليهود بالبربر البتر¹ بالمناطق الداخلية، خاصة داخل الصحراء الليبية²، حيث شرع اليهود في توسيع نشاطهم الديني شرقا وغربا ومباشرة التهويد، واتباع سياسة تهويد العبيد الذين يعتنقون اليهودية طواعية فتضاعف عددهم خاصة أن سياسة التهويد التي شرع القيام بها اليهود المهاجرون إلى شمال أفريقيا قد بدأت في الأصل منذ القرن الثاني للميلاد، كما يمكن أن يرجع هذا التوافق إلى التشابه في بعض الحروف والسواكن في اللغة العبرية- البربرية، فهذا ما يثبت تعايش السلالتين، حيث ظهرت أسماء يهودية ذات أصول بربرية مثل: خلفون، اللبدي، دونانش³، كما تشير بعض الوثائق بالجيزة بالقاهرة إلى تعامل وتزاوج بين يهود فلسطين والبربر⁴ والمرجح أن يحتفظ كل طرف بديانته .

غير أنه لا يمكن التسليم المطلق أن هذا التأثير بمختلف جوانب حياة اليهود شمل التأثير بديانتهم خصوصا ونحن ندرك انه من بين مقومات السياسة الصهيونية للسيطرة على العالم هي إحداث فروق عرقية ومذهبية ودينية داخل هذه المجتمعات .

وتجدر الإشارة أنه مقابل المؤرخين اليهود الذين اكدوا تهود البربر نجد منهم متحفظون حول مسألة التهود الواسع للبربر بالمغرب العربي بصفة عامة و الجزائر بصفة خاصة (اليهود المغاربيون) Les Juifs Maghrebins :

1 - البتر : نسبة إلى جدهم مادغيس الأبتير، وأقسامهم خمسة ، نفوسة، اداسة، لواتة، مكناسة، زناتة ، ومن زناتة جراوة ، وهم قوم الكاهنة صاحبة جبل الأوراس التي أوقعت بجيش حسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك بن مروان، ومن زناتة بنوخزراويون ملوك تلمسان، والمغرب الأوسط، بنو يفرن، بنو زيان، بنو مرين ولكل قبيلة عمائر وبطون وأفخاذ لا حصر لها، انظر ابن خرداذبة المسالك والممالك ، لندن : 1885، ص 90.

2- Renan, les évangiles et la seconde génération chrétienne, paris: 1879, pp 499, 512.

3- Israël Hamet, les juifs du nord de L'afrique, nom et surnom. pari : 1968, p 74 voir aussi : Abraham Isaac Iaredo, Fragment d'onomastique, Juéo- marocaine, bulletin de la société d'archéologie de tanger 1953, pp 36-53 , essai sur les juifs berbères contribution a l'onomastique Judéo- berbère, Rabat : bibliothèque du protectorat paris : AFAS, T1 1927, pp 353-356, André Chouraqui, marche vers l'occident, les juifs d'afrique du nord, paris : PUF 1952, 35. bibliothèque du protectorat paris : AFAS, T1 1927, pp 353-356.

4- S.D.goitein ,A medeteranean society the jewish communities of the arab world as protayel in document of the cairo, geniza 969-1250, U.S.A: University Of California Press 1976 vol 5 P 6.

Joseph Toledano ,Haim Hirshbergs :A history of the Jew in the northAfrica¹.

عندما يوافق ابن خلدون في نسبية تهود البربر والتي ربطها في الاتصال الباكر بين القبائل البربرية واليهود أثناء استفحال ملكهم بالشام، بالإضافة إلى حاييم الزعفراني Mille ans de vie juive au Maroc الذي يميل إلى أطروحة ان البربر كانوا على ديانات مختلفة هي المسيحية واليهودية والمجوسية² والوثنية³ بدون توضيح مكانة وأهمية كل دين من هذه الأديان⁴ بالإضافة إلى معتقدات أخرى شملت عبادة الحيوانات⁵ وبعض الظواهر الطبيعية.

والأطروحة الأقرب إلى الحقيقة ان البربر كانوا يدينون بالديانات التي كانت سائدة قبل الفتح الإسلامي (مجوسية، نصرانية، وثنية) نظرا للفراغ الروحي الذي كانت تعيشه معظم المجتمعات القديمة غير انه يمكن القول أن النصرانية كانت تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية لسيطرة أممها على شمال إفريقيا ردحا من الزمن، أما الديانة اليهودية فانتشارها كان 1ضعيفا إذ لم نقل نادرا انحصرت في أوساط بعض أفراد هذه القبائل وهذا لعدة أسباب :

¹ - يظهر التقارب بين الرأيين الخلدوني وحاييم هيرشبرغ في النص الإنجليزي الآتي: "Its possible no reover that other those Berber believed in the Jewish religion which they had reciedved from the Israelites at time of the expansion of their kingdom to the heighbour hood of Syria and their rule over it...." Haim hitch berg, a history of the Jewish In north Africa, Leiden : from antiquity to the six tenth centry , Voll, 1974p p 36-37.

² - ذكر ابن أبي زرع : ان بني يرغثن الذين يضربون خيامهم بالقرب من فاس كان لهم بيت نار، انظر ابن أبي زرع علي بن عبد الله (ت 726هـ -1325م) الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط : دار المنصور ، ص31.

³ - ذكر البكري ان بعض القبائل في منطقة ودان كانوا يتخذون صنما لهم من الحجارة ، أقاموه على ريوه يسمى كرزة، وأنهم كانوا يقدمون له القرابين، ويستشفون به من الأمراض ويتبركون به في اموالهم ، انظر البكري، المسالك والممالك، ص 12.

⁴ - Haïm Zafrani, mille ans de vie juive au maroc,paris : édition 1985 , p12.

⁵ - ذكر البكري أن بعض قبائل صنهاجة المقيمين في منطقة جبلية بين أغمات وسوس كانوا يعبدون كبشا، ويبدو أن سكان تلك المنطقة استهجنوا فعلهم وعابوا عليهم تصرفهم القبيح وأنكروه، فأخذوا يستخفون من السكان، وكان أحدهم لا يدخل السوق إلا مستترا " البكري المسالك والممالك، ص 161.

1. استيطان اليهود بشمال إفريقيا ابتداءً من القرن الثاني الميلادي وحركة الاستيطان هذه لا تتوقف عند المناطق الساحلية بل وصلت إلى حدود الصحراء واختلطت بالبربر فنتجت عن ذلك علاقة تأثير وتأثر.

2. التعايش الاجتماعي بين اليهود والبربر، حيث تذكر بعض المصادر لجوء اليهود إلى بعض القبائل البربرية في عهد الإمبراطور تيتوس الذي فرض عليهم الهجرة الإجبارية إلى شرق ليبيا، وشمال شرق إفريقيا¹، وهذا ما أدى الاتصال المباشر لليهود مع بعض أفراد البربر والتعامل المطلق بين الطرفين (التجارة، الصناعة...) مع تحفظ اليهود ببعض جوانب حياتهم الروحية، كون الديانة اليهودية، من الديانات المغلقة والمعقدة، لذلك نستبعد التهود الواسع للبربر، ونتفق مع "ابن خلدون" و"حاييم هيرشبرغ" في نسبية تهود البربر.²

كما نرى أن الأمر مجرد محاولة من محاولات اليهود البحث عن حلفاء بأي شكل من الأشكال من أجل القضية الصهيونية.

بظهور الإسلام في شمال إفريقيا وتقدم الفتوحات الإسلامية فيها، يبدأ عهد جديد بالمنطقة بفضل جهود عقبة³ بن نافع الفهري وغيره من الفاتحين الذين عملوا على نشر الدين الإسلامي ونبذ الوثنية والأديان المحرفة، والتوحيد بين مختلف الأجناس والأمم(القبائل المحلية، الدخلاء، الوافدين الجدد) وبذلك صار اليهود جزءاً من المجتمع الإسلامي رغم الخلافات العقائدية الواضحة⁴.

¹ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 47.

²J.Juster, la condition légale des juifs sous les rois visigoths , in études d'histoire juridique offertes à paill.paris : FGirard, 1912-1913, T1, p p 289-295.

³ - هو عقبة بن نافع (وقيل بن رافع) بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن عائش بن الضرب، وقيل ابن الطرب بن الحارث بن فهر ابن النصر بن كنانة فهو قرشي من ولد عدنان وتلقني أرومته مع النبي صلى الله عليه وسلم في أربعة جود هم فهر بن مالك بن النصر بن كنانة، أبوه نافع بن عبد القيس بن لقيط الفهري، اختلفت المصادر حول ولادة عقبة والمرجح أنه ولد قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة، كان له أربعة أولاد، أبا عبيدة، وعياض ومرة وعثمان، كانت له فتوح كثيرة ببلاد المغرب، فتح المغرب الأقصى 62 هـ والمغرب الأدنى 50 هـ واخطت القيروان، قتل بمنطقة تيهودا ببسكرة من طرف كسيلي، للمزيد من الاطلاع انظر محمد علي الأحمد، مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، دراسة لجهود الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب، الاردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص 72-73.

⁴ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 27.

الأمر الذي سيسمح بالهجرة المحدود لبعض العائلات اليهودية التي رافقت الفاتحين نظرا للظروف السياسية والاقتصادية للمغرب خلال السنوات الأولى للفتح (21هـ- 642م)، فهو يفتح أمامهم باب التجارة والربح خاصة مع سياسة التسامح الديني التي تميز بها الإسلام. حيث لم يجبر اليهود على ترك ديانتهم واعتناق الإسلام، وإنما حفظت لهم حقوق متعلقة بحرية العقيدة، على أن يلتزموا في المقابل بما أقره الإسلام من جزية ليدفعونها للدولة الإسلامية بصفتهم أهل ذمة¹ مقابل التكفل حمايتهم كأقلية² دينية وضمان أملاكهم وأعراضهم وحياتهم العامة دون فرق أو تمييز بل فتح لهم المجال حتى المشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية مثل المسلمين بشرط الالتزام ببعض الضوابط الاجتماعية.

بما أن موقف الإسلام من اليهود واضح وصريح حدد بموجبه عقد الذمة الذي ينطبق على اليهود والنصارى على السواء ابتداء من السنة 9 هـ، بنص شرعي حدده القرآن الكريم للفصل في قضايا المعاملات لأهل الكتاب، قال تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"³.

فالآية الكريمة توضح نظام أهل الذمة في الإسلام وتبين واجباتهم أمامه حتى يحقق لهم العهد والأمان ويراعي حرمتهم وحقوقهم، ويكفل لهم حرية العبادة مقابل أداءهم الجزية المفروضة عليهم التي تضمن لهم الحماية⁴، وأثارت مسألة حقوق وواجبات أهل الذمة في

1 - أهل الذمة هم غير المسلمين من سكان دار الإسلام فهم الأجانب ولكنهم ليسوا باعداء، بل هم أهل الذمة لهم ذمة الله ورسوله ، لأنفسهم و أموالهم وأعراضهم، والعهد والأمان والحق والحرية أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم على المعاهدين من النصارى واليهود واسم أهل الكتاب تمييزا لهم عن عبدة الأوثان، وكفل لهم حرية العبادة مقابل أدائهم الجزية، فعندما واطبوا على أداء الالتزامات المعروضة عليهم ضمن لهم الحماية.

- أنظر ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، احكام أهل الذمة، تحقيق وتعليق صبحي صالح، دمشق: مطبعة الجامعة ، ص 89.

- سلوى علي ميلاد ، وثائق أهل الذمة بمصر في العهد العثماني وأهمية التاريخية ، القاهرة ، دار الثقافة المصرية، 1983، ص 7.

2 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 51.

3 - سورة التوبة ، الآية 29.

4 - سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة بمصر في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، القاهرة: دار الثقافة المصرية، 1983، ص 07.

المجتمع الإسلامي الاختلاف بين الفقهاء، فمثلا الماوردي فصل في عقد الجزية والشروط المترتبة عليه ، ووضعها في اثنتي عشرة شرطا وقسمها إلي قسمين : مستحق ومستحب.¹

والشروط المستحقة:

- أن لا يذكروا كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف.
 - أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب ولا إزدراء.
 - أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح.
 - أن لا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدينه.
 - ان لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنياءهم.
- أما الشروط المستحبة فيقول فيها الماوردي " ...بأنها لا تلزم بعقد الذمة حتى تشترط فتصير بالشروط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضا لعهدهم، لكن يؤخذون بها إجبارا ولا يؤدبون عليها زجرا ولا يؤدون إن لم تشترط ذلك عليهم..."² وتشتمل على:
- تغيير هيئاتهم بلبس الغيار (قطعة قماش صفراء بالنسبة لليهود وزرقاء للنصارى وشدّ الزنار (عبارة عن حزام).
 - أن لا يعلوا على المسلمين في الأبنية ، يكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم.
 - أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قلوهم في عزير والمسيح.
 - أن لا يجاوروهم بشرب خمورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.
 - أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بنذب عليهم ولا بنياحة.
 - أن يمنعوا من ركوب الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.³

هذا هو الإطار العام لتعامل المسلمين مع اليهود خلال الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي حتى المرحلة العثمانية(686هـ/1519م)، وهو نظام عقائدي قائم على النصوص

¹ - علي بن حبيب الماوردي البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 125.

² - المصدر نفسه، ص 127.

³ - علي بن حبيب الماوردي البصري ، المصدر السابق، ص127.

الشرعية الإسلامية أساسا، كفل لهم حرية تنظيم علاقاتهم الداخلية¹ تحت رئاسة الحاخامات من زعماء الطائفة اليهودية، مما مكنهم من مزاولة شعائرهم الدينية والمحافظة على أعراضهم التقليدية، والتعليمية ونشاطهم الاقتصادي و ذلك من خلال دفع الجزية والتقييد بضوابطها، وعلى الرغم من أن النظام الإسلامي كان صريحا في سياسة المعاملات مع أهل الكتاب، فإن اليهود كثيرا ما تهربوا وراوغوا في أداء الجزية²، بل انتقدها المؤرخون اليهود واعتبروها إجحافا في حقهم ودليلا على التمييز بين الأديان والاستغلال المطلق للأقليات اليهودية، بل اعتقدوا أنها من الموارد المالية الهامة³ لبيت المال الذي وضع أساسا لهذا الغرض.

مع العلم أن وضعية الذمة⁴ التي انتقدها وينتقدها الكثير من اليهود بشدة معتبرين إياها استنزافا وظلما سلط على الجالية اليهودية في الجزائر، ومختلف أقاليم العالم الإسلامي، هي التي سمحت أكثر من أي وقت مضى لليهود بالتطور الشامل والنضج الكامل في مختلف الميادين بحرية تامة؟، مع حرية المحافظة والتمسك بالهوية الدينية والروحية المتعاهد عليها في التلموذ.⁵

إن التحولات الدينية والسياسية والاجتماعية التي أحدثها انتشار الإسلام بالمغرب أثرت على اليهود بشكل كبير خاصة على المستوى الاقتصادي لما أقره الإسلام من رسوم وموائيق جديدة في المجال التجاري، الأمر الذي أدى إلى ركود النشاط التجاري للجالية

1- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 28.
2 - على الرغم من أن الجزية لم تكن مفروضة على الفقراء والمعوزين والرهبان من أهل الذمة ، وإنما على أغنيائهم ، حاول بعض اليهود تزوير وثيقة عام 1015هـ-1606 م بمكناس ادعوا فيها اسقاط النبي صلى الله عليه وسلم للجزية التي كانت مفروضة عليهم .
- انظر عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983، ص 64.
3 - نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، الجزائر: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 24.
4 فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 58.
5 - التلموذ هو كتاب تعلم ديانة واداب اليهود ويحتوي على مجموعة من الشرائع اليهودية وشروح وتفسير رجال الدين عليها، وينقسم التلموذ إلى قسمين المثنا وهي النص ومعناه الدرس والمطالعة، والجمارة ، وهي التفسير مع التكملة للنص، ومعناها الإتمام والتكميل ، والمثنا هي خلاصة الشريعة الشفوية، ومجموعة قوانين اليهود الدينية والسياسية والمدنية المتفق عليها ، اما الجمارة فتقوم على الروايات والأحاديث ومسموعات الحاخامات وتحتوي على إضافات وشروح وتفسير على المثنا ، انظر مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح حتى سقوط دولة الموحدين، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 46.

اليهودية التي رأت ضرورة فهم النظام الجديد وقواعده ومعطياته وإعادة هيكلة أمورهم وضبط نشاطهم حسب الواقع الجديد للمحافظة على مصالحهم حيث ظهر اليهود بقوة على الساحة السياسية والاقتصادية مع نهاية القرن 8م وبداية القرن 9م، وتفتت ظاهرة التجمعات البشرية في الجزائر على أسس إثنية أو مذهبية فرضته الضرورة الاجتماعية والحس القوي بالعصبية القائمة على رابطة الدم والعصبية الروحية التي تجمع بين مختلف أفراد الطائفة، وما الأمر إلا ترجمة فعلية ميدانية لذهنية متطرفة عن الإسلام، إضافة إلى ميل اليهود التاريخي إلى العزلة والانطواء على الذات وسط المجتمعات التي يعيشون فيها. ويبرز ذلك نموذج الحارة اليهودية في مدن إيالة الجزائر الذي أقرته عوامل سياسية¹ وأمنية عكف على تنظيمها الحكام مثل حارة اليهود بقسنطينة، وحارة اليهود بغرداية، غير أن الإقامة بها لم يكن إجباريا على اليهود بل هناك الكثير من اليهود اختلطوا مع المسلمين في المدن والأحياء.

كما فرض على اليهود لباس معين تميزا لهم عن المسلمين، فقد منعوا من ارتداء الثوب الأخضر (المخصص لسلالة النبي صلى الله عليه وسلم) أما الأحمر (لون الراية العثمانية) ومنع عنهم كذلك ارتداء الشاشية والعمامة البيضاء والبرنوس الأبيض، ولم يسمح لهم إلا بارتداء أثواب ذات ألوان داكنة، وذات أكمام مفرطة وفوق قمصانهم كان يرتدي الرجال سراويل عريضة وفضفاضة، وكانت برانيسهم في أغلب الأحيان زرقاء.

حيث كتب الحاخام كوهن يقول أن برنوس اليهود بمدينة الجزائر كان أزرقا قاتما بينما بإقليم التيطري كان رماديا داكنا، وانتعال النعال التي تكون أقصر من القدم بحيث أن العقب يلامس ويمسح بلاط الأرض باستمرار.

فزع المؤرخون اليهود أن هذه المعاملة الاجتماعية السيئة² التي تعرض لها اليهود في العالم الإسلامي عامة وإيالة الجزائر خاصة، هي التي جعلتهم يجتمعون في أحياء خاصة

¹ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 74.

² - تمتع اليهود بالحرية والاحترام في المجتمعات الإسلامية التي أعطت الأمان للكيان اليهودي بالمقارنة مع الدول الأوروبية التي كانت تعاملهم بالحذر والريبة والازدراء، ففي فرنسا مثلا ذكر جان شيليني انه منذ القرن 12 م أصبح اليهود تدريجيا مجبرين على السكن في الحارات ولا يسمح لهم بالإقامة في غيرها ومنعوا من دخول المدن ابتداء من 1381م ويوضح René Moulinas ان حارات اليهود في جنوب فرنسا كانت تغلق ليلا بأبواب حديدية، وأجبر سكانها خلال القرن 15 م على حضور دروس الرهبان الداعية إياها لاعتناق المسيحية كل يوم سبت وإلا تعرضوا لغرامة مالية، وكانوا في 1781

ويتبنون سياسة العزلة، وذلك نتيجة العنصرية التي طالتهم، لكن هذه الحجة غير مقبولة من الناحية التاريخية ولا من وجهة النظر الاجتماعية حسب رأي الأستاذ مسعود كواتي، فوجود اليهود في مناطق خاصة بهم لا تعود للعامل العنصري، حيث أن تسمية الأحياء في كثير من الأحياء ترجع إلى العنصر البشري الذي يقطن بالحي، والمصادر تتحدث عن أحياء خاصة بالقبائل في المدن الإسلامية الكبرى، كالبصرة مدينة السلام، والشام، والقاهرة وغيرها، ومن ناحية أخرى فإن الأقليات دائماً كانت تتجمع في المدن بأحياء خاصة بها ذات كثافة سكانية عالية¹ لكي لا تحس بالغربة، فالعادات والتقاليد والدين والمميزات المشتركة تساعدها على الانسجام فيما بينها²، وتشكل نوعاً ما مجتمع مغلق داخل المجتمعات الأخرى، بالإضافة أنه في بعض الأحيان يمتلك اليهود بيوتاً خارج هذه الحارات وكذلك منازل بالأرياف.

لذلك فالزعم الراجح عن الأحياء اليهودية ليس له سند تاريخي، ومسألة التجمع في الأصل، ضرورة اجتماعية أكثر مما هي رد فعل لليهود على المعاملة القاسية التي يتعرضون لها، وإنما هي ميزة خاصة يتميزون بها في كل المجتمعات التي عمروها.

في الجزائر ظهرت الحارة بشكل واضح في وقت متأخر، أي في العهد العثماني 1514 بعد قدوم الأخوين بربروس (خير الدين وعروج) لنفس الأسباب ولنفس الخصائص والمميزات كقربها من مقرات الحكام، لكن الإقامة في الحارة اليهودية لم تكن إجبارية على اليهود لأن الكثير منهم اختلطوا مع المسلمين في المدن والأحياء والسكن، ولا يوجد ما يدل

ملزمين لطلب رخصة التغيب عن بيوتهم من الرهبان، وفي سنة 1789 لم يكن بمقدور أي يهودي بفرنسا امتلاك شيء، ولم يكن مسموحاً لهم باستخدام الخدم المسيحيين، ولا بالتدريس في المدارس الفرنسية، ولا يشغل أي وظيفة في الجيش ولا البرلمان ولا القضاء بل أنهم منعوا من العمل كعطارين أو صيادلة أو مستخدمين في الفنادق من شدة خوف الفرنسيين من أن يدس لهم يهودي السم ومن تجراً وزاول هذه الأعمال كانت عقوبته الموت، أما في إنجلترا سنة 1230 هـ أمر الملك جان بمعاقبة اليهود بسبب ممارستهم الربا واعمال السرقة واتهامهم بقتل الاطفال المسيحيين كجزء من الطقوس الدينية اليهودية، وطردهم الملك إدوارد الأول (1272-1307) واصدرت المحكمة حكماً بإعدام 200 يهودي اما إسبانيا فلعبت محاكم التفتيش التي زكى صلاحياتها كل من فرديناند وإيزابيلا دوراً كبيراً في التنكيل باليهود، فأين معاملة الإسلام من هذه التجاوزات الأوربية وهذا دليل قاطع على معادات اليهود لكل الأديان ولكل البشر خاصة والإسلام والمسلمين على وجه الخصوص.

راجع: Juifs de France les collection de l'histoire, numero special, N° 10, Janvier 2001.P24.

كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر، في أواخر عهد الدايات، ص 30-31.

¹ - كورين شوفالين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 67.

² - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 102.

على إجبارية أو عنصرية حول هذه المسألة ، مما يستدعي البحث عن مرادف آخر "للحارة" لفضاءات التمرکز اليهودي¹ في المدن الإسلامية الجزائرية.

ويؤكد هذا André Raymond بوضوح لا لبس فيه بأن إحدى الخصائص الأساسية للمدينة العربية آنذاك تتمثل في تجمع جالياتها كل واحدة بحيها الخاص بصورة عفوية² في قوله " بصفة عامة تميل كل بنية اجتماعية بالمدينة إلى إيجاد صيغة تعبيرية جغرافية لنفسها وإلى حصر نفسها بحي خاص، ويلاحظ هذا الانطواء بصفة اكبر لدى الجاليات التي تملك شخصية مختلفة عن الأغلبية العربية- الإسلامية كالمجموعات الإثنية والأقليات الدينية"³ ويعقب André Raymond " بأن هذه الوضعية متجذرة في التقاليد المحلية ، فيعود وجود الأقليات بصفة عامة إلى زمن يعيد جدا وبشكل متواصل مثير للدهشة، وقد كان الحي اليهودي بمدينة تونس يشغل في العهد الحفصي حسب ما يبدو المنطقة التي أصبحت تسمى الحارة في العهد العثماني ونمت قرية المسيحيين Faubourg Chrétien بمدينة حلب منذ عهد المماليك بالحي الجديد الذي يسمى " الجُدَيْدَة"، غير أنه من المؤكد أن هذه النزعة إلى التمرکز لدى المجموعات الأقلية وخاصة لدى أهل الذمة ، تبلورت في الفترة العثمانية"⁴ وحسب André Raymond، هذا راجع إلى تطور هذه الجاليات في المدن والاستقلالية الإدارية الداخلية الكبيرة⁵ التي منحت لها وكذلك إلى دافع ضمان أمنها الذي كان سببا في التفوق السكاني لهذه الأقليات، وي طرح مثلا معبرا بقوة عن عفوية هذه الظاهرة وتلقائية النزعة إلى التجمع الطائفي بأحياء خاصة يتمثل في الحي اليهودي المسمى "Bah Sita" بمدينة حلب الذي تجمع فيه اليهود بعد ما تركه تدريجيا المسلمون طيلة القرن 18 م والقرن 19م، وقد كان هؤلاء العبريون يقيمون قبل ذلك بحي البندرة المجاور وما إن حلّ القرن 19

¹ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص70.

² - André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Othman, paris : édition sindbad 1985, p 174.

³ - Ibid , p 174.

⁴ - André Raymond, op.cit, p174.

⁵ - Ibid , p175

حتى أصبح 90% من سكان Bah Sita يهودا وقد شهدت نفس الظاهرة المدن العربية الأخرى مثل حمص، حماة، طرابلس، صيدا.

إذن فهذا التجمع عفوي تلقائي تقتضيه الظروف الاجتماعية لمختلف الطوائف الدينية أو المذهبية، ليس له علاقة بالتمييز العنصري أو باضطهاد الإسلام لأهل الكتاب.

أدى توافد اليهود إلى الجزائر عبر مراحل تاريخية مختلفة من تكوين تجمعات بشرية ذات كثافة تستدعي دراسة إحصائية، خاصة أن استقرار اليهود يدفع إلى تزايد النمو الديموغرافي ومن هنا يمكننا طرح إشكالية :

التباين الإحصائي للنمو الديموغرافي لليهود بالجزائر خلال العهد العثماني؟ وكيف يمكن تبرير هذا التباين؟

2- النمو الديموغرافي والتوزيع الجغرافي لليهود في إيالة الجزائر

■ الحالة الديموغرافية:

تعد عملية إحصاء الجالية اليهودية بالجزائر عبر مختلف مراحل الحكم العثماني من القضايا الشائكة والمعقدة¹ نظرا لعدم توفر المعطيات الكافية والبيانات الإحصائية، ولهذا فان الإحصاءات التي وردت في مختلف المصادر تعتبر نسبية²، ولا تعكس بصدق العدد الإجمالي لليهود، وهذا استنادا لبعض الوثائق التاريخية الغربية ومذكرات القناصل والرحالة الاوربيين امثال : Pere Dan Haedo, Laugier de Tass, Venture de Paradis حيث أصبحت مؤلفاتهم المراجع الأساسية³ للوضع الديموغرافي للجزائر خلال تلك الحقبة.

و يمكن إرجاع هذا التذبذب في الإحصاءات الخاصة بعدد اليهود بالجزائر ما بين (1519-1830) إلى عدة أسباب:

- الطبيعة العسكرية للوجود العثماني في الولايات العربية عامة والجزائر خاصة والتي أهملت الجانب الاجتماعي والثقافي، إلا ما نسجله في حالات نادرة .
- غياب سياسة إحصائية معتمدة من طرف الإيالة على غرار صرامة الدول الأوربية في عمليات إحصاء اليهود ويمكن إرجاع الأمر إلى سياسة التسامح الديني التي انتهجتها الدولة العثمانية مع رعاياها.
- خوف وتطير اليهود من التعداد والإحصاء ، حيث ورد في سفر الخروج⁴ ما يلي "عندما يجري الإحصاء السكاني في العام لأطفال إسرائيل، يتوجب على كل واحد منهم ان يدفع ما يفدي به نفسه، حتى لا يكون هناك موتى من بينهم بسبب هذه العملية".

1 - أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926هـ- 1246هـ-1519م-1870م)، الجزائر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، طبعة 2009، ص 104.

2 - المرجع نفسه، ص 104.

3 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 143.

4- Joseph Tôle Dano ,op.cit, p 197.

فهذه الفوبيا من الإحصاء والتعداد والتي استمرت حتى الاحتلال الفرنسي أثرت ولو بصفة غير مباشرة على ضعف وعدم دقة الإحصائيات¹ زيادة على أن سعيهم إلى إخفاء عددهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا تحايلا وتهربا حتى يدفعوا مبلغا أقل من الجزية² أدى إلى غياب أرقام صحيحة لإحصاءات اليهود خلال العهد العثماني.

ضف إلى ذلك ظاهرة الانغلاق التي تميزت بها الطائفة اليهودية داخل المجتمعات التي انضمت إليها خاصة في المدن، كما نجد أن عدد اليهود كان يزيد ويتناقص حسب الظروف والأحداث الاقتصادية والسياسية التي تمر بها الإيالة، والتي تتحكم حتى في توزيعهم الجغرافي من منطقة إلى أخرى داخل البلاد، واغلب التقديرات العددية³ المتوفرة حول اليهود الجزائر تلك التي تتعلق أساسا بيهود المدن الكبرى خاصة مدينة الجزائر التي استقطبت كحد أقصى 10 آلاف إلى 12 ألف يهودي إلا أنها لم تكن إعداد ثابتة وإنما أخذت في التراجع حتى وصلت ما بين 7 آلاف⁴ وألفي يهودي⁵ مع نهاية القرن 18م وبداية 19م.

هذه الأعداد تتضاءل في المدن الصغيرة أو ذات الأهمية التجارية الضعيفة والمتوسطة من مستغانم وعنابة وتلمسان والغزوات وصولا إلى الواحات الجنوبية (الصحراء) خاصة منطقة ميزاب حيث تقدر بالآلاف وحتى بالمئات.

غير أنه لا يمكن الجزم في هذه الإحصاءات وجعلها مسلمات تاريخية وهذا راجع لعدة

عوامل:

- تحكم الأوضاع السياسية⁶ (المستوى الأمني) للإيالة في النمو الديموغرافي والتوزيع الجغرافي لليهود، فكثيرا ما أدى انعدام الأمن إلى انتقالهم للمناطق الآمنة.

¹- Joseph Tôle Dano, op.cit, p 197.

²- Ernest Mainz , les juifs d'Alger sous la domination turque, extrait du journal asiatique, Année 1952, Paris : imprimerie national, , p 203.

³ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 143.

⁴Cisar Philippe Vallière, mémoire du consul, c.h, Vallières, publiée par le chaillou, sous le titre l'Algérie en 1781, France : imprimerie Carqueiranne, 1978, p40.

⁵- Jucher eau(D.S.D) considérations statistique historique, militaire et politiques sur la régence d'Alger, Paris : Belannay beblithèque , 1831, p49.

⁶ - تذكر بعض المصادر المحلية حادثة مقتل اليهودي بوحناح وثورة الانكشارية على اليهود، حيث اتجه الانكشارية يوم السبت إلى حارة اليهود وقاموا بتقتيل اليهود، وقتلوا منهم حوالي مائتي يهودي وشاهد الأمر خلق كثير، فلما رأوا نساءهم

- دور الأمراض والأوبئة¹ في تقليص عدد اليهود بالجزائر.
- دور الأوضاع الاقتصادية في نمو أو تدني عدد اليهود بالجزائر، بحيث يشكل المستوى الاقتصادي عامل طرد أو جذب لفئات كثيرة من اليهود لأن استقرارهم مرهون بارتفاع مواردهم المالية.

وهذا ما أدى إلى تضارب الإحصائيات والتقديرات العديدة لليهود في إيالة الجزائر والتي كانت أغلبها تقتصر أساسا على يهود مدينة الجزائر، لأنها مركز تجمعهم نظرا لحركتها التجارية الرائجة، مقابل توفر معلومات جد مقتضبة عن يهود المدن الكبرى، كقسنطينة، ووهران وتلمسان وعنابة، لذلك ارتأينا وضع جدول حول تطور عدد اليهود بالجزائر من خلال أهم المصادر التي تعرضت للأمر :

التعليقات	المصدر	الجالية اليهودية في الإيالة	السنة
يعتبر هايديو أول من قدر عدد اليهود في مدينة الجزائر خلال إقامته بها كأسير 1578، إلا أن هذه التقديرات تبقى محل	بناء على تقديرات هايديو (Haedo)	150 منزلا ¹ أي حوالي ثمانية آلاف نسمة	1578

وأطفالهم فارين ، قاموا بسلب أموالهم ونهب ديارهم، فلما رأى الجنود ذلك قالوا نحن أردنا قتل اليهود والاستراحة منهم، وهؤلاء مرادهم نهب أموالهم فتأخروا عن قتلهم وصاروا يذهبون إلى اخر النهار، واستغنى الكثير من الناس، وكثرت بذلك أموال المسلمين، وفي الغد جمعوا فرائس اليهود وأخرجوها خارج البلاد قرب أفران الخبز، وأخذوا معهم الحطب واحرقوها ثم أخذ الترك وغيرهم يبيعون أثاث اليهود بأبخس الأثمان، واخذ اليهود يسعون في الأسواق وهم حفاة عراة، أنظر احمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1980، ص88.

¹ - أدت الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الجزائر عبر مراحل مختلفة من الوجود العثماني أهمها داء الطاعون الذي حصد العديد من الضحايا كان من بينهم اليهود غير أن الوباء 1202هـ- 1787، 1203هـ- 1788م قضى على حوالي 1771 يهودي ، أنظر أحمد الشريف الزهار ، ص51 ، أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926هـ- 1246هـ- 1519 - 1830م، ص414.

<p>شك كون أنها نسبية وليس مطلقة لأن حياة الأسر لم تمنحه الحرية المطلقة للتجوال بمدينة الجزائر وضبط ملاحظاته، ضف إلى ذلك التقلبات السياسية بالإيالة وبالتالي تقلب حياة الأسرى معها.</p>			
<p>اتفقت تقديرات هايدو والبرتغالي de Joào Mascarembas في تحديد عدد اليهود من خلال خمس سنوات من الأسر، والملفت للانتباه ان عدد اليهود من 1578 إلى غاية 1621 بقي مستقرا ، ولم يعرف ارتفاعا ملحوظا ولعل هذا راجع إلى الاضطرابات السياسية للإيالة خلال عهد البايبربايات (1518-1578) والبشوات (1578-1650) منها :</p> <p>- الصراع الاسباني العثماني والتي كانت السواحل الجزائرية مسرحا له وما صاحب ذلك من تدني المستوى الاقتصادي الذي يعتمد عليه اليهود بالدرجة الأولى.</p> <p>- ثورة الكراغلة الأولى 1596³ والثانية 1633⁴ والتي اضطرت فيها الأوضاع الأمنية بمدينة الجزائر وغرقت بالدماء طيلة أشهر خلال ثورة 1596م.</p> <p>أما ثورة 1633م فقد كانت تبعاتها وخيمة على أهالي الجزائر عامة واليهود خاصة</p>	<p>حسب الأسير البرتغالي de Joào Mascarembas</p>	<p>150 منزلا موزعة على حارتين²، أي حوالي ثمانية آلاف نسمة</p>	<p>-1621 1626</p>

¹- Haedo(Fray Don diègo de haedo) topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par Dalmas de Grammont,Alger : édition Grand Alger livres, 2004, p 104.

²- Joào Carvalho Mascarembas, esclave à Alger , récit de captivité de Joào mascarembas (1621-1626) traduit du portugais et présenté par Paul Teyssier, France :édition chandeigne, , p75.

³ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، سوريا : مطابع ألف باء ، 1969، ص 60.

⁴- Père Dan, histoire de la Barbarie et de ses corsaires,Paris : récolte imprimerie du Roy, 2^e édition, 1637, p 133.

<p>نظرا للتصعيد الذي عرفته خاصة بعد تفجير مستودع الأسلحة الذي نسف القلعة وعدد كبير من المنازل والدكاكين بعد مناوشات بين الكراغلة والانكشارية وهذه الأمور تفرض على اليهود عدة التزامات هم في غنى عنها .</p> <p>- الصراع بين رياس البحر والانكشارية والتي تكون نتائجه في الاخير إهانة لليهود وتكيل بهم.</p> <p>فربما تكون حالة اللااستقرار التي عرفتها الجزائر خلال هذه الفترة (1578-1633) كانت من بين عوامل هجرة اليهود إلى المناطق الداخلية أو إلى البيالك الأخرى (الشرق-التيطري- الغرب) بحثا عن الاستقرار وسعيا للتجارة والربح.</p>			
<p>نلاحظ ارتفاعا في عدد اليهود بحوالي ألفي نسمة موزعين على مستوى أحياء وحارات مدينة الجزائر الخاصة باليهود ولعل هذا الارتفاع يعود أساسا إلى 1613- 8 أكتوبر 1614²م هو تاريخ الطرد النهائي للموريسكيين في الأندلس وبطبيعة الحال رافق هذه الهجرات الموريسكية مجموعات كبيرة من اليهود التي اتجهت إلى المغرب الأقصى وتونس كوجهة أولى ودخلت بعدها إلى الجزائر واستقرت نهائيا بها .</p>	<p>تبعاً لتقارير الأب دان حول أحوال مدينة الجزائر (Père Dan) والتركيبية السكانية وحجم الكثافة بها</p>	<p>عشرة آلاف نسمة¹</p>	<p>1634</p>

¹ - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص60-61.

² - محمد دلباز، صورة الموريسكيين لاندلسيين في التراث العربي الإسلامي 1492م-2000م دراسة تاريخية بيبليوغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة 2008-2009، جامعة سيدي بلعباس، ص 107.

<p>نمو ديموغرافي ملحوظ في فئات اليهود ولعل هذا راجع إلى انضمام يهود إسبانيا (الميجور شيم) إلى يهود مدينة الجزائر وبالتالي ارتفعت الكثافة السكانية لليهود.</p> <p>الاستقرار المادي لمعظم اليهود نظرا لممارستهم مختلف النشاطات التجارية خاصة بعد تبني الدولة العثمانية سياسة الانفتاح مع أوروبا منذ 1517م² والتي أدت إلى توسيع نطاق التجارة الداخلية والخارجية حيث استفاد منها اليهود ماديا وذلك بتوسيع دائرة نشاطهم التجاري فانتعشت حياتهم الاجتماعية وارتفعت نسبة النمو لديهم.</p>	<p>Le¹ mémoire de la charité chrétienne</p>	<p>تتراوح الكثافة السكانية لليهود بجميع أصنافهم ما بين ثمانية وتسعة آلاف نسمة</p>	<p>1637</p>
<p>ارتفاع محسوس في عدد اليهود بمدينة الجزائر</p>	<p>بناء على تقرير Chevalier D'arrview</p>	<p>ما يقارب اثنتي عشرة ألف نسمة³</p>	<p>1644</p>
<p>قدر هذا الإحصاء الرسمي عدد سكان مدينة الجزائر خلال تلك الفترة بحوالي مائة وستون ألف نسمة من بينهم عشرة الاف يهودي غير ان هذا العدد تراجع بسبب وباء الطاعون⁴ الذي اجتاح الجزائر وقضى على نحو 50 إلى 60 ألف نسمة، وهذا ما أكده العياشي في رحلته " ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين... كان الوباء مفرطاً، مات به في بسكرة على ما قيل لنا نحو سبعين ألف نفس..."</p>	<p>ذكر chevalier D'arrview حسب الإحصاء الرسمي الذي أجرته المصالح الإدارية للإيالة سنة 1651م نظرا للأمراض والأوبئة التي كانت تهدد السكان خلال تلك الفترة،</p>	<p>بلغ عدد السكان بمدينة الجزائر حوالي مائة وستون ألف وهو يجمع كل عناصر السكان بمدينة الجزائر من بينهم عشرة آلاف يهودي</p>	<p>1651</p>

¹- Maurice Eisen Beth, les juifs d'Algérie et en Tunisie durant l'époque turque, R.A N° 96,p148.

²- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 355.

³- Maurice Eisen Beth, op-cit, page 148.

⁴ - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص 102.

	بالإضافة إلى التدفق الكبير لمختلف الأجناس على الجزائر		
تضخم كبير في عدد اليهود بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني غير أنه إحصاء مبالغ فيه مقارنة بالظروف الإقليمية والمحلية.	G.P (رحالة انجليزي)	قدر عدد اليهود بالجزائر حوالي 13 ألف عائلة يهودية ¹	1677
تمثل الإحصاءات التي قدمها shaw نموذجا حيا عن ارتفاع نسبة عدد اليهود في الجزائر خلال هذه الفترة خاصة بعد أن انضم إليهم يهود اسبانيا بعد أن تم جلاءهم من المدن الاسبانية، وأخذوا يتوافدون في شكل دفعات على الجزائر لدرجة أن معابدهم الستة بمدينة الجزائر رغم شساعتها ، فإنها لا تكفي لاحتواء العدد الكبير الذين كانوا يقصدونها يوم السبت ³ لأداء شعائرهم الدينية.	Thomas Shaw	خمسة عشرة ألف يهودي ²	1720
إن الرقم الذي سجله Laugier de tassy عن يهود يدل أنه مستقر طيلة خمس سنوات (1720-1725م) أي ما يعادل خمسة آلاف ⁴ عائلة يهودية وهذا العدد مرشح للارتفاع لعدة اعتبارات منها : سياسة الانفتاح التي اتبعتها الدولة العثمانية	Laugier de tassy	خمسة عشر ألف يهودي	1725

¹ - G.P, the present states of Algeria's, London:1676, p 88.

²- Thomas shaw, voyage dans la régence d'Alger au 18em siècle, traduit de l'anglais par E.mac Carthy 1830 Alger : édition grand Alger livres , p 30.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 188.

⁴- Laugier de tassy, histoire de Royaume d'Alger Amsterdam : Henri du Sanzet, sans date , p 73.

مع رعاياها من الأقليات الدينية خاصة اليهود. ¹			
هجرات اليهود ضرورة اجتماعية واقتصادية نظرا للواقع الحقيقي لهذه الأقليات لذلك كان انتقالهم بين مختلف بلدان العالم عامة والجزائر خاصة من المسلمات نظرا للعوامل المتحكمة في الهجرة اليهودية.	Frencis knight	ثلاثون ألف نسمة	1725
عرفت إيالة الجزائر استقطابا كبيرا لليهود كما ساعدت الظروف الدولية عامة والداخلية خاصة على تضخم عدد اليهود وتركزهم في المدن الساحلية للإيالة، وقد شكلت مدينة الجزائر حيزا استراتيجيا هاما لليهود نظرا للامتيازات السياسية والاقتصادية التي منحت لليهود مع نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م، والعلاقات الحسنة التي جمعت بعض الدايات (مصطفى الوزناجي) ³ مع احد أعيان اليهود وما شكلته هذه العلاقة من اضطرابات سياسية واجتماعية ⁴ انتهت بمقتلهما.	Signor pananti	ثمانية آلاف ² يهودي موزعين عبر المراكز الاستراتيجية في إيالة الجزائر	1730
تعتبر مدينة الجزائر خليط هائل من السكان يصعب إعطاء إحصاء دقيق لكثافتها السكانية غير أن عدد اليهود بلغ ربع عدد الأهالي (Maures) أي ما بين ثمانية	Venture de paradis	قدر فونتوردي برادي عدد اليهود بمدينة الجزائر (دار السلطان)	1800

¹ - حافظت الامبراطورية العثمانية في ايلاتها العربية على موثيق الاسلام في عدم التعرض للطوائف الدينية مقابل دفع الجزية، التي تعتبر شرطا اساسيا لضمان الحماية لهذه الاقليات.

² - Signor pananti, narrative of resedence in Algiers ,comprising, a geographical and historical, sketches of the dey his ministers of observation of the barbary state with Christion powers and the necessity and importance of their complete subjugation, london :1818, p 157.

³ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر (1766م-1791م) سيرته ، حروبه ، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، ص48.

⁴ - صالح عبّاد ، الجزائر خلال العهد التركي(1514-1830)،الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،ص

<p>عشرة آلاف يهودي يزاولون مختلف الحرف والأنشطة التجارية، حددها في حوالي 180 بيتا.</p>		<p>بحوالي عشرة آلاف¹ يهودي</p>	
<p>ذكر وليام شالر أن عدد اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني تحكمت فيه عدة عوامل سياسية واقتصادية وهي ما جعلت نموه نسبيا غير مستقر إلا في بعض الحالات النادرة معززا رأيه ان هذا العدد تراجع خلال 1816 إلى حوالي ثلاثة آلاف نسمة ، وهذا يعني تراجعا معتبرا بلغ نسبة 48%³⁰ من إجمالي عددهم وربما يعود الأمر إلى آثار حملة اللورد إكسموث (1231هـ- 1816م) على مدينة الجزائر وهذا تبعا للتقرير الذي أرسله عمر باشا (1815م- 1817م) إلى الباب العالي يصف فيه الحالة المزرية للإيالة على الصعيد السياسي والأمني والاقتصادي عقب الحملة الانكليزية⁴ والهولندية عليها راجيا بذلك بعض الإعانات المادية لتتجاوز الجزائر تبعات هذه الأزمة.</p> <p>ونخلص بذلك أن هذه الحادثة السياسية كانت من بين أسباب تراجع عدد اليهود في الإيالة وتدني الأوضاع الاجتماعية وتردي المستوى الاقتصادي، الأمر الذي أصبح يهدد بكارثة حقيقية بالجزائر وهذه الظروف أدت إلى هجرة بعض اليهود إلى فرنسا و هناك آثار النزوح الداخلي نحو البيالك</p>	<p>وليام شالر²</p>	<p>قدر عددهم نحو خمسة آلاف نسمة أغلبهم يهود ليفورن</p>	<p>1810</p>

¹-Venture de paradis ,Tunis et Alger au XVIII siècle ,Paris : la bibliothèque arabe Sind Bad, 1989, p 258.

²-وليام شالر ،مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر (1816م-1824م) تعريب وتقديم وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ،ص 73.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - الأرشيف الوطني، معاهدات سلم وتجارة بين الجزائر والقوات المسيحية خلال العهد العثماني ، الجزائر: منشورات الأرشيف الوطني ، ص 20-21.

الأكثر أمنا واستقرارا.			
<p>ذكرت التقارير الفرنسية الخاصة بالإحصاء نهاية يوم 5 جويلية 1830 التقديرات الأولية لسكان مدينة الجزائر وحسب ما جاء في التقرير الذي رفعته الإدارة الفرنسية العليا ان عدد الأقليات اليهودية بالمدينة قد مثل عشر² عدد السكان أي ما بين 5 آلاف الى 6 آلاف يهودي وهذه التقديرات متضارب فيها لأنه من (1700م-1800م) سجلت الإحصائيات السكانية انخفاضا محسوسا في عدد سكان الجزائر عامة واليهود خاصة ، وهذا راجع إلي عدة عوامل :</p> <p>1- اقتصادية:</p> <p>تراجع عمليات الجهاد البحري الذي أدى إلي انخفاض في موارد الخزينة وبالتالي اضطراب اقتصادي (التجارة الخارجية) الذي تأثر بموجبه مداخيل التجار في مقدمتهم اليهود.</p> <p>2- سياسية :</p> <p>ثورة الانكشارية 1805³ أدت إلى هجرة ثلاثمائة عائلة يهودية نحو تونس وإيطاليا.</p> <p>3- طبيعية:</p> <p>انتشار الكوارث الطبيعية كالزلازل¹ وتفشي الأمراض والأوبئة في مقدمتها وباء</p>	<p>Notice statistique Historique sur le Royaume et la ville d'Alger</p>	<p>ذكرت بعض الإحصائيات ان عدد سكان الجزائر تراوح ما بين خمسون إلى ستون ألف نسمة من بينهم خمسة آلاف يهودي¹ من إجمالي السكان عشية الاحتلال الفرنسي.</p>	<p>1830</p>

¹- Anonyme , notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger, résumé des meilleurs documents ancien sur ce pays, Imprimerie du roi, 1830,pp 14-16.

²- Yacono.X , note sur le nombre des juifs dans la regence d'Alger en 1830 ; cahier de Tunisie, N° 115-116 ; 1981, pp 400- 401.

³- Maurice Eisen Beth ,op.cit, p 150.

<p>الطاعون الذي اجتاح الجزائر خلال هذه الفترة وقدرت نسبة انتشاره بـ 90% أعلى نسبة كانت بمدينة الجزائر نظرا لوقوعها على الساحل وبالتالي انتقال الوباء إليها عن طريق الوافدين إليها ثم مدينة قسنطينة خاصة إذا وضعنا احتمال انتشار الوباء ووصوله إليها عن طريق الرياح الموسمية ثم مدينة وهران 14.9% حيث ذكرت المصادر أنه خلال العقود 1500م-1820 (323 سنة) دام الوباء بالجزائر 157 سنة أي بمعدل مرة كل سنتين.²</p>			
--	--	--	--

نستشف مما سبق التباين الواضح في الإحصائيات والتقديرات في تحديد عدد سكان الإيالة عامة وعدد اليهود خاصة وصل إلى حدّ التضخيم والمبالغة وهذا ما أكده شالر " إن الذين قدروا عدد سكان الجزائر بالغوا، حيث يراهم Shaw مئة ألف، ولكن مقارنة مع مدن أخرى أراهم خمسون ألف نسمة"³ وهنا نواجه إشكالية التباين في معايير الإحصاء وعلاقته بالموثرات في البنية السكانية للإيالة عامة ومدينة الجزائر خاصة (الكوارث الطبيعية، الأمراض والأوبئة)، فهذه المصادر رغم تضارب إحصائياتها وعدم دقتها في إعطاء أرقام توضيحية للكثافة السكانية اليهودية بالإيالة، إلا أنها تعطي صورة نسبية للتحويلات الرئيسية⁴ للحركة الديموغرافية وبنيتها العرقية و توزيعها .

¹ - عائشة غطاس، أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ، المجاعات والأوبئة 1787-1830 ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد 17-18، 1998 ، ص ص 361-362.

² - Boubaker sadouk, la peste dans les pays du Maghreb : attitude face au fléau et impacts sur les activités commerciales XVIe- XVIIIe siècle , revue d'histoire maghrébine N° 69-70, 1995, pp 312-323.

³ - وليام شالر ، المصدر السابق، ص 74.

⁴ - انظر الأعمدة البيانية لتطور عدد سكان اليهود بالإيالة (1578-1830)،بالملحق رقم 01.

3- مراحل تطور عدد السكان اليهود في الجزائر (1492م-1830م)

أ- مرحلة الهجرات الواسعة:

تتفق أغلب المصادر على أنها تبدأ منذ سنة 1516م إلى بداية القرن 17م وتشمل هذه المرحلة فترة ما قبل بسط النفوذ العثماني على الجزائر أي ابتداء من سنة 1492م، إثر سقوط آخر الحواضر الأندلسية، حيث ارتفعت نسبة الهجرات اليهودية الجماعية نحو الجزائر نظرا لملاحقة محاكم التفتيش¹ لليهود وتكثيف جهودها في القضاء عليهم، وفي هذا الصدد يذكر حمدان خوجة أنّ يهود اسبانيا النازحين إلي سواحل الجزائر كان عددهم كبيرا: " ومن بين الأسر التي كانت تفر من اسبانيا عدد كبير من اليهود فضلوا مدينة الجزائر على غيرها لما رأوا فيها من حكم معتدل وأمن على أرواحهم وممتلكاتهم"² خاصة مع النشاطات الكثيفة للأسطول الجزائري بالبحر المتوسط³ الذي سمح باستقطاب عدد هام من التجار ورجال الأعمال اليهود من مختلف أنحاء أوروبا ، وهذا ما أكده Claude Martin في قوله : " إثر سقوط غرناطة سنة 1492م هاجر معظم اليهود من اسبانيا وكان عددهم ثمانمائة ألف يهوديا إلى أفريقيا عامة وإلى الجزائر وبأعداد معتبرة"⁴. ويضيف Darmon " كانت تلمسان آنذاك قطب جذب لهم لموقعها الاستراتيجي ، ولهذا تمركز بها اليهود وبأعداد جد معتبرة، ومنها توجهوا إلى مدينة الجزائر التي كان يهودها سبعة عشرة ألف وهذا دليل على عددهم الكثير "⁵لأن الجزائر في اعتقادهم آنذاك " أرض ميعاد" جديدة ملجأ آلاف اليهود.

¹ - ظهرت محاكم التفتيش سنة 1478م بأشبيلية وبدأت نشاطها في قشتالة ضد اليهود النصارى conversos وطاردت الآلاف منهم في أصقاع مختلفة من الأندلس، وفي فبراير 1482 استصدر الملكان الكاثوليكيان براءة أخرى من البابا على إثرها انشأت محاكم جديدة في قرطبة جيان ، طليطلة وبلد الوليد، وصدرت براءة أخرى في سنة 1483 بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش supreno له اختصاص مطلق في شؤون الدين، حيث أصبحت محاكم التفتيش تتابع بصرامة كل ما يتعلق بالحياة الدينية لرعايا الملكين الأسبانيين ورافق هذه المتابعة أعمال الحرق والقتل والإبادة الجماعيةللمزيد من التفاصيل حول محاكم التفتيش راجع :

- محمد رزوق ، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.
2 - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية ، الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 109.

³ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 144.

⁴ - Claude Martin, op.cit, p 18.

⁵ - Darmon,op.cit, p 376.

ب- مرحلة الاستقرار النسبي:

تمتد من القرن السابع عشر إلى غاية منتصف القرن الثامن عشر وهي تتناسب مع المرحلة الثانية من الحكم العثماني¹ للجزائر، وتعد هذه مرحلة الاستقرار النسبي نظرا لتوقف الهجرات الجماعية من اسبانيا مقابل هجرات بنسب متوسطة لعائلات يهودية من ليفورن توافدت بأعداد هامة على مدينة الجزائر، وتدفقت بحركة جماهيرية عفوية نحو المدن الشمالية خصوصا الساحلية منها بحثا عن مناطق أكبر أمنا واستقرارا لإعادة هيكلة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية حتى تتوافق مع المعطيات الجديدة بإيالة الجزائر.

غير أن هذه الحركة الديموغرافية عرفت توقفا مفاجئا سنة 1724 وأخذت في التراجع المستمر بلغ صورة كبيرة سنة 1787 ويندرج هذا التقهقر ضمن الوضع العام للإيالة الذي تحكمت فيه العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لعبت دورا مهما في تفعيل الهجرة المعاكسة، وفي هذا الصدد ذكر ناصر الدين سعيدوني ان تراجع النمو الديموغرافي لسكان الإيالة عامة واليهود خاصة يرجع إلى سوء الأحوال الصحية نظرا لانتشار الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية (كالكوليرا *Le choléra* والتيفويد *La typhus* والجدي *La variole* والطاعون *La maladie à bubons* والدمل والسل) والتي كانت تتكرر كل عشرة أو خمسة عشر سنة، وأنها في بعض الأحيان تستمر لبضع سنوات، وحدث ذلك مع وباء الطاعون 1784²، 1786، 1787 أدى إلى هلاك 16721 نسمة من مدينة الجزائر منهم 14334 من المسلمين و613 مسيحيين بين حرّ وأسير، وحوالي 1774 يهوديا وهذا يعني 33.2% من إجمالي السكان أي أن الكثافة السكانية تراجعت نحو 50 ألف نسمة ضف إلى ذلك وباء 1792-1798 الذي أضر بالمدن الساحلية (وهران- عنابة - الجزائر العاصمة) والتي أغلب سكانها يهود، ووباء 1817-1818 الذي قضى في مدينة الجزائر على أكثر من 14 ألف نسمة وأدى إلى هلاك ثلثي سكان عنابة ويضاف إلى سوء الأحوال الصحية، الكوارث الطبيعية التي ساهمت في

1 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 144.

2 - ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 127.

تناقص عدد السكان¹ وتضرر الاقتصاد وتتمثل في (الجفاف والمجاعة، الجراد، الزلازل والفيضانات...الخ) حيث شكلت المجاعات أول العوامل نحو الهجرة المعاكسة التي تبناها اليهود " إذ ان المجاعات هي في الواقع فراش للمرض، وفراش للأوبئة الفتاكة التي تبيد وفي هدوء تام حياة الناس وتقتل الأمهات" حسب رأي² Pierre Lion وهو الأمر الذي تؤكدُه عائشة غطاس حول عدد اليهود ما بين (1700-1800م) الذي يعود أساسا إلى عوامل اقتصادية كتراجع عائدات غنائم الجهاد البحري، وعوامل طبيعية كانت انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة وحدث الكوارث كالزلازل³ والفيضانات وتضيف الدراسة التي قدمها أبو بكر صدوق أن تراجع سكان الجزائر عامة واليهود خاصة يرجع إلى الوباء الذي اجتاح بلاد المغرب خلال الفترة العثمانية حيث أن انتشاره في شمال الجزائر قدر بحوالي 90% وأعلى نسبة كانت بمدينة الجزائر (دار السلطان) قدرت بحوالي 453.8% بعدها مباشرة مدينة قسنطينة تليها وهران بنسبة 14.9% أي انه خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي (1800-1820م) دام الوباء بتونس مدة 53 سنة وبالمغرب 55 سنة وبالجزائر حوالي 157 سنة ، أي بمعدل مرة كلّ سنتين بالنسبة للجزائر ومرة كل عشر سنوات بالمغرب وتونس.

وهذا ما دفع بالكثير من العائلات اليهودية إلى الهجرة المؤقتة أو النهائية خاصة خلال السنوات 1702- 1708- 1733 - 1760 - 1766 - 1792⁵، نظرا لتهديد هذه الأخيرة لحياة ومصالح اليهود بالجزائر.

ج- مرحلة التقهقر والتراجع:

¹ - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص127.

² - Pierre Lion , Histoire économique et social du monde, l'ouverture du monde XIVE- XVI siècle , T1, volume dirigé par Bartolomé Bennassar et pierre haunu ,Paris :librairie Armand colin , 1977, p 547.

³ - عائشة غطاس، أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ، المجاعات والأوبئة (1787-1830) ، ص 361-362.

⁴ - Boubaker Sadouk, la peste dans les pays du Maghreb, pp 312-323.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 127.

تبدأ من منتصف القرن الثامن عشر إلى بداية الاحتلال، حيث واصلت الطائفة اليهودية في التراجع ديموغرافيا، حيث وصل في نهاية القرن الثامن عشر سبعة آلاف يهودي حسب *venture de paradis*، لتتقلص من جديد إلى خمسة آلاف يهودي حسب تقديرات (شالر) ما بين (1822-1824)¹.

وهذا راجع إلى عدة عوامل :

- تغير الملامح السياسية والاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م الذي هوميدان نشاط البحرية الجزائرية حيث أصبح عالما تسيطر عليه قوى سياسية أوربية وفق قوانين ومعايير دولية أملت لها الدول المسيطرة كاتفاقية 1815 التي تقضي القضاء على القرصنة الجزائرية وإصدار قرار عام حول إلغاء تجارة الرقيق² (الأسرى)³.
- سوء الأوضاع الاقتصادية خاصة بعد تراجع نشاطات الأسطول البحري الجزائري مع توقيع الإيالة لعدة معاهدات صلح وسلم وتجارة مع مختلف الدول والممالك الأوربية و الو.م.أ مثل : معاهدة صلح مع البرتغال 1813، ومعاهدة صلح وتجارة بين جورج الثالث والداي مصطفى (1798-1813) سنة 1800 التي أشرف عليها القنصل العام بالجزائر جون فالكان ومعاهدة صلح وتجارة بين الداوي الحاج علي باشا (1817-1818) وبنيمين بن جما هلوديل نقيب في البحرية الملكية البريطانية والقنصل البريطاني العام بالجزائر السيد بلانكلي سنة 1809م⁴، وبذلك تراجعت تجارة الغنائم التي كانت توفر المادة الخام للأنشطة اليهودية (تجارة الأسرى) وكذلك الوساطة التجارية لليهود مع الدول الأوربية وهذا ما أورده وليام شالر حول هذه

1 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 90.

2 - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة الأساطير والواقع، الجزء 2، الجزائر: دار القصبه للنشر، 2009، ص 479.

3 - بقيت مبادرة مؤتمر فرنسا بلا نتيجة في أوربا وأمريكا حيث استمرت مختلف الدول في جلب العبيد السود إلى أمريكا طيلة القرن 19م وفي بعض المستعمرات غرض الأوربيون النظر عن استعباد السود حتى منتصف القرن 20م، للمزيد من التفاصيل أنظر المنور مروش، دراسات عن الجزائر، ص 479.

4 - الارشيف الوطني الجزائري، معاهدات سلم و تجارة، ص 43

النقطة " قد وصلت بعض الشركات اليهودية في أوقات الرخاء إلي قمة الثروة والرفاهية ولكن عددا من الأثرياء اليهود قد تدهورت أحوالهم في الأعوام الأخيرة وأصابهم الإفلاس ووجدوا طريقا للهجرة بسبب ما حلّ بهم من الاضطهاد الذي لا يطاق".¹

- اضطراب الأحوال السياسية وتدهور المستوى الأمني بالأمانة ، خاصة بعد ثورة الانكشارية ومقتل اليهودي بوجناح، حيث هاجرت ثلاثمائة عائلة يهودية من الجزائر، توجهت مئة عائلة منها إلى تونس والباقي إلى ليفورن.²
- دور الظروف الصحية في تقليص عدد اليهود بالجزائر، مثلا الطاعون الذي أصاب المنطقة ما بين (1787-1788) أدى إلى هلاك 1771 يهودي.³
- تأثير العامل القومي في نفوس اليهود وهو رحيل بعض اليهود من المسنين وذوي العاهات إلي القدس، وذلك لشعورهم بدنو أجلهم، وأنهم لن يلبثوا أن ينفصلوا على ما يملكونه في هذا العالم، وهو الأمر الذي ذكره شالر عندما لاحظ عدد من اليهود المتقدمين في السن على متن سفينة استأجرت خصيصا لنقلهم إلى شواطئ سورية وكان هذا سنة 1816.⁴

وبذلك قدر عددهم من خلال هذه السنة بحوالي ثلاثة آلاف نسمة نظرا لارتفاع الهجرة المعاكسة.

إذن عرفت هذه الفترة تدهورا كبيرا للطائفة اليهودية نظرا لسوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما أدى إلى تراجع نسبة الوجود اليهودي بالجزائر وارتفاع معدل الهجرة المعاكسة .

¹ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 91.

² - Claude Martin, op.cit, p 29.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 414.

⁴ - وليام شالر، المرجع السابق، ص 92.

4- التوزيع الجغرافي للكثافة اليهودية في إيالة الجزائر:

عرف اليهود في إيالة الجزائر حركة تمدن خلال القرن 15م واستمرت حتى نهاية القرن 16 م متأثرة بتطورات عميقة وتحولات جذرية عرفها البحر الأبيض المتوسط بعد النتائج التي أفرزتها الكشوفات الجغرافية وتمثلت أساسا في تغير الطرق التجارية البرية، وتعويضها بالطرق البحرية، ضف إلى ذلك التحولات التي طرأت على نوعية هذه المبادلات من سلع وخدمات نظرا للدور الذي لعبه المحيط الأطلسي كمحور تجاري بحري (طريق رأس الرجاء الصالح) ، وتراجع أهمية الطرق التجارية الصحراوية ، لهذا حاول اليهود التوافق مع هذه الإحداثيات الجديدة والنزوح إلى المدن الشمالية من مراكز تجمعهم التقليدية في المناطق الداخلية، ومن العمق الصحراوي إلى المناطق الساحلية ذات المحفزات الاجتماعية والملائمة لممارسة التجارة والنشاط البنكي.¹

غير أن ما تجدر الإشارة إليه ظروف إقامة اليهود بهذه المدن كانت تخضع لقرارات وسياسات الإيالة، بحيث كلما ضعف حضور السلطة كلما زادت التجمعات اليهودية في تدعيم استقلاليتها الذاتية وتضعف بقوتها وتتأثر بموجبها الاوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية فمثلا : كانت عائلة Cohen Preciosa تقيم بالجزائر وفق مخططاتها الاقتصادية ورواج أعمالها ضف إلى ذلك ما يقره الوضع الأمني بالإيالة، وبالتالي نفس الأمر نلمسه مع عائلات : Salomon ، Meriem Balchima Stora ، Aaron ، Moati ، Moise Busnash ، Moise Soliman التي تذبذبت إقامتها بين الجزائر وإيطاليا، وفي الأخير عمدت إلى ترك الإيالة باتجاه ليفورن لعدة سنوات²، نظرا لحالة المدّ والجزر التي عرفتها السياسة الداخلية للجزائر والتي لا تخدم مصالح اليهود عند الإقامة بها. حركة التمدن هذه عرفت تسارعا كبيرا خاصة مع توافد عدد من العائلات اليهودية من ليفورن واسبانيا نهاية القرن 17م، وخلال القرن 18م، وتمركزها في المدن الكبرى،

¹- Ariel Toaff, le Marchand de pérouse , une communauté juive au moyen age, traduit de l'italien par Denis Armand ,canal Ballont, 1993, p 19.

²- Richard Ayoun et Bernard Cohen, les juifs d'Algérie 2000ans d'histoire,Paris : judaïque une bibliothèque juive , édition Jean claude Lattés, 1982,p 108.

وهران، قسنطينة، بجاية، المدية، تلمسان¹، حيث أصبحت هذه الحواضر أهم نقاط استقطاب وتمركز العنصر اليهودي في الجزائر في ظرف لا يتجاوز قرنين، وبهذا أصبحت الطائفة اليهودية خلال القرن الثامن عشر أهم خلية بشرية في النسيج الاجتماعي للمدن، باستثناء يهود ميزاب وبعض الواحات الأخرى في الصحراء².

وهذا نظرا للتسهيلات التي قدمها بعض الدايات للطائفة اليهودية للاستقرار بتلك المدن، ولعل أبرز دواعي الإقامة كان المكان المخصص لها، حيث عمد بعض الحكام إلي إقطاع اليهود أراضي لتشييد منازلهم عليها كنوع من التسامح الديني والامتيازات مقابل خدماتهم للسلطة، فتشكلت الأحياء اليهودية بالجزائر أو ما يعرف بحارة اليهود³، فحارة اليهود بقسنطينة بنيت بأمر من صالح باي (1185هـ-1771-1206هـ-1791م) حيث خصص لهم أرضا واسعة بسيدي الكتاني وقدم لهم مساعدات في إقامتها لضمان تعايشهم مع المسلمين بصورة طبيعية، وهي نفس تجربة الداوي محمد الكبير (1193هـ-1779م-1212هـ - 1796م) مع اليهود، عقد تحرير مدينة وهران من الاسبان (1207هـ-1792م)، حيث استدعى يهود معسكر ومستغانم وندرومة وتلمسان... وخصص لهم مكانا واسعا لبناء حيهم الجديد وقطعة أرض لاتخاذها مقبرة، وكان لهذه الهجرة انعكاسات إيجابية على الأوضاع الاقتصادية لمدينة وهران⁴.

كانت الحارات اليهودية مجهزة بمختلف المرافق الضرورية للاستقرار مثل المعابد والمذابح وحتى المقابر⁵، وكان اليهود يجتمعون في معابدهم كل يوم سبت للاحتفال بأعيادهم، وهناك من كان يتردد يوميا على المعبد لأداء شعائره الدينية¹.

¹- Yves la Coste et autres , L'Algérie passé et présent , pp 178-179.

²- Richard Ayoun, Bernard cohen, op.cit, pp 81-82.

³- André Raymond , op-cit, p 33.

⁴- Maurice Eisen Beth, les juifs en Algerie ,,op-cit, p 15.

⁵ - كانت توجد بمدينة الجزائر في العهد العثماني حسب H.Klein ثلاث مقابر خاصة باليهود، تقع كلها خارج باب الوادي، المقبرة الأولى تعرف بمقبرة ريباش Ribach والحروف ترمز إلى أحد قديسي اليهود الذي دفن بها عام 1409 وهو الربى اسحاق بارشيشة Babbi Issac barchachet وقيل أن السلطان الزياني هو الذي منح اليهود تلك القطعة في عام 1287، أما المقبرة الثانية هي مقبرة ميدراش Midrashe كانت الأرض التي أقيمت عليها المقبرة تابعة للأوقاف الجامع الكبير وحصلت عليها الطائفة اليهودية عام 1461 عن طريق المقايضة بأحد البنائيات في المدينة، أما المقبرة الثالثة التي تعرف بمقبرة بكري، كانت قطعة الأرض ملكا للأهالي، إلا أنها تنازلوا عنها لأحد اليهود المعروف بيكري عام 1794، وهي ما تعرف في العقود ببخيرة عروج أو بخيرة عيون السخاينة، للمزيد من التفاصيل انظر :

فمثلا تعتبر مدينة تلمسان أهم قطب ديني لتوافد اليهود بحيث ضمت خلال القرن 9هـ-15 م ما يقارب سبعة عشر معبدا لليهود، حتى قيل أن يهود الجزائر كانوا متمسكين بالمناسبات الدينية أكثر من اليهود في أي بلد آخر في العالم، إلا أن مصلحتهم الشخصية جعلتهم ينسون دينهم وكل الاعتبارات الإنسانية.²

أدت الهجرات اليهودية الداخلية والحركة الديموغرافية إلى حدوث تحولات هيكلية في البنية الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للطائفة اليهودية في إيالة الجزائر وتغييرها تغييرا عميقا.

H.Klein, feuillet d'el Djazair , comite de vieil Alger , tome2,Alger : édition du tell , blida, 2003, p 40.

¹- F.diego de Haedo , topographie et histoire générale d'Alger , op-cit, p 91.

² - جيمس لندر كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتركارت قنصل امريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم اسماعيل العربي ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1982، ص 189.

ثانيا: البنية العرقية ليهود الجزائر

تكونت الجالية اليهودية التي استقرت في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني من ثلاث فئات رئيسية هي " اليهود الأهالي les juifs indigène ذوي التاريخ العريق على هذه الأرض وهي أقدم فئة استوطنت المغرب الأوسط ، الأقصى والأدنى، وشكلت الأولى المجموعات الوافدة منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية القرن 14م وبداية القرن 15م وهي فترة الاضطهاد المسيحي الاسباني لليهود في إطار ما يعرف بحروب الاسترداد Reconquista، حيث شكلت فيها التحرشات والمطاردات الاسبانية لليهود القاعدة العريضة لهجرة اليهود من اسبانيا فرارا من تجاوزات محاكم التفتيش والتنصير القصري إلي سواحل شمال إفريقيا بصفة عامة وإيالة الجزائر بصفة خاصة واستمر تدفقهم على البلاد حتى وقت متأخر من فترة حكم العثماني وهذه الفئة تعرف " باليهود الاسبان" أما الفئة الثالثة اختلفت ظروف وجودها بالجزائر عن السابقتين، حيث شكلت أهم فئة عرقية وثقافية واجتماعية قائمة بذاتها تنتمي جغرافيا وثقافيا لأوروبا وهم " يهود ليفورن" ظهرت في وقت متأخر نسبيا من عمر الإيالة وذلك لعوامل جيواستراتيجية واقتصادية، دفعت بهم إلى الهجرة للجزائر باعتبارها مجالا حيويا للنشاط اليهودي.

الفئة الأولى تعرف بـ " توشابيم (Tochabim)¹ بالعبرية (Les tochabs) أو (Les juifs indigènes) بالفرنسية واليهود الأهالي بالعربية أو اليهود المستعربة (Arabizedjews)² بينما تعرف الفئة الثانية بـ ميغوراشيم Mégorachim بالعبرية³ أو Los marranos بالاسبانية و Megorach بالفرنسية يهود الأندلس أو يهود اسبانيا بالعربية، أما الفئة الثالثة فتعرف بيهود ليفورن نسبة لموطنهم الذي وفدوا منه بإيطاليا أو

¹-Joseph Toledano, op.cit, p 304.

² - عبد الوهاب المسيري ، الموسوعة اليهودية ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، شركة صخر لبرامج الحاسب 1999، ص 535.

³ - ميغوراش migorach معناها بالعربية الهارب أو المطارذ أو الفار le fugitif وأطلقت على اليهود الذين فروا من اسبانيا إلى المغرب العربي ما بين 1492-1613.

اليهود الإفرنج les juifs Francs كما أطلقت عليهم عدة ألقاب تمييزاً لهم عن باقي اليهود les Granas او اليهود الأحرار Free jews كما سماهم Pannanti¹.

1- الفئات اليهود:

أ- اليهود الأهالي Tochabim:

تشتمل فئة اليهود الأهالي على تلك الموجات البشرية التي استطوت الجزائر منذ عصور ما قبل الميلاد فرارا من ينبوخذ نصر (586ق.م) ومن Titus (70 ق.م) و Trajan (117ق.م) ومن Hadrian (135 ق.م) ومن القوط في القرن 7م، كما تضم بعض يهود شبه الجزيرة العربية حسب Claude Martin، إذ أن العرب الفاتحين لبلاد المغرب رافقهم في حملتهم العسكرية التجار اليهود من مصر واليمن وكان هؤلاء مرفوقين بعائلاتهم وهذا دليل قاطع على نية الاستقرار وبداية حياة جديدة في هذه المنطقة ويذكر رليون الافريقي في كتابه وصف افريقيا بأن اليهود كانوا ضمن جيش الفاتحين الأوائل للمغرب² و على يهود بني دريد الهلاليين الذين قدموا إلى جنوب تونس وإلى الجزائر أثناء الهجرة الهلالية الكبيرة من المشرق إلى المغرب في القرن 10م كما ينتمي هؤلاء التوشابيم إلى اليهود الذين جاؤوا مع قبيلة هواره البربرية من الرحمانية في ليبيا إلى الجزائر ليستوطنوا منطقة الزعرورية قرب سوق أهراس .

يشكل اليهود الأهالي Tochabim اكبر نسبة من اليهود المحليين الذين استقروا بالإيالة وكونوا فئة اجتماعية دخيلة متماسكة دينيا وثقافيا، واجهت المسيحية والإسلام وحافظت على موروثها الديني والعائدي، ومع ذلك تعتبر هذه الفئة جزءا لا يتجزأ من المجتمع وخلية بشرية فاعلة فيه لدرجة يصعب تمييزها عن باقي عناصر المجتمع الجزائري من المسلمين لولا اختلاف الدين والطقوس الروحية والطباع النفسية والفكرية المكتسبة من التلموذ وقرون التشرد والتشتت.

¹- Signor Pannanti ,op.cit, p 304.

²- Benachenhou connaissance du maghreb ,Alger : la presse des éditions populaire 1971, p 297.

إن عمق الاندماج والانصهار الثقافي والاجتماعي لهذه الفئة من اليهود في المجتمع ادى بالمسلمين إلى تسميتهم باليهود العرب أو اليهود المستعربة لأن ملابسهم لم تختلف عن باقي فئات المسلمين المتمثلة في الشاشية Baaléhamiçnephith ولتمييزهم عن باقي فئات المسلمين كانوا يتركون جزء من شعر أسهم الأمامي مكشوفاً.¹

وعبر Rozet عن عمق هذا الذوبان الاجتماعي "إن عادات وتقاليد الفئات الاجتماعية المقيمة في مدينة الجزائر تكاد تكون متشابهة إلا أن هناك بعض الخصوصيات".²

زاول اليهود الأهالي أنشطة اقتصادية مختلفة وبعض الوظائف الدينية ، غير أن الوظائف الرسمية المفتوحة في وجوههم كانت ضئيلة هذا إذا لم نقل محظورة فامتحن اليهود الأهالي Les juifs indigènes التجارات الصغيرة والحرف التقليدية داخل حاراتهم وحسب هايدو Haedo فإن معظمهم كانوا باعة متجولين في الطرقات والشوارع ، كما كان منهم الحرفيون والسيارة³ خلال القرن السابع عشر، ويذكر Rozet أن أغلبهم كانوا يمارسون مهن محددة وتجارا صغيرة⁴ حسب Maurice Eisenbeth نقلا عن تقرير القنصل الألماني Rihibinder لدى إيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر فإن معظمهم حرفيين حيث يقول " كان قرب قصر الداوي شارع ضيق وسخ به حوانيت ودكاكين تعمل في الذهب والفضة الذي يستغل لصنع النقود.⁵

ب- اليهود الإسبان Megorachim:

الفئة الثانية من اليهود الذين لجأوا إلى الجزائر عندما بدأت الدويلات والإمارات الأندلسية تنهار وتتساقط أمام ضربات المسيحيين الإسبان خصوصا في سنوات 1391 و 1462 و 1467.... ثم في 1608 و 1609، حيث صدر مرسوم ملكي 31 مارس

¹- Cohen ,op.cit, p150.

²- Rozet (M) : voyage dans la régence d'Alger , ou description du pays occupe par l'armée française, en Afrique ,Paris : A.Bertonard, édition 3T, 1830, p70.

³- Haedo, op.cit, p90.

⁴- Rozet, ibid, p73.

⁵- Eisenbeth ,op.cit, p343-344.

1492 ينص على طرد اليهود من اسبانيا خلال مدة لا تتجاوز شهر جويلية من نفس السنة ، ضف إلي ذلك الدور الكبير الذي لعبته محاكم التفتيش الاسبانية في تهجير عدد كبير من اليهود إلى الجزائر من خلال قرارات المصادرة والتنصير التي عانى منها اليهود الاسبان كثيرا حتى الطرد النهائي 1608-1609م لذلك كان اليهود أمام خيارين إما اعتناق الديانة المسيحية إجباريا أو الهجرة ، فاختر عدد كبير منهم الهجرة إلى الجزائر واختارت مجموعة كبيرة منهم سواحل وهران ومستغانم وبجاية وتنس ومنهم من توغل إلي المدن الداخلية كتلمسان ومليانة ومدن أخرى¹ ، وعرف هؤلاء بالكبوسيون les porteurs de Beret وهي قلانس حمراء ورثوها عن بيئتهم الأندلسية لتمييزهم عن اليهود الأهالي.²

استقر اليهود الاسبان بأعداد كبيرة³ في مختلف الحواضر الكبرى وبعض المناطق الداخلية، فاستقبلتهم حكومة الإيالة بحفاوة وتركت لهم حرية ممارسة ديانتهم والمحافظة على معتقداتهم، غير أنها فرضت عليهم ضرائب مختلفة، منها ضريبة أساسية للإقامة بقيمة Doublon d'Espagne، وضرائب أخرى كضريبة مقابل دفن أمواتهم⁴. وضرائب على مختلف الممتلكات والبضائع التي جلبوها معهم حيث كان أكثرهم من أصحاب المال والنفوذ⁵، كما قدمت لهم السلطة بعض الامتيازات كحق التجارة والسمسة ومنحت لهم بعض الأراضي لإقامة مساكنهم عليها أو لدفن موتاهم، ويؤكد Rozet بأن حاخاماتهم يحتفظون في أرشيفاتهم بالوثائق التي تؤكد حصولهم على مثل هذه الامتيازات.

تعددت ألقاب هذه الفئة بالإضافة لتسميتهم اليهود الاسبان أو اليهود الأندلس عرفوا بالسفارديم وهو حسب ما أوضحه عبد الوهاب المسيري أن سفارد هو الأصل العبري لـ Saphardim، وورد في الترجمة السريانية لأسفار موسى الخمسة أنها تعني اسبانيا وابتداء من القرن الثامن ميلادي أصبحت كلمة سفارد هي الكلمة العبرية المستخدمة

¹- Claude Martin, op.cit, p16.

²- Ibid, p16.

³ قدر Garrot عدد الذين وفدوا من اسبانيا سنة 1391 بـ 45 ألف عائلة ، بينما ذكر سعيدوني ان عدد اليهود الذين هاجروا من اسبانيا إلى الإيالة بـ 150 ألف شخص، للمزيد من التفاصيل راجع :

- ناصر الدين سعيدوني ، يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية ، مجلة الثقافة ، عدد 77، سنة 1983، ص 108.

⁴ - أرزقي شويتام ، المرجع السابق، ص 189.

⁵- Claude Martin, op.cit, p16.

للإشارة إلى اسبانيا وإلى اليهود الذين عاشوا أصلا في اسبانيا والبرتغال¹، وما يلاحظ على هذه الفئة الصبغة الاسبانية² فقد تحدثوا لهجة اللادينو³، كما اكتسبوا بعض العادات الاسبانية في اللباس والحديث والمعاملات.

أما نظراؤهم اليهود الذين جاؤوا من ايطاليا (1342م) ومن هولندا (1350م) ومن فرنسا (1403م)، ومن انجلترا (1422م) وصقلية (1493م) ومن مملكة نابولي ما بين (1540-1541م) فعرفوا باشكيناز Achekines المشتقة من الكلمة العبرية إشكينازيم Achekinesim وحسب الرواية التوراتية فإن الكلمة هي اسم أحد أحفاد سيدنا نوح عليه السلام، ومن المرجح أن تكون الكلمة اسم لإحدى القبائل العبرانية ظهرت زمن أسرحدون، تحالف أفرادها مع أعداء ، وهم الذين تشير إليهم المدونات الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد بـ إشوكوزا، أما مدلول كلمة إشكيناز حاليا هو مشتق من كلمة إشكناز بمعنى ألمانيا ومن الصعب معرفة متى حدث هذا الترادف⁴.

ونستعمل كلمتي سفارد وإشكناز كمرادفتين لمصطلحي يهود شرقيون ويهود غربيون les Marranes أو, Los Marranes, les porcs وهم فئة من اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية خوفا من الموت وملاحقة محاكم التفتيش لهم في جميع ضروب حياتهم، غير أنهم بقوا سرا على دياناتهم أوفياء لعقيدتهم يمارسونها مع أولادهم وعائلاتهم⁵.

■ بعض الأساطير المؤسسة لهجرة الميغورشيم في الفولكلور اليهودي الجزائري :

تركت الأحداث المصيرية والظروف الصعبة التي عاشها اليهود الفارين من اسبانيا إلى الجزائر أثارا بالغة العمق في الذاكرة الجماعية للطائفة اليهودية خصوصا الدور الذي قدّمه لهم الزعماء الروحيون من تأطير ديني واجتماعي أثناء هجرتهم من اسبانيا لتجاوز المحنة السياسية الدينية التي ألمت بهم في قشتالة وكتلونيا والباليار، لذلك احتفظ اليهود

1 - عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق، المجلد الثاني ، ج4، ص ص 225-227.

2 - كمال بن صحراوي ، المرجع السابق، ص33.

3 - اللادينو ، تحريف لكلمة لاتينو ، وهي لهجة اسبانية وهي خليط من اللهجات العبرية والتركية واليونانية والإسبانية والبرتغالية ، كانت تتداول بين اليهود في اسبانيا في عقود خلت ، ومازالت تستخدم إلى اليوم كلهجة عند بعض اليهود الذين كانت لهم صلة بيهود اسبانيا في اسرائيل إلا انها تكاد تختفي.

4- Benachenhou, op.cit, p298.

5-Benachenhou, op.cit, p 300.

الاسبان بروايات تنقل وترسم معالم هجرتهم بدقة، وتعكس لنا فكرة العناية الإلهية التي تحرس شعب الله المختار والتي رافقته في مراحل تاريخية في النفي والتشتت والتي جسدها أقطابها الروحيون، وهي بذلك تعيد إلى الأذهان الحادثة التأسيسية¹ Evènement fondateur في تاريخ بني إسرائيل، حادثة عبور البحر الأحمر فرارا من فرعون بقيادة سيدنا موسى عليه السلام و ما جاء في الإصحاح 8 سفر الخروج من الإنجيل.

«And the Lord spoke into moses go unto pharaoh, and say unto him thus saith the lord, let my people go....² »

ويحاول اليهود التأكيد عليها في كل منعرج من منعرجات تاريخهم السياسي والديني ومن بعض ما تواتروه أسطورة Simon Ben Smia (سيمون بن سماية) التي تصور لنا هذا الحاخام صاحب المكانة المرموقة بين اليهود الاسبان، وقد أودع السجن هو وأتباعه بأمر من ملك اسبانيا سنة 1390، وحكم عليهم بالموت، غير أنه ليلة تنفيذ الحكم، ووسط جوّ من اليأس والتسليم بالقدر، أخذ سيمون قطعة فحم، ورسم سفينة على جدار السجن، والتفت إلي من معه وقال : " كل من يؤمن بالرب ويرغب في الخروج من هنا حالا، يضع أصبعه معي على هذا الرسم³، الكل نفذ الأمر ليتحول الرسم إلي حقيقة، ويخترق جدار السجن، ويقطع المدينة، دون أن يؤذي أحدا أو يهدم منزلا، ويصل البحر بمن فيه بسلام، في رحلة انتهت بنجاتهم ووصولهم ميناء مدينة الجزائر⁴.

مرورا بأسطورة الحاخام إفرام عنقاوة (Ephraim Ankawa)(1359-1442)

الذي روى قصة فراره من المطارادات المسيحية ممطيا أسدا، وكان لجامه ثعبان بصورة

¹ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 169.

² - ترجمته " وكلم الرب موسى إذهب إلي فرعون وقل له هكذا قال الرب ، دع قومي يرحلون...." الإصحاح 8 ، سفر الخروج ، الإنجيل.

³ - Rozet (M), op-cit, p211.

⁴ - Rozet(M) , op.cit, p212.

سريالية سحرية عجيبة إفرام هذا عند وصوله إلى تلمسان مدّ يد العون إلي مواطنيه من اليهود وساعدهم على احتلال مكانة مرموقة عندما عالج بنت أمير تلمسان من المرض.¹

كما روى جماعة من اليهود " أنهم وقعوا في قبضة الأتراك² بالبحر المتوسط الذين عزموا على تسليمهم للإسبان³... (18) ولم يجدوا مخرجا من هذه الورطة إلا بفضل القدرات الخارقة للشيخين الذين كانا يقودان السفينة، الشيخان افتعلا عاصفة هوجاء، بإلقاءهم انبوبا سحريا في البحر ، فأعاقا الطريق في وجه الأتراك الذين كانوا يحاصرونهم ويطاردونهم، وهكذا نجوا جميعا بأعجوبة...".

وما تناقلوه عن أسفار موسى التي رميت في عرض البحر لإنقاذها من محاولة تدنيس المسيحيين لها، في وقت تسلط محاكم التفتيش بإسبانيا على اليهود والمسلمين على حد سواء، الأوراق التي كتبت عليها أسفار موسى عند وصولها إلي سواحل عنابة، حاول بعض المسلمين انتشالها ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، لأن كل المراكب التي كانت تقترب منها تغرق اليهود وحدهم الذين تمكنوا من انتشالها، وأخذوها في موكب نصر إلى إحدى بيعهم بتونس الغربية.⁴

مثل هذه الأساطير عديدة ومتنوعة في الفلكلور اليهودي ، وتعبّر عن الأثر الخاص لأحداث 1391 في الذاكرة الجماعية للطائفة اليهودية وحالة الذعر والأمن التي كانوا يعانون منها والتي كان ضروريا أن يتجاوزوها بطريقة لاواعية بالتعويض عما افتقدوه بالأساطير لتعيد لهم بعض التوازن البسيكو اجتماعي.⁵

كما تصور لنا العقلية اليهودية في مواجهتها للأزمات، وسعيها للمحافظة على الذات بصفتها ديانة منغلقة ترفض الدخيل، فالذاكرة الجماعية اليهودية تتناقل هذه الروايات وتعمل على الحفاظ عليها ضمن موروثها الثقافي والديني وسط مجتمعات غريبة عنها.

¹ - Darmon, op.cit, pp378-379.

² - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 168.

³ - ان هذه الرواية اليهودية ليس لها دلالة تاريخية بحجة أن خلال فترة 1391 لم يكن للاتراك العثمانيين أي أثر في المنطقة بحكم أن فكرة الامبراطورية العثمانية كانت لم تستكمل بعد أي أنها كان في اطار البحث عن مقومات الدولة، كما يسجل التاريخ أول ظهور لها في الحوض الغربي للمتوسط سنة 1514.

⁴ - Rozet, op.cit,p210.

⁵ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 168.

كما توضح مدى تأثير الهجرة على اليهود بصفة عامة، حيث عدّها الكثير منهم نهاية مذهلة un apocalypse ومحتومة لولا العناية الإلهية التي أنقذت شعب الله المختار¹، بينما عدّها آخرون بداية تاريخ جديد، حيث أن معظم اليهود أصبحوا يؤرخون ابتداء من تاريخ الهجرة.

وهو الأمر الذي لاحظته حايمم الزعفراني بالرجوع إلي عدة رزنامات لليهود الاسبان واليهود الأهالي في المغرب الأوسط.²

إن هذه الروايات أو الأساطير على أصح التعبير ما هي إلا تجارب نفسية يهودية اختمرت مع واقعهم القاسي والمرير في شتى أصقاع العالم وعبر مرا حل مختلفة من تاريخهم الطويل لذلك فإنهم يعطون بعض من أحداث تاريخهم بعدا دينيا رفيعا في إشارة سياسية عميقة، والتي هي في حقيقة الأمر محاولة إثبات للهوية اليهودية المفقودة منذ القدم.

فـ (Claude Levis - Strauss) في تعريفه الأسطورة يرى بأنها تاريخية وغير تاريخية في ذات الوقت³، فهي تساعد على إلقاء الضوء على الحقبة التاريخية التي تغطيها، على الرغم من غلبة عناصر الخيال عليها في كثير من الأحيان، والتي تعطي الأولوية لفكرة الخوارق التي يرفض العقل تصديقها، كما هو الحال في الأساطير التي وردت في الفلكلور اليهودي فتجعلها بعيدة عن الحدث التاريخي، ولكن رغم هذا فهي تساهم في إعطاء فكرة عن العقلية اليهودية كما تساهم في بناء الحدث التاريخي بصورة نسبية.

فبالرجوع إلي الرموز الواردة في هذه الأساطير نجد أن كل من الحاخامين ابن سماية وإفرايم عنقاوة احتكرا لوحديهما مواقع رئيسية في هذه الميثولوجيا اليهودية، فكلاهما يمثلان الشخص المخلص الذي اختارته العناية الإلهية لإنقاذ شعب الله المختار كما أن البحر والتعبان رموز ذات خلفية دينية مستقاة من الكتاب المقدس⁴، حينئذ الم موسى وبنو إسرائيل هذه التسمية... (3) الرب رجل حرب، الرب اسمه (4) مركبات فرعون وجيشه

¹ - Andre Chouraqui, la saga des juifs en Afrique du nord, paris : Hachette, 1972,p25.

² - Haïm Zafrani, les juifs d'Andalousie et de maghreb ,op.cit, p 124.

³ - Michel Perrin et Jean Pouillon, La pensée Mythique , de la forme a l'usage in revue Française d'anthopologie l'homme N°106-107, Avril, sep 1988 ,p7.

⁴ - الكتاب المقدس، سفر الخروج، 14-175.

ألقاهما في البحر... (7)... ترسل سخطك فيأكلهم كالكش (8) وبريح انفك تراكتت المياه... (11) من مثلك بين الآلهة يارب... صانعا عجائب... (14) يسمع الشعوب فيرتعدون"¹.

ترجع إلى النبي موسى عليه السلام ومعجزة انشطار البحر وتحول إلى ثعبان كما جاء في الذكر الحكيم²، فهذه الأساطير أو الروايات الشعبية المستقاة من معطيات توراتية هي في حقيقة الأمر تحوّل في النموذج الديني أي الانتقال بالقضية الدينية اليهودية من حيز الوهم إلى حيز الإثبات، حيث استخدمت في بنائها لحدث شخصيات خارقة وأفعالا خيالية لتنتقل في طياتها أحداث تاريخية، بعضها حقيقي، والبعض الآخر تصوري، كما أنها لجأت إلى إسقاطات تحورية لمركبات نقص جماعية وفردية، هذه الإسقاطات تبرز اللاتوازن والاستقرار في النفسية اليهودية، بما أن الإسقاط ميكانيزم للدفاع، استخدمه اليهود للدفاع عن شرعيتهم الدينية والتاريخية بإضفاء هالة القداسة عليها من جهة، والتأكيد على مكانتهم الدينية والعلمية المرموقة مقارنة باليهود الأهالي من جهة أخرى، ونلاحظ بذلك الإرهاصات الأولى للصراع بين اليهود الإسبان واليهود الأهالي.

■ البنية الاقتصادية والثقافية لليهود الإسبان:

تعتبر هجرة اليهود من إسبانيا إلى الجزائر مرحلة انتقالية قلبت الموازين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للفئات اليهودية الأخرى، حيث ظهر الميغورشم كطبقة ارسنقراطية مثلت التفوق الفكري، والتجاري أمام التوشابيم (اليهود الأهالي) نظرا لخبرتهم التجارية وتنظيمهم المهني، أو ما يعرف بـ (Haburot) أو رابطة نقابات المهن والحرف التي لعبت دورا كبيرا في تطوير المبادلات التجارية في المغرب الأوسط وحتى في أوربا³، كما استطاعوا تحقيق نهضة دينية قوية، أهلتها التجارب العقائدية والفكرية لتفرض مبادئها على المبادئ اليهودية الكلاسيكية، حيث أصبح حاخامات إسبانيا على رأس الطائفة اليهودية

¹ - ورد ذكر حادثة بني إسرائيل في القرآن الكريم، سورة الدخان، الآية (22-23).

² - محمد الحسيني اسماعيل، بنو إسرائيل، القصة الكاملة من التاريخ القديم... وحتى الوقت الحاضر، مصر: مكتبة وهبية، 2000، ص23.

³ - Richard Ayoun et Bernard Cohen, op-cit, p92.

بالجزائر Simon Ben Semah Duran في مدينة الجزائر وفي وهران Aram Ben Meronas ، وفي قسنطينة Joseph Ben menir Ephati وفي تلمسان ibrahim Ben Hahom و Ephraim hankawa وفي بجاية Ben Jamin Amar حيث كان لهؤلاء سمعة جيدة في اسبانيا ومرموقة خاصة حاخامي مدينة الجزائر اللذان كانا لهما تأثير كبير وجذري في توجيه اليهود الأهالي روحيا¹، عملا على توحيد اليهود من خلال فرض الشريعة اليهودية الكتالونية ونظام الحلخة (Halakha) واعتبارها دستورا قانونيا ودينيا لتأطير حياة الطائفة اليهودية بالجزائر وتقنين الأحوال الشخصية بها من زواج وطلاق وميراث والأمور الدينية بكل ما تحويه من شعائر وطقوس وصلوات وأعياد وتنظيم الشؤون الاقتصادية كالجارة والضرائب².

وهذا ما أدى إلى ميلاد يهودية جزائرية حديثة، فزيادة على النهضة الفكرية والدينية التي قاموا بها، ساهموا في نهضة اقتصادية بنفس المستوى، بفضل ما جلبوه من رؤوس أموال ونظرا لخبرتهم التجارية واحتكاك الكثير منهم بأوروبا وبالتقنيات الجديدة التي ظهرت بها خلال التوسع الكبير للمبادلات الدولية وخدماتهم المستمرة للأمرء وتسهيل المعاملات في مستوى عمليات البيع والشراء مع الخواص، وفي الواقع لم يرد ما يبين احتجاج المسلمين على قدومهم فالعكس استقبلوهم بطيب خاطر وخاصة في تلمسان من طرف بني عبد الواد³ واتخذوا منهم حليفا معتبرا فيما يتعلق بتنشيط الصناعة، وميدان العملة⁴.

ج- اليهود الإفرنج : يهود ليفورن⁵ les juifs francs- les Grana

أما الفئة الثالثة من اليهود الذين استوطنوا الجزائر فهم يهود ليفورن، ويشكل هؤلاء اليهود فئة عرقية⁶- ثقافية قائمة بذاتها تنتمي جغرافيا وثقافيا لأوروبا، واستقرارها بالجزائر حديث العهد، بحيث جاء في وقت متأخر نسبيا من عمر الإيالة، قدمت هذه المجموعة إلى

¹- Joseph Toledano, op.cit, p20.

²- فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 165.

³- Robert Brunschvig, la barbarie orientale sous les hafcides ,des origines a la du XV siècle , T1,Paris : librairie d,amerique et d'orient, 1940, p400- 401.

⁴- كمال بن صحراوي ، المرجع السابق،ص 34.

⁵- Hadeo,op.cit,p98.

⁶- فوزي سعد الله ، المرجع السابق،ص 158.

الإيالة من مدينة ليفورن الإيطالية في نهاية القرن السابع عشر وطيلة النصف الأول من القرن الثامن عشر خاصة في عهدي حسين باشا (1688-1700م) ومصطفى باشا (1700-1705م)¹، وعرفت أوجها في الفترة الممتدة ما بين 1720م- 1740م².

وكانوا يُلقبون بـ " اليهود المسيحيين " أو "اليهود النصارى" ويذكر Cohen بأن معظم يهود ليفورن من اليهود الإسبان الذين استقروا بوهران إثر سقوط غرناطة، ولكن بعد احتلالها من طرف الإسبان اضطروا إلي مغادرتها نحو مدينة ليفورن الإيطالية سنة 1669م³ بأمر من الملك الإسباني شارل الثاني الذي أصدر مرسوما ملكيا يقضي بطرد اليهود لما تشكله هذه الفئة الأخيرة من تهديد صريح لمصالح إسبانيا في المنطقة ، وكانت وجهتهم الرئيسية ليفورن ولم يرجعوا بصفة نهائية إلا سنة 1792م ، أي بعد جلاء الاحتلال الإسباني من وهران نهائيا⁴.

أما سبب تسمية اليهود الأفرنج (Les juifs Francs)، فتذكر المصادر أن أغلبية اليهود الأجانب في الإيالة اختاروا حماية القنصل الفرنسي، ويذكر ماصون Masson حول الموضوع " إن سكان الإيالة كانوا مجبرين على الانضواء تحت حماية قنصل من القنصلية المقيمين فيها لتمثيل بلدانهم الكبيرة ولهذا كانت الفئات الأجنبية كيهود إيطاليا تحت حماية قنصل فرنسا بسبب قوة مركزه ، والحماية الكبيرة التي كان يضمنها لهم"⁵.

أما عن تسميتهم باليهود المسيحيين فيذكر Laugier de Tassy " ترجع هذه التسمية إلى أن اليهود الأوربيين يستطيعون السكن أينما شاءوا وليسوا مجبرين على الإقامة في الحارات المخصصة لليهود الأهالي واليهود الإسبان.

¹ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 46.

² - Claude Martin, op.cit, p18, Eisenbeth, les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit, p158.

³ - تذكر وثائق الأرشيف الإسباني بأن طرد اليهود كان سنة 1669، بينما يذكر Cohen أن الطرد تم 1666 م .

⁴ - Cohen, op.cit, p169.

⁵ - Jaque Taieb, être juifs au maghreb à la veille de colonisation, paris : édition Abbin, Michel, 1954, p51.

كما سمح لهم باللباس على الطريقة الأوروبية لهذا سموا باليهود المسيحيين¹، غير أن Peyssonel يختلف مع Laugier de Tassy حول نقطة اللباس على الطريقة الأوروبية واختصاصها بيهود ليفورن دون سواهم ، حيث يذكر ما يلي " كان هناك عدد من اليهود الأهالي ممن يرتدون اللباس الأوربي² وهذا يعني غياب التمييز العرقي الذي يدعيه اليهود، انطلاقا من فرض زي يهودي معين على اليهود بالإيالة، ووصف ذلك الإجحاف في حقهم، وحرمانهم من أبسط حقوقهم في اختيار ملابسهم حسب أذواقهم، غير أن Gabison أكد عكس ذلك في كتابه الذي ألفه خلال القرن 16م، عند إنشاده لقصيدة نعى فيها أباه جاء فيها " سأرتدي من الآن فصاعدا ملابس ذات لون أسود، مكان الملابس البيضاء المصنوعة من الحرير التي كنت أرتديها³.

وهذا يعني أن الألوان الداكنة لم تك مفروضة عليهم، وهذا ما يثبت النص الذي لم يستنتج منه (Sirot) سوى أن لون لباس الحداد عند اليهود أسود.

كما عرفوا أيضا ب Grana ومعناها الليفورنين، وهي من الاسم العربي لليفورن "قورنا" ومن صفة القورني Gourini والتي جمعها⁴ Grana.

حسب Haddy يبدأ توافدهم إلى الإيالة نهاية القرن السابع عشر، ومن أهم هذه العائلات (Alvereng) و(Lusada) سنة 1686 (Malco) سنة 1690 (Benjamin zacuto) سنة 1694 (Aron israél de tunes) سنة 1697 (Natan de Joseph latad) سنة 1716.⁵

¹- Eisenbeth , les juifs en Algerie et en Tunisie, op.cit, p 158.

²- Peyssonel, des fontaines , voyage dans la régence d'Alger, paris : librairie la guide 1838, p123.

³- René Samuel Sirat, La vie des juifs d'Alger au x Vie d'après omarHasik(o.s)commentaire sur les proverbes d'A gabison,in melange André nohin, paris : librairie d'amerique d'orient AdrinMaisson Neuve 1975 ;p324.

⁴- Lancelot Addison, the present state of the jews in barbary , London: Jc.wcroeke, 1675,p11.

⁵-M.J.M Haddy, le livre d'or israélites algeriens, recueil renseignement inédit et authentiques sur les principaux Négociants juifs d'Alger pendant la periode turque Alger :imprimerie typographique, de Aboyer 1872, pp 12-32.

ترجع أسباب توافد يهود ليفورن إلى الإيالة إلى سنة 1593 إثر إصدار دوق توساكنا فرديناند الثاني ميثاق (Livorna) الذي بموجبه أعلن حرية التجارة، وكان هذا الإعلان دعوة صريحة للتجار والوسطاء الأجانب على رأسهم اليهود واستعمال موانئ بيزا وليفورنا بكل حرية ومن أهم ما ورد في أحد بنود (La livorna): "نتمنى أن لا يصدر ضدكم أو ضد عائلاتكم ملاحقات أو أي اتهامات من طرف محاكم التفتيش؟، وحتى لو عاينتم سابقا تحت لواء حكام مسيحيين كان حكمهم تعسفا فإننا نضمن لكم بأنه لن يتكرر هذا هنا"¹.

وهي دعوة صريحة ليهود اسبانيا والبرتغال للاستقرار في أهم وأكبر موانئ إيطاليا، (بيزا، ليفورن) التي كانت منطلق العلاقات التجارية بين الجزائر وليفورن الإيطالية، ولهذا توافد العديد من التجار اليهود المرموقين من ليفورن للإقامة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة، لضمان الحصول على كميات مهمة من السلع التي كان يأتي بها الرياس لإرسالها إلى موانئ ليفورن وبيزا.²

أحدثت هذه العائلات الليفورنية بقدمها إلى الجزائر انقلابا كبيرا في موازين القوى داخل الطائفة اليهودية وبحلول القرن الثامن عشر شكل اليهود الإفرنج طبقة أرستقراطية استولت على مقاليد الزعامة لليهود الميغوريشم (الاسبان) وقد ساعدها على التفوق الديني والتجاري على الطوائف الأخرى عدة أسباب منها:

1. التفوق الثقافي نظرا للاحتكاك الكبير بالنهضة الأوروبية (فهذه الطائفة لم تؤمن بالتعاليم اليهودية العتيقة وإنما أضافت عليها بعض التعديلات وعملت على مقاطعة اليهود الأهالي لبعض العادات التي رأوا فيها عادات أشبه بالعادات الإسلامية.
2. الخبرة التجارية الواسعة التي اكتسبتها هذه الفئة من تجارب أوروبية عديدة خاصة التجارة البحرية التي اقتضتها تبعات الكشوفات الجغرافية .

¹-Eisen Beth, les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit , p156.

²- Ibid , p157, H de Grammont , op.cit, p234.

سياسة التفتح هذه التي انتهجها اليهود الإفرنج سوف تكون تمهيدا لاكتساح الصهيونية العالم فيما بعد، وجره إلى مآهات سياسية واقتصادية خطيرة.

■ آثار الهجرات الميغورشيمية والليفورية على الهوية الثقافية والدينية للطائفة اليهودية:

أحدث توافد الفئات الجديدة من اليهود (الاسبان، الافرنج) آثارا عميقة على الطائفة اليهودية التقليدية (الأهالي) التي رفضت رفضا قاطعا ما حملته في ثنايا ثقافتها هاتين الفئتين، الأمر الذي ولد صراعا خفيا بينها وبين كل فئة جديدة تستقر بالإيالة وتحاول فرض سيطرتها عليها، وظهر صدام ديني ثقافي بين اليهود الأهالي واليهود الاسبان تارة ثم بين اليهود الافرنج واليهود الإسبان تارة أخرى، وهذا ما أدى بالفئة الأولى أن تتبنى سياسة العزلة في حاراتها وبالمناطق الجبلية والصحراوية عن الفئات الأخرى.

فقضية العلاقات بين اليهود الوافدين واليهود الأهالي المستقرين بشمال أفريقيا منذ زمن بعيد معقدة للغاية ، فالصراع بين الطائفتين يبدأ من الاختلاف في الشعائر الدينية وكيفية تأويل وتفسير النصوص الدينية ليأخذ مظاهر أخرى، ويؤكد الكثير من الكتاب اليهود مثل (Cohen)(André Chouraqui)(Eisenbeth) والزعفراني (Zaffarines).

على أنه هناك فرق شاسع بين اليهود الأهالي والوافدين الجدد، ولهذا كانت تقابل رغبة وجهود بعض الحاخامات الاسبان والذين يعتبرون القيادات الثقافية للطائفة في توحيد الديانة ومجموع المتدينين بها داخل المجموعة واحدة الاختلافات في المذهب واللغة والمفاهيم الاجتماعية والعادات اليهودية على وجه الخصوص، وعلى ما يبدو فإن هذه النظرة للتوشابيم (الأهالي) لم تخلوا من العنصرية والازدراء بسبب تأثرهم ببيئة الحضارة الإسلامية (العربية-البربرية)¹، فالفئة الجديدة أنكرت صفة اليهودية عن معتقدات وشعائر اليهود الأهالي، وبذلك دخلوا في صراع ديني عقائدي داخلي وهذا ما يعترف به كل من حاييم الزعفراني وكلود مارتن بقولهم "بأن يهود الإيالة لم يشكلوا مجموعة إثنية صافية

¹ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 161.

ومتجانسة¹، كما أنكر ريشارد حيون وبرنارد كوهين ابتعاد اليهود الأهالي عن التعاليم اليهودية الصحيحة" مدينة الجزائر... تدهورت جاليتها اليهودية الأصلية (منذ القرن 10م)، وتمزقت لأن يهودها تعربوا²، فهذه النظرة العنصرية إلى اليهود الأهالي أحدثت أزمة داخل الطائفة اليهودية لمحاولة كل فئة احتواء الأخرى، وقد دلت عليها بعض المؤشرات التي تبدأ من التسمية، فالسفارديم³ كانوا يشيرون إلى اليهود الأهالي بأنهم "التوشابيم" أي السكان الأصليين بكل ما تحمله الكلمة من إحياءات قديمة، كما أطلقوا عليهم لقب "الجريجوس" وهي تسمية كانت هي الأخرى ذات دلالات سلبية⁴، وكان اليهود الأهالي يشيرون بدورهم إلى السفارديم باعتبارهم "ميغوراشيم" أي المطرودين أو المنبوذين⁵، هذه المشادات الكلامية ستكون لها تأثيرات سلبية على مستقبل اليهودية في الجزائر وفي العالم.

عدم استكمال الوحدة اليهودية بين (التوباشيم، الميغوراشيم، غرانا) التي سعى إليها كل من ريباش⁶ وراشباش نظرا للنزعة الانطوائية التي عمد إليها اليهود الأهالي خاصة يهود الصحراء.

¹ - Claude Martin, op.cit, p9.

Voir aussi : Haim zafarani, les juifs d'Andalousie et du Maghreb, op.cit, p 515.

² - Richard Ayoun, Bernard Cohen, op.cit, p11 et le text original « Alger (...) sa communauté juive originale (depuis le 10^e siecles) s'était delabrée disloquée, les juifs algerois s'arabisaient».

³ - السفارديم ، المقصود بهم يهود اسبانيا في البداية ، وحوض البحر الابيض المتوسط، كما تشير إلي مكان شمال فلسطين ، نفي اليه اليهود بعد السبي السبي البابلي ، لكن معنى الكلمة تغير وأصبح يدل على الفكر اليهودي في العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا التي تضم اسبانيا والبرتغال، واطلق على نسل أولئك اليهود الذين عاشوا في اسبانيا والبرتغال مقابل الأشكناز الذين كانوا يعيشون في ألمانيا ، وتدعي الصهيونية بأن الجذور العرقية للسفارديم يمتد تاريخها البعيد ليتصل بالعرق السامي الذي دخل اسبانيا عقب سقوط مدينة أورشليم والتي على إثرها توزع اليهود في أنحاء الامبراطورية ، لمزيد من التفاصيل راجع : عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، 1975، ص 213.

⁴ - عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، مجلد 4، ج2، ص 2067.

⁵ - المرجع نفسه ، مجلد 4، ج2، ص 2067.

⁶ - ريباش وراشباش من أكبر زعماء الحاخامات اليهودية في الجزائر ، هاجر الاثنان إلي الجزائر بعد أحداث 1391 بالأندلس فرارامن ملاحقات محاكم التفتش ومن القمع والاضطهاد المسيحي الاسباني ، اتخذ ريباش من الشريعة اليهودية الكتلونية ونظام الحلخة (Halakha) التي كان قد وضعها سنة 1422 نموذجا للتشريع اليهودي أي **تقنوت** مدينة الجزائر الذي جعله دستورا قانونيا ودينيا لتأطير حياة الطائفة اليهودية بالجزائر وتقنين الأحوال الشخصية (زواج ، طلاق، ميراث) والأمور الدينية (شعائر ، طقوس، أعياد، صلوات) وحتى الاقتصادية (تجارة ، ضرائب) غير انه لم ينجح في فرضها على جميع التجمعات والجاليات اليهودية بالجزائر ، التي انقسمت بين مؤيد ورافض لها، بعد وفاة راشباش (سيمون بن سماح بن دوران الطبيب الحبر المايورقي اللاجئ إلي الجزائر) توفي ريباش وراشباش ب" البهجة" مدينة الجزائر ودفنا إلى جوار بعضهما البعض ودفن بالمقبرة اليهودية باب الوادي في سنة 1844 اصدر الحاكم العام للجزائر في 11 مارس قرارا جعل المقبرة اليهودية ملكا للاحتلال في سنة 1880 حولت رفاتهما إلي مقبرة بولوجين الحالية حيث مازالا محل تقديس

تأجيل المخطط الاسرائيلي إلى وقت غير معلوم، في ظل غياب الوحدة الكاملة لليهود وهو ما لم يستسغه الحاخامات لأنه في نظرهم يحكم على اليهود بالشتات من جديد الأمر الذي لم يك في صالحهم خاصة مع ظهور فكرة إحياء دولة إسرائيل بفلسطين.

امتد الصراع إلي المجال الديني بين الطوائف اليهودية، فقد كان الوافدون من الميغورشيم يتحاشون اليهود الأهالي خوفا من نشوب صراعات خطيرة، كان اليهود في غنى عنها خصوصا خلال هذه الفترة التي سعى فيها الحاخامات إلي التآليف والتوحيد بين مختلف الفئات اليهودية.

فالكتابات الحاخامية تنقل المناظرات اليهود الأهالي واليهود الاسبان، والتي غالبا ما كانت تنتهي بمشاكل جدّ خطيرة¹، اتخذت أشكالا عنيفة في بجاية، وتنس وشرشال، لأن اليهود الأهالي غلب عليهم الطابع التقليدي الذي لا يقبل بدوره محاولة إصلاح في الجانب الديني أو الاجتماعي سواء من الميغورشيم أو من غيرهم، حيث كتب ريباش Ribach إلى أحد الحاخامات في وهران حول موضوع اليهود الأهالي "لقد طلبت إليك وفي مناسبات عدة عدم محاولة إصلاح ما تعودوا عليه من ممارسات في مواضيع كهذه، إذا أردت أن تكون في سلام معهم... اعلم أنهم ممن لا يتقبلون الإصلاح من أي كان، وحتى في الأمور الخطيرة فإنهم يقاومون"²، وكتب حاخام من قسنطينة "هل سنترك تعاليم ديننا الصحيحة، ونغيّر القوانين والنواميس لأجلهم؟"³.

أدى الاحتكاك الثقافي بين اليهود الأهالي والميغورشيم ويهود ليفورن إلي ميلاد خليط لغوي هو حوصلة لغات هذه الثقافات في القرنين 17م-18م لدى يهود الجزائر، يتكون أصلا من اللّغة العربية ومن مفردات تركية وإفريقية أغلبها اسبانية أو ايطالية أو فرنسية بصورة ثانوية، هذا الخليط اللّغوي الجديد الذي يحتوي بطبيعة الحال على العبرية أطلق عليه "لغة الفرنك"⁴ (le Franc) أو اللادينو (ladino) في بعض الأحيان، لكن على العموم كانت

وتبرك من طرف اليهود هو ما يعرف بـ الربانيم ribanim بالعبرية واشعال الشموع وتلاوة أسفار التوراة والدعاء والتضرع لها، فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ج2، ص 165-166.

¹- André Chouraqui, la saga , des juifs d'afrique, op.cit, p121.

²- Claude Martin, op.cit, p16.

³- Ibid.

⁴ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 208.

اللغة العبرية ضعيفة الاستعمال في الحياة اليومية ذلك أن التواصل الاجتماعي للعادي لليهود يعتمد أساسا على لغة الفرنك لأنها لغة تجارة ومعاملات اقتصادية، وفي هذا الصدد يذكر محمد دادة " أن اللغة العبرية لم تك تستعمل إلا في المعابد كلغة رسمية لممارسة الشعائر الدينية فقط وكان معظم اليهود حسبه يجهلون معانيها".¹

إن هذا الاحتكاك الثقافي بقدر ما قرّب بين مختلف الأعراق والملل اليهودية² في ميادين معينة كاللغة وبعض العادات خلق تصادما ومواجهات في ميادين أخرى، تحولت إلى عناصر فتنة وتفرقة دفعت عادة بكل فئة إلى الانطواء على نفسها، والتصرف بعنصرية وعدوانية تجاه الفئات الأخرى، هذا الصدام يدور حول نقطة حساسة تمثلت في الطقوس الدينية وكيفية ممارسة الشعائر العبرية، حيث تمسكت كل فئة بعاداتها وتقاليدها وطريقة ترتيل أشعارها الدينية داخل المعبد³، وهذا ما يمكن أن تطلق عليه صراع طائفي أو خلاف مذهبي إلى حدّ ما، وعبر André Chouraqui عن هذا الاختلاف قائلا " ان الطابع الشرقي لليهودية المغربية هو السبب الأول للاختلافات العميقة بين اليهود الأهالي ويهود اسبانيا حتى الوجود الفرنسي".⁴ وهذا يوحي باعترافهم بوجود اختلاف عميق بين الحضارتين، غير أنهم ينكرون انقلابا ثقافيا، اقتصاديا، ويؤكدون على الذوبان العفوي للتوشابيم في الثقافة الميغورثيمية ثم اندماج الاثنين في الثقافة الليفورنية، ويفسرون هذا الاندماج للتوشابيم في الميغورثيم إلى تخلف الفئة الأولى نظرا لتأثرها بالحضارة العربية الإسلامية، وانحرافها عن اليهودية الصحيحة، لذلك كان هدف اليهود الإسبان إرجاع هذه الفئة إلى جادة الصواب والتي حملت على عاتقها إعادة تأهيل اليهود الأهالي وإجبارهم على العودة الحقيقية للأصول اليهودية الصحيحة.

عمل اليهود الإسبان (الميغورثيم) على تغيير مختلف جوانب حياة اليهود الأهالي، الأمر الذي ساعد اليهود الأهالي على تحسن مستواهم الثقافي والديني والاقتصادي،

1 - محمد دادة ، المرجع السابق، ص60.

2 - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص208.

3 - يرجع هذا الصدام حول ترتيل الأشعار الدينية اليهودية ، فاليهود الأهالي كانت ترتيلهم عتيقة ، فحاول الميغورثيم إدخال البيوت (Piyyut) وفي أشعار دينية أندلسية الروح والنغم داخل المعابد حسب النوبات الأندلسية التي وضعها زرباب في القرن التاسع ميلادي ، على الأشعار الدينية العادية للتوشابيم وهو نوع من التجديد والتنوع في التراتيل الدينية العبرية ، وهو الأمر الذي رفضه اليهود الأهالي شكلا ومضمونا.

4- André Chouraqui, op-cit, p128.

وطابعهم الاجتماعي، فالحقيقة أن الميغورشم كانت ثقافتهم غربية متشعبة بأفكار شرقية مما أهلهم لتجديد وتغيير المنظومة الفكرية والاجتماعية للتوشايم، وفي هذا السياق يذكر Robert Brunschvig انطلاقاً من إطلاعه على الأسئلة الموجهة إلى كبار العلماء التلموديين بالجزائر في القرن الخامس عشر، "إن أحبار افريقيا لم يكونوا بارزين آنذاك في العلوم الدينية، ويتضح من تلك الأسئلة أن معلوماتهم التوراتية والتلمودية، كانت ضعيفة للغاية، فقد كانوا يحتارون بخصوص أبسط المسائل وأكثرها شيوعاً، وقد أدى قدوم اليهود الإسبان إلى إثارة حب الدراسة والاقبال على العلم لدى الأحبار المحليين وبالتالي إلى رفع المستوى الثقافي"¹.

والملاحظ أن هدف الميغورشم لم يك تغير المستوى الفكري والديني والاجتماعي للتوشايم بقدر ما كان محاولة القضاء على تأثيرهم بالإسلام، وهذا ما نلمسه في تصريح الحاخام ريباش قائلاً: ".....حين قدمنا إلى هذه البلاد لم نجد عادات يهودية، لأن سكان هذه البلاد (اليهود) لم يعتادوا الحكم في منازعاتهم وفقاً لقوانين ديانتنا، فجميع القضايا التي كانت تعرض على القاضي المسلم"² وهذا ما يمكن ان نطلق عليه الصراع بين الشرق والغرب وتجلي في :

- إحياء تعاليم الديانة اليهودية التي تتبنى العنصرية وترفض الآخر (غير اليهود دينا وجنسا) من خلال تكثيف اجتماعات التوجيه والإرشاد وتلقين اليهودية الصحيحة للتوشايم .
- العمل على القطيعة النهائية بين اليهود الأهالي والمسلمين لأن في نظرهم تشبع اليهود بالإسلام يهدد مستقبل اليهود في العالم.

هذا يمكن اعتباره صراع الواجهة، أما الصراع الذي حدث في عمق الجالية اليهودية يرجع إلى أسباب اقتصادية، أي تخوف اليهود الأهالي من فقدان مواقعهم الاقتصادية - ولو كانت بسيطة، أمام قوة اليهود الإسبان، فالحرص على اجتناب المنافسة الاقتصادية في

¹ - Robert Brinsching, op.cit, p419.

² - محمد دادة، المرجع السابق، ص 37.

ممارسة نفس المهنة، لاسيما ان تلك المنافسة كانت في غاية الحدة، بالنظر إلى ما كان يتميز به اليهود الاسبان من مهارات فنية فائقة في مختلف المجالات ، لذلك عمل اليهود الأهالي على استبعاد هذه الفئة الأخيرة كإجراء وقائي واحترازي من طرف اليهود الأهالي كل في مهنته وفي ميدانه باعتبارهم جماعة وظيفية وهذه الأخيرة يستند وجودها بأسره إلى وظيفتها فصراع التوشابيم والميغورشيم كان اقتصاديا بالدرجة الأولى وكثيرا ما انتهى بمواجهات دموية .

والجدير بالذكر أن هذه المنافسة الشديدة اتخذت أشكالا عدوانية عنصرية وصلت إلى القطيعة بين الطرفين وكنماذج على ذلك: إصرار الحاخام صموئيل ناحون (Samuel Nahon) وهو من الأحرار المحليين قرار تحريم الزواج من اليهوديات الوهرانيات الاسبانيات الأصل (فئة الميغورشيم)، فالمصلحة الشخصية لهذه الفئة فوق كل اعتبار وفي هذا الصدد يذكر الحاخام الأكبر (Cohen) بأن اليهود الأهالي تخوفوا إثر قدوم يهود اسبانيا من زيادة في أسعار المعيشة التي كانت غالية أساسا، ولكن ما حدث بعدها وعلى المدى المتوسط هو زيادة معتبرة في عائدات البلاد¹، وبالفعل لتظهر تميز وقوة يهود اسبانيا مقارنة باليهود الأهالي على الصعيد الاقتصادي بجلاء ووضوح.²

أدت نتائج الصراع الثقافي الاقتصادي- السياسي بين هذه الفئات في نهاية المطاف إلى تفكيك النظام الطائفي القديم وتهميشه في مرحلة أولى، إذ سرعان ما تجدد الصراع ذاته بأكثر حدة عند قدوم يهود ليفورن الذين تفوقوا على اليهود الإسبانيين دينيا وثقافيا واقتصاديا واستطاعوا السيطرة على الطائفة اليهودية في ظرف قياسي، خاصة عندما استطاعوا السيطرة على منصب المقدم أو رئيس الطائفة، ورغم أن هذا المنصب يظهر بأنه سلطة روحية إلا أنه كان منفذا مهما لوظائف سياسية مرموقة درت أرباحا طائلة على زعماء يهود ليفورن و هذا ما أدى بهم في الأخير إلى فرض سيطرتهم على الطائفة اليهودية خاصة وعلى الإيالة عامة منذ منتصف القرن 18م جسده عائلتي بن دوران، وبكري بين سنتي 1805-1811م ، فالحياة اليهودية في الإيالة عامة تم تقاسمها في الأخير على النحو

¹- Cohen, les juifs d'Afrique, op.cit, p49.

²- Armand Lévy, il était une fois les juifs marocains, Paris : édition l'harmattan, p32.

التالي: السياسة والتجارة ليهود ليفورن، والحياة الاجتماعية والثقافية الدينية متقاسمة بين الميغوريشم الذين تكفلوا بالخدمات المكملة (Sous-traitance)¹ خاصة، أما الدوران في فلك هاتين القوتين فقد كان من نصيب اليهود الأهالي، وبالتالي التهميش والإقصاء من البنى الفوقية.

إن القوى الجديدة تفوقت في النهاية واحتكرت كل شيء ولم يترك للقوى المحلية سوى المشاركة في جدلية المبادلات الثقافية الفلكلورية على مستوى البنى التحتية وبصورة محدودة.

إن المعطيات السابقة توضح سبب اللاتعايش بين اليهود الاسبان واليهود الأهالي الذي يفسره اختلاف الشرق والغرب، مولدا صداما ثقافيا ودينيا بل نفورا إيديولوجيا بين الفئتين رغم أنهما يشكلان قطبا واحدا. لكن ما يدفعنا إلى التساؤل أكثر سبب اللاتعايش بين اليهود الاسبان واليهود الافرنج؟ لماذا تجددت الازمة في عمق الطائفة اليهودية بعد توافد يهود ليفورن؟ لماذا هذا الاختلاف العميق رغم التقارب الواضح في الانتماء (أوربا) في المجال الثقافي والديني والاقتصادي؟

ذلك أن المصالح الاقتصادية لا تقبل القسمة على اثنين والصراع كان حول المصالح نعم كان صراعا اقتصاديا بالدرجة الأولى.

فإذا كان اليهود أنكروا وواجهوا بعضهم البعض من أجل مصالحهم الخاصة فإننا لا نستغرب ما يحدث في العالم العربي، ففتنة المشرق العربي حاكها اليهود وتبناها المرتزقة ممن لا يفقهون المخطط اليهودي.

¹ - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص210.



الفصل الثاني

الطائفة اليهودية في مجتمع الإيالة

الفصل الثاني: الطائفة اليهودية في مجتمع الأيالة

إن مجال دراسة طريقة إدارة شؤون الطائفة اليهودية بالجزائر تبدو صعبة ومعقدة، فشيخ اليهود أو المقدم أو الناجد المشار إليه في أغلب المصادر والمراجع يجعلنا أمام جدل واسع، هل كان رئيس الطوائف اليهودية المحلية (التوشابيم، الميغورشيم، يهود ليفورن) أم رئيس اليهود كافة؟ هل اعتمد على المسؤولية المزدوجة في الإدارة والتوجيه؟ أي هل له الأسبقية على الحاخام الأكبر أو العكس؟

وحتى موضوع الحاخام قائم بذاته فهل هو المسؤول الأول في إدارة شؤون الطائفة أو نائب شيخ اليهود؟ وما هي مساحة مسؤولية كل من شيخ اليهود والحاخام الأكبر؟ وأي المساحتين أوسع وأكثر احتواءً للطائفة اليهودية بجميع أشكالها وتناقضاتها ومشاكلها الداخلية والخارجية؟¹

على ما يبدو قبل حلول اليهود الإسبان (الميغورشيم) كانت الطائفة اليهودية المحلية (التوشابيم) عبارة عن تجمعات عديدة منتشرة في مناطق مختلفة من البلاد ومستقلة داخليا عن المسلمين وحتى عن بعضها البعض، وكان لكل مجموعة من هذه الطائفة مؤسستها الدينية الاجتماعية² التي تنظم سير شؤونها العامة اليومية من ممارسة الشعائر والتعاليم الدينية والحكم في المنازعات وتقنين النشاطات الاقتصادية والنيابة عن المجموعة في الأمور العمومية مع المجتمع الخارجي (الإيالة) برعاية زعيمها الروحي والديني الذي يدعى "شيخ اليهود"، "مقدم اليهود" أو "الديون" أو الناجد وكان يعين من طرف الحكام المسلمين، وفي إيالة الجزائر اشتهر ممثل جماعة اليهود باسم المقدم وكان يعين من طرف

¹ - تعد ناجدية القيروان أول مؤسسة يهودية رسمية أوكل إليها رعاية شؤون اليهود في شمال إفريقيا إذ تم تنصيب أبراهام ابن عطاء، ناجدا للقيروان في النصف الأول من القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، وقد اختلف حول بداية ظهور لقب الناجد في المغرب، فالوظيفة التي تولها صاحب هذا اللقب وجدت قبل ظهور التسمية، إذ وجد من تولى مسؤولية الجماعة اليهودية في المدن وتوابعها دون أن يحمل لقب الناجد أو المقدم ورأى البعض أن لقب الناجد من إحداه الفاطميين في حين يرى آخرون أن وجوده سابق لقيام الدولة الفاطمية للمزيد من التفاصيل راجع :

- Hechev J , la fonction de Nagid en Afrique du nord a la fin du XV^e siècle, Jérusalem : 1950,p112.

² - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 215.

الداي غير أن هذا الأخير لم يكن مخولا لممارسة وظيفته إلا بعد وصول فرمان التعيين رسميا من مقر الدولة العثمانية.¹

إن هذا العرف لم يستمر طويلا، فبقدم يهود اسبانيا الفارين بعد أحداث 1391م طراً تغير جذري أو ما يمكن تسميته بالانقلاب على النظام التقليدي المنغلق وإحلال نظام جديد أحادي القطب يعتمد على سلطة واحدة شاملة لجميع اليهود قوامه الحاخام الأكبر أو ما يعرف برئيس الأمة اليهودية (Chef de la nation juive) وتساعده في إدارة شؤون الطائفة مؤسسة تدعى المجلس الطائفي، ورئيس الطائفة أو الحاخام الكبير الذي يحتكر جميع السلطات والقرارات وله كل الصلاحيات في تسيير شؤون الطائفة وفق نظام "الحلحة".²

يعتبر اسحاق برشيش برفت أول حاخام مثل الطائفة اليهودية وفق النظام الجديد حيث أصبح المرجع الديني لكل اليهود تقريبا رغم الصراعات اليهودية الداخلية بين الميغورشيم والتوشابيم الرافضين لهذا النظام بصفته نظاما دخيلا حيث أصبح هذا الأخير النظام الطائفي اليهودي الرسمي منذ القرن 14م، وعرفت سلطته مرجعية أساسية في حياة الطائفة اليهودية وامتدادا واسعا في النفوذ الجغرافي عبر مختلف مدن الإيالة طوال القرون اللاحقة، وبالتالي تهميش النظام التقليدي الذي بقي محصورا في المجموعات اليهودية المحلية المنعزلة في المناطق النائية والصحراء.

أصبح للحاخام Grand Rabin صلاحية واسعة في تسيير شؤون الطائفة، إذ كانت له سلطة روحية ودينية على اليهود موازية مع سلطة المقدم وذلك بسيطرة تكاد تكون تامة للحاخام الأكبر رغم المعارضة الداخلية لبعض اليهود، وما يبرز الشقين المختلفين والصراع الخفي المتجدد بينهما، في النظام الطائفي اليهودي تلك الحادثة التي

¹ - Hirschberg.H, a history of the Jewsh in North Africa, Vii second revised, édition translated the Hebrew, leaden, 1981, p05.

² - الحلحة هي نصوص تشريعية من التلموذ (كتاب مقدس عند اليهود يحتوي على هوامش وشروح للديانة اليهودية حوّله اسحاق برشيش برفت إلى نظام تشريعي يهودي سنة 1421) (الممارسات الدينية اليومية) وهو مجموعة من القوانين تطبق على مختلف الجاليات اليهودية خارج الإطار المحلي وشرع في تطبيقه سنة 1394 وهي عكس Haskhama التي هي قوانين جهوية محلية.

ذكرها Robert Brunschvig في كتابه " تاريخ افريقيا في العهد الحفصي على أنها قضية غريبة التفاصيل جرت في قسنطينة في عهد الحاخام" برفت" الذي حاول تقويم السلوك الأخلاقي في الطائفة وذلك بمحاربة الوشاة والنمامين التي لطالما بثت الانقسامات داخل الطائفة اليهودية التي كان أحبارها يسعون دائما إلى إحلال الوحدة باعتبارها أساس الاستمرارية في المنظومة العبرية.

وتجاوزا للأمر أصدر برفت أمرا للأحبار القائمين على أداء الصلوات بإدماج لعنة النمامين في إحدى الصلوات اليومية الرئيسية، كأسلوب جديد لمواجهة هذه الفتنة، وفي نفس الوقت تقريبا شعر يهود تونس بالحاجة إلى أن يطلبوا من الحاخام برفت النص الكامل للقرار الصادر ضد النمامين، والجدير بالذكر أن الإجراء الذي اتخذه يهود قسنطينة لا يكتسي أي صبغة عدوانية اتجاه أحد¹، لكن على ما يبدو فإن الأمر لم يرض بعض من نوي النوايا السيئة، الذي أسرع إلى إعلام والي الولاية بدعوى أن المقصود بذلك الإجراء هو شيخ اليهود المدعو " مخلوف" وحرصا على صلاحية القرار عمد أحد القضاة لتطبيقه بحذافيره، إذ يعتبر نفسه ملزما بالحكم أمام والي الولاية بدفع غرامة إلى الحاكم، في حين أمر والي الولاية بتوقيف الأعيان.²

نتج عن هذه الحادثة عدة خلافات داخلية تضررت منها الطائفة اليهودية تضررا كبيرا، خاصة وأنها زادت من حجم الانقسامات بين اليهود التي سعى الأحبار لتجاوزها بطريقة أو بأخرى، ويضيف Brunschvig أنه بعد بضعة أشهر وجه برفت من مقر إقامته بالجزائر توصيات معتدلة حيث وبخ في آن واحد الواشي والقاضي المتشدد أكثر من اللازم، فاقترح عليه شيخ اليهود إرجاع السلم إلى نصابه، وذلك بإطلاق سراح الأعيان المساكين الموقوفين بسبب أحد أنصاره المتحمسين أكثر من اللازم وتقديم تعويضات لهم.³

¹- Brunschvig, op.cit, p418.

² - Ibid.

³ - Ibid.

ورغم أن النزاع مرّ بسلام إلى أنه يظهر لنا شقين مختلفين متنافسين داخل مجموعة واحدة، وهما شيخ اليهود المدعوم من السلطة المركزية، والأعيان المؤيدين من طرف الحاخام الأكبر الذي كان يسعى للسيطرة على اليهود دينيا ودينيويا.

هذه الحادثة البسيطة توضح لنا سلطتين مختلفتين على رأس الطائفة اليهودية هما مقدم اليهود صاحب الصلاحيات الواسعة على الطائفة والحبر الأكبر الذي عمل جاهدا لتوحيد اليهود تحت رايته، حيث ركزت الحادثة على الوجهين شيخ اليهود "مخلوف" بقسنطينة و الحاخام برفت الذي تبدو سلطته ذات نطاق واسع في التأثير على اليهود.

إن نظام الحاخامية (الحلخة) الذي أوجده ريباش و راشباش كان يشكل نظاما مركزيا قائما بذاته يمتد نفوذه على مناطق عديدة في الإيالة سرعان ما تراجعت فاعليته أمام النظام التقليدي المتمثل في نظام المقدم الذي سجل حيّزا كبيرا في تسيير شؤون الطائفة خلال العهد العثماني.

أولا: النظام الطائفي

عرفت الطائفة اليهودية بالجزائر تنظيمات جديدة على المستوى الديني والاجتماعي، الاقتصادية وحتى السياسي بفضل اليهود الميغورشم الذين حاولوا تأطير الحياة الاجتماعية والدينية الداخلية للجماعات اليهودية المحلية (التوشابيم) التي كانت تعيش على شكل تجمعات مستقلة عن بعضها البعض وفق تعاليم اليهودية الصحيحة وساعدهم في ذلك تفوقهم الثقافي (الديني، العلمي) نظرا لتأثرهم بالتجربة الحضارية للأندلس ، حيث تولى الحاخامات مهمة إنشاء القواعد الأساسية للتنظيم الداخلي للطائفة اليهودية بمختلف مدن ومناطق الإيالة.

ولعل هدف اليهود الميغورشم من هذه الإجراءات هو تنظيم وتحسين الأحوال الاجتماعية والثقافية وتقنين أطر المعاملات ووضع أسس¹ المبادلات الاقتصادية والتجارية للجماعات اليهودية المحلية لتسهيل عملية التنسيق والتواصل بينها وبين الفئات اليهودية الأخرى في باقي المناطق حتى الجاليات اليهودية بالمشرق والعالم.

¹ - نجوى طوبال ، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، الجزائر: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، 2008، ص 197.

وبحلول القرن الخامس عشر أصبح يمثل معظم الجماعات اليهودية بالجزائر حاخامات الميغورشيم تتمتع بسلطة روحية في إدارة واسعة، فمثلا بمدينة الجزائر نجد الحاخام اسحاق برشيش برفت، وبوهران سيمون بن سماح دوران الذي ترأس اليهود بعد وفاة اسحاق برشيش برفت، وبقسنطينة عمران بن مرواسي الفراني وبالمدينة يوسف بن منير وميمون بن سعدية نجار، وبجاية أبراهام بن حقون، وبهين فنجد الحاخامات بن عمار، وموشي قباي.¹

والجدير بالذكر أنه كان لهؤلاء الحاخامات فضلا كبيرا في وضع اللبنة الأولى لمجتمع يهودي متماسك نسبيا، خاصة أن اليهود بالجزائر لم يشكلوا كتلة بشرية متماسكة لها رؤية وأسلوب حياة مشترك²، بقدر ما كوّنوا جماعات يهودية متفرقة دون روابط حقيقية بينها من جهة، والصراعات الداخلية بين الفئات اليهودية (التوشابيم والميغورشيم) وكذلك النزاع المطلق داخل المجموعة نفسها، فعلى التنبيه أن الميغورشيم كانوا على خلاف كبير فيما بينهم، ذلك لأن السفارد كانوا يعتبرون الإشكينااز أدنى منهم مستوى مما أدى إلى تذبذب فاعلية مشروع توحيد اليهود الذي وضع أسسه الحاخام اسحاق برشيش منذ 1394، كذلك الصراع المتجدد بين النظام التقليدي (المقدم) والنظام الجديد (لحاخام) والذي انتهى في الكثير من الأحيان بأزمات حادة تضرر منها اليهود بشكل كبير.

أ- المقدم:

تذكر جل المصادر التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية إن الطائفة اليهودية كان يترأسها المقدم أو الشيخ أو الناجد الذي كان صاحبه يمثل هيئة الاتصال بين السلطة الرسمية والطائفة، وغالبا ما يتم تعيين مقدم الجالية اليهودية من طرف الداى أو الباى³، ويختاره على أساس غير محدد ويكون عادة من الأغنياء فمقياس الثروة يعتبر أهم المعايير الواجب توفرها في الشخص المخوّل لتمثيل هذا المنصب الهام، فمقدم اليهود يعرف كيف يكسب ود

¹ - المرجع نفسه، ص 198.

² - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 43.

³-Bernard caporal, Oran capital du Beylik de l'ouest(1722-1831), Alger :édition Alpha,pp 212- p226.

الخلية الحاكمة (دايات- بايات- بشوات) بخدماته الاستخباراتية، والهدايا الثمينة¹، وغالبا ما يضطلع هذا المقدم بمنصب مرموق كمستشار خاص أو رجل دولة أو سفير²، وهذا ما يؤكد وليام شالر في قوله : "ومنصب رئيس الطائفة اليهودية ، إنما يحصل عليه صاحبه بالرشوة والتآمر، وهو يمارس وظيفته بقمع يساوي ما ينفقه من المال والجهد للاحتفاظ به"³ وهو يمارس وظيفته بجور واستبداد، وكان تحت تصرفه شرطة المدينة التي كانت تعاقب وتقمع وتحبس الخارجين عن طاعته وحتى من لم يرق له، خاصة أنه كان يملك سجنا في مسكنه..."⁴

لذلك لم يك المقدم في مأمن دائم على منصبه فغالبا ما كانت تحدث مؤامرات للإطاحة به من طرف خصومه لخلعه، وذلك كان يتم بالتواطؤ مع أعلى هيئة رسمية في حكومة الإيالة (الداوي- الباوي) الذين ينصبون شخصا آخر مكانه، ربما يكون قد دفع أكثر لشراء هذا المنصب، أو لفق له مجموعة من الاتهامات عند الداوي، والذي عادة ما يكون من ألد أعدائه، لذلك تحلت أغلب الشخصيات اليهودية التي تولت هذا المنصب بالحيلة والحذر من كل المحيطين بهم⁵، مما أدى إلى تفشي ظاهرة الانتهازية والتدهور الأخلاقي لرؤساء الطائفة اليهودية مع نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 وحسب André Chouraqui المقدم يشرف على إدارة أمور الطائفة اليهودية بجميع مستوياتها والتي يمكن تحديدها فيما يلي :

- الدينية

- العمل على تطبيق التعاليم الاسرائيلية الصحيحة حسب التشريع اليهودي.
- الإشراف على ممارسة الطقوس الدينية منها صلوات اليهود يوم السبت، وتراتيل التلموذ حسب الطريقة العبرية داخل المعبد.

- السياسية

¹-Cohen, op.cit, p 171.

² - Haim Zafarani, les juifs d'andalousie et du Maghreb, op.cit, p 254.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 91.

⁴ - Cohen, op-cit, p171.

⁵ - Cohen, op-cit, p171.

- تمثيل الرعايا اليهود أمام حكام¹ الدول المشرفة على إقامة هذه الطائفة .
- الدفاع عن حقوق ومصالح اليهود أمام الهيئات الرسمية فهو يعد حلقة وصل بين اليهود والسلطة الحاكمة.

- الاجتماعية:

- تسيير الأعمال والنشاطات الخيرية (ختان المواليد الجدد في يومهم الثامن حسب العادة اليهودية، دفن الموتى، تسيير المقبرة).
- التكفل بالشؤون الاجتماعية للطائفة (تنظيم مراسيم الزواج، تحضير القرابين بالمذابح حسب الطريقة اليهودية الشرعية).
- الفصل في مختلف النزاعات الداخلية في المحكمة الحاخامية.

- الثقافية

- تسيير المؤسسات التعليمية (الإشراف على نفقات التدريس والمدارس).
- تعليم اللغة العبرية وتاريخ العهد القديم (L'ancien testament²) للأطفال.

- الاقتصادية

- جمع الجزية بصفة منتظمة وتقديمها لحكومة الإيالة، وكذلك الغرامات والضرائب الاستثنائية التي تفرض على اليهود.
- تسيير الشؤون التجارية والمالية اليهودية بصورة منتظمة عن طريق إنشاء مجلس التجار Conseil des Marchands للفصل في النزاعات التجارية والتجاوزات المحلية فأغلب الحاخامات كانوا تجارا.

فالمقدم هو بمثابة مؤسسة إدارية واجتماعية ودينية³ قائمة بذاتها عكفت على تكوين مجتمع يهودي منغلق للحيلولة دون تدخل الهيئات الاجتماعية الأخرى فيه لترسيخ فكرة وحدة اليهود، كما أدى اللاتوازن بين حساسية المنصب وسوء استخدام الصلاحيات إلى

¹ - كان للرؤساء المحليين اليهود مكانة في الهيئات الرسمية للدولة العثمانية، فقد اعتبروا موظفين رسميين بها، وخضعوا بدورهم إلى سلطة الحاخام باشي وهو ممثل جميع اليهود المقيمين بالدولة العثمانية.

² - فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص 211.

³ - Andrée Chouraqui, op.cit, p143.

توريط العديد من الحاخامات في أزمت سياسية واقتصادية انتهت في الكثير من الأحيان إلى إحداث نقمة شعبية معادية لليهود ولعل حادثة نפטالي " بوجناح"¹ دليل واضح على حساسية هذا المنصب.

تذكر أغلب المصادر التاريخية المحلية وحتى الأجنبية عن وجود علاقات مشبوهة بين أعلى هيئة رسمية في الإيالة وبعض أعيان اليهود كالعلاقة التي جمعت بين الداي مصطفى الوزناجي (1798-1805) واليهودي نפטالي بوجناح الذي عكف على اكتساب ودّ الداي من خلال تزويده بأخبار الإيالة ولتحركات الرعية فيها، بفضل عيونه التي كانت منتشرة في كل أنحاء الإيالة، وتزويده بالمعلومات السياسية والاجتماعية حولها وهو بدوره ينقلها إلى الداي، ولعل هذا الأمر هو ما جعل الداي مصطفى الوزناجي يعينه مقدما للطائفة اليهودية في 03 فيفري 1800م، بعد أن أقال المقدم أبراهام بوشعرة (1768-1800) من منصب الحاخامية سنة 1800، الذي شغله مدة اثنان وثلاثون سنة، بتحريض من نפטالي بوجناح الذي أوهم الداي أن أبراهام بوشعرة يؤيد فكرة الانقلاب السياسي.² والعسكري على الداي حيث سارع هذا الأخير إلى اتخاذ إجراءات ردعية صارمة ضد أبراهام بوشعرة، والحقيقة أن الداي لم يعزل بوشعرة من منصبه لأنه شكّل تهديدا صريحا للدّاي وإنما رضوخا لمطالب نפטالي بوجناح صاحب الفضل عليه.

بمجرد أن استلم نפטالي منصبه الجديد بدأ يستغل نفوذه في السيطرة على الطائفة اليهودية، والعمل على تقويض نفوذ منافسيه من عائلات الميغورشم وتجريدها من جميع امتيازاتها الدينية والمادية نظرا للوشايات والاتهامات الموجهة إليها خاصة أن الداي مصطفى ما كان ليرفض لنפטالي طلبا مهما كلفه الأمر وهذا ما زاد من هيمنته على

¹ - هو من أهم العائلات اليهودية الليفورنية التي استقرت بالجزائر سنة 1720، بعد أن تنقل بين مدينة ليفورن وماهون ومنها توجه إلى الجزائر لتوسيع دائرة أعماله التجارية، عرف فرع هذه العائلة المستقر بمدينة الجزائر بـ" بوجناح" ومعناه الشخص الذي يرتدي قميصا بأكمام عريضة، هذا حسب ما جاء في كتاب

Hamet.I, Les juifs du nord de L'afrique,(Noms et surnoms) paris 1981p,p4-34.

² - عرفت فترة حكم الداي مصطفى الوزناجي (1798-1805) مجموعة من الاضطرابات والقلقل الداخلية والخارجية ولعل أبرزها الثورات الداخلية التي تزعمها أصحاب الطرق الدينية ضد الداي منها ثورة الدرقاوية ، ثورة ابن الأحرش، الثورة التيجانية.

الأوضاع السياسية والاقتصادية للإيالة حتى لقب " بملك الجزائر " لحظوته الكبيرة¹ لدى الداوي والديوان نظرا لسيطرته على مقاليد الحكم في الإيالة² في ظل صمت وخوف محلي كبير، مما أثار حافطة احد الجنود الانكشارية الذين تراجع هيبته وامتيازاتهم بسبب تحكم نפטالي بوجناح في قرارات الداوي الأمر الذي أدى إلى اغتيال اليهودي نפטالي³ بوجناح من طرف أحد الجنود يدعى يحيى يوم الجمعة عقب الصلاة⁴ الموافق لـ 28 جوان 1805م، ونشوب فوضى داخلية عارمة استمرت خمسة أيام انتهت بمقتل الداوي مصطفى الوزناجي في 05 جمادى الثانية⁵ 1222 هـ المصادف لـ 04 جويلية 1805، وتتصب احمد خوجة باشا (1805-1808) دايا على الجزائر، الذي عين يوسف بكري Joseph Bacri رئيسا للطائفة اليهودية خلفا لنפטالي بوجناح ، غير أن الخلافات المالية بين الداوي أحمد باشا والزعيم اليهودي الجديد أدت إلى اعتقال هذا الأخير وسجنه بالمزور بالميناء القديم لمدينة الجزائر ، حيث كان ينام مع العبيد ليلا ويشغل في محجرة باب الوادي نهرا، فاستغلت عائلة بن دوران الوضع لتتقرب من الداوي ويصبح دافيد دوران رئيسا للطائفة غير أنه بعد فترة وجيزة أخذت العلاقة تتحسن بين أحمد باشا وعائلة بكري تكألت بإطلاق سراح يوسف بكري ودافيد بكري والعديد من أقاربهما المعتقلين، و أغلب الظن أن يوسف بكري يكون قد

1- تذكر المصادر التاريخية أن مصطفى الوزناجي كان نكرة في حكومة الإيالة، إذ اشتغل كناسا بالديوان قبل أن تجتمع علاقة وثيقة مع اليهودي نפטالي الذي كان يزوده بتفاصيل الديوان حيث توسط له لدى معارفه من الدايات ورفع من مرتبة كناس إلى وزارة المالية ثم عين بايا على التيطري 1773 ، ثم عزل سنة 1792 وسعى له نפטالي وبكري لدى الداوي من أجل تعيينه بايا على قسنطينة، وبالفعل تم تعيينه بايا على بايلك قسنطينة 1794 في عهد الداوي بابا حسن (اوحسان باشا) (1791-1798) ، حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر : الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص 159.

2 - سنتطرق بالتفصيل إلى قضية نפטالي بوجناح بالإيالة في الفصل الثالث.

3 - ذكر Hirshberg في كتابه " A history of the jews in north Africa p 36-37 " انه جاء في حصاد الأمم " وهو مؤلف جماعي للحاخامات اليهود من أصدقاء نפטالي " يوم تعيس و كئيب ذلك اليوم الذي أطفأت فيه شمعة بني =اسرائيل المضيئة، اليوم الذي حطم فيه صمود شعب الله المختار، لقد حطمت الركيزة التي التف حولها كل اليهود المؤمنين المنفيين في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب، نפטالي أيها المؤمن الفقير، الرجل المتواضع الذي أرتتك النساء وبكت عليه بحرقة... أصبحت من بعدك كالسفينة بلا ربان، كنت التاج المزين لرؤوسنا، سيبقى اسمك محفوظا بين أبناء اليهود ولأجيال طويلة ، لم يك أحد في طبيبك وإحسانك، ولن ينال أحد من اليهود من بعدك ما كان لك من المجد والعظمة لقد قتلت بسهم الغدر وأنت جالس في أمان ، زحفت إلى منزلك وأنت مخضب بالدماء، ووجهك مخضر من الألم...تشتت من بعدك شعب اسرائيل لقد قتلوا واحرقوا وسلبت أموالهم وذهبت ثروتهم وفقدوا كل نفيس...".

إن هذا الرثاء في حقيقة الأمر ما هو إلا رثاء الحاخامات اليهود لفقدان هيبته وامتيازاتهم التي سخرها لهم نפטالي بوجناح وليس رثاء لشخصه، فالصراع كان كبيرا بين الحاخامات حول المنصب بمختلف طبقاتهم وانتماءاتهم .

4 - أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج الشريف الزهار ، نقيب أشرف الجزائر، تقديم وتحقيق احمد توفيق المدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1980، ص 88.

5 - المصدر نفسه، ص 89.

استرضى الداى بمبلغ مالي معتبر ، أو هدية قيمة فالمناصب الحساسة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تباع وتشتري قياسا بشخصية الداى وجشعه، غير أن هذا الإجراء أثار مخاوف بن دوران الذي عمد إلى الوشاية بمنافسه حتى يتخلص منه نهائيا، ونجح في ذلك حيث سجن بكري رفقة صديقه موسى عمّار في 4 ماي 1806، غير أن تفاقم المشاكل الداخليّة لليهود و تجاوزات دافيد بن دوران أضعفت من حظوظ بقائه على رأس الطائفة اليهودية حيث اضطر الداى إلى عزله وتعويضه بـ بن تيبى (Ben Tibi) أو بن ثابت في 20 جويلية 1806م قبل أن يعود دافيد بكري في 10 نوفمبر 1806 لرئاسة الطائفة بعد إطلاق سراحه وانتهاء الخلاف بينه وبين الداى أحمد باشا غير أن دافيد دوران لم يتقبل الوضع بسهولة ووشى به مرة أخرى لدى الداى الحاج علي (1809-1815م)¹ متهما إياه بالتآمر على الدّاي مع السلطان العثماني، مستغلا القلاقل الداخليّة للجزائر المتمثلة في ثورة الدرقاوية² وأشرف القبائل والأزمات الخارجية خاصة حرب الجزائر مع تونس 1810م وخلاف الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك مع فرنسا.

فقرر الداى علي إعدام دافيد بكري وتم تنفيذ الحكم عليه في 04 فيفري 1811.

غير أن الظروف لم تك في صالح دافيد دوران الذي رأى الداى فيه مانورا خطيرا، فأعدمه في 19 أكتوبر 1811³ وأعاد عائلة بكري على رأس الطائفة، حيث أوكل جوزيف كوهين بكري منصب الحاخامية، إلا أنه عزله بعد فترة وجيزة لأسباب غامضة، ونفاه إلى مدينة ليفورن وتولى رئاسة الطائفة من بعده " يعقوب بكري"، ومن أبرز ما جاء في مذكرات أبراهام بلوخ هو تآمر يعقوب بكري مع الداى الحاج علي ضد أخيه جوزيف بكري من أجل المنصب، ومنذ هذه الحادثة احتفظت عائلة بكري بمنصب الحاخامية إلى غاية الاحتلال الفرنسي واستمرت في هذا المنصب لعدة سنوات بعد سنة 1830م.

¹ - المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 57.

² - الثورة الدرقاوية ترجع هذه الطريقة من الناحية المذهبية إلى مؤسسها الحقيقي أبو الحسن مولاي علي بن عبد الرحمن الجمال الفاسي المتوفي سنة 1823 في زاويته ببوبريج وهي قبيلة بن زروال شمال مدينة فاس، ويعود انتشارها بالجزائر إلى تلميذه مولاي عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، الذي ثار ضد السياسة العثمانية بالجزائر سنة 1802 وهذا حسب ما ذكره :

Monet(E), les confréries religieuses de l'Islam marocain, leur rôle religieuse- politique, sociale in R.H.R, tome 45, année 1992, p116.

³ - Hirschberg (H) ,op-cit ,pp28-29.

إن هذه الحادثة تعطينا صورة واضحة وحقيقية عن الصراعات الداخلية للطائفة اليهودية والنزاع الحاد حول رئاسة الطائفة بين اليهود الميغورشيم، و يهود ليفورن الذي جمع بين ثناياه مختلف أشكال الحرب الخفية من أجل إقصاء اليهود الميغورشيم من الواجهة الدينية والسياسية للطائفة العبرية، ولم ينته الأمر عند هذا الفصل، فسرعان ما تولد الصراع من جديد بين وجهاء يهود ليفورن حول تسيير المؤسسة الدينية والاجتماعية لليهود و أبرز مثال على هذا التنافس تجسد سنة (1805-1808م) بين عائلة بكري وبن دوران حول رئاسة الطائفة في عهد أحمد بن علي باشا والداي الحاج علي كما ذكرنا آنفا.

حيث أدت الوشاية والمؤامرة دورا كبيرا في تصفية الخصوم، والغريب في الأمر أن النزاع الطائفي حول المنصب تولد ضمن الأسرة الواحدة، إذ أجمعت المصادر على أن يعقوب بكري سعى جاهدا للتخلص¹ من أخوه جوزيف بكري حتى يتولى رئاسة الطائفة سنة 1816م، فكثيرا ما تغلب المصالح التجارية والنزعة المادية لدى اليهود ظرفيا، على الرابطة الروحية والعائلية، والمبادئ التضامنية الدينية اليهودية في مثل هذه الصراعات اكتست في اغلب الأحيان طابعا اجتماعيا اقتصاديا في إطار عرقي ثقافي، علما أن مراكز القوى السياسية الاقتصادية الاجتماعية اليهودية ومجموعات المصالح المتناقضة كانت منظمة ومهيكله حول الانتماءات الثقافية – العرقية سواء كان الانتماء للجزائر (التوشابيم) أو لاسبانيا (الميغورشيم) أو لاطاليا (ليفورن) أو لتركيا²... الخ، فالمصلحة الشخصية لليهود جعلتهم ينسون دينهم وكل الاعتبارات الإنسانية الأخرى³.

كما تبين مدى فساد إدارة حكومة الايالة فبدلا من اهتمام الحكام بشؤون النيابة الداخلية وتحسين العلاقات الخارجية ، انجرفوا ضمن تيار ديني وسياسي عبري لا يعنيتهم ساهم بطريقة أو بأخرى في تقهقر أوضاع الجزائر وتهيئة الظروف لاحتلالها، كما توضح

¹ - ذكر Hirschberg أن يعقوب بكري شكل وفدا يتألف من أعيان اليهود يرأسه الحاخام إسحاق أبو الخير مثل أمام الداوي عمر باشا (1815-1817م) وقدم شكوى ضد جوزيف بكري مفادها أن هذا الأخير تأمر مع القناصل الأوربيين (الانجليز) ضد الداوي ، بعد هذه الوشاية عزل جوزيف بكري من منصبه ونفي إلى مدينة ليفورن وقضى بها بقية حياته فقيرا معدما بعد أن جرد من كل ممتلكاته وتخلي أقاربه و أصدقائه عنه .

Hirschberg, a histoty of the Jews,p43.

² - Robert, Hayoun, Bernard cohen ; op.cit, p 84.

³ - جيمس لندر كاتكارت ، المصدر السابق ،ص183.

القاعدة الأساسية التي كان يقوم عليها الحكم العثماني بالجزائر الذي قوامه المادة ومرجعيتها الأخلاقية فأى تشريع سياسي وقانوني هذا الذي يختزل الشعب من الواجهة العامة لبلاده ويعطي الأولوية للدخلاء من اليهود للتصرف في شؤونها بل واللهو والعبث بمصيرها.

ب- مجلس الطائفة :

يعتبر مجلس الطائفة من أهم أسس الأصول التنظيمية للجماعات اليهودية ويطلق عليه اسم Labéhair وهو يشكل النواة المركزية في تسيير شؤون الطائفة، ويتألف هذا المجلس من الرئيس Nagid وأربعة إداريين Tobe hair¹ وأربعة مسؤولين عن الشؤون المالية Gezbarim وثلاثة قضاة Dayyanim وغالبا ما يتكون هذا المجلس الاستشاري من الحاخامات الذين اجتمعت لديهم المكانة الدينية والاجتماعية والثقافية وبالتالي يمكن اعتبار هذا المجلس الطائفي اليهودي كتكتل أرستقراطي ديني يتولى الإشراف وإدارة شؤون اليهود الدينية والدينيوية، ويقوم اثنان من ضمن أعضاء المجلس بالحلول محل المقدم والقيام بمهامه كل شهر بالتداول ويسمى كل منهما مقدم الشهر.²

ج- التنظيم الداخلي للطائفة :

1- مقدا الشهر³:

يتولى هذه الوظيفة عضوان من أعضاء مجلس الطائفة كل شهر ، قبل انعقاد المجلس الطائفي الشهري⁴، وتتخلص مهامهما في تسيير شؤون الطائفة الجارية المعتادة والقضايا المستعجلة غير أنه لم تكن لهما أية حرية في اتخاذ القرارات وإنما الطاعة وتنفيذ الأوامر دون اعتراض ونقاش.

يتم اختيار مقدا الشهر بناء على شروط دينية ومادية ، وقد كان هذا التقليد متداولاً في جميع بيالك الإيالة، وفي المثال الآتي نذكر بعض أسماء مقدي الشهر في مدينة الجزائر كنموذج واقعي حسب ما ورد في وثائق المحاكم الشرعية.

¹ - Meyer Waxman, Introduction a la vie juive, paris : edition Rombaldi , p35.

² - Cohen, op.cit, p 172.

³ - Hershberg, op.cit,p p6-8.

⁴ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 216.

يعقوب بن ابراهيم- 1756م – 1763م – 1782م :

وعلى ما يبدو فإن هذا المقدم قد احتفظ بمنصب مقدم الشهر لمدة طويلة ربما هذا راجع لمكانته العائلية او لعلاقته الودية مع عائلة بوشعرة التي توارثت رئاسة الطائفة من 1756م – 1800م. ضف إلى ذلك التضامن الروحي والاجتماعي الذي تميزت به فئة الميغورشيم مع بعضها البعض.

وهذا حسب ما استقصيناه من بعض ما ورد في وثائق المحاكم الشرعية حول المعلم يعقوب إبراهيم بن إبراهيم المدعو عقبيات وعلى ما يبدو فإن هذا المقدم كان من أغنى أفراد يهود الميغورشيم من خلال ثبوت عقود ملكية خاصة به في وثائق المحاكم الشرعية ".....ويشهد على عقد الملكية هذا المعلم يعقوب بن إبراهيم"¹.

وجاء في عقد آخر "....يملك دويرة بالسوق الكبير المجاورة من إحدى جهاتها لدار العربي ومن الجهة الأخرى لزقاق هناك ، ومن الجهتين الباقيتين لمحلات تفصل بينهما السوق الكبير ، عادت إليه بالابتياح الصحيح والتمن المقبوض..."²

جلاد بن معطي 1782-1799:

وهو ينتمي لنفس الفئة بحكم احتفاظه بمنصبه قرابة سبعة عشر سنة ولعل ما أهله لذلك هو مركزه الاجتماعي والمالي حيث ذكرت بعض العقود حيازة جلاد بن معطي على بعض الأملاك والعقارات سنة 1782"....اجتمع لجلاد بن معطي ثلاثة أثمان إحدى الدور الواقعة بسوق الحاشية المجاورة لدار حنون من جهة ولعلوي شمويل بن معطي من جهة أخرى وقد كانت تعرف في القديم بدار معطي ، آلت إليه بعضها بالشراء الصحيح، وبعضها الآخر بالإرث عن والده وبعضها بالهبة..."³.

يوسف بن يعقوب 1825-1826 :

¹ - م.ش.ع (28) .

² - م.ش.ع (28) .

³ - م.ش.ع (19) 41 .

يؤكد ذكر هذا المقدم على إقصاء فئة الميغورشيم من رئاسة الطائفة والسيطرة عليها من قبل يهود ليفورن الذين سجلوا حضورهم على الواجهة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية بالإيالة ومثلت هذه الفئة مع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19 عائلة بكري ومن المرجح أن يوسف بن يعقوب هو ابن الحاخام يعقوب بكري، ولعل ما يؤكد الأمر هو بيان مصادرة الـداي حسين (1818م – 1830م)¹ لأملاك يوسف بن يعقوب حسب ما ورد في الوثيقة الآتية " ...الحمد لله بعد أن استقر على ملك النمي يوسف بن يعقوب مقدم طائفة اليهود كما ذكر في الرسم أعلاه تملك جميع المذكورة معه المشار إليه وكما استقر على ملكه أيضا الجنة المجاورة للجنة المذكورة التي ابتاعها من المكرم محمد العجمي بن محمد كما تجي (غير واضح) في رسم غير هذا...بتاريخ أواخر شعبان المبارك عام أحد وأربعين² ومائتين وألف.

وقف عليه شهيداه...وقد ترتب على النمي يوسف المذكور ديونا لأناس شتى...بسبب الديون³ المذكورة أمر المعظم الأرفع الهمام فخر السلاطين العظام السيد حسين باشا في التاريخ أيده الله النمي يوسف مقدم طائفة اليهود في التاريخ ببيع جميع ما على ملكه فنودي عليها وكانت الرغبة الزيادة عليها...إلى أن وقعت على المكرم السيد حسن الانجشاري بما قدره ثلاثة آلاف ريال ومائتا ريال اثنتان... قبض البايع المذكور من المبتاع المسطور جميع العدد...عرفه بتاريخ عام اثنين وأربعون ومائتين وألف من هجرته عليه الصلاة والسلام"⁴.

إن وثيقة المصادرة الواردة اعلاه توضح ما يلي:

1- محاولة الـداي حسين تحصيل الديون على شركة بكري وبوشناق الذي يعد يوسف بن يعقوب أحد مالكيها لبعض الخواص بالجزائر حتى يقضي على الاحتقان الشعبي

1 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 59.

2 - الموافق 1825م.

3 - سنتعرض لقضية ديون بكري و بوشناق بالتفصيل في الفصل الثالث الخاص بالجانب الاقتصادي لليهود.

4 - م.ش.ع: 41 (29).

الداخلي الذي أخذ يطالب بمستحقته على بكرى من الداى الذى استلم اعتراف¹ صريح من عائلة بكرى وبوشناق بإرجاع الديون لخزينة الجزائر.

2- سعى الداى حسين إلى تقليص حجم ممتلكات اليهود بالإيالة نظرا لتجاوزاتهم الاقتصادية (سيطرتهم على مقاليد التجارة الداخلية والخارجية) و جعلها موازية أو قليلة أمام ممتلكات الأهالي.

3- إن وثيقة المصادرة تأكيد صريح لعمق الصراعات الداخلية بين أعضاء الطائفة والتي كثيرا ما كانت تؤدي إما للتصفية الجسدية أو النفي وأحيانا تصفية الأملاك وتحديد مستوى الحالة الاجتماعية.

كما يشرف أعضاء مجلس الطائفة على موظفين تابعين منهم

2 - الجزبار (le Guizbar)

يمنح هذا اللقب كل سنة إلى أربعة من اليهود الأغنياء الذين ينحدرون من عائلات عريقة وثرية تتعلق مهامهم أساسا بالإشراف على أماكن العبادة وتوزيع الألقاب الدينية، وتحصيل وحساب الضرائب ، وجمع التبرعات وتوزيعها على فقراء اليهود، وفي حالة عدم توفر المبلغ الكافي لإعانة هذه الفئة المعوزة من صندوق الطائفة ، يقومون بتغطية الفرق من أموالهم الخاصة، وقد يصل أحيانا المبلغ الذي يدفعه كل جزبار إلى ثلاثة آلاف ريال ، بالمقابل يحصلون على لقب Hayyakav وهو أحد الألقاب الدينية الشريفة مدى الحياة ، ومن مسؤولياتهم الإشراف على حفظ الأمن والنظام في البيعة عند انعقاد مجلس الطائفة.²

وحسب Cohen فإن مبالغ التبرعات التي كان يدفعها الجزباريم Gezbarim كانت في الحقيقة حفاظا على مناصبهم وشراء الألقاب الشرفية³ قبل أن تكون نمونجا للتكافل الاجتماعي اليهودي.

¹ أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق، ص 60.

² - Cohen ,op.cit p122.

³ - Ibid , p172 .

3- الجباي (Le Gabai):

هي من الوظائف ذات الألقاب الشرفية يتولاها أربعة أفراد كل سنة والجباي هو المسؤول عن توفير ما يستحقه أفراد الطائفة لدفن موتاهم، ويقوم بمتابعة مراسيم الجنازة حسب ما تقتضيه التعاليم الدينية اليهودية من بيت المتوفى حتى الوصول إلى باب المقبرة، بالإضافة إلى تحمل مصاريف دفن الفقراء من اليهود.¹

4- الشابر (Le chaber):

يترأس مراسيم الدفن منذ دخول جثة الميت إلى المقبرة² حتى توارى التراب، يساعده في مهمته أربعة أشخاص يقومون بأعباء أخرى كتنظيم حفلات الزواج ومرافقة العروس اليهودية إلى منزل زوجها³ والذي يمنح بموجبه لقباً شرفياً. والملاحظ أن وظيفة الشابر هي من أدنى الوظائف في مجلس الطائفة اليهودية إذ على صاحبها التدرج في الوظائف ليصل إلى مهام الجزبار أخيراً.

5- شرطة الطائفة:

هي جهاز امني داخلي بمجلس الطائفة استحدثه المقدم بحجة الحفاظ على الأمن والانضباط داخل المجتمع اليهودي، وكانت هذه الشرطة تخضع لسلطة المقدم مباشرة. تمثلت مهمة الشرطة أساساً في فرض سيطرة المقدم على الطائفة اليهودية من خلال:

- المراقبة الشديدة لعبادات اليهود، فأى مخالفة للتعاليم الدينية التوراتية أو التخلف عن الطقوس العبرية كل سبت يعاقب صاحبها حسب قرارات المحاكم الحاخامية.
- الحفاظ على الأمن والانضباط في المجتمع اليهودي، من خلال تقديم تقارير يومية مفصلة عن أهل الطائفة اليهودية في مجال العبادات والمعاملات.

¹ - Mainz.E, les juifs d'Alger sous la domination turque, J.A,N 240,1952 , p207.

² Cohen, op.cit ; p175.

³ - Ibid, p175.

– جمع التبرعات والغرامات المفروضة على اليهود.

– القبض على المتهمين والجناة من اليهود وتقديمهم للمحكمة الحاخامية.

من خلال ما سبق نرى أن جهاز الشرطة شكل في حقيقة الأمر عيوننا خاصة بالمقدم يضطلع بها على أمور الطائفة اليهودية وكل ما يحدث في المدينة¹.

6- المحكمة الحاخامية

شكل اليهود نسيجاً اجتماعياً قائماً بذاته في إيالة الجزائر لذا كان لزاماً عليه خلق جهاز قضائي للبحث في الأمور المختلفة والفصل في النزاعات المتعددة خاصة أنه لم يكن هناك أي تشريع من الحكومة العثمانية يلزم اليهود برفع قضاياهم إلى محاكم معينة.

فظهرت المحاكم الحاخامية للإشراف على قضايا اليهود العادية والجنائية، وهي عبارة عن تكتل ديني عبري يتألف من مجموعة من الحاخامات الذين شكلوا هيئة إدارية شبه مستقلة عن المقدم نظراً لنفوذهم الديني والثقافي والاجتماعي، حيث تمكنت هذه السلطة الرقابية من تقييد تجاوزات المقدم والحد من سلطته المطلقة².

كان من صلاحيات المحاكم الحاخامية الحكم في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والإرث والحقوق المدنية الأخرى، وتضطلع هذه المحاكم بأمور الطائفة الدينية و الفصل في المنزاعات الدينية كما اختصت بفرض بعض العقوبات مثل الغرامة و ومختلف درجات الجرم والجلد والسجن كما كان لها الحق في إصدار قرارات الطرد في حق أي شخص من الطائفة لسبب من الأسباب القانونية³.

¹ - Mainz, op.cit., p 208.

²- Cohen, op.cit., p 173.

³ - Haim Zafarani, « Les relations Judéo Musulmane dans la littérature juridique », in « les relations entre les juifs et musulmans en Afrique du Nord XIX^e- XX^e siècles », acte du colloque international de l'institut d'histoire des pays d'outre mer Abbaye de senanque, octobre 1979, Paris : éd. C.N.R.S, 1980, p 34.

تميزت السلطة القضائية لليهود بإجراءاتها التعسفية وبفسوة أحكامها وعقوباتها وببساطة مرافعاتها ومحاكماتها¹.

ويرى Mainz أن « السلطة القضائية في مدينة الجزائر كانت خاضعة للمقدم وكانت مطبقة بتفويض من المحكمة الحاخامية التي تتألف من ثلاثة قضاة، وتذمر اليهود كثيرا بحق أو بغير حق من تحييز وظلم المحاكم الحاخامية، وعلى أية حال فإن اليهود فضلوا في كثير من الأحيان أن يتوجهوا إلى المحاكم الإسلامية، غير أن بعضهم رأى ذلك عسيانا دينيا وخيانة»².

حسب رأي Mainz فإن عدم الاعتراف بمصادقية الأحكام القضائية اليهودية ما هو إلا دليل على خلل في الوحدة القضائية العبرية وعدم تناسق قوانينها التشريعية، حيث تميزت كل فئة إثنية في كل مدينة من مدن الإيالة بتشريعاتها القانونية الخاصة بها أهمها، تشريع وهران، وتشريع الميغورشم أو تشريع قشتالة الذي أدرجه اليهود الوافدين من الأندلس ضمن التشريع الديني والقانوني اليهودي إلى بعض المدن التي استقروا بها، وتشريع مدينة الجزائر³ الذي سنّ قواعده ووضع أسسه إسحاق برفت وسيمون بن سماش دوران وهو الأكثر شيوعا نظرا لجهود ريباش ورشباش في تعميمه على القضاء اليهودي بالجزائر، ضف إلى ذلك شريعة الحاخام إبراهيم عياش التي كتبها سنة 1740 والتي هي عبارة عن بعض الإضافات الدينية لشريعة إسحاق برفت.

ما تجدر الإشارة إليه أن المحاكم الحاخامية كانت تفصل في القضايا العادية كالخلافات والجنح... الخ، أما الجرائم والجنايات فكانت تحال إلى المحاكم الإسلامية، وفي هذا الصدد يقول وليام شالر: «... والقضاء الذي يعالج الجرائم من اختصاصات الباشا ووزرائه القتل والسرقعة وقطع الطريق، والإحراق بالعمد والخيانة والزنا، جرائم يعاقب عليها بالموت والتركي يخنق سراً إذا ارتكب جريمة سياسية، ولكنه إذا كان مرتكب هذه

¹ - Cohen, op.cit., p 178.

² - Mainz, op.cit., p 207.

³ - هو نظام قضائي ديني إسباني من اثني عشر مادة يدعى الحلخة، ويعرف أيضا بتكنوث Takanoth d'Alger، وهو مجموع فتاوى دينية عبرية للطائفة اليهودية، وضع أصوله إسحاق برفت، وسيمون بن سماش دوران حوالي القرن 14م، فرض هذا التشريع على اليهود بإيالة الجزائر ووصل تأثيره حتى إقليم توات بالصحراء.

الجريمة من الأهالي، فهو يشنق في ساحة عمومية أو يقطع رأسه وأوصاله، أو يلقي به من على سور مرتفع ويتلقفه خطاف حاد من الحديد، أثناء سقوطه ليعرف أشنع أنواع العذاب قبل أن يموت... ومتى كان المجرم يهودياً، فاما أن يقطع رأسه أو يشنق أو يحرق حياً...»¹. بناء على ما ذكره شالر فإن الإجراءات الجزائية (العقوبات) بالمحاكم العثمانية لم تكن في المستوى المطلوب مع غياب واضح للعدالة بين الرعايا العثمانيين العرب الأتراك، اليهود.

وعلى العموم، فإن المسائل الجنائية² عامة (كالقتل وقطع الطريق، والزنا والاعتداء على الدين الإسلامي والقضايا المتعلقة بالسياسة وأمن الدول والجنح والنزاعات العادية كانت من صلاحيات المحاكم الإسلامية العثمانية التي فصلت فيها وفق المبادئ الإسلامية وحسب الأحكام القرآنية، غير أن هذا لا ينفي التباين الواضح في تطبيق الأحكام القضائية حسب هوية الرعايا فإذا كان الجاني من العثمانيين (جندي انكشاري أو موظف في الحكومة) فإن تنفيذ الحكم عليه يكون منغلقة وسرياً والهدف من وراء هذه الإجراءات هو الحفاظ على شخصية الدولة العثمانية أمام رعاياها المسلمين أما إذا كان من العرب أو اليهود فتقع عليه عقوبة الشنق أو الصلب أو الرجم حتى الموت علنياً والغاية من هذه السياسة الترهيبية هو تحقيق الأمن والاستقرار وقمع التمرد والتجاوزات السياسية والأخلاقية، كما يمكن إرجاع ذلك إلى عدم التواصل الاجتماعي بين الحكام العثمانيين والفئات الاجتماعية الأخرى مما جعلت الطبيعة اللإنسانية تغلب على الأحكام الجزائية في المحاكم العثمانية.

ومثالاً على صرامة العقوبات ذكر Hirschberg أن المحكمة العثمانية بمدينة الجزائر أصدرت حكماً بالإعدام علناً في حق أحد اليهود وهو الحاخام مردخاي³ نربوني بسبب إهانته وشتمه للدين الإسلامي أثناء مشادة كلامية بينه وبين أحد جيرانه المسلمين، الذي اشتكاه إلى القاضي، وعلى الرغم من المستوى الديني والاجتماعي الذي كان يتمتع به

¹ - شالر، المصدر السابق، ص ص 46-47.

² - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 221.

³ - Hirschberg, op.cit., p 20.

الحاخام مردخاي إلا أن هذا لم يستثنه من تنفيذ حكم الإعدام عليه في 16 جويلية 1794، بعد مداوات علنية تم الإثبات فيها مسؤولية الحاخام مردخاي في قذف الدين الإسلامي وهذا بعد أن خيرَه القاضي الحنفي بأمر من الداى¹ بين الإسلام والإعدام، غير أن اليهودي مردخاي نربوني فضل الخيار الثاني².

أما النزاعات المختلفة بين اليهود والمسلمين المتعلقة بالديون والأوقاف والإيجار كانت تفصل فيها المحاكم الإسلامية وأحيانا الأفراد من أهل الثقة المعروفين بالمدينة بجوار المسجد وهذا حتى لا يتحول النزاع إلى فتنة حقيقية بين الأطراف المتنازعة، حيث تسجل لنا إحدى وثائق المحاكم الشرعية فصل المحكمة الإسلامية العثمانية في إحدى النزاعات الخاصة بالعقار (بناء) بين مسلمين ويهودي حول محل بسوق اللوح³ وردت كما يلي: « الحمد لله بعد أن انحصر حبس الحانوت الكاينة بالخنق بسوق اللوح وبزنقة هناك غير نافذة على يمين الذهاب للسوق⁴ الكبير بمن وجب الآن عن عقب المحبس لهذا يذكر بعضهم لذلك وهم الأخوان محمد القزاز وأحمد ولد الحاج محمد الرميلي والولية ديدومة بنت أحمد الحرار والولية مريومة بنت مبقلمحمد والولويات الزهرا وميمونة وفاطمة بنت أحمد معزول آغا وحفدته وهم محمد وراشيد ونفوسة أولاد براهيم والإخوة وهم مصطفى وفاطمة وحنيفة أولاد محمد بن الخوجة والمكرم محمد بن الشريف الوزناجي حسب تحبب ما ذكر برسم بيدهم وقف عليه شهيداه وكان كذلك ادعى الآن على من ذكر الذمي موشي القزاز ابن اسحاق ان له جلسة حانوت المذكورة ملكها منذ اعوام عديدة وسنين مديدة وانكره في ذلك من ذكر انكارا كليا ووقع بينهم وبين الذمي موشي المذكور في ذلك النزاع والخصام والترافع إلى مجالس الحكام بما كان الآن ترفع الذمي المذكور مع بعض المحبس عليهم

¹ - الداى حسان باشا (1791-1798).

² - Hirschberg, op.cit., p 20.

³ - من الأسواق المحلية العتيقة خلال العهد العثماني، يقع بالقصبة السفلى يحده من الشمال السوق الجديد ومن الشرق زنقة المقاييسية وزنقة الصباغين ومن الجنوب طريق حصن باب البحر.

⁴ - من أهم الأسواق التجارية بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني يتوسط نسيج عمراني مهم، يقع بمحاذاة الأسواق التجارية المهمة خلال تلك الفترة، سوق الجديد، سوق اللوح، سوق السمّن. وضعنا هذه التعريفات بناء على ما جاء في مقال إيمريت مارسال

Emerit Marcel, Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque, in R A N°25,1952, pp 6- 13.

المذكور وهم الشاب محمد القزاز بن الحاج محمد والمكرم سليم الشبارلي بن الحاج عبد القادر زوج ديدومة بنت احمد الحرار والمكرم محمد الصباغ بن الحاج زوج الزهرا بنت محمد في شأن ذلك إلى المحكمة الملكية من بلد الجزائر المحمية بالله تعالى لدى قاضيها في التاريخ ابن الشيخ الفقيه العالم العلامة النبيه¹... والسيد محمد أفاند² قاضي الحنفية في التاريخ الواضع طابعه أعلاه دام عزه وعلاه وادعى كل واحد منهما بدعوته المرقومة لديه أعزه الله تعالى فكلف إذ ذاك السيد القاضي المذكور المدعي موشي المذكور بإثبات³ ما يدعيه ببينة عادلة أو حجة قاطعة برسم أو بغيره.

فعجز عن ذلك كليا فحينئذ نظر السيد القاضي المذكور فيما يدعيه من الجلسة فيما ذكر وأن دعوته باطله وحجته داحضة كونها دعوى مجردة عن ما يؤديها ثم بعد ظهور ما ذكر للسيد القاضي المشار إليه ذكر على حسب ما بين وسطر سأل منه الشاب محمد القزاز ومن ذكر الحكم بإبطال دعوة غريمهم الذمي موشي المذكور في الجلسة المذكورة، فأجابهم إلى ذلك وأشهد شهيدية على نفسه الكريمة، أنه باع لهم بإبطال دعوته وإسقاط حجته بحيث لا يفلت⁴ إليها ولا يعدل عليها طال الزمان أو قصر..... وعرفه بتاريخ أو اخر حجة الحرام فتح الشهور عام ثمانين ومائة وألف من هجرته صلى الله عليه وسلم».

والجدير بالذكر أنه في حالة عدم اقتناع الأطراف المتنازعة (اليهود، المسلمين) بأحكام المحاكم الإسلامية (العثمانية) يمكن أن تلجأ إلى المجلس العلمي (الشريف) مثلما حدث في قضية السيدة آمنة بنت عدي باشا وجماعة من اليهود، وهذا حسب ما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية: «... الحمد لله بعد أن تقرر الاشتراك بين الولاية الحرة الجليلة السيدة آمنة بنت المرحوم بكرم الحي القيوم السيد عدي⁵ باشا كان وبين جماعة من

1 - نعتقد أن قاضي المالكية خلال تلك الفترة هو القاضي الحاج أحمد بن عمر وهو من أهم رجال الإفتاء المالكيين، تولى القضاء سنة 1180-1768 ثم عزل خلال هاته الفترة لأسباب نجهلها حيث تولى منصب القضاء المالكي عبد الرحمن أحمد المرتضى ثم عاد الحاج أحمد بن عمرو إلى منصبه (1180-1185هـ).

2 - محمد أفاند هو القاضي الحنفي محمد بن مصطفى، تولى القضاء الحنفي بعد والده مصطفى بن عبد الله سنة 1180هـ.

3 - س. م. ش. ع 38 (21).

4 - س. م. ع 38 (21).

5 - عدي باشا (1724-1732م) تميّز عهده بالاستقرار نسبيا وبالاضطرابات السياسية الخارجية منها احتلال فيليب الخامس عين الترك 20 جوان 1732 واسترجاع مدينة وهران والمرسى الكبير بعد قتل الباي.

اليهود وهم دابيد شراخة وموشي بن مردخاي بن المقوس وموشي بن شمويل ليبي وموشي مزغيش وسمير بن سخوية شراخة وشمويل بن موشي بن حقون وموشي بن سخوية شراخة في جميع الدار الكاينة قرب دار اللحم المعروفة بدار بن ضوه على أن نسبته أن للولية آمنة المذكورة تسعة حظوظ وللذميبن دابيد شراخة المذكور تسعة حظوظ وللذمي موشي ليبي اثني عشر حظ وللذمي موشي مزغيش المذكور خمسة حظوظ وللذمي سمير المذكور سبعة حظوظ وللذمي سعد المذكور عشرة حظوظ ونصف وأخيه موشي بن سخوية أحد عشر حظاً.

وذلك جملة اثني وسبعين حظاً في جميع الدار المذكورة بإقرار جميع اليهود الشركاء المذكورين على الشيعاء بينهم في ذلك وحكمه الاستقرار التام وقد ادعى إبراهيم الإسلامي ابن دالي حسم على جميع الشركاء المذكورين أن له من الدار المذكورة ثماناً واحداً ونصف الثمن كان أنجر له بالهبة من أبيه دالي حايم المذكور وتخاصم معهم في السالف من التاريخ عند بعض القضاة السالفين وهم المرحوم بكرم الحي القيوم السيد¹ حسين قاضي الحنفية كان رحمة الله عليه وطال نزاعهم حينئذٍ وخصامهم مدة طويلة إلى أن اجتمع جماعة من اليهود الشركاء المذكورين مع خصمهم إبراهيم المذكور بالمحكمة الحنفية أمام السيد حسين وقتئذٍ ثم أن لبعض عدول محكمته في المحاسبة بينهم في جميع حظوظ الدار المذكورة لتمييز حظ كل واحد من الشركاء المذكورين ليظهر صدق المدعي إبراهيم من كذبه فوَقعت المحاسبة² بينهم في ذلك فلم يبق حظ زائد على ما ذكر فتعين كذب المدعي إبراهيم... وبقي الأمر بينهم أيضاً على النزاع والخصام إلى أن تراجع المدعي إبراهيم مرة ثانية مع الشركاء المذكورين إلى المحكمة المالكية لدى قاضيها... السيد الطاهر³ وتخاصموا في شأن ما ذكر قضى أسعده الله أن كلف المدعي إبراهيم المذكور بإثبات دعوته وتلوم له السيد القاضي المذكور بعد مدة فعجز عن إثبات دعوته عجزاً كلياً بحيث لم يأت بما ينفعه شرعاً... فحكم عليه السيد القاضي ببطلان دعوته، فما أن حكم عليه توجهت اليمين على الشركاء

¹ - هو القاضي الحنفي حسن بن أحمد التفاحي تولى القضاء بالجزائر سنة 1177 هـ.

² - س. م ع 28 (10).

³ - س. م، ع 38 (21).

المذكورين فحلفوا له جميعا حسبما ذلك كله مبين ومسطر في الرسم... عمد المدعي إبراهيم المذكور وكل المكرمين وهم مصطفى يولداش بلكباشي ابن محمد ويوسف الأسالم ابن ميمون ناب عنه في الخصام في شأن ما ذكر مع جماعة اليهود المذكورين ولم يذعن للحكم الواقع عليه بما كان إلى تراجع الوكيلان المذكوران مع اليهود المذكورين إلى المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم...

حضر الشيخان الفقيهان العالمان... السيدان المفتيان مصطفى بن عبد الله أحمد بن عمار¹... والشيخ الفقيه... أبو عبد الله السيد محمد قاضي الحنفية في التاريخ... والشيخ الفقيه الطاهر بن محمد² فكان من دعوة جماعة اليهود الشركاء أنهم كانوا تفاصلوا مع غريمهم إبراهيم المذكور وكتبوا عليه رسم الحكم ثم استظهروا الرسم المشار إليه فقرء بين أيديهم... فلقى الرسم المذكور صحيح لا سبيل لنقضه ولا موجب لحله لثبوت ذلك... وطلب الشركاء المذكورين من السادة العلماء الأعيان... الحكم بصحة الرسم المذكور وإبطال دعوة الوكيلين المذكورين فأجابهم إلى ذلك وأشاروا على السيد القاضي بالحكم... بصحة الرسم المذكور³ وأوجب العمل بمقتضاه صحَّ عنه موجبه... عرفه بتاريخ أوائل عقدة الحرام من عام ثمانية ومائة وألف⁴ من هجرته عليه الصلاة والسلام».

من خلال الوثيقة السالفة يتأكد حرية اليهود في اختيار المحاكم للفصل في نزاعاتهم مع الرعايا المسلمين وهذا يوضح عدة أمور:

- 1- عدم نجاعة القضاء اليهودي لحل النزاعات المختلفة بين أهل الذمة والمسلمين.
- 2- ثقة اليهود بالمحاكم الإسلامية (المجلس العلمي) لصبغتها الدينية والإنسانية.

¹ - أحمد بن عمار الجزائري (1170 هـ) من أعظم علماء العاصمة وأكثرهم صيتا خلال العهد العثماني، نبغ في علوم المعقول والمنقول ومن كبار الشعراء والأدباء، تصدر للإفتاء المالكي بالجزائر العاصمة مدة طويلة ومن آثاره: كتاب نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب.

² - القاضي المالكي الطاهر بن محمد (1175 هـ).

³ - س.م، ع 38 (21).

⁴ - 1108 هـ الموافق لـ 1697 م على عهد الباشا الحاج أحمد العليج (1106 هـ - 1109 هـ / 1694 - 1697 م).

3- سماحة الشرع الإسلامي في تحقيق العدل وإحلال الحقوق بين مختلف الشرائح الاجتماعية على الرغم من اختلاف الملل والنحل بينها.

وهذا ما تؤكدته وثائق المحاكم الشرعية في قضية خصام بين مسلم ويهودي حول درج إحدى الدور بحومة باب الوادي¹:

«الحمد لله بعد أن كان الذمي ياسف بن داود اليهودي استجد بناء الدار الكاينة بحومة باب الوادي المجاورة من بعض جهاتها لدار موقوفة على المسجد الجديد الكاين بباب البحر والمجاورة لدار السيد الحاج محمد بن الحاج قاسم وذلك في السالف عن ما يقرب من اثني عشر سنة² وأحدث بإزاء جاره الحاج محمد المذكور درجا يصعد عليها للفوق من الدارين المذكورين قام الحاج محمد المذكور على وكلاء المسجد المرقوم وهم المعظم موسى آغا بن التركي والسيد محمد بن أوسطا رجب الصباغ ووكيل الذمي ياسف المذكور وهو الحاج احميدة النجار ابن الحاج أحمد يروم نقض الدروج الذي أحدثه الذمي ياسف المذكور بإزاء جاره وطال نزاع الطرفين المذكورين فيما ذكر إلى أن ترافعا إلى المجلس العلمي بالجامع الأعظم... حضر الشيخان الفقيهان حسين بن رجب³ وفقه الله... وإبراهيم أفندي قاضي الحنفية... والإمام أبو عبد الله محمد بن محمد... وادعى الحاج أحميدة أن موكله الذمي ياسف المذكور فعله للدرج برضا جاره الحاج محمد... وهو الذي أشار عليه ببنائه إزاء جداره فتأمل الفقهاء المذكورين... وقويت عنايتهم أن لا حق لهم للقائم الحاج محمد المذكور... في نعت الدرج المحدثه لإقرار بذلك... وأنه أذن له في بناء الدرج بإزاء جداره وهو حاضر ساكت المدة المرقومة ثم سأل وكلاء المسجد ونايب الذمي من العلماء المذكورين الحكم... فأخذ ذلك من قولهم... أنه حكم بإبطال⁴ دعوى القائم محمد المذكور... بتاريخ أواسط حجة الحرام عام اثنين ومائة وألف من هجرته صلى الله عليه وسلم».

¹ - تقع حومة باب الوادي غرب الجزيرة (الجزائر) على بعد فرسخ من البحر وهي بموازة الحصون وقلاع مدينة الجزائر شمال قصر الجنيونة وقصور بشوات الجزائر خلال العهد العثماني.

² - س.م ع 71-72 (41).

³ - هو قاضي الحنفية حسين بن رجب 1102هـ- 1690م (عهد الباشا شعبان خوجة 1101- 1106هـ/ 1689- 1698م).

⁴ - س.م ع 71-72 (41).

والأمر عينه توضحه وثيقة مسجلة للفصل في خصام حول إيجار دار موقوفة بين أحد المسلمين وهي آسية بنت أحمد بن ساقّة والذمي إسحاق بن يعقوب.

« الحمد لله بعد أن انحصر حبس شطر دار اليهود الكاينة بزنفة¹ الجرابة داخل محروسة الجزائر في الولاية آسية بنت احمد بن ساقّة ومن عمّر لها من المحبس عليهم التي شطرها حبس على فقراء الحرمين الشريفين وقد كان الذمي يعقوب المذكور يرجع في كل عام لجانب مكة والمدينة ما قدره سبعة وعشرون ريالاً موحدة من كون جميع الدار تحت يده كما هي عاداتهم... ويرفع للولاية آسية وشركائه ستة عشر ريالاً في الشطر... توفي الذمي يعقوب عن ولده إسحاق وبقيت جميع الدار المذكورة تحت يده كما كان والده قبله وبقي يرفع العدد المذكور لكل واحد كما ذكر، قام الآن ولد الولاية آسية المذكورة وهو السيد مصطفى الانجشاري الخياط... نيابة على والدته المذكورة وعلى الذمي إسحاق المسطور يروم التوصل لكراء شطر الدار المحبس عليهم وأخذه كما مالها يرفع لجانب مكة والمدينة فامتنع عن ذلك الذمي المذكور ولم يجب لذلك ولم يمكنه من الزيادة المسطورة وادّعى أن والده قبله كان يدفع كذلك وطال بينهما النزاع في ذلك والخصام والترافع إلى مجالس الحكام المدة بعد المدة إلى أن ترافعا معاً إلى المجلس العلمي (الشريف) عمره الله بذكره حضره الشيخان الفقيهان العالمان العاملان الخطيبان البليغان... الشيخ الفقيه أبو العباس السيد أحمد قاضي الحنفية في التاريخ الواضع طابعه دام عزه وعلاه وقاضي المالكية أبو محمد (غير واضح) طلب منهم السيد مصطفى المذكور² التوصل لكراء شطر الدار المذكورة مثل كراء شطر مكة والمدينة للإشاعة في ذلك وعدم تمييز كل شطر وحده ثم أنكر الذمي المذكور أداء الكراء وحيازة الدار وادعى عدم العلم بهم، وأنه خارج عن ذلك كله فكلف السادات العلماء أيدهم الله السيد مصطفى المذكور بإثبات ما ذكره وبأخذ جميع الكراء في السالف عنه ومن والده إلى الآن... فأثبت ذلك لديهم بشهادة عن قبل وحاز الثبوت التام فبعد ثبوت ما ذكر كما سطر كذلك لهم دامت علامتهم وقويت عنايتهم وأن الدار المذكورة لازمة للذمي إسحاق المذكور ويؤدي كراء الشطر المتنازع فيه سبعة وعشرون ريالاً في كل عام كما

¹ - س. م ع 1-16 (36).

² - س. م ع 1-16 (36).

يؤدي لجانب مكة والمدينة كما هي عادتهم في دور المسلمين... وعرفه بتاريخ أواسط رجب¹ عام مائتين وألف من هجرته عليه الصلاة والسلام».

وانتهت الوثيقة بختم القاضيان وموافقة كل من مصطفى ولد آسية بنت احمد بن ساقه، والذمي إسحاق بن يعقوب².

كما تذكر وثيقة بالمحاكم الشرعية قضية ادعاء بين يهود والقائمين على مسجد بسوق الخياطين تم مرافعة المجلس الشريف فيها يوم الخميس بجانب المسجد بحضور الإمام والخصوم جاء فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

لما كان محراب المسجد الكاين بسوق الخياطين عن بلد الجزاير المعمور لا زال لواء الإسلام فيه منشور الراكن فوق (؟) الذي يؤم فيه الآن الشيخ الكبير العالم الشهير الولي الصالح السالك الناصح السيد الخير نفعنا الله به وبأمثاله أمين لناحية دار الذميين وهم موشي بن معطي ويوسف بن شاول معطي ويعقوب بن معطي ومسعود³ (؟) بن سلطان المنفتح بابها لحوانيت القزازين⁴ اليهود أسفل سوق السمن وبسكة غير نافذة و(؟) حوّل المحراب المذكور لناحية أخرى لانحرافه عن القبلة وبقي المحراب الأول المرقوم لناحية دارهم زائد ذلك على حائط المسجد المذكور... وأن يعطوا لجانب المسجد المذكور في مقابلة ذلك ثمانية عشر دينارا زيانية من كل سنة آتية مبدأ ذلك عن التاريخ دائما أبدا سرمدا ليكون الحائط الذي سيبنونه مستويا لا اعوجاج فيه، فأجابهم لما سألوا لما ظهر له في ذلك من المصلحة العايدة على المسجد المذكور بعدم نفع المسجد المذكور بذلك ولا ضرر فيه واستشار الإمام المذكور في ذلك أهل الفضل من خيار السوق المزبور (؟) وهو المعظم المفهم أبو عبد الله السيد محمد بن الكاتب والمعظم الناجد السيد عاشور فظهر لهم مثلما ظهر له، ووافقوا على ذلك فحينئذ رفع الإمام وأهل الفضل المذكورون الأمر في ذلك لمن له النظر في وقت

¹ - الموافق لـ 1784م وهي فترة حكم الداوي محمد عثمان باشا (1766م- 1791م).

² - س. م ع 16 (36).

³ - م.ش.، ع: 96-97 (8).

⁴ - القزازين: مرببي دودة القز والمشتغلين بصناعة الحرير.

التاريخ في الأحكام الشرعية بالبلد المسطور وهو الشيخ العالم الإمام الصدر الأوحى الهمام (غير واضح) وأعلموه بما رقم فيه وطلبوا منه الإذن للذميين المذكورين ...

ذكر على الوجه المسطور فأشار عليهم أعزه الله أنه لا بد من وصول أرباب البصر والمعرفة للمحل المذكور وإمعان نظرهم فيما ذكر وما اقتضاه نظرهم في ذلك يعول عليه فوصل المعظمان الخيران وهما الحاج سليمان البناء بن محمد اليعلاوي ورفيقه المعلم بلقاسم البناء بن ثابت فاستدعاه الإمام المذكور ومن ذكر معه إلى المحل المزبور وأمعنا نظرهما إمعانا كافيا فظهر لهما بدليل معرفتهما أن ما رآه الذميون المذكورون من أخذ مساحة ما ذكر على أن يعطوا لجانب المسجد المذكور العدد المرقوم كل عام دائما أبدا فيه سداد وصلاح وأديا بذلك شهادتهما لديه فبعد وقوع ما رقم فيه أشهد الآن الشيخ القاضي المذكور شهيدية¹ على نفسه بمحضر إمام المسجد المذكور ومن معه أنه أباح للذميين المذكورين أخذ مساحة القدر المخرج من المحراب الأول المزبور الزائد ذلك على حائط المسجد المذكور ثمانية عشر دينارا زيانية كل عام دائما وأبدا وذلك عوضا عن المساحة المزبورة كما أشهد الذميون المذكورون أنهم التزموا بأداء العدد المذكور (غير واضح) عرفه بتاريخ أوائل ربيع الأول عام أربعة وأربعين ومائة وألف² من هجرته عليه الصلاة والسلام»³.

نلاحظ مما سبق أن أغلب القضايا والنزاعات بين اليهود والمسلمين كانت تعرض على المجلس الشريف دون اللجوء إلى القضاء خوفا من الإجراءات التعسفية التي كانت تفرضها المحاكم العثمانية في مطلق الأحوال، حيث تشير معظم وثائق سجلات المحاكم الشرعية إلى فض النزاعات بين المتخاصمين بالتراضي وبطرق ودية بتدخل الأشراف والأعيان للفصل في مختلف الخصومات بين اليهود والمسلمين، ومن خلال ما استقصيناه من الوثائق أن جلسة المرافعات كانت تعقد بالمسجد يترأسها الإمام ويحضر قاضيان (مالكي- حنفي) لإعطاء المحاكمة الصفة القانونية بالإضافة إلى مجموعة من الوجهاء

¹ - م.ش، ع: 96-97 (8).

² - الموافق لـ 1732م، وهي فترة حكم إبراهيم باشا (1732-1745م).

³ - م.ش، ع: 96-97 (8).

والأطراف المتنازعة وتعرض القضية على الحضور، في حين إذا كان أحد المتنازعين من اليهود فإنه يختار من يمثله في المجلس العلمي لأنه لا يجوز له ولوج المسجد، وفي حالة عدم وجود من ينوب عنه يعقد الاجتماع في صحن¹ خارج المسجد، ثم يبدأ الاستماع إلى الطرفين.

وعلى ما يبدو فإن أغلبية اليهود لم يكثرثوا لعقوبة الحرم² التي وضعتها المحاكم الحاخامية في حالة اللجوء إلى القضاء الإسلامي وهو الأمر الذي لم نجد له إلا بعض التفسيرات النسبية منها:

– تسمح المحاكم الربية لليهود اللجوء إلى القضاء الإسلامي في ظروف معينة بل استثنائية التي هي خارج صلاحيات التشريع العبري (الخصومات بين اليهود والمسلمين)، وهذا للحفاظ على خصوصية الطوائف اليهودية.

– تمنع المحاكم الحاخامية المتنازعين اليهود الاحتكام إلى المحاكم الإسلامية وتجزئ في حالات أخرى الحفاظ على مصالحهم الخاصة وفق مراسيم عبرية مؤقتة.

– يمكن لليهودي أن يتخلى عن دينه ومجتمعه في سبيل المحافظة على أمواله وممتلكاته.

أما النزاعات المختلفة بين اليهود والنصارى التي لا تملك المحاكم الحاخامية والإسلامية سلطة واقعية للفصل فيها وذلك لغياب نصوص تشريعية واضحة خاصة

¹ - دفتر التشريعات، ص 48.

² - الحرم (التكفير) وهو تحريم ديني واجتماعي، وهو سلاح مخيف تتخذه المحاكم الربية بتفويض من الحاخام ضد الجانحين من اليهود، ويستوجب عواقب جد مخيفة مادية ومعنوية، ويرفق هذا التحريم بإجراءات أخرى، مثل العقوبات الجسدية والتطواف وعقوبة السجن أو الغرامة المالية مع النفي، فالحرم هو عقوبة دينية اجتماعية تطبق على اليهودي الذي يلجأ إلى المحاكم الغير يهودية وذلك حتى يحافظوا على احترام المحاكم الحاخامية وقوانينها، وكانت هذه العقوبة مطبقة على جميع اليهود الذين يعارضون الأحكام الحاخامية وهي أن لا يتكلم مع الآخرين الذين بدورهم لا يحق لهم أن يوجهوا الكلام إليه ولا يتعاملون معه ولا يأكلون طعامه ولا يشربون خمره، بالإضافة أنه لا يحق له أن يشارك في الخدمات الدينية، وإذا سمح لنفسه أن يدخل المعبد تتوقف الأعمال فبالتالي فإن ذلك الشخص يتعرض لمقاطعة دينية ومعنوية واجتماعية، انظر:

حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، المغرب الأقصى: الدار البيضاء، ط الأولى، 1987، ص 126.

- Eseinbeth, op.cit, p 12, et Pananti, op.cit., 22.

بالطرفين، فهي تعتبر من القضايا السياسية فتتحفظ فيها المحاكم الإسلامية واليهودية، فمثلا النزاعات التجارية بين اليهود والتجار الفرنسيين تحوّل للداي مسؤولية الفصل فيها، والذي هو بدوره يوكلها لأحد القناصل الفرنسيين أو الأجانب المعروف بنزاهته وحكمته، للحكم فيها وفق ماتقتضيه الضرورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

7- البيعة:

إنها نقطة الالتقاء الطبيعي "للقهل"¹ وهي بيت الصلاة ومقر الصلاة والدرس والتعليم (حدر ويشفاه) أو مكان تعليم الكبار ليلا بالدرس والوعظ، وفيها يجتمع مجلس الطائفة واليهود لاتخاذ القرارات أو إعلان المراسيم علنا أو لإصدار حكم التكفير أو إعلان التوبة على من وقع عليه ذلك، التي يصدرها المقدم أو محكمة الحاخامات حتى يتمكن جميع اليهود من الاطلاع عليها²، وتقدم عن طريق الهيئات كل المستلزمات المستعملة للقيام بالفرائض الدينية ولفائف التوراة ومخملها والأصباغ التي يصبغ بها التابوت المقدس، ومنبر القداس والشمعدان والمصابيح والزيت والشموع.

وذكر Shuval وجود بيعتين كبيرتين بمدينة الجزائر واحدة بباب الوادي والثانية بباب عزون³.

وتجمع موارد البيعة عن طريق بيع المصووت⁴ "Miswot" (حق الصعود إلى المنبر) لقراءة بعض الفرائض بالمزاد العلني والندر (إعطاءات ظرفية) والرنتمز (مساهمة فصلية) يسلمها المؤمنون الذين يرغبون في الاحتفاظ لانفسهم بالاحتفال بالمصوه أثناء الفترة التي تفصل بين عيدين كبيرين متتابعين مثل "سكوت"⁵ و"بسح" وهذا حسب تعاليم الشريعة اليهودية.

¹ - القهل، كلمة عبرية يقصد بها الطائفة.

² - Zafrani, op.cit., p 262.

³ - Shuval T., La ville d'Alger vers la fin du XVIII^e siècle, Paris : CNRS éditions, 1998, p 160.

⁴ - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 133.

⁵ - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 133.

ساهمت الأعمال الخيرية اليهودية وحسن تسييرها في إعانة المحتاجين في حالات الضيق الاقتصادي والمجاعات، حيث كانت هذه التبرعات توضع في صندوق خاص بالبيعة، ويدعم صندوق العطاءات بالذعائر، وهي أحيانا جد عالية يفرضها النكيد (شيخ الجماعة) أو المحاكم على كل خرق للقرارات، ومن الضرائب الغير المباشرة¹، وتتلقى مؤسسة البيعة بالإضافة إلى اشتراكات أعضائها المحددة، الهبات والوصايا وتستفيد بعض البيع الخاصة بالمعوزين من الإعفاء الضريبي، ويملك فقراء المدينة حق الأسبقية في الأموال الخيرية التي تخصصها لهم الطائفة التي ينتمون إليها.

حيث أشار هيرشبرغ إلى أهمية هذه المساهمات الخيرية في الاتحاد الاجتماعي والديني لليهود « تعود اليهود على جمع مساهمات خيرية في فترات منتظمة طوال السنة، ومنها تلك الضريبة المفروضة على التجار الذين يبيعون مواد غذائية لا يستهلكها غير اليهود مثل الرغيف والخبز واللحم اليهودي، وقد خصص يوم في السنة لشراء القمح لفقراء اليهود ويوم آخر لشراء الملابس لهم، وآخر لدفع ديون الفقراء، أما في عيد الفصح اليهودي فقد كانوا يشترون اللحم والخبز للجميع حتى يتمكن من الاحتفال به كل اليهود الفقراء والأغنياء على السواء...»².

تعددت وجوه انفاق أموال البيعة، حيث يخصص جزء منها لدفع أجور الحاخامات ورجال الدين، والشرطة والعمال القائمين بالنظافة والحراسة والصيانة بالبيعة...»³.

ويلاحظ أنه كان لكل فئة من فئات اليهود بالجزائر بيعة خاصة بها (بيعة التوشابيم، بيعة الميغورشميم، بيعة يهود ليفورن) أما الاختلافات فكانت طفيفة من حيث الصياغة والتطبيق.

8- القضاء:

¹ - المرجع نفسه، ص 133.

² - Herschberg, op.cit., p 12.

³ - Zafarani, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, op-cit, pp 262- 263.

تكون النظام القضائي اليهودي في إطار الاستقلال الإداري خوله قانون الحماية (الذمة) الذي كفل للطوائف اليهودية الحرية في تطبيق العدالة¹، من خلال محاكمها الخاصة التي تمتد صلاحيتها فتشمل وجوها مختلفة من الحياة الخاصة والعامّة لليهود، وتتقيد هذه الطوائف تقييدا تاما بالقواعد الشرعية² والشعائرية للعقيدة وتطبيق قانون الأحوال الشخصية، ولها معرفة واسعة بقانون المعاملات والعقود والالتزامات والمنازعات العقارية والتجارية، وفيما يتعلق بالمنازعات التي تحدث بين اليهود فإن السلطات المدنية تختار عادة إحالة المتقاضين على سلطتهم القضائية الخاصة، غير أنه ليس من حقهم النظر في الوقائع الجنائية لأن ذلك من اختصاص الدايات وموظفي الحكومة حسب ما أورده شالر: «... متى كان المجرّد يهوديا فيعاقب بقطع الرأس أو بالشنق أما في حالة القيام بالجنح مثل إضرار نيران صغيرة فإن مرتكبها يعاقب بدفع غرامة مالية أو يجلد بالسوط أو يعاقب بالأشغال الشاقة وهو مقيد في السلاسل، فمنذ أن ألغي استرقاق المسيحيين أصبحت الأشغال الشاقة هي أكثر أنواع العقاب شيوعا، حيث أنها توفر للأتراك عمل دون مقابل بدلا من العبيد لإنجاز الأشغال العمومية...»³.

وينفذ أحكام المحاكم الربية أعوان خاصون أو المقدم أو المساعد المدني للسلطة الروحية وكذا تنظيم السلطة القضائية.

ينظم سير القضاء أو المحكمة الربية، حيث يوجد قاضي واحد (بيت دين شل يحدد) أو عديد من القضاة، وهم عادة ثلاثة (بيت دين شل شلوش)⁴ وتسمى المحكمة الكبرى (بيت دين كدول)، وقد تتألف المحكمة من أكثر من ذلك، ويرأس المحكمة قاض واحد ويسمى (أب بيت دين) (شيخ المحكمة) وتظل المحكمة ذات القاضي الواحد عاجزة في الفصل في بعض الأحكام وعلى الأخص بعض قضايا الأحوال الشخصية الخطرة.

1 - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 132.

2 - المرجع نفسه، ص 133.

3 - وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 46-47.

4 - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 126.

والمساعدون القضائيون هم كتاب العدل الموثقون (سوفريم) وتتمثل مهمتهم الرئيسية في النيابة عن القضاة، وفي تحرير وتوقيع العقود القضائية ومراسيم المعتمد بناء على طلب ومسؤولية القضاة ورؤساء الطوائف و(السوفر) متعلم يفترض فيه أن يكون متمكنا تماما من التشريع والإجراءات القانونية المتعلقة خصوصا بأحكام الزواج ومع ذلك فإن حضور القاضي ضروري أثناء تحرير العقد.

وللمحكمة أعوانها (رسول دار القضاء)¹ كما أنه من المحتمل أن تستعين بآراء الخبراء مثل ممثلي الهيئات الحرفيين (أمين الأمان) وللطوائف عادة مطلق الحرية في اختيار قضاتهم، ويتولى القضاء كل من له اطلاع واسع في العلوم الربية، وهذه العلوم هي الضمانة الوحيدة لمن يريد أن يتكلم باسم الشريعة الالهية، ويمكن أن يتقاضى اليهود عند من توفرت فيه هذه الشروط ولو لم يك رسميا، وللمتقاضين في نزاع من النزاعات الحق في الالتجاء إلى (المحكمة) أية سلطة ربية حسب متغاهم، ولو كانت من غير الهيئة القضائية (ديانيم) لتفصل في خلافهم، وليسود بينهم القانون والعدل، وتعد قراراتهم بمثابة قانون يخضع له المتقاضون، وتعترف المحاكم الربية بفعاليتها في أغلب الأحيان.

ويخضع هذا الإجراء إلى تحكيم (البروريم)² الذين يحيل عليهم القضاء أنفسهم بعض النزاعات ذات الصبغة التجارية أو الحرفية³.

9- القضاة اليهود:

شكل القضاة اليهود طبقة اجتماعية ودينية قائمة بذاتها فأغلبهم كان ينحدرون من عائلات أرستقراطية ذات نفوذ سياسي واجتماعي كبير وهذا ما جعل بعض القضاة يحتكر منصب القضاء لعقد من الزمن، وهذا حسب ما أوردته بعض وثائق المحاكم الشرعية الخاصة بمدينة الجزائر.

¹ - المرجع نفسه، ص 127.

² - ينظر: فهرس المصطلحات العبرية في الملحق رقم 02.

³ - حاييم الزعفراني، المرجع نفسه، ص 127.

والجدول التالي يبين القضاة اليهود بالجزائر خلال العهد العثماني:

التاريخ	نوع القضية	اسم القاضي الثاني	اسم القاضي الأول
16 ذي الحجة 1212 هـ	شهادة بملكية الذمي يعقوب بن عمران زرافة لحانوت مخصصة لصناعة الصياغة، وذلك أمام القاضي الحنفي أبو العباس السيد ² أحمد أفندي، وذلك بغرض بيعها للسيد سليمان بن خوجة الخيل.	إسحاق بن مردخاي ابن شمول	سميح بن يامين داران ¹
أواخر رجب 1214 هـ	شهادة بملكية الذمي موشي بن إسحاق لحانوت مخصص لصياغة الفضة ورثها عن أبيه والغرض تمكينه من بيعه للسيد إبراهيم الانكشاري وكيل حرج باي الغرب.	طوبوا ابن دابير	إسحاق بن مردخاي ابن شمول ³
أواخر ذي القعدة 1218 هـ	وثيقة شهادة ملكية الذمي نصار بن إسحاق مزغيش لحانوت مخصص لصناعة الحلبي بسوق الصاغة وذلك أمام القاضي الحنفي أبو الحسن السيد إبراهيم أفندي قصد بيع الحانوت للداي مصطفى باشا.	إسحاق بن هارون ابن بلخير	يعقوب بن زرهية ⁴
جمادى الأولى 1219 هـ	شهادة ملكية الذمي نسيم بن إبراهيم مزغيش لربع الحانوت الموجود بسوق الصاغة أمام القاضي إبراهيم أفندي وذلك من أجل بيعها للداي مصطفى باشا.	إسحاق بن هارون ابن بلخير	يعقوب بن زرهية ⁵
أواسط جمادى الثانية 1225 هـ	ملكية الذمي يعقوب بن شلومو لحانوت مخصص لبيع توابل العكرية، ورثه عن أخيه	يعقوب بن موشي	إسحاق ابن هارون ابن بلخير ¹

1 - س م ش ع 109- 110 (36).

2 - هو القاضي الحنفي احمد افندي تولى القضاء ببايلة الجزائر حوالي 1210- 1214 هـ.

3 - س م ش ع 109- 110 (46).

4 - س م ش ع 109- 110 (47).

5 - س م ش ع 109- 110 (34).

	موشي، ولكن ضاع منه رسم عقد الملكية الذي أراد تجديده أمام القاضي الحنفي السيد محمد أفندي.		
--	--	--	--

- بعض القضايا المدنية والأحوال الشخصية:

المدعي	نوع القضية	المحكمة الحنفية	الشهود	المصدر	الهدف
يعقوب بن شلومو ¹	ملكية جميع جلسة الحانوت لبيع العطرية الكاينة بزنقة قرب القهوة الكبيرة الكاينة على يمين الجامع الجديد.	القاضي أبو عبد الله السيد محمد أفندي	الذمي إسحاق بن هارون بلخير يعقوب بن موشي بن عرفة (قضاة الطائفة اليهودية).	ورثها عن أخيه موشي بن شلومو.	تحديد رسم الملكية
يعقوب بن عمران زرافة ²	عقد ملكية جلسة الحانوت الكاينة بسوق الصاغة اليهود المعدة للصنعة المذكورة	القاضي السيد محمد افندي	الذمي سميح بن يمين الذمي إسحاق بن مردخاي بن شمول (قضاة يهود)	حصل عليها بالشراء الصحيح والثلث المقبوض.	بيع الجلسة للمعظم؟ المحترم السيد سليمان خوجة الخيل بثمن قدره مائة دينار واحدة كلها عينا سلطانية.

¹ - م ش ع 1-26 (29).
² - م ش ع 109-110 (36).

		الذمي يعقوب ابن شالوم بن فريد الصائغ			
بيع الربيعين للمعظم الأمجد الفاضل الأسعد مولانا السيد مصطفى باشا بثمان قدره مائتا دينار كلها ذهب سلطانية صرف كل دينار تسعة ريالات دراهم صغار.	عادت إليه عن طريق الشراء الصحيح والثمن المقبوض من الذمي موشي بن فراج شراخة منذ عقد من الزمن.	الذمي يعقوب بن زرهية والذمي إسحاق ابن هارون بلخير قضاء يهود	أبو الحسن السيد إبراهيم أفندي	ربع جلسة الحانوت الخامسة الكاينة بسوق الصاغة من الأعلى أسفل القشارية وبيت المال وربع الجلسة السادسة اللاحقة بها من بعض جهاتها بالسوق الكبير.	نسيم بن إبراهيم مزغيش ¹
بيع جلسة الحانوت للمعظم مولانا مصطفى باشا بثمان قدره ثلاثمائة دينار كلها ذهب سلطانية صرف كل دينار	عن طريق الشراء	الذمي يعقوب بن زرهية والذمي إسحاق ابن هارون بلخير قضاء يهود	أبو الحسن السيد إبراهيم أفندي	جميع جلسة الحانوت المعدة لصناعة الصياغة الكاينة بسوق الصياغة الرابعة على يسار الهابط من	نصار بن إسحاق مزغيش الصايغ ²

¹ - م ش ع 109-110 (34).

² - م ش ع 109-110 (47).

تسعة ريالات دراهم.				حانوت بيت المال ومسجد السيدة.	
بيع جلسة الحانوت للأجل السيد إبراهيم الانجشاري وكيل خرج باي الغرب بثمان قدره ثلاثمائة ريال باعتبارها صحاح (فرنك) صرف الكفرة.	ورثها عن والدته.	الذمي إسحاق بن مردخاي قاضي طائفة اليهود الذمي طوبوا بن دابير	القاضي الحنفي (غير واضح)	جميع شطر جلسة الحانوت الكاينة بسوق الصاغة المعدة لصياغة صوارم الفضة.	موشي بن إسحاق ¹
بيع الجلسة الحانوت للمعظم الأرفع الهمام الأنفع مولانا السيد حسن باشا بثمان قدره إحدى وعشرون دينار صرف كل دينار تسعة ريالات دراهم	ملكها عن طريق هبة والده لياه ليفي	يوسف بن إسحاق قاضي طائفة اليهود	القاضي الحنفي (غير واضح)	جلسة الحانوت الكاينة بالعلوي الكبير قرب الحمام المالح	موشي بن لياه ² ليفي

¹ - م ش ع 109-110 (46).

² - م ش ع 99-100 (27).

صغار ونصف الريال.					
-------------------	--	--	--	--	--

ما نستشفه من الوثائق المدونة في الجدول أعلاه: أن أغلب القضايا التي كانت تطرح على المحاكم الإسلامية في مجملها قضايا تخص المعاملات التجارية مع المسلمين (بيع وشراء)، بالإضافة إلى ضرورة حضور قضاة يهود كشهود رسميين في قضايا المعاملات.

كما أن أغلب المعاملات التجارية (البيع) التي تمت بين اليهود والمسلمين كان الشاري فيها من الموظفين السامين في حكومة الإيالة (وكيل حرج، خوجة الخيل، الدايات (مصطفى باشا، حسن باشا)، ومجمل العقارات التي تمت من خلالها معاملات الشراء كانت خاصة بمحلات الصياغة.

وهذا يدل على أن المحاكم الإسلامية كانت لا تفصل في القضايا المدنية لليهود إلا بحضور هيئة قضائية يهودية وهذا تفاديا للفوضى الداخلية التي يمكن أن تحدث بالطائفة اليهودية في حالة تجاوز بعض اليهود لمحاكمهم الرسمية.

اهتمام موظفي الدولة بالجزائر العثمانية باقتناء محلات المعادن الثمينة مقابل مبالغ معتبرة وهذا لا يمكن تفسيره إلا بأمرين:

- سعي البشوات إلى تنمية ثرواتهم الخاصة خارج إطار الدخل الحكومي.
- محاولة إقصاء اليهود من الصناعات الثمينة نظرا لسيطرتهم على سوق الصاغة المحلية وتحكمهم في أسعار الذهب والفضة، وذلك لخلق التوازن التجاري في هذه المهنة، وإعطاء فرصة للحرفيين المحليين.

على الرغم من أن منصب القضاء من الوظائف الهامة والشرفية، غير أنه لم يك محل منافسة بين اليهود مثلما هو الحال بوظيفة المقدم، وهذا راجع لعدة اعتبارات:

- يتم تحصيل منصب القضاء بالدراسات المعمقة وطويلة الأمد للشرائع اليهودية، والترجمات المختلفة للتلموذ وأحكام وتوجيهات الأسفار العبرية، بينما يمكن بيع وشراء الحاخامية حسب ما تستدعيه الضرورية المادية لحكام الجزائر، وتقتضيه الظروف الداخلية لمجتمع اليهود بالإيالة.

- يمكن توارث مهنة القضاء تلقائيا بينما يورث الحاخامية نفوذا ومركزا اجتماعيا.
- يعتمد القضاء على العمل الجماعي عكس الحاخامية التي تعتمد على سلطة أحادية مطلقة¹.

بدليل استقرار بعض القضاة في مناصبهم لمدة من الزمن حسب ما أوردته وثائق المحاكم الشرعية الخاصة بدار السلطان أمثال:

▪ يوسف بن جلاب بن معطي 1727 ← 1790.

▪ يعقوب بن شلومو 1747 ← 1791

▪ إسحاق بن نيطان طيار (30 سنة).

▪ دابيد بن شلومو يعيس (30 سنة).

▪ سميح بن يمين بن دوران (25 سنة).

إن احتكار منصب القضاء يمثل في حقيقة الأمر ثقة اليهود في هذه الفئة التي تستقطب عادة من أرسقراطية فكرية محصورة في عدد من العائلات، وهذه العائلات هي التي قادت الطوائف² اليهودية فعلا، والتي كانت تباشر نوعا من القيادة الروحية والزمنية، وكانت لها سلطة تعرف في العبرية بمصطلح السررة وتحتفظ بحق وراثي دون مشاركة بالشحيطة والإدارة وخدمة البيعة التي قد تكون تطوعا أو بثمن باهظ.

غير أن هذا لا ينفي بعض النزاعات التي ظهرت بين القضاة اليهود حول الاحتفاظ بحق السررة وحق التصرف بالحزقة، والتي فتحت مجالا واسعا للفتاوى اليهودية حول الموضوع حيث جاء في فتوى فقهية عبرية مؤرخة 1725 خاصة بيهود المغرب والجزائر

¹ - Eisenbeth. M., Les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit., pp 123- 124.

² - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص ص 130 - 131.

حيث يقول في هذا الصدد: « كل من استحق تحمل تكاليف السررة، يلزم أن يتمتع بنفعها هو نفسه طيلة حياته وتبقى لنسله إلى آخر الدهر»¹.

10- كاتب اليهود:

هو احد أعوان القضاة لا تختلف مهامه عن مهام كاتب المسلمين ويشترط في كاتب اليهود أن يكون على دراية بالقواعد الشرعية اليهودية وقواعد اللغة العبرية اللتان يعتبران شرطان أساسيان في هذه الوظيفة.

يتلقى (السوفر) مساهمة متواضعة من ميزانية الطائفة، غير أن موارده تتكون أساسا من أجره مهنته، ويتمتع بامتيازات ضريبية (الإعفاء من الضريبة الراسية والضريبة الاجتماعية)².

ومع ما كان يحدث من تعدد الوظائف في معظم الحالات، فإن الناسخ العادي كان يختلف عن الكاتب الموثق، فمهمة الناسخ أن يكتب على الرق، الأسفار التوراتية، و(تفيلين) والمزروت... الخ ، بينما الكاتب الموثق يلزم القاضي ويدون جميع المعاملات والأحكام القضائية، وعقود الزواج والطلاق، فعبارة "...كتب بخط أحبار اليهود..." الواردة في مختلف وثائق اليهود تدل على أن الكاتب كان يوثق مختلف الأمور القضائية والإدارية الخاصة باليهود، التي جرت ما بين أفراد الطائفة باللغة العبرية.

رغم الخبرة الواسعة التي يتمتع بها الكاتب إلا أننا لم نعر على وثيقة تؤكد ارتفاع الموثق في الوظيفة ومن ثمة إمكانية تولي مهمة القضاء، ما عدا إشرافه على المهام الدينية مثل (الشوحت) أو (الموهل) حسب ما جرت عليه العادات العبرية³.

¹ - Aben sir Jacob, Mishpat les daght beya agob (responsa), tome I, Alexandrie : 1894, p 43.

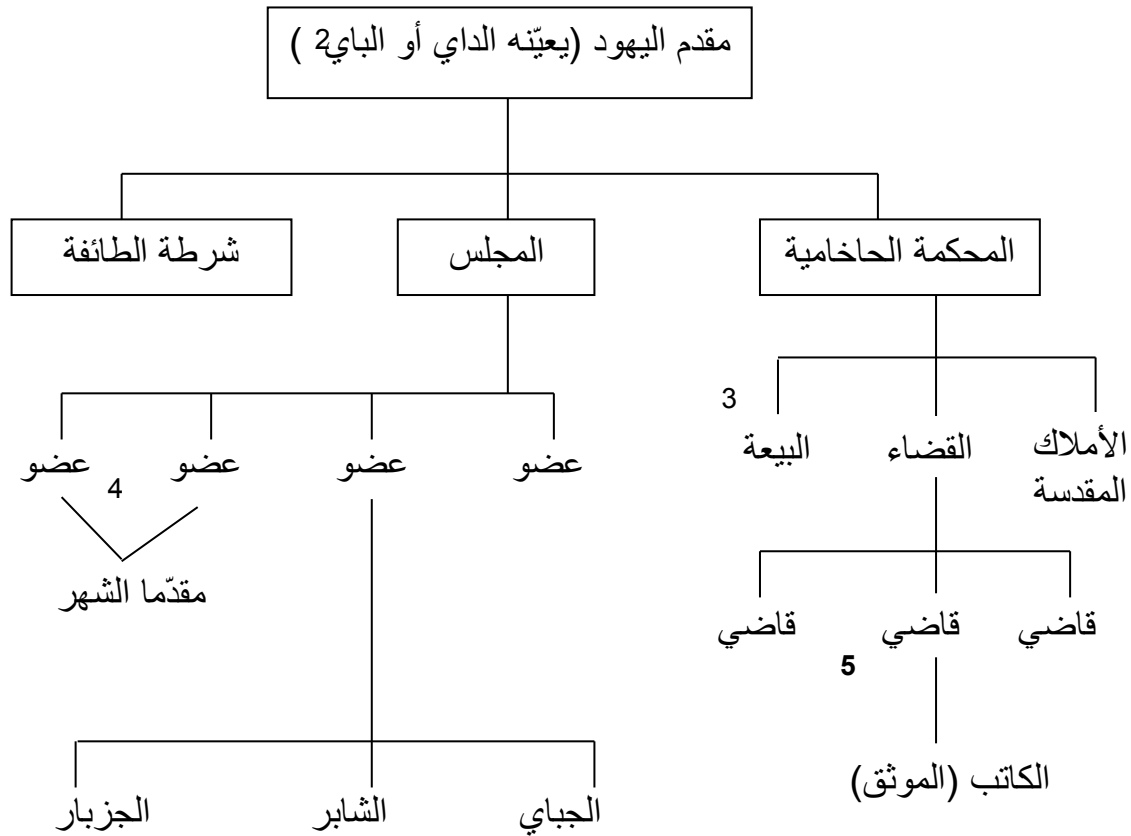
² - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 131.

³ - Zafrani, Les juifs d'Andalousie, op.cit., p 266.

بينما رصدت بعض الوثائق وظيفة كاتب اليهود، حيث أوردت اسم الكاتب الذمي سميح بن يوسف دوران، المذكور لدينا كشاهد أساسي في أحد عقود الملكية الخاصة بدار كانت من أملاك المقدم جلاذ بن معطي بحومة اليهود¹.

شكلت الطائفة اليهودية بإيالة الجزائر مجتمعا أحاديا من خلال تمسكها بدينها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ورسم الأطر الداخلية والخارجية المحكمة لفتتها ومحاولة ترسيخها بين أفراد الطائفة اليهودية من خلال جهازها الإداري، المتشعب الصلاحيات (الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية والإدارية).

وهذا ما استدعى افتراض مخطط هيكل التنظيم الداخلي للطائفة اليهودية بإيالة الجزائر حسب ما أوردته الوثائق العثمانية وبعض المصادر:



(Le guizbar) (Le chaber) (Le gabai)

¹ - م.ش. ع 41 (19).

² - Bernard Caporal, op.cit., 124.

³ - Zafarani, op.cit., p 262.

⁴ - Mainz, op.cit., p 204.

⁵ - Cohen, op.cit., pp 74- 120.

11- المذاهب الدينية:

المعروف أن الديانة اليهودية أكثر الديانات تعقيدا وأصعبها تلقينا في واقع العبادات نظرا لطبيعتها المركبة وتباين النسق الروحي للفئات الاجتماعية (التوشابيم، الميغورثيم، الإفرنج)، الأمر الذي ولد عدة مذاهب وقوى دينية متصارعة بسبب اختلافاتها الشعائرية-المذهبية، تمثل هذا الصراع المذهبي أساسا في "حركة القبالة"¹ التي ظهرت بالجزائر خلال القرن 18 م على يد أبراهام² توبيانا هارون المعطي وجوزيف أبو الخير والتي تمحورت حول قراءة الزوهر ولاقت رواجا في مدينة الجزائر قسنطينة وغرداية وبعض واحات الصحراء، وهذا حسب إيزنبت الذي أكد بأن اليهودية الجزائرية قبالية أساسا³ من حيث الشكل والمضمون، بالإضافة إلى الحركة السبتية Phéresie sabbatiasiste التي مثلتها عائلة Cansino بمدينة وهران.

في القرن 18م أدى الاختلاف الشعائري بين يهود الجزائر خصوصا في مدينة الجزائر (مقر الحاخامية العبرية) بخصوص صلاة (شيموني عزري) (Chémoné esré) وطريقة أدائها مع الأشعار الدينية (البيوشيم) حسب القواعد التي وضعها لها توبيانا والمعطي إلى خلافات دينية داخل المعابد اليهودية، انقسم بموجبها اليهود إلى فئتين الأولى تدعى (الباشتانيم Pachtanim) المؤيدة للطريقة التقليدية حسب قواعد ريباش وراشباش والثانية (مقوباليم Mequoubalim) وهي طريقة جديدة في ممارسة هذه الصلاة وفق

1 - حركة القبالة هي علم التصوف اليهودي وعلم التأويلات الباطنية التي يعمل بها همقوباليم (أي العارفون بالفيض الإلهي)، وهم أفراد من المتصوفة يسعون لمعرفة جذور الوجود الكوني، ليس عن طريق الوسائل العقلية، بل عن طريق الاستعداد العقلي والسمو بالنفس والقبالة اتجاه في التصوف اليهودي ظهر في القرن 13م، ومبدؤها الرئيسي (الزوهر) أي الضياء وهو أساس وجوه القبالة لصاحبه موسى بن سام توف الليوني الذي يكون قد ألفه ما بين 1280 و1286م، ويعتبر الزوهر الكتاب الأساسي لحركة التصوف اليهودي. ينظر:

Victor Malka, Les juifs sépharades, paris : PUF, 1991, p 45.

2 - هو الحاخام أبراهام توبيانا ترأس أحد المعابد اليهودية بمدينة قسنطينة خلال القرن 18م، تزعم حركة القبالة بها وعمد إلى التجديد والابتكار في الصلوات اليهودية، تزعم حركة الميقوباليم سنة 1755م، يعتقد انه توفي في 1769م.

3 - Eisenbeth M., Les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit., p 125.

إضافات وتعديلات توبيانا تبنتها عدة معابد بالإيالة، اقتداء بزعيمها الروحي Arile Lion أو إسحاق لورية¹ Isaac Louria.

أدت الخلافات المذهبية بين الباشتانيم ومقوباليم إلى أزمة حقيقية داخل المعابد اليهودية والتي هددت بدورها الوحدة اليهودية وزعزت الاستقرار الداخلي لهذه الطائفة، ذلك أن الباشتانيم اوردت طريقة لأداء صلاة² "الببوتيم" والمقوباليم خالفتها في كيفية الأداء من ناحية الشكل، وتطور الصراع بين الأطراف المختلفة، أدى إلى تراجع الحضور اليهودي في الساحة الاقتصادية (خاصة أن الخلاف استمر زهاء سنين) وهو الأمر الذي يرفضه الأغلبية الساحقة من هذه الفئة، باعتبار أن معظم الحاخامات هم تجار بالدرجة الأولى، وهذه الاضطرابات تعطل مصالحهم وتؤدي بهم إلى الإفلاس، فقرر مجلس البيعة عقد اجتماع لدراسة الوضع والتوصل إلى حل للنزاع حوالي 1758م وتوصلوا إلى اتفاق يقضي بعرض القضية على طرف حيادي خارجي، بعد أن أصرت الأطراف المختلفة على موقفها، وعرضت القضية على حاخام تونس مسعود رفائيل الفاسي الذي تدخل للفصل في هذا الخلاف الديني اليهودي-اليهودي، والحيلولة دون تحوله إلى مواجهات وانشقاقات، فرأى أن يحتفظ كل فريق بطقوسه الخاصة مع احترام الآخر واستمرت هذه الازدواجية

1 - هو إسحاق لورية (الربي هاري) ولد سنة 1543 بالقدس من عائلة اشكنازية وهو واضع أسس حركة القبالة مع الربي شمعون باربوشاي، صاحب فكرة الخلاص الروحي، انتشر مذهبه على يد تلميذه حايم فيتال (Hayyim Vital 1562-1620م) توفي بمدينة صفد الفلسطينية غير أن هناك اختلاف في سنة وفاته ما بين عام 1572 - 1573م.

2 - صلاة شيموني عزري من 18 دعاء مباركة (bénédictions) قيل أن يضاف إليها الشيمة (chéma)، إذ أن الأهمية القدسية في الشعائر اليهودية، والخلاف الذي نجم حول هذه الصلاة يتمثل في كيفية وقت أداء هذه الصلاة والببوتيم أي الأشعار الدينية، ومرجع النقاش أن القباليون يرون بوجود البداية بالصلاة وإتمامها ثم الانتقال إلى ترديد الأشعار الدينية، هذا حسب الحاخام توبيانا ومجلس الطائفة إيشوه، صيدون، جوزيف أبو الخير وهارون المعطي. ويرى الفريق الآخر بوجود البدء بصلاة شيموني عزري جماعيا مع ترديد "الحاخام" لها بصوت أكثر ارتفاعا من أصوات المصلين مع التوقف عن الصلاة بطريقة منتظمة لتلاوة بعض المقاطع من الببوتيم ثم مواصلة الصلاة بعد ذلك ثم "الببوتيم" وهي ما يعرف الصلوات الميمونية (الصلوات) الثمانية عشر التي ألفها عزرا "Ezra" ونشرت بالبندقية عام 1622م وتعرف بـ The breviary مع تلاوة فقرة من فقرات الزوهر (زهر // ب 274 - أ 272) للمزيد من التفاصيل ينظر:

Addison Lancelot, The present state of the Jews (More particularly relating to those in Barbary) London: printed by J.c for William Croke, 1675, p

حايم الزعفراني، المرجع السابق، ص 229.

المذهبية في المعابد اليهودية حتى نهاية عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر¹ على الأقل بالرغم من أن كتاب الزهر هو المصدر² الأول لكلي الطريقتين.

¹ - Eisenbeth M ., Les juifs en Algérie et en Tunisie,op-cit, pp 167- 170.

=Bernard Cohen et robert Ayoun, Les juifs d'Algérie 2000 ans d'histoire, pp 84- 85.

² - Zafarani H., Poésie juive en occident musulman, paris : 1977, pp 21- 22.

ثانيا: الواقع الاجتماعي

1- العائلة اليهودية:

تشكل العائلة اليهودية رمز الوحدة والقداسة في الفكر اليهودي، نظرا لحرص اليهود على التمسك بتقاليدهم وعاداتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، والدفاع عنها من المؤثرات الخارجية التي لم تسلم منها هذه الأخيرة في أي مجتمع من المجتمعات التي استقرت به وتفاعلت مع خصوصياته الداخلية والخارجية.

في إيالة الجزائر تميز المجتمع اليهودي بظاهرة الانغلاق، حيث لا يكاد يعرف عن هذه العينة البشرية إلا بعض التفاصيل التي رصدتها معظم الوثائق العثمانية بالجزائر، ولعل الهدف من ذلك هو الحفاظ على النسيج الاجتماعي والديني العبري وهذه النزعة نفسية تاريخية وهي تجاوز لمرحلة الشتات¹ التي طبعت وجود اليهود بالعالم.

أدت الأسرة اليهودية دورا هاما في الحفاظ على الموروث الاجتماعي والثقافي والروحي للطائفة اليهودية²، من خلال اهتمامها بالطابع الديني للزواج، حيث كان اليهود التوشابيم يطبقون الأحكام التلمودية القديمة، التي استكملت صيغها وأشكالها على ضوء العادات المحلية، وتجدر الإشارة أن الشريعة اليهودية تشترك مع الشريعة الإسلامية في اعتبار الصداق (المهر) كركن أساسي من أركان الزواج يحدد عند عقد الخطبة (الشيدوخيم) وهو واجب على الزوج يلتزم به لزوجته ويشترط توثيقه في عقد الزواج³. والمعروف أن أحكام الزواج قد توافقت بعد وصول مهجري الأندلس (الميجورشيم) مع الأحكام الشرعية المحددة في التقنوت القشتالي والتي نفذت تدريجيا إلى الفقه العبراني، وقد عرفت هذه الأحكام تطورا ملحوظا تبعا لمتطلبات البيئة وما ساهمت به أحكام شولحان عروخ (تشريع

1 - محمد الحسني إسماعيل، المرجع السابق، ص 43.

2 - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 157.

3 - منصور، محمد حسين، النظام القانوني للأسرة في الشرائع الغير إسلامية، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1983، ص 159.

يوسف كارو¹ في القرن السادس عشر) الذي قنن ووجد ما بين الأحكام المتعددة والمتناقضة في أغلب الأحيان مع الفقه المطبق سابقاً. وما لبث هذا التشريع المسمى (القشنتالي) أن فرض سلطته لدى مجموع السكان اليهود على اختلاف أصولهم.

2- الزواج:

يعتبر الزواج في الشريعة العبرية أهم الطقوس الدينية والدينيوية لذلك وضعت له ثلاثة أركان أساسية إذا انعدم أحدها يعد الزواج باطلاً ولا صحة له، وهي أولاً التقديس الذي يتم في مجلس البيعة² يحضره الحاخامات والقاضي ووليا الزوجين والشهود وللعائلة الاختيار في أن تجعل التقديس علني حيث يحضره عدد كبير من الأقارب أو أن يقتصر على الانسباء فقط، يعلن الزوج فيه عن رغبته في الارتباط بالمرأة للزواج ويقول لها: «ها أنت مباركة لي بهذا الخاتم طبقاً لشريعة موسى وإسرائيل»، والتقديس ضروري ترتبط فيه المرأة اليهودية بزوجها شرعاً، فلا تحل لآخر إلا بالطلاق أو الوفاة. ثانياً: كتابة العقد وهو تحرير عقد النكاح ويصادق عليه قبل حفلة الزواج³، والعقد عبارة عن تعاقد رسمي يقوم به "السوفر" الذي يمثل السلطة الربية في المجتمع اليهودي وتشتمل الكتابة عقد النكاح على (قنيان شطار وقنيان سودار في آن واحد أي الوجه الأول التملك بعقد عدلي (شطار) وهو الوثيقة التي يسلمها الخطيب لخطيبته ويحتفظ بها الاثنان بعناية فائقة، ويلتزم الزوجان في نفس الوقت بقنيان سودار العقد الرمزي للتملك)، يعلق الخطيبان عن قبولهما الشروط المسجلة في الكتابة وهما ماسكان لمنديل (سودار)، والعقد يحتوي على قيمة الصداق (مقدم ومؤخر) وشروط الزوجين 1/ شروط الزوجة، شروط الزوج، تخضع شروط الزوجين

1 - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 77.

2 - المرجع نفسه، ص 82.

3 - تبدأ الاحتفالات في السبت الثاني السابق ليوم الزواج الحقيقي والذي يتم في يوم الأربعاء، ويسمى هذا السبت بسبت الرشيم (سبت التعيين أو الإشهار) والخميس التالي وهو يوم الاحتفال تتم فيه طقوس خاصة بالعروس ويسمى سبت إيلان حيث تجتمع فيه العروسين بأصدقائهما من العزاب وعدد كبير من الأهل والأقارب ويسمى أحياناً هذا السبت سبت الرأي (سبت التناول والمشورة) ويتم في يوم الاثنين أداء اليمين (انهار شيفونعا، أونها رفينان) للمزيد من التفاصيل، ينظر: حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 83.

لعدة مؤهلات منها المركز الاجتماعي للطرفين، الانتماء الطائفي (التوشايم، الميغور شيم...)، بالإضافة إلى حقوق وواجبات الزوجين الشرعية.

ثالثاً: صلاة البركة إقامة الصلاة لازمة لمباركة الزواج¹ في الشريعة العبرية، وتفتح مراسيم احتفال العرس في يوم الأربعاء بالبركات السبع وتلاوة عقد النكاح جهرياً، ففي هذا اليوم تلتحق الزوجة ببيت الزوجية، ولكي لا يكون الزواج لاغياً لا بد أن يتم الاحتفال بحضور عشرة أفراد من الذكور البالغين يشترط وجودهم أثناء صلاة الجماعة ويلزم أن يكون بينهم حبر وقاضي أو احد أعضاء مجلس الطائفة إذ أن أياً كان تزوج بحضور شاهدين فقط تفرض عليه غرامة يحددها² المقدم أو القضاة، يتم في اليوم الأول من "شفعوت" تتم فيه تلاوة بعض نصوص التوراة والأسفار ومجموعة من آداب الوعظ والإرشاد ويلخص أحد الآباء ذلك فيما يأتي: « ولقد تعهد الإله منذ اللحظة التي اختار فيها بني إسرائيل لوضع توازنه بين أيديهم أن يقوم بواجب الزوج نحوهم حسب مقتضيات الهلخا (التشريع الربى) وهذا الواجب يتمثل في عشرة أشياء، جاء ذكر ثلاثة منها في التوراة نفسها وهي أن يطعمها إسرائيل ويكسوها وأن يقترن بها اقتران الزوجية، وتتمثل الواجبات الأخرى في شفائها إذا مرضت وفي تحريرها من يد مغتصبها إذا سببت وفي دفنها إذا ماتت، وأن يسكنها السكن اللائق بها وأن يضمن عيشها وعيش بناتها، إذا مات الزوج نفسه...»³.

نلاحظ مما سبق أن اليهود كرسوا الزواج في طابعه الديني الذي لا يخرج عن إطار شرائع التوراة وتوجيهات التلموذ، ذلك أن مجلس البيعة رأى أنه في العناية بالأسرة وتقييدها بشروط واقعية من خلال عقود الزواج يكفل وجود نسيج اجتماعي متماسك

¹ - Shiloah. A., Les traditions musicales juives, Maisonneuve et La rose, paris : 1996, p 225.

² - تتمثل هذه العقوبة أن يسجن الزوج أياماً بما في ذلك أيام السبوت والأعياد إلى أن يوافق على الإدلاء بعقد طلاق المرأة اليهودية، وإذا وافق الآباء على تزويج بنتهم له فإن عليه على الأقل القيام بإجراءات الطلاق الشرعي، قبل زواجه منها من جديد مراعي احترامه الشرع، وتتخذ إجراءات كذلك ضد الشاهدين، وهي عقوبة جسدية وغرامة مرتفعة تقدر بـ 50 أوقية من الفضة وإلى عهد قريب لم تتوقف المحاكم الرببية عن إدانة هذا النوع من الزواج (زواج بدون صلاة البركة).

³ - ازرياح بن افرائيم بيكو (حبر من إيطاليا عاش ما بين القرن 16 و17م) "جنه لعيتم" إدراك أزمنة العبادة وهو مجموعة من المواعظ الخاصة بشفعوت (الخبزاة العامة بالرباط).

ومتوازن، يمكن من خلاله إحياء مجتمع يهودي عالمي، على شاكلة المجتمعات اليهودية في العهد القديم.

غير أن هذا لا ينفى وجود تجاوزات مختلفة لبعض شروط عقود الزواج، وهذا حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأحد الزوجين خاصة والمجتمع اليهودي عامة، فأحيانا يلغى الزواج أصلا، إذا ثبت انتماء أحد الزوجين لفئة معينة تختلف عن الفئة الأولى، أو ثبت أنه من سلامي أي يهودي دخل الإسلام وبالتالي لا يصح الزواج من المرأة اليهودية وبالتالي يلغى من قانون الأحوال الشخصية.

أقرت المجامع الدينية الكبرى للأحبار بالمغرب الإسلامي في مرحلة متأخرة عددا من المراسيم المتعلقة بتوحيد أنظمة الزواج والمواريث، وفق الأعراف والتقاليد لا سيما تلك التي تتعلق بأحقية الزوجة في مقدم ومؤخر الصداق. حيث جاء في احد العقود: «...أن الذمية اليهودية الجوهر بنت يوسف زوجة الذمي موشي اليهودي بن مسعود، ملكت جميع نصف الثمن وجزء من اثنتي عشر جزءا من جميع الدار الواقعة بزقة الجرابة والمعروفة بدار اللوشي الكبيرة بعد وفاة زوجها موشي في جميع صداقها عليه...»¹.

بيبارك الزواج وهو تعاقدا أساسه التشريع الديني بالباركة الزوجية أولا، وبالصيغة الشعائرية ثانيا، وهما مظهران لاحتفال شعائري واحد، يكرسان رسميا الاتحاد الشرعي والقانوني للزوجين ويتوقف ذلك بما يقدمه الخطيب لخطيبته من "مهر" (التمثل في قطع نقدية أو حلي ذات قيمة) وعليه يبارك الزواج بالقدوش (وهي مباركات الخمر السبع) وبالصيغة الخاصة، ويصبح هذا الاتحاد قائما والذي يشار إليه باللفظة العبرية "نسوتين"².

الزواج في المنظومة العبرية يتضمن عددا من الإجراءات تحمي المصالح المالية للمرأة بالأساس ويمكن أن يختار الزوجان وعائلتهما بين مختلفة أنظمة الزواج، وهي الصداق، تحديد الكتوبة، عقد الزواج، مبلغ المهر الشرعي الذي يضاف إليه المقدم وحصاة

¹ - م ش ع 57 (28).

² - حايبم الزعفراني، المرجع السابق، ص 98.

الزوجة في حالة ما توفي الزوج أو حدث طلاق فإن مجموع المقدار المسجل في الكتوبة يعود من حيث المبدأ إلى المرأة التي تظل تملك من مقدار المبلغ رهانا شرعيا موقوفا على أملاك زوجها وهذا حسب مخطط "الكتوبة" وعلى ضوء الأنظمة التقليدية أو القشتالية أن تضاف باتفاق مشترك بعض التغييرات العامة على شكل بنود تهدف إلى حماية بشكل أفضل مصالح المرأة¹.

ويحدث أن يحرر المعنيون بالأمر بالإضافة إلى عقد الزواج اليهودي (الكتوبة) عقدا يسمى بالصداق يقدمه الزوج لزوجته ويبرم أمام قضاء إسلامي مكون من قاضي وشاهدين عدلين أو من هذين الأخيرين فقط.

بقي هذا التقليد في الزواج مستمرا إلى نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر لدى الطائفة اليهودية.

وبناء على توثيق عقود الزواج تحفظ حقوق المرأة في المواريث، وفي هذا الصدد ورد في احد العقود: «... بعد وفاة الذمي شمويل بن دحمان اليهودي انتقل أولاده وهم هارون وسلطانة وعزيزة لحضانة عمهم الذمي إسحاق، الذي طلب من الشيخ القاضي أن يأذن له ببيع نصيب الأولاد في تركة والدهم وهو ثمن واحد من إحدى الدور، لإجراء النفقة عليهم ولتشوير (تجهيز) البنيتين المذكورتين لتزويجهما ولضروريات احتاجوا إليها، فأجابه إلى ذلك الشيخ القاضي...»².

والواضح من صيغة العقد، أن ميراث الزوجة محفوظ ولا يملك (العم) الكافل حق التصرف فيه، بينما يمكنه التصرف في ميراث الأولاد حسب حاجة الإنفاق وهذا وفق تصريح من جهة قضائية معينة (قضاء إسلامي حسب العقد)، وهذا ما يثبت لدينا تأثير اليهود بالمسلمين في تقسيم التركات ووجوب الإنفاق على الورثة، وأغلب الظن أن تكون

¹ - المرجع نفسه، ص 79.

² - م ش ع: 49 (59).

عائلة بن دحمان من اليهود التوشابيم، فهم أكثر فئة يهودية تأثرت تأثراً بالغاً بالمسلمين في العادات والمعاملات.

يحكم الخلية الزوجية أو العائلية مجموعة من القواعد الشرعية التي تنص على ضرورة الإنفاق على الزوجة ومراعاة أملاكها والحرص على مصالحها، وتأمين متطلبات الأسرة التي هي روح العلاقة الزوجية الشرعية عند اليهود، لكن هذا الأمر لا يمنع من خصوصية كل طرف في ممتلكاته وحرية التصرف فيها، وهذا حسب ما جاء في أحد العقود التي ورد فيها فصل صريح بين أملاك الزوجين «... الذميين يوسف بن يمين، ومسعودة بنت شوعة، إذ ملك الذمي يوسف ثمن واحد من دار مليلة أما زوجه الذمية مسعودة، فقد كان من جملة أملاكها محل يقع بناحية باب الوادي...»¹.

على الرغم من أن النصوص التشريعية العبرية فصلت بين ممتلكات الأزواج وحرية المرأة اليهودية في التصرف في أملاكها، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك حيث لا يمكن للزوجة أن تبيع أو تشتري أو ترهن إلا بموافقة زوجها حسب ما استقصيناه من أحد العقود: «... بأن الذمية سلطنة بنت ناطان اليهودي لما باعت نصيبها في محل معد للصياغة، كان ذلك بمحضر بعلمها الذمي شالوم² بن يهوده اليهودي وبموافقته لها بالبيع موافقة تامة...»³.

يفهم من هذا الأمر عجز المرأة اليهودية في التصرف في أموالها دون موافقة زوجها لأن هذا يعتبر مخالفاً للشرعية اليهودية التي حرمت مباشرة المرأة لأعمالها ولمعاملات البيع والشراء دون إذن زوجها غير أنه لا يحق للزوج أن يتصرف في مال زوجته دون إذنها. ولعل هدف التشريع العبري من هذه الإجراءات:

1- حرص الزوج على ممتلكات زوجته باعتبارها من ممتلكاته أيضاً.

¹ - م ش، ع 142 - 143 (8).

² - م ش ع 11 (7).

³ - م ش ع 11 (7).

2- عدم خبرة المرأة اليهودية في المعاملات التجارية وأسعار العملات وأحوال الأسواق لذلك الزوج كفيل بمراعاة شؤونها المالية.

3- تدعيم الروابط الأسرية بين الزوجين من خلال التراضي في الأمور المادية التي ترفع من الحس المعنوي الزوجي [ترى النصوص التلمودية أن الزوجة من أهم أولويات الزوج وهو بدوره من أهم أولوياتها وهذا قياسا بالطاعة والتراضي والحرص على مصالح بعضهم البعض].

تفسخ الرابطة الزوجية بوفاة أحد الزوجين أو بطلاق¹ مكتوب/ كيت/ يملك الزوج من حيث المبدأ حق التصرف فيه، وظلت المحاولات جارية عبر العصور، وبمختلف الوسائل للحد من ممارسة هذا الحق أحادي الجانب، حماية للمرأة ونصرة للأخلاق الحميدة. غير أن الملفت للانتباه الحالات التي يتم فيها الطلاق، فبالإضافة إلى الحالات العادية للطلاق، كالنشوز والامتناع عن النفقة، بعض المظاهر الأخرى منها رفض الزوجة مصاحبة زوجها في سفره²، وإذا ما رفضت الزوجة مصاحبة زوجها في سفره لاضطراره البحث عن العيش في مدينة أخرى فإن الضرورة تفرض عليها الخضوع لقراره على الرغم من الاتفاق المكتوب في (الكتوبة) الذي ينص على أنه: « ينبغي على الزوج أن يحصل على موافقة زوجته في حالة ما إذا أبدى رغبة في تغيير محل إقامته»³.

وضع العاكونة وهي الزوجة المرتبطة بزواج غائب الذي اختفى أثناء سفر من الأسفار ويكون في أغلب الأحوال قد فقد حياته، ففي الحالة ما لم يقد الدليل القاطع على

1 - ذكر بشير عبد الرحمن أن مراسيم الطلاق عند اليهود تتم في البيعة، بحضور الزوجين أمام القاضي وبحضور شاهدين، إذ يسلم الرجل وثيقة الطلاق إلى زوجته قائلا: «استلمي وثيقة طلاقك صرت حلا لغيري». ومن التأثيرات الشعبية في شمال إفريقيا على مراسيم الطلاق اليهودي ما كان يحدث فور خروج المطلقة من البيعة بعد إتمام مراسيم الطلاق، حيث تنتظرها النسوة في الخارج ويسكن عليها كوبا من اللين كرمز للفرح والخير (نعتقد في حالة أن يكون الزوج عقيما، فتفرح النسوة بطلاق المرأة به حتى تبدأ حياتها من جديد وترى ذريتها التي في نظرهن حرمها منها سنين طويلة)، ولا تعود المطلقة إلى منزل عائلتها في أول يوم من طلاقها خاصة إذا كان به نسوة متزوجات، خشية أن يصيبهن المصير نفسه. بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، القاهرة: منشورات عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001، ص 121.

2 - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 91.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الوفاة، فإن المرأة تظل معلقة ولا يحق لها التصرف في نفسها أي تمنع من الزواج، لذا كان الزوج عندما يعتزم القيام بسفر طويل، يترك لزوجته عقد طلاق محتمل (طلاق مشروط) وهكذا إن هو لم يعد في تاريخ محدد، تصبح وثيقة الطلاق سارية المفعول وبإمكانها الزواج إن تلقت عروضاً بذلك في ظل غياب زوجها الأول.

وضع المشماد أو مومار¹ أي المرتد، ففي حالة اعتناق الإسلام، تتضمن العادة حسب الشرائع الربية بتحويل نصيب المرتد إلى أهله، واعتباره ميتاً بالنسبة للعائلة، وبالتالي يجوز تطليق زوجته منه.

أما وضعية الأرملة اليهودية فهي أسوأ من المطلقة، حيث يطبق قانون "الليفرا" السلفة في المجتمع اليهودي طبقاً لأوامر التوراة، إذ يفرض على أخ المتوفى أن يتزوج زوجة هذا الأخير إذا لم يترك ذرية².

وتعتبر الحاليسا³ (إزالة الحذاء) نوعاً من أنواع الحلول لمشكل زواج امرأة المتوفى من أخيه وتحظى غالباً بتشجيع السلطات القضائية، ومن حيث المبدأ فإن الإجراء هو الذي يفرض القانون على الأخ الذي يرفض الزواج بامرأة أخيه المتوفى، وهذه من التعاليم التي تعود إلى العصر التوراتي وكما جاء في سفر التثنية: « فنتقدم إليه امرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتنقل في وجهه وتجيبه قائلة، هكذا يصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، فيدعى في آل إسرائيل، بيت مخلوع النعل»⁴.

3- المرأة اليهودية:

شكلت دراسة أحوال المرأة اليهودية في الأسرة والمجتمع العبري في بلاد المغرب عامة وإيالة الجزائر خاصة وضعية مبهمة، وهذا راجع للغموض الذي طبع حياتها داخل الطائفة وهذا ما أدى إلى غياب المعلومات المسجلة عنها سواء في الوثائق العثمانية أو

1 - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 92.

2 - سفر التثنية، 5XXV.

3 - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 92.

4 - سفر التثنية، 109XXV.

المصادر الغربية إذا ما استثنينا منها تلك المعلومات التي استقصيناها من بعض وثائق المحاكم الشرعية.

نهجت الشريعة العبرية إلى اعتبار المرأة مخلوق منحط عن مستوى الإنسانية بحكم الفطرة وهذه النظرة مستوحاة من النصوص الدينية¹ ومن بعض أقوال حاخامات بني إسرائيل، إذ نظر المجتمع اليهودي إلى المرأة بازدراء، باعتبارها نجسة، كما أنها في الهيئة الاجتماعية لا منزلة لها أي تعامل معاملة الأمة رغم كونها حرّة، فهي تحرم من الإرث² بوجود الذكر ولا تقبل في الوظائف الدينية ولا تسمع لها شهادة ولا يعتد بنذرها ولا بقسمها، بنتا كانت أو زوجة إلا إذا أيدته الأب، أو الزوج بسكوته³.

والجدير بالذكر أن واقع المرأة اليهودية عرف تغييرا واضحا وتطورا محسوسا بظهور الإسلام في منطقة المغرب، خاصة أن تعاليمه نصت على احترام المرأة بشكل عام ووضعت ضوابط تكفل حقوقها وتحفظ كرامتها، فلعل التكافل الاجتماعي بين اليهود

1 - وهذا حسب ما جاء في سفر اللاويين: « وكلم الله موسى قائلا: كلم بني إسرائيل قائلا: إذا جنت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث عليها تكون نجسة... كل شيء مقدس لا تمس والمقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين، كما في طمثها... ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة، تأتي بخروف حولي محرقة، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن، فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها...».

سفر اللاويين، الإصحاح 12.

2 - الأرملة لا ترث عن زوجها المتوفى شيئا لأن إرثه كله يعود لأولاده، فقرر الأحيار والحاخامات تعويضها عن ذلك بصيغة قانونية تضمن لها بعض الحقوق المادية، وهي عقد الزواج "كتوباه" الذي بموجبه تسترد المرأة قدر مهرها الأول، ومنذ القرن الأول قبل الميلاد وضع الراب شمعون بن شيطاح قانونا يقضي بأن جميع ثروة الزوج السابقة للزواج والتي تحصلت خلال الزواج أو بعده تكون رهنا في عقد الزواج "الكتوباه" فتحصل المرأة على هذه الثروة عند الطلاق أو عند الوفاة.

للمزيد من التفاصيل ينظر:

Dictionnaire encyclopédique de Judaïsme, PARIS : édition Hachette, 2001, p 500.

3 - جاء في سفر العدد: «... وأما المرأة فإذا نذرت نذرا للرب والتزمت بلازم في بيت أبيها في صباها وسمع أبوها نذرها واللازم الذي ألزمت نفسها به، فإن سكت أبوها لها تثبت كل نذورها وكل لوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت وإن نهاها أبوها يوم سمعه فكل نذورها ولوازمها التي ألزمت نفسها بها لا تثبت والرب يصفح عنها لأن أباه نهاها، وإن كانت لزوج ونذورها عليها أو نطق شفتيها الذي ألزمت نفسها به 7 وسمع زوجها، فإن سكت في يوم سمعه تثبت نذورها ولوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت، وإن نهاها رجلها في يوم سمعه فسخ نذرها الذي عليها...».

سفر العدد، الإصحاح 30، الفقرات 3- 8.

والمسلمين أدى إلى تحسين وضعية المرأة اليهودية، ضف إلى ذلك الصبغة الحضارية في معاملة المرأة التي حملها اليهود الميغورثيم معهم إلى الجزائر.

غير أن المتعارف عليه أن الإسلام هو من غير وضعية المرأة اليهودية وهذا حسب ما أعرب عنه أندري شوراقى: «... بأن تغير أوضاع المرأة اليهودية في شمال إفريقيا مرده أساسا لسيادة الإسلام، ويعتقد أن ذلك تم في اتجاهين الأول: فمثال ذلك أنه كان للأب اليهودي حق تزويج ابنته دون استشارتها حتى وإن كانت متقدمة في السن، لكن بفعل احتكاكهم بالمسلمين تغير هذا الأمر، وقد امتد التأثير بالمسلمين إلى مجاراتهم في الجمع بين زوجتين أو أكثر وهذا ما يراه سلبيا»¹.

في الواقع لا نعلم لماذا يرى أندري شوراقى الجمع بين الزوجات أمرا سلبيا، حيث يبدو الأمر في التوراة واضحا منذ صفحاتها الأولى عندما تخبرنا عن زواج لامك وهو من ذرية قابيل، من امرأتين في سفر التكوين، الإصحاح الفقرة 19.

إن هذا الموقف لا يبرره إلا أمر واحد وهو تلك النظرة العنصرية للدين الإسلامي ومحاولة إيجاد ثغرات في جوهره تسيء من خلالها لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم أنه صلى الله عليه وسلم جمع أكثر من زوجتين.

غير أنه ما يهمنا في هذا السياق هل استقرت أحوال المرأة اليهودية في إيالة الجزائر أم أنها بقيت على شاكلتها الأولى؟

أ- تربية الأولاد:

إن الصورة التربوية التي تقدمها مرويات العهد القديم للأولاد، تبرز الدور المتكامل للوالدين في التربية، وتعزز ذلك بمجموعة من الأوامر والنواهي والأحكام والفرائض، فتربية الولد تعود في الأساس إلى الأب الذي يكرس فيها الضوابط الشرعية في التوراة

¹ - Chronique, op.cit., p 184.

الخاصة بالتربية¹، أما في حالة وفاته، فإن الأم هي من تكمل دور الأب وتقوم بحضانة صغارها حتى سن معينة، وتخصصهم برعايتها وحنانها، كما تساهم المرأة أحياناً في تشكيل مصير أولادها من خلال العمل على المحافظة على مصالحهم وأملاكهم، فحسب وثائق المحاكم الشرعية فإن اليهودية الأم تسعى جاهدة لتحقيق الاستقرار المادي والمعنوي لأولادها الأيتام وهذا الأمر بالنسبة إلى «الذمية ستي بنت؟» (غير واضح) التي حضرت لدى القاضي في حقها وحق ابنها ومحجورها إسحاق وباعت الدار التي خلفها زوجها المتوفى واعترفت الذمية ستي أنه لا حق لها في نصيب محجورها ولدها إسحاق².

والمعروف أن يهوديات مدينة قسنطينة يتنافسن في إعداد أولادهن على أحسن وأكمل وجه من خلال الحرص على ممتلكاتهم، والمحافظة على حقوقهم ذكورا ام إناثا ويسعون لضمان هذه الحقوق بعقود موثقة.

ويصادف في العائلة أن يتوفى الوالدان معا، لذلك فإن الحضانة تعود إلى الأقارب بناء على توصيات التوراة التي تعتبر اليتامى من المعوزين داخل المجتمع وحاجتهم إلى المؤازرة والمساعدة تكون كبيرة، وهي تقع على ذويهم من أهل الزوج أو الزوجة دون تهرب أو تملص من هذه المسؤولية وهذا حسب ما ورد في سفر الخروج.

أما بالنسبة للأيتام اليهود في الجزائر فإنهم لم يستثنون من التعاليم التوراتية في الرعاية والكفالة فمثلا بعد «... أن توفي الذمي يعقوب استقرت ابنته الذمية (غير واضح) إلى نظر جدتها للأب وهي الذمية زهرة....»³.

ب- اليهودية المالكة

¹ - خصت التوراة الأولاد بمجموعة من الضوابط الشرعية، فتربية الولد تعود بالأساس إلى الأب، فهو يختار اسمه في البداية ويختنه في اليوم الثامن من ولادته، ويصنع وليمة يوم فطامه، وعند بلوغه سن الرشد الديني يعلمه قراءة التوراة وكتابة اللغة العبرية، ويلقن فرائض الشريعة وأحكامها وهو بذلك يقيم عهد الرب وإرادته. سفر التكوين 16، 15 و21، 3، سفر التكوين، الإصحاح 21 الفقر 4.

² - م.ش ع؟ (28).

³ - م.ش ع: 40 (17).

على الرغم من أن الشريعة اليهودية والتلمود جعلوا المرأة اليهودية في الدرجة الدنيا من حيث المستوى مع الرجل، أقصيت من الميراث ومن الوظائف الدينية إذ أن ما استقصيناه من الوثائق يجسد صورة حقيقية للمرأة اليهودية المالكة للأموال والعقارات، فمثلا «... ملكت الذمية ريكة بنت موشي ليبي شطر الدار الكائنة بسوق العطارين اليهود...»¹، وجاء في عقد آخر: «... ثبت أن الذمية بنهى اليهودية بنت الذمي إبراهيم، فقد كان على ملكها جميع نصف الثمن من جميع الدار الكائنة بزقة البوزة...»².

كما ملكت «... مسعودة و استيتي بنتا إبراهيم اليهودي إلى جانب مسعود بن هارون ضبيانة جميع جلسة الحانوت الواقعة بسوق العطارين»³.

وذكرت وثيقة أخرى «... أن الذمية مسعودة بنت يوسف ملكت ربعا واحدا من حانوت معدة لصناعة الحلبي... بعد استقرار جميع الحانوت الواقعة بسوق الصاغة داخل محروسة الجزائر على ملك الذميين الأخوين شلومو و يوسف ولدا موشي بن نجانة، بينما انتقل الذهب الموجود في الحانوت المذكورة والخاص بالذمي يوسف إلى ابنتيه عزيزة ومسعودة بالإرث...»⁴.

نستشف من الوثائق السابقة تجاوزا واضحا للحكام التوراتية التقليدية التي تحرم المرأة من الإرث والامتلاك، وهذا يدل على التأثير الواقعي لأحكام الشريعة الإسلامية على واقع المعاملات لدى الطائفة اليهودية بإيالة الجزائر، وحتى هذا التأثير ليس بماهية التعاليم الإسلامية بالدرجة الأولى بينما هو التأثير بمنطق فائدة وجوه أخرى من وراء هذا الامتياز (الزوج، الأولاد...)، فعند حرمان المرأة اليهودية من الإرث سوف يحول إلى إختها الذكور الذين ينتفعون ويوسعون به أعمالهم وتجارتهم، بينما يبقى زوجها بائسا، مستقرا دخله على حرفة معينة. وهذا ما دفع ببعض اليهود إلى تجاوز هذا التقليد من خلال مطالبة

1 - م.ش ع 151- 152 (3).

2 - م.ش ع 10 (3).

3 - م.ش ع 57 (13).

4 - م.ش ع 28 (34).

مجلس الأبحار بدراسة هذه المسألة الدينية الاجتماعية وتعديلها، وما تجدر الإشارة إليه أن مجلس البيعة في مناطق مختلفة من إيالة الجزائر قد أبدى تحفظات إزاء هذه المسألة¹، لأن الأمر في نظرهم يعتبر انتهاك صريح لحرمة التوراة، إلا أن الاحتكاك اليومي مع المسلمين والاطلاع على أحوالهم الاجتماعية في ظل الإسلام، أدى في النهاية بالأبحار بغض النظر عن اليهود الذين يورثون بناتهم، غير أنهم لم يسمحوا للمرأة بالامتلاك المطلق للدور والأراضي والعقارات وإنما جعلوا لها حصة معينة تقل عن حصص المالكين من الذكور، وهذا للحفاظ على الهيكل الروحي والفكري للشريعة اليهودية وتعاليم التلموذ، ولعل أبرز مثال على ذلك هو تقييد حصة الذمية مسعودة بنت الذمي يوسف بالربع من محل أبيها بينما عاد السدس من المحل إلى عمها شلومو².

ج- الأسرة اليهودية:

تبدو أهمية الزواج في اليهودية كرباط مقدس لجسم وروح الرجل والمرأة هدفه إنشاء أسرة³ لتحقيق الإثمار والإكثار، ومن ثم تطبيق الشريعة والوصايا، فحث رجال الدين يهود على ضرورة الزواج لتحقيق كل هذه المقاصد (إنشاء بيت إسرائيل، إكثار بني إسرائيل وتطبيق شريعة إسرائيل) ونهوا عن العزوبية والعزوف عن الزواج فأسسوا طقوسا ووضعوا أحكاما وشرائع خاصة بالزواج والأسرة توارثها الخلف عن السلف.

فهذا التقديس للأسرة وللإنجاب لا يمكن أن تقاس عليه الأسرة اليهودية بالجزائر خلال العهد العثماني، فأغلب العقود التي وثقت للميراث والبيع والشراء والإيجار لم ترصد عددا كبيرا للأولاد حيث لم يتجاوز على أكثر تقدير خمسة أولاد فمثلا: «... كان للذمي يهوده وليد شمعون ننوشي اليهودي من زوجته عزيزة بنت شعة خمسة أولاد، وهم شعة

¹ - التعليق الوارد أعلاه استقصيناه من شتات الوثائق والمصادر وأعطينا بالتالي حوصلة عامة بخصوص ميراث المرأة في التوراة وكيف تغيرت مبادئ الإرث الخاصة بها في إيالة الجزائر وهذا تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية للإيالة.

² - م.ش ع 28 (33).

³ - رشيدة فؤاد، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة، الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ط الأولى، 2013، ص 17.

وشمعية وشمعون وموشي وشموييل...»¹، وهي بالتالي تؤكد عدم شيوع ظاهرة الأسرة اليهودية كبيرة العدد وربما الأمر يرجع إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للجزائر خلال تلك الفترة، طالما أن الظاهرة لم تقتصر على الأسرة اليهودية وحدها وإنما طالت حتى الأسرة الجزائرية خلال تلك الفترة والتي يمكن أن نرجعه إلى ما يلي:

- 1- تدني الأوضاع الصحية الناتج عن كارثة وباء الطاعون الذي اشتدت وطأته في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وكان أشدها الوباء الكبير الذي دام نحو عشر سنوات حيث تسجل الإحصائيات النمو البطيء في وسط الأولاد يقدر بنحو 20,21²، وهذه النسبة تقاس على معدل الإنجاب في جميع الإيالة.
- 2- سياسة اللااستقرار التي طبعت حياة اليهود بالإيالة أدت بمعظم الأسر اليهودية إلى تحديد الإنجاب تحسبا لأي طارئ سياسي، مثل حادثة مقتل بوجناح 1805م وما تبع ذلك من هجرة حوالي مائة عائلة يهودية.

د- الولد البكر:

الولد في المجتمع العبري مرغوب فيه، وينتظر بشغف وبنوع من القلق، إنه واجب جوهرى لم سيعمل³ على تخليد النوع، وهم أكبر يستمر ذكر العائلة طويلا في ظل سلالة معطاء، لذلك أولت الشريعة والعرف اليهودي أهمية خاصة للابن البكر لما سيتقلده من مهام في حياة وبعد وفاة والده، تعلم حرفة أو مهنة والده، إمارة أعمال والده (سمسرة...)، يكون أول من يدخل مع أبيه إلى المعبد اليهودي، الإشراف على أمور المنزل في غياب والده...، توكل له مهمة تقسيم شركة أبيه على إخوته وهذا وفق ما أشارت إليه إحدى العقود: « حضر أمام الشيخ القاضي الذمي موشي بن يعقوب بن المقوس لقبض ثمن البيع في حقه

¹ - م.ش ع140 (19).

² - عائشة غطاس، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة إنسانيات، العددان 19- 20، جانفي- جوان 2000، وهران: مركز البحث والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، ص ص 33- 45.

³ - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 48.

وحق باقي ورثة والده يعقوب بحكم توكيل منهم بشهادة قضاتهم، وذلك ثابت لدى السيد القاضي؟ الثبوت التام وهم عزيزة ولياهو ومردخاي وأشهد بأنه قبض ما بقي بذمة مورثهم المذكور باعترافه القبض وإبراء ذمته براءة تامة من جميع ما كان بينه وبين مورثهم سالف...»¹.

إن هذه المعاملة المتميزة والحظوة الخاصة التي طبعت الابن البكر لدى الأسر اليهودية لطالما كانت منبع المشاكل العائلية بين الإخوة (تحاسد وتشاحن الإخوة يمكن أن تصل إلى القتل عائلة بكري مثلا)، بناء على مبدأ الأفضلية للولد البكر مثال (إعالة الفتيات وتمييزه في الميراث، إذ خصّ بحظ ولدين لكونه الولد الأكبر).

على الرغم من سعي العائلات اليهودية للحفاظ على تماسك أفرادها، إلا أن ظاهرة التمييز بين الأولاد كانت من بين أسباب تفكك الأسر اليهودية، وهجرة بعض أولادها إلى مناطق أخرى أو حتى إلى أوروبا بحثا عن امتيازات فقدوها بعائلاتهم، ولتجاوز هذا الوضع لجأت بعض الأسر اليهودية إلى تحديد معدل إنجابها بطفلين ولد وبنت تجاوزا لمثل هذه الأمور.

فالولد الذكر يتمتع بمكانة خاصة في العائلة اليهودية بحكم أنه حافظ الاسم العائلي ومواصل النسل، لذلك شكل إنجاب الولد الذكر الشغل الشاغل لدى النساء اليهوديات واعتبر مسألة مصيرية في حياتهن، كون العقم والإجهاض المتكرر لعنة ولا تتوقف الأمثال والحكم والأقوال في هذا الصدد عن ترديد « أن من² لا ولد له لا حياة له، وأن المرأة العاقر شجرة ميتة».

وعليه على المرء أن يحتاط لهذا الأمر كثيرا وأن يتقي شره بكل أنواع الأدوية الطبيعية وعند الضرورة عليه أن يلجأ إلى قوة فوق الطبيعة العليا كالممارسات المتعددة لعلم

¹ - م.ش ع 44 (45).

² - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 48.

الباطن القبالي والسحر والشعوذة¹ الشعبية (مثل الحروز² المكتوبة بلهجة عبرية آرامية عربية تتعلق بالعقم والإجهاض والمرأة التي لم تلد إلا البنات).

قدم الزعفراني وصفا دقيقا لمراحل الحمل «عندما تحمل المرأة، فإن الخبر ينتشر حالا وسط عائلتها وعائلة زوجها، ويكون هذا الخبر مناسبة لإظهار علائم الفرح، وتحاط المرأة الحامل أثناء فترة الحمل بسياج من المحرمات، ومجموعة من الوصايا الموصوفة والمحددة حسب التقاليد والعوائد».

والأشهر الثلاثة الأولى للحمل كما يعتقدون أصعب الشهور وأدقها بسبب ظاهرة³ التوحم وما تشكله من نتائج غير ملائمة، إن لم تك خطرة، يمكن أن تنعكس على جسم الطفل الوليد عند عدم تلبية رغبات المرأة الحامل، قد يعرض الجنين لتشوهات عند الولادة⁴. ومع اقتراب الولادة تبدأ عملية تقطيع القماط كما يتم تحضير التعاويذ والطلاسيم والأحجبة والكتابات السحرية الوقائية التي تكتب على ورقة الواضع والتي تسمى بالعبرية "شميراه" وتهدف إلى وضع الأم والوليد تحت⁵ حماية الإله والملائكة الحراس. عندما تشعر الحامل بالأم الوضع، يستدعي الزوج القابلة ذات التجربة واليد الموفقة ويسرع الأهل والأقرباء وكذلك الجيران ويقومون بأداء الصلوات والدعوات لحماية الأم والمولود معا، فإذا كان المولود ذكرا تتلقاه القابلة وهي تصيح ثلاثة مرات "مبارك هذا الآتي" باللغة العبرية، وتسلمه للحاضرين الذين يطلقون الزغاريد، أما عندما يكون المولود بنتا فإنها تستقبل عادة ببرودة وتتم التهاني مباركة مسعودة.

1 - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 49.

2 - هذا النوع من الحروز موجود على شكل كناش صغير لدى العائلات اليهودية العريقة في مدن مختلفة بالمغرب (الجزائر، مراكش) وقد اطلعنا على كناشات مراكش بالخزانة العامة بالرباط.

3 - حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 49.

4 - Zafarani, Juifs d'Andalousie, pp 300- 301.

5 - وذلك بإبعاد الشياطين الشريرة، والجنية ليليث التي خلقت لتقضي على الأطفال في الأيام الثمانية الأولى ما لم يدخلوا في عهدة إبراهيم (الاختنان) وتلعب العروض الرمزية المتمثلة في الحيوانات والنباتات دورا مهما فيما يتعلق بتحضير الشميراه خاصة السمك الذي يحفظ الوليد من العين الشريرة. للمزيد من الاطلاع ينظر: حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 49.

كان للقابلة مكانة مهمة في الأسر اليهودية حتى ألفت أغاني عبرية عربية خاصة بها
(أغنية القابلة):

يا القابلة يا السوسية

كلما سديث شويا

نقوم نهار السبت نخرجك مكسية

يا القابلة يا المقبولة

يا المبشرة يا ميمونة

بشرتيني الله يعطيك الخير

نعطيك حاجة مضمونة¹.

كانت لحفلات الولادة والختان² أهمية خاصة في المجتمع اليهودي، إذ تلتقي فيها الأعراف والعادات والتقاليد المحلية المشتركة في المجتمعات المغاربية ما بين اليهود والمسلمين.

فالختان بمفهومه الاجتماعي يمكن أن يرجع من حيث الأصول الدينية إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي قام بختان ابنه الذي لم يتجاوز عمره ثمانية أيام بأمر من المولى سبحانه وتعالى، ولا زال اليهود إلى أيامنا هاته يقومون بختان الذكور في اليوم الثامن من ولادتهم كسنة مقدسة، وتسمى هذه العملية بالعبرية "مهيله" Miloh ولا تختلف مراسيم

¹ - حاييم الزعفراني، المرجع السابق ، ص 54.

² - لا يعرف أصلاً أصول هذه الممارسة كما لا يعرف متى بدأت عادة الختان عند اليهود، ويعتقد البعض أنها كانت سائدة لدى القبائل السامية في شبه الجزيرة العربية منذ أزمنة سحيقة، ويفترض آخرون أن اليهود اقتبسوها من المصريين الذين انتشرت بينهم هذه العادة القديمة، مثلما كان عليه الحال لدى كثير من شعوب إفريقيا. ينظر: Zafarani, Juifs d'Andalousie, p 300.

الاحتفال بالختان عند المسلمين واليهود اختلافا كبيرا، إذ يقام الختان عند اليهود في البيعة¹ (مجلس العبادة) وفي بعض الأحيان في المنازل مصحوبة ببعض الصلوات والأناشيد الدينية

بخاتمكا يا أيها القادر قد ميزتنا

ليمجد اسمك للأبد يا مالكننا

سنقطع الجذ الأعلف بموسى حادة

طبقا لإرادتك ومشيتك

.....

لكي نخلد عهد أبرمه آباؤنا والأوفياء المخلصون

....

ولنضاعف القوة بالتطهر والطهارة².

ثم يعد الاحتفال بالختان احتفالا دينيا ضخما وحفلة عائلية ترافق الأفراح السعيدة بهذه المناسبة السارة التي يحتفي بها الفقير كما يحتفي بها الغني وتقام مراسيم الاحتفال عادة في بيت الأبوين في غرفة الواضع التي تزينها الستائر الملونة "السفاريم"³ (لوائف التوراة) التي تستعار من البيعة ثم تقدم للمدعوين أنواعا مختلفة من الأطعمة والمشروبات الخاصة بهذا الحدث الاجتماعي.

نصت التوراة والآثار اليهودية على المبادئ الأساسية لتربية وتعليم الطفل اليهودي، ونعني بكلمة التربية في التوراة تكبير الفرد داخل الجماعة، وإعداد العضو في المجموع، لينسجم مع الآخرين، ويتشبع بنفس الروح التي تهدف إلى تكوين شعب متميز ونشط،

¹ - يتم الختان في مجلس البيعة: قدم الوالدان ولدهما للبتر الشعائري مع فدية الختان لحفظه من الموت، يسلم دور الصندوق عادة على الجد، أو يباع في المزاد العلني لصالح صندوق الفقراء الخاص بالطائفة، ويتم الختان في أجواء دينية تتخللها طقوس خاصة بالختان، كما يتم بعد الختان تسمية المولود الذكر وهذا يخضع لقواعد عبرية معينة.

² - حايمم الزعفراني، المرجع السابق، ص 55.

³ - المرجع نفسه، ص 54.

فالأطفال عند بلوغهم سن الخامسة أو السادسة مرغمون على حفظ نصوص التوراة والتلموذ، كما يتعلم الطفل الأمور الدينية المباحة والممنوعة ويتعرف على العادات والتقاليد ويتقبل الأعراف في العائلة قبل المدرسة، فوظيفة المعلم هي تكميلية، لأن أساس التربية والتعليم يرجع إلى الأم لأنها تقوم بنقل الموروث الديني والثقافي للأبناء حسب الشروط الاجتماعية، وفي حالة وفاة الوالدين تعود مهمة التربية إلى الأقارب، الجد، العم، الخال...»¹ فقد توفي الذمي موشي عن أولاده وهم شلومو، ويهوده ومسعود وإسحاق وإبراهيم واستقروا لنظر قريبهم مردخاي بن داويد...»¹.

تجدر الإشارة أن الأسرة اليهودية حرصت على تلقين أفرادها أصول الشريعة الواردة في التوراة التي أبانها النقل أولا ثم جمعت في كتاب التلموذ ثانيا، كما أوجبت عليهم الخضوع التام للامشروط للشريعة وتطبيقها الصارم، سواء من الناحية الروحية أو الاجتماعية وما توجبه من ترابط وتكافل داخل أفرادها لتحقيق مجتمع إثني متناسق مرتبط روحيا بأصوله ومقوماته الدينية والثقافية، وتعتبر مدينة القدس شكلا من أشكال الارتباط بالتاريخ العبري الديني والفكري وفي هذا الصدد يقول شالر: «... أنه في سنة 1816، شاهد عدد من اليهود المتقدمين في السن وهم يبحرون في آخر حج لهم على متن سفينة استؤجرت خصيصا لنقلهم إلى شواطئ سوريا²، ثم ينتقلون من هناك إلى مدينة القدس».

هـ- الأملاك داخل الأسرة:

وضعت التوراة قواعد تشريعية بخصوص انتقال الاملاك داخل الأسر اليهودية وحددته بمجموعة من الشروط، فبالنسبة للأولاد فإن التوراة تورث الابن البكر نصيب اثنين وفق قانون البكورة، أما البنت فإنها ترث أباه، إن لم يك له أبناء وتحجب بذلك الأخ وأولاده والعم وأولاده ولا ترثه إن كان له ابن حسب سفر العدد. وصححت اجتهادات الأبحار والربيين هذا الوضع بسنها أنه إذا مات رجل وترك أبناء وبناتا وكان الإرث كبيرا،

1 - م.ش ع57 (36).

2 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 92.

فإن الأبناء يرثون ويصرفون من إرثهم على أخواتهم البنات حتى زواجهن، ويتكفلون بكل مصاريف الزواج، وإن كان الإرث ضعيفا فإنه يصرف على البنات ويخرج الأبناء للتسول (حسب فصل كتوبات).

ولا يقتصر انتقال الأملاك داخل الأسرة اليهودية على الإرث وإنما يتم أيضا عن طريق الهبة¹.

■ الهبة:

قد يهب اليهودي في حياته جزءا من أملاكه لأحد أولاده ويخص أحدهم دون الآخرين على أساس التفضيل، وهذا الأمر شائع بين الأسر اليهودية، ولعل الدافع وراء هذه المبادرة هو تمييز البكر في العائلة وتحميله مسؤولية الإنفاق على إخوته وأخواته لضمان وحدة وترابط الأسرة من جهة، والحفاظ على ممتلكات وحرفة العائلة من جهة أخرى. كما هو الشأن مع الذمي لياهو لبيبي «... الذمي لياهو لبيبي في حياته وجواز أمره وهب ابنه موشي، جميع جلسة حانوت هبة تامة حرمها من ماله وصيرها ملكا من جملة أملاك الموهوب، الذي حازها عنه حيازة تامة، كما يجب شرعا لدى الشيخ القاضي...»².

■ الإرث:

تفتقر معظم الوثائق إلى معلومات صريحة عن كيفية تقسيم ميراث اليهودي المتوفى بإيالة الجزائر ولا عن العملية التي يتم من خلالها حصر الورثة وتقسيم التركات أو الأطراف التي تتكفل بإجراءات المحافظة على حقوق الورثة (ذكورا، إناثا، غائب، قاصر، إخوة لأم، إخوة لأب...) وإنما تشير بأن هذه المهمة كان يتولاها القضاة اليهود، تحت

¹ - الهبة هي تملك الأعيان بغير عوض، وشروط صحتها من الواهب، أن يتوفر فيه العقل والبلوغ والملك، وفي الموهوب أن يكون مقبوضا غير مشاع متميز غير مشغول. للمزيد من التفاصيل ينظر، حيدر علي، دور الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، (بدون تاريخ)، ص 122.

² - م.ش ع 41 (18).

إشراف مباشر للمقدم الذي يرى في المحافظة على أموال اليتامى والقصر من أهم وظائفه الدينية.

يتم الشروع في حصر تركة المتوفى (أحد الوالدين، أو الوالدين) وهي عملية معقدة بحضور الحاخامات اليهود في اليوم الأول من وفاته، وتبقى جميع الممتلكات تحت نظرهم يساعدهم في ذلك موظفين المكلفين بالإشراف على مراسيم الدفن (الجباي والشابر). تقسم التركة خلال الأيام السبعة الأولى التي تلي الوفاة مباشرة، إلا أن توزيع الميراث لا يتم إلا بعد دفع جميع الديون التي ترتبت على المتوفى¹.

أشارت بعض الوثائق إلى كيفية توزيع التركات داخل الأسرة اليهودية ويتضح أن جميع الأولاد لهم نصيب في إرث والدهم إناثا وذكورا، فمن بلغ سن الرشد تولى نصيبه مباشرة، ومن كان قاصرا يعين له وصي يشرف عليه وعلى ماله حتى سن الرشد. ولا يحق لهذا الأخير التصرف في المال، سواء بالبيع أو بالشراء أو بالهبة ما لم يحصل على إذن من قاضي اليهود وبوجود مسوغ شرعي لذلك².

ورصدت الوثائق أن المرأة اليهودية يمكن أن ترث وتورث: «... انتقل نصيب الذمي يعقوب الدش في الدار المعروفة بدار العربية، الواقعة بسوق الخياطين لابنته الذمية سلطنة بأمر من قاضي اليهود...»³.

على الرغم من أن التشريع التوراتي كان صارما بخصوص انتقال الإرث إلى المرأة إلا أنه لم يقيد توريثها بشروط معينة، بل وجد الأمر مشروعا بل مقدسا حينما يرث المرأة زوجها باعتبار أنه صاحب الفضل عليها في حياتها، فبعد وفاتها هو أولى المقربين في الميراث إذ تذكر إحدى الوثائق: «... انتقل نصيب مسعودة بنت يوسف من ميراث والدها

¹ - Zafarani, Juifs d'Andalousie, pp 200- 201.

² - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 178.

³ - م.ش ع 85- 86 (3).

الذمي يوسف نجانة والمتمثل في الحانوت الكائنة بالصاغة لبعها يوسف بزندان المدعو عزوسة بالإرث منها...»¹.

بالإضافة إلى حقه في استرجاع كل ما وهبها إياه من المهر المسجل في عقد الزواج².

إن هذا الأمر يبرز مبدأ اللامساواة بين المرأة والرجل في الشريعة اليهودية، فالمرأة تتحمل جميع المسؤوليات والواجبات مناصفة مع الرجل، إلا أنها تتجاوز في الحقوق، وهذا دليل على الخلل الواضح في نسق التشريع اليهودي الذي يكرس مبدأً أفضلية الذكور على الإناث، فعلى الرغم من جهود الأحبار في تجاوز هذه المسألة إلا أنها بقيت نسبية تخضع لميول وأهواء الحاخامات اليهود.

لكن هذا لا يعني أن الأرملة لا يمكن أن ترث زوجها، بل لها الحق في النفقة من أموال زوجها المتوفى خلال الأشهر الثلاثة الأولى التي تعقب وفاته، لكنها يجب أن تقتصر في نفقاتها على الضروريات فقط من المأكل والمشرب والملبس لا غير، وعندما تنتهي المدة المحددة تقسم التركة على الورثة³.

أما في حالة وفاة المرأة اليهودية العازبة فإن تركتها تنتقل إلى إختها دون أخواتها وهو حال الذمية يمونة بنت ناتان كمون «... تقسيم تركة يمونة بنت ناتان كمون التي كان من جملة أملاكها، جميع الثمن الواحد وربع الثمن من جميع الدار الكائنة بالبوزة المعروفة بدار خنوس، انجرت لها بالإرث من والدها، توفيت يمونة وانتقل ذلك لأشقائها موشي ويعقوب وشلومو...»⁴.

وعند وفاة الوالد دون أن يخلف غير الإناث ففي هذه الحالة يكون للأعمام نصيب في تركة شقيقهم «... بعدما توفي الذمي إبراهيم الجدرني بن إسحاق باروخ اليهودي انتقل

¹ - م.ش ع 28 (34).

² - Zafarani, Juifs d'Andalousie, pp 208- 209.

³ - Ibid., p 209.

⁴ - م.ش ع 140 (16).

نصف الدار الكاينة أسفل سوق السمن لابنته ستية وابنته بنهي وشقيقه يعقوب الجدرني،
وانحصر إرثه فيهم وتقررت شركتهم في ذلك...»¹.

شكلت التعاليم الدينية والقوانين العرفية العبرية لليهود بإيالة الجزائر الدعامة
الأساسية في صيرورة هذه الطائفة بالجزائر خلال العهد العثماني، حافظت من خلالها على
هويتها وانتماءاتها في ظل مجتمع مركب، غير أن هذا لا ينفي علاقة التأثير والتأثر التي
جمعت بين الأطراف المختلفة بالإيالة.

¹ - م.ش ع 71- 72 (15).

ثالثا: العلاقات اليهودية الإسلامية

1- علاقة اليهود بالأهالي:

اتفقت أغلب المصادر على أن اليهود وجدوا في الجزائر ملاذا آمنا، منذ هجرتهم الأولى وحتى المتأخرة، حيث تفرقوا في مناطق عديدة من الإيالة شملت مدنها الساحلية (الجزائر، وهران، جيجل، بجاية، عنابة) والداخلية (تلمسان، معسكر، مازونة، قسنطينة) وحتى الصحراء (تقرت، توات، غرداية، ووادي ميزاب) هذا دون أن نستثني الريف الجزائري، حيث استقروا جنبا إلى جنب مع المسلمين وواجهوا معا الكوارث الطبيعية (زلازل، فيضانات، أوبئة ومجاعات) وظروف سياسية واقتصادية صنعتها التحولات التي عرفتها منطقة البحر الأبيض المتوسط منذ 1509.

الأمر الذي أدى إلى تفاعل اليهود مع مختلف جوانب حياة المسلمين، والأكد أن الكثير من العادات والأعراف التي سادت لمدة طويلة بين اليهود المحليين (التوشابيم) تغيرت تدريجيا بفعل تأثير اليهود بالأهالي على المستوى الاجتماعي ولا سيما العادات والتقاليد اليهودية التي كانت روحها جزائرية تتداخل فيها الثقافات وتتمازج تمازجا عجيبا، فالكثير من السلوكات الثقافية والعادات والتقاليد التي تبنتها الطائفة اليهودية نابعة أصلا من البيئة الثقافية الجزائرية الإسلامية، نظام الزواج والخطوبة والطلاق تعدد الزوجات¹ على غرار المسلمين، وشيوع الزواج المبكر، والألقاب وطريقة إحياء الأعياد الدينية والأفراح.

إن محاولة اليهود تقليد الأهالي في نمط حياتهم وسلوكهم الاجتماعي أدى إلى تغيير وجوه مختلفة من المجتمع اليهودي خاصة في مجال العادات والمعاملات، فالمرأة اليهودية

¹ - سمح التشريع التلموذي بتعدد الزوجات في حدود معينة واستثنائية مثل عمق الزوجة الأولى، أو عندما تدعو الضرورة إلى احترام الوصية الخاصة "الليفرا" وهي إلزام يفرضه الدين اليهودي على كل أخ توفي أخوه، حيث يلزمه بتزوج الأرملة التي لم تنجب من أخيه المتوفى، حتى يضمن لأخيه دوام النسل، سفر التثنية 5XXV. وبحلول اليهود الميغورشم بالجزائر أدرجت المراسيم القشتالية البند المانع لتعدد الزوجات فبعد أن كان اختياريا صار إجباريا وقد نص على هذه الشروط في العقود، حيث أصبح هذا التشريع ساري المفعول دون أدنى صعوبة، غير أنه تعرض للرفض فيما بعد من قبل اليهود ولعل السبب في ذلك هو التأثير بعادات وسنن المسلمين في اتخاذ أكثر من زوجة.

لم تعرف قيمتها الإنسانية ووزنها في الأسرة إلا من خلال تأثير اليهود بالمسلمين¹ في معاملة النساء عامة والمرأة خاصة باعتبارها فرد فعال داخل المجتمع، وحلقة جوهرية فيه وفق ما جاء في تعاليم الدين الإسلامي.

فأصبحت المرأة اليهودية تتمتع بحقوقها الدينية والاجتماعية كالإرث، والشهادة والحق في امتلاك المحلات التجارية والدور شرط أن تتشارك مع الرجل في الملكية أو الإيجار أو الرهن... الخ.

أدت علاقة جوار اليهود للمسلمين، وكثرة المعاملات التجارية بينهم (البيع، الشراء، الاستدانة) إلى تأثير اليهود بأسلوب المسلمين في مرونة المعاملات اجتناب الغش وقضاء الديون) حيث تسجل لنا إحدى الوثائق دفع أحد اليهود لجميع ما ترتب عليه من دين: « الحمد لله والصلاة على رسول الله تسلم السيد الحاج عمر شاوش من ذمة الذمي مسعود أبو ميمون اليهودي ما قيمته ثلاثمائة ريال كلها وهو ما تبقى من ربع ثمن الحرير الذي ابتاعه من الحاج شاوش وعليه براءة الذمي من جميع المستحقات² تمت بحمد الله في ألف ومائة واثنان وستون لهجرته صلى الله عليه وسلم». وجاء في وثيقة أخرى: «الحمد لله بالمحكمة الحنفية وبلاد الجزائر المحمية بالله تعالى أمام الشيخ القاضي؟ أيده الله الواضع لكل حمد أعلاه دام عزه وعلاه بلغ السيد مصطفى بن باي المال في رسم الجنة الكاينة في زنيقة... التي باعها لمخلوف الذمي بمبلغ من المال... وبعد وفاة مصطفى المذكور جاء الذمي مخلوف للقاضي ليبرا ذمته من ما تبقى مصطفى المذكور التي هي في غرمه... حيث تم معاينة ألفين ريال تام تم ذلك يوم واحد وعشرين من صفر عام ألف ومائة وسبعة وثلاثين»³.

رغم سياسة التسامح الديني التي طبعت الوجود اليهودي بالإيالة إلا أن هذا الأمر لم يمنعهم من العمل على تحقيق مصالحهم على حساب الأهالي فلم يتورعوا على احتكار

1 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 186.

2 - م.ش ع 1- 37 الرقم الجديد 31 (40).

3 - م.ش ع 91 الرقم الجديد 101 (20).

التجارة إلى درجة ضاقت بها أرزاق الناس فارتفعت الأسعار ونضبت المواد الأساسية فأصابتهم المجاعات نظرا لسعي اليهود لتحقيق مصالحهم دون مراعاة الضرر الذي كانوا يلحقونه بالمجتمع، وفي هذا الصدد عبر Fernand Grégoire: « في الجزائر خاصة تنتفس الملايا اليهودية»¹. فاليهود تأثروا بمختلف جوانب الواقع الاجتماعي لأهالي الجزائر، لكن هذا التأثير كان سطحيا حسب ما تتطلبه الظروف وتقتضيه المصالح، وتجاوزوا في بعض الأحيان المجتمع وثوابته دون مراعاة شعور المسلمين، فقد سب الحاخام مردوخاي نربوني الرسول صلى الله عليه وسلم في خصام مع مسلم، فخيره القاضي بين الإسلام والإعدام، فاختر الأمر الثاني وأعدم يوم 16 جويلية 1794.

2- الكراغلة:

لم تخرج علاقة اليهود بالكراغلة عن إطار المعاملات المالية، حيث أدى اليهود دور الوسيط بين هذه الفئة وحكومة الإيالة بدفع مستحقات الجنود الكراغلة الذين ظلوا يتقاضون رواتبهم عن طريق السفتجة (La lettre de change) كضمان لأموالهم، وهذه العلاقة طبعت الطرفين في بعض معاملات البيع والشراء والرهن.

3- الأتراك:

أقرت موثيق السلاطين العثمانيين على السماح لليهود بالاستقرار في الإمبراطورية والإيالات التابعة لها، حيث أصدر السلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512) فرمانا سمح بموجبه لليهود بالإقامة في الأراضي التابعة لدولته.

وفي إيالة الجزائر رحب الحكام بالميجورشيم وسهلوا عمليات ترحيلهم إلى مناطق مختلفة بالإيالة، خاصة لما رأوا فيهم عنصرا حليفا يستخدمونه في صراعهم مع الإسبان، والاستفادة في خبراتهم الاقتصادية (التجارية، الصناعية) من أجل تنشيط التجارة المتوسطة.

¹ - Grégoire Fernand, La juiverie algérienne, Radical Algerian 1888, p 05.

الفصل الثالث..... دور اليهود الاقتصادي والسياسي في الأيالة

غير أنهم حددوا إقامتهم بالإيالة بدفع الجزية إلى خزينة الدولة والتي كان مقدم الطائفة اليهودية يتكفل بجمعها وأدائها للخزناجي أو شيخ البلد واختلفت مبالغ الجزية من بايليك إلى آخر كما خضعت لظروف سياسية معينة وفي بعض الأحيان إلى رغبات شخصية، والجدول التالي يبين قيمة الجزية التي كان يدفعها اليهود حسب ما أورده الدكتور محمد دادة:

المؤرخ	ما يدفعه اليهود أسبوعيا	ما يعادلها بالفرنك	قيمة الصرف
Martin	7 آلاف بوجو	13020	بوجو = 1,86 فرنك
Pananti	2 ألفين دولار	10 آلاف ¹	1 دولار = 5 فرنك
Du Bois Tainville	ألف بدقة شيك	450	1 بدقه شيك (= 0,45 فرنك
Haedo			

يبين الجدول اختلاف المصادر في تحديد قيمة الجزية التي كانت تدفع أسبوعيا إلى خزينة الدولة، كما نلاحظ عدم ثبات القيمة، وتتنوع عملات الدفع (بين الإسبانية والأمريكية، والتركية) وهذا يبين حيازة اليهود على جميع العملات المتداولة في الإيالة، وعدم اعتماد خزينة الدولة لعملة واحدة في التداول مع غياب واضح لسياسة محددة في جمع الجزية من اليهود التي كانت تخضع في الكثير من الأحيان لأهواء والرغبات الشخصية للحكام بالجزائر، إذن تباين المواقف تجاه اليهود هي المؤشر الحقيقي في تحديد قيمة الجزية.

وهذا راجع إلى الاحتكاك المستمر بين الموظفين الرسميين في الدولة (الدايات، البايات، الخوجات، الجند...) مع اليهود، حيث اتخذ بعض البايات من اليهود مستشارين

¹ - محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 76.

وكتاب وسماصرة في بيالكهم فمثلا بعد أن استعاد الباي محمد الكبير (1779-1776م) وهران من الأسبان 1791 استدعى اليهود للاستقرار بها، فانتقل إليها يهود معسكر، تلمسان، ندرومة، ومستغانم، وتم إعفاؤهم من الضرائب، وتحصلوا على أرض بثمان رمزي للإقامة عليها واقتطعت لهم أرض لاتخاذها مقبرة.

كما عين محمد الكبير بعضا منهم في جهاز إدارة البايليك، فاتخذ منهم وكلاء دبلوماسيين ومستشارين أهمهم ماردوخاي دارمون مقدم الطائفة اليهودية ببايك معسكر، دون محاسبتهم على قضية اليهودي 1508¹.

يمكن إرجاع سبب مرونة الباي محمد الكبير مع اليهود إلى:

- 1- حاجته إلى يد عاملة نشيطة في جميع المجالات وهذا لتعمير وتشييد مدينة وهران بعد الخراب الذي ألحقته بها الجيوش الإسبانية قبل جلائها.
- 2- محاولة مهادنة هذه الفئة تجنباً لمؤامراتهم وما قد يشكلون من خطر على حياته وعلى منصبه إن هو قاسمهم العداة لأن الوضعية العامة لبايك الغرب لم تكن تسمح بفتنة محلية.

أما صالح باي قسنطينة (1771-1791م) فقد خصص قطعة أرض اليهود يقيمون عليها مساكنهم (الحارة) حيث تجمعوا في مكان واحد².

هذا ناهيك عن المعاملات التي كانت تتم بين الحكام العثمانيين بالجزائر وبعض الأغنياء اليهود أو حتى التجار اليهود وهذا حسب ما ورد في بعض وثائق المحاكم

¹ - كان احتلال وهران في ماي 1509م من طرف الأسبان بسبب خيانة اليهودي زاوي بن كبيسة المعروف بابن زهو وهو قابض المكوس العام لمدينة وهران واثنين من مساعديه عيسى العربي والغناس طاهر العبدلاوي، حيث اشترى حاكم المرسى الكبير ذمة اليهودي بمبلغ معين مقابل فتح أبواب المدينة التي جمعت جيوش Pedro Navarro أمام أحد أبواب المدينة ترقبا لفتح اليهودي ومن كان في عونه للباب وبالفعل تم فتح الباب الموالي للمرسى ودخل الأسبان وهران. ينظر الأغا بن عوزه لمزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود، تقديم وتحقيق يحي بوعزيز.

أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط2 منقحة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص 110.

² - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 136.

الشرعية: «... اشترى الحاج محمد بلكباشي بن بابا حاجي الربع الواحد شايعا من جميع الدار التي كانت على ملك شمويل بن مخلوف سرور سنة 1769...»¹، وجاء في عقد مؤرخ سنة 1763: «... إن الذمي يعقوب المدعو اعقيبات، مقدم جماعة اليهود... كان له مالا من ماله وملكا صحيحا من جملة أملاكه جميع الدويرة بالسوق الكبير داخل محروسة الجزائر... الواقعة بزقاق غير نافذ هناك التي على ناحية الشمال لداخل الزقاق المذكور المجاورة من أحد جهاتها لدار العربي الكاينة هناك من ناحية بابها للزقاق المذكور ومن الناحيتين الباقيتين الحوانيت الفاصلة بينها وبين السوق المذكور انجرت له الدويرة المذكورة بالابتياح الصحيح والتمن المقبوض... وباع نصيبه إلى الداى علي باشا...»². وفي إطار هذه المعاملات المالية أوكل الدايات إلى اليهود، صك العملة ومراقبة المكاييل، نظرا لخبرتهم في مجال الصرف، حيث ذكر شالر أن الحكومة لا توظف سوى اليهود لصك النقود»³.

كفل النظام الإسلامي الخاص بالطوائف في إيالة الجزائر لليهود حرية دينية وسياسية واجتماعية أعطتهم وزنهم الاجتماعي الذي فقده في الكثير من دول العالم، كما سمح لهم إثبات كفاءتهم المهنية والحرفية على جميع المستويات، غير أن هذا التسامح الكبير تجاه هذه الفئة انجر عنه أزمات سياسية واقتصادية وإقليمية انتهت باحتلال الجزائر سنة 1830.

وهذا عكس ما ورد في بعض كتابات ومذكرات اليهود وغيرهم من المتعاطفين مع هذه الفئة عن التضييق عليهم وعزلهم في أحياء خاصة بهم حيث لا يجوز لهم أن يسكنوا حيث يسكن المسلمون⁴، وهذا الأمر عادي لم يسد بالجزائر وإنما بجميع الإيالات والدول التي استقبلت اليهود، فمن الشائع أن تجتمع كل طائفة في مكان معين، سواء تعلق الوضع

¹ - م.ش ع 140 (16).

² - م.ش ع ؟ (28).

³ - شارل، المصدر السابق، ص 89.

⁴ - Laugier De Tassy, op.cit., p 77.

بطوائف عرقية أو دينية أو حتى حرفية، ولعل ذلك كان شكلا من أشكال الدفاع الذاتي تتخذه الأقليات لتحافظ على مقوماتها الخاصة¹.

ضف إلى ذلك الإشاعات الواردة عن المعاملات السيئة التي كان اليهود عرضة لها، غير ما نوردده في هذا السياق أن الأمر كان صحيحا بالنسبة للفترات السابقة لحكم الجزائر، البايبربايات والباشوات نظرا لاطلاعهم بدسائس وتجاوزات اليهود كلما سمحت لهم الفرصة.

غير أن الأمر تغير بموجب ظهور علاقات ودية بين الحكام وبعض اليهود لعل أبرزها علاقة الداى مصطفى وبوجناح التي أعطت لليهود فضاء أرحب لممارسة جميع تجاوزاتهم السياسية والمالية وحتى الدينية والاجتماعية. ومع تطور الأوضاع ألقوا بالجزائر في واجهة الاحتلال دون أدنى ما شعور بالمسؤولية تجاه بلاد كفلتهم منذ العصور القديمة، وأعطتهم كيان اجتماعي افتقدوه منذ حملة تيتو 71م على مملكة يهودا.

غير أننا لا نستطيع القول في هذا السياق سوى أن اليهود لا يعترفون بدولة غير إسرائيل ولا يكثرثون إلا للمال فكيف نتق مما لا ثقة لهم حتى بأنفسهم؟

¹ - كامل بن صحراوي، المرجع السابق، ص 57.

الفصل الثالث

دور اليهود الاقتصادي والسياسي في الایالة

أولاً: سيطرة اليهود على النشاط الاقتصادي

يرتبط التاريخ السياسي ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاقتصادية والاجتماعية بل هو ناتج عن تفاعلاتها، بل هو على حدّ تعبير عبد الحميد جراد: المحرك الأساسي لدواليب¹ السياسة الداخلية وعصب العلاقات الخارجية، فإذا كان اليهود مارسوا السمسرة على مستوى الدبلوماسية الجزائرية، ذلك أنهم سيطروا على النشاط الاقتصادي للجزائر العثمانية، الذي لم تقل خطورته عن خطورة الجوسسة والتواطؤ السياسي في الضلوع في قضايا مشبوهة على مستوى العلاقات المحلية والدولية للبحر المتوسط.

اهتم اليهود أواخر العهد العثماني بالنشاط التجاري بشكل ملفت للنظر تبعاً لسياسة السلاطين العثمانيين التي درجت على تشجيع الهجرة اليهودية إلى مناطق مختلفة من الإمبراطورية دون قيود أو شروط، باعتبارهم عناصر نشيطة² ويد عاملة مؤهلة تتقن كل الحرف وتزاول جميع المهن ولا سيما الممنوعة منها، الأمر الذي وفر لهم ثروات هامة، وسهّل عليهم ربط علاقات تجارية واسعة مع جميع الشرائح الاجتماعية بالأيالة ثم سياسية قوية مع مختلف القوى الفاعلة في أجهزة الدولة³. وبالتالي التأثير القوي على الدايات وموظفيهم، مستغلين في ذلك الدعم الكبير من القناصل ومعظم الشخصيات الأجنبية في إطار مخطط عام يطبعه تبادل المصالح على حساب الإيالة⁴.

وهذا ما دفعنا إلى طرح إشكاليات متعددة حول الملابس التي أحاطت بنشاط اليهود

الاقتصادي:

1 - انظر عبد الحميد جراد، العلاقات الدولية، ص 19.
2 - أندري كلو، سليمان القانون مثل بين التمازج وبين الهوية والحدثة، تعريب البشير بن سلامة، بيروت: دار الجيل، ط1 1411-1999، ص 333.
3 - وكمثال على ذلك تنصيب سليم الثاني لليهودي يوسف نازي وهو من المجرمين البرتغاليين دوقا على نكسوس، وهذا دليل على العلاقة القوية والحساسة التي جمعت الطرفين.
4 - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 61.

– ما هي العوامل التي أدت إلى اتساع النشاط التجاري لليهود؟ وفيما تمثلت القاعدة الأولية التي قامت عليها التجارة اليهودية؟ كيف استطاعت المؤسسات اليهودية التأثير على التجارة الداخلية للبلاد؟ و ما هي الأبعاد الإستراتيجية للتجارة الخارجية لليهود؟

تطورت مواقع اليهود الاقتصادية- السياسية في الجزائر العثمانية حسب تطور نفوذهم التجاري والمالي في البلاد خصوصا بعد أن تهيأت لهم الظروف وتضافرت لديهم العوامل، فبلغ نمو الرأسمال التجاري والمالي لليهود ذروته في القرنين 18م- 19م وتمكنوا بموجبه من نسج تحالفات سياسية كبيرة داخلية وخارجية وتكوين شبكات واسعة وقوية من المصالح في الجزائر وأوربا وهذا لعدة اسباب منها:

– إتقان اليهود ومعرفتهم باللغات وحتى اللهجات السائدة في البحر المتوسط، والتحكم في بعض المهن.

1) استغلال اليهود للظروف الداخلية والخارجية للجزائر العثمانية

عرفت الجزائر في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والثالث الأول من القرن التاسع عشر ظروف سياسية غير مستقرة مما خلق أزمة عامة، وجدت الدولة صعوبة في تجاوزها، حيث تفهقرت القرصنة التي كانت دعامة هامة من دعائم اقتصاد النظام ولم يتمكن من تعويض مداخيلها، مما اضطره إلى انتهاج سياسة ضرائبية عشوائية أثقلت كاهل السكان، مما أدى إلى فتور العلاقة بين الحكام والرعية كما تراجع المستوى الدفاعي للجيش الانكشاري نظرا للقضاء على الوجود الإسباني في غرب الإيالة من جهة، ومعاهدات¹ السلام التي أبرمتها الجزائر مع عدة دول أجنبية للحد من تجارة الرقيق والعبودية من جهة

¹ - نذكر من بين هذه المعاهدات: معاهدة صلح بتاريخ 06 ماي 1772 بين الجزائر والدانمارك من أهم ما جاء فيها ضمان أمن وحرية تنقل السفن الدانماركية وعدم إلحاق الضرر بأي أمة أجنبية تكون على متن السفن، إطلاق سراح الأسرى الدانماركيين.

معاهدة الصلح والصداقة بين فريدريك الأول ملك السويد وعبيد باشا تم التوقيع عليها بتاريخ أبريل 1729 وجمدت 09 فيفري 1802، أهم ما جاء فيها إقرار سلم وصداقة أبدية بين الدولتين وكذلك بين أقاليم ورعايا الدولتين، انظر: معاهدات سلم وتجارة بين الجزائر والقوات المسيحية ما بين 1515- 1830 خلال العهد العثماني، منشورات الأرشيف الوطني الجزائري، ص 46.

أخرى. نجم عن الركود العسكري والروتين اليومي للجيش الانكشاري أن تحوّل إلى أداة قلق وإزعاج هدّدت النظام وحتى المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة من خلال التجاوزات الأخلاقية لبعض الجنود الانكشارية (اغتصاب، انتهاك للحرمان، الابتزاز...) كما حاول أغلب الضباط العسكريين التدخل في الشؤون الداخلية للدولة، ولعل سلسلة الاغتيالات لبعض¹ الدايات خير دليل على الحالة المتدهورة التي وصل إليها الجهاز العسكري للولاية، ضف إلى ذلك حالات التمرد والعصيان للعديد من القبائل المحلية والطرق الصوفية. وبالتالي فقد الحكام الثقة في الرعية التي لم تكن موجودة أصلاً، والتي فقدت دورها الولاء له، مما جعل الفرصة مواتية لليهود ليعرضوا خدماتهم على الدايات الذين لم يجدوا مانعاً في قبولها وهذه بداية تمهيدية لليهود للسيطرة على مقاليد الحكم في ولاية الجزائر.

بعد أن منح الدايات وباياتهم اليهود فرصة تمثيلهم محلياً أو دولياً، وبذلك وسّعوا نشاطاتهم، خاصة بعد تأسيس شركة بكري وبوشناق التي صارت لها القدرة على ممارسة الاحتكارات الكبرى مستفيدة من الظروف الإقليمية الأوروبية (تراجع دور الوكالة الوطنية الفرنسية، والمنافسة الفرنسية الإنجليزية ومشاكل فرنسا مع² الأنظمة الأوروبية).

كما أدى اتساع العلاقات اليهودية إلى عقد صفقات تجارية بين شركة بكري وبوشناق مع الشركات الفرنسية بمرسيليا خاصة بعد أن عجزت الخزينة الفرنسية عن سداد أثمان المواد التي كانت تصدرها إليها الشركة، وعجز فرنسا عن حماية أسطولها التجاري في البحر المتوسط من الاعتداءات الأوروبية بعد إعلان النظام الجمهوري الفرنسي، فكلف بعض المسؤولين الفرنسيين الشركة اليهودية بنقل البضائع إلى السواحل الفرنسية لتموينها، وبذلك وجد اليهود الفرصة مواتية لتحقيق الربح، فاستخدموا في نشاطهم هذا سفناً تجارية

¹ - أدت التجاوزات الانكشارية والفضى السياسية إلى اغتيال ستة دايات ما بين 1805-1817، الداى مصطفى 1805، الداى أحمد 1808، الداى علي الغسال 1809، الداى الحاج علي 1815، الداى محمد 1815، الداى عمر 1817م.

² - بعد سجن الملك لويس 16 وإعلان النظام الجمهوري بفرنسا، غيرت الأنظمة الملكية الأوروبية (انجلترا، إسبانيا، بلجيكا) مبادئ التعامل مع فرنسا، وصل إلى حدّ القطيعة الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية، خوفاً من تسرب الأفكار الديمقراطية إلى أراضيها.

تحمل الراية الجزائرية حتى تتمتع بالحماية وهذا طبعا بعلم من الداى شرط نسبة معينة من الأرباح.

إن هذه السياسة اللاواعية التي أقدم عليها بعض الدايات لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب المصلحة العامة للدولة سوف تؤدي إلى الضرر باقتصاد الجزائر وتخريب هيكله القاعدية ويمكن اعتبار هذا الأمر تمهيدا لدراسة مشروع احتلال الجزائر.

طبيعة الشخصية اليهودية

تعتبر الشخصية اليهودية إحدى عوامل نجاح اليهود، حيث يعتبر المال الدين الثاني لليهود، فاليهودي هو يسعى بشتى الطرق والوسائل لتحقيق أهدافه، وأخطر وسيلة يستخدمها هي التعامل بالربا، والاحتيال والتزوير، كما أن من طبيعة اليهودي الحفاظ على مصالحه حتى لو كان في ذلك ضرر للآخرين. وهذا ما عبر عنه لوجي دي تاسي قائلاً: « اليهود الذين يعتبر عددهم كبيرا في الجزائر لا يفوتون أية فرصة حيث يمكن تحقيق الربح»¹، وأضاف Garrot على لسان الشاوش التركي أيام أحمد باي « أن اليهودي عدو الجميع، إذا اقتضت دورو من يهودي، صار دمارك محتما، فهو سيأخذ ثروتك² وسعادتك»، و«اليهود الذين يحميهم الباي يصنعون غناهم في الظلّ وعلى حساب الآخرين بالربا والسلب³ والنهب».

فاليهود بالجزائر كانوا يتحينون الفرص لتحقيق مصالحهم خاصة أيام المجاعات وندرة المواد الغذائية وذلك لابتنزاز الناس والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم ولا يتركونهم بسلام حتى يحولوهم إلى متسولين في الشوارع حفاة عراة، وقد صوّر لنا الشيخ بلقاسم الرحموني الأمر في قصيدته قائلاً: اليهود صارت ليهم محبا وقصور ليها تدهش

¹ - Louger de Tassy, op.cit., p 99.

² - Garrot, op.cit., p 46.

³ - Ibid., p. 46.

بالإضافة إلى ذلك عمليات الجوسسة التي توطنوا فيها والمؤامرات التي قاموا بها مستغلين أحوال البلاد المضطربة على الصعيد الداخلي والخارجي، غير أنه في حقيقة الأمر الشخصية اليهودية لا تقع عليها مسؤولية تخريب البلاد والضرر بالعباد وإنما هي مسؤولية الدايات وموظفي الدولة الذين شكّلوا حيّزا سياسيا واجتماعيا مغلقا عن أهالي الجزائر متفتحا على اليهود والنصارى ومختلف الجنسيات والقوميات، متواطئين بطريقة أو بأخرى مع هذه الفئة الدخيلة لإرضاء رغباتهم ونزواتهم غير مبالين بمصير الدولة التي كانت في تدهور مستمر مما أدى إلى انتفاضة المجتمع ضدهم والتنكيل بهم سنة 1808م. وفي هذا السياق يقول محمد دادة: « اليهود حتى ذلك الحين يتصرفون بحذر في السياسة الداخلية، فافتقروا ببيع خدماتهم للأمم الأوروبية التي تدفع لهم الأفضل، ولكن جاء الوقت المناسب الذي انكشف فيه نفوذهم الخفي، الأمر الذي أدى إلى اضطهاد وانهيار الطائفة اليهودية في الجزائر»¹.

1- ممارسة الاحتكار:

شكل اليهود الحلقة الرئيسية في مختلف الأنشطة الاقتصادية (تجارة، صناعة وحتى الزراعة) التي مارسوا فيها احتكارا واسعا، خاصة بعد سياسة² التوجيه الزراعي التي انتهجتها الحكومة لخلق توازن مالي وتعويض ما فقدته من مداخيل القرصنة البحرية غير أن هذه السياسة انعكست سلبا على الفلاحين الجزائريين، جراء الأسعار الثابتة التي كان يفرضها البايك لشراء الحبوب، حيث بلغ ثمن صاع القمح 8.80 قرش، بينما كان البايك يبيعه للمتعاملين اليهود بسعر 26.30 قرش، وبذلك احتكروا تجارة الحبوب التي كان يتم

1 - محمد دادة، المرجع السابق، ص 129.

2 - منها مبادرة الباي محمد الكبير الذي شجع الفلاحين على زراعة الحبوب وذلك من خلال إرجاع بعض الأراضي المصادرة من أصحابها، والسماح باستغلال آبار البايك دون مقابل، وأيضا صالح باي في بايك الشرق عمل على تنمية الإنتاج الفلاحي واستحداث مزارع جديدة، فأقطع فرسان المخزن المعروفون بالرمول أراضي واسعة لاستغلالها لحسابه الخاص و قبيلة السقنية بنواحي الشرقية وعين كرشة، واستحدثت مزارع جديدة مثل الأرز حيث استعان في ذلك بنظام ري دائم معتمدا على تشغيل عدد من النوريات واستصلاح الأراضي التي تغلب عليها المستنقعات، فازدهرت زراعة الحبوب بالمنطقة على عهده.

صالح عبار، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ص 178.

تصديرها للموانئ الأوروبية عن طريق الوكلاء اليهود مثلما فعل الداوي علي (1809-1815) حينما أوكل إلى اليهودي بوشعرة تصدير كميات معتبرة من القمح إلى مرسيليا وبعض المدن الأوروبية، والداوي مصطفى الخزناني (1798-1805) الذي جعل شركة بكري وبوشناق وكيلا تجاريا رسميا وحصرها في تصدير الحبوب والصوف التي كانت تجلب بكميات كبيرة من بايلك التيطري وميناء عنابة¹.

التهرب الضريبي والتهريب

اعتمد اليهود على منطق التحايل للإفلات من الجمارك، وذلك باستعارة أسماء عربية جزائرية أو جنسيات مزدوجة إسلامية مسيحية أو ألقاب فرنسية وحتى أوروبية، كما لجأ اليهود لعدة أساليب للتهرب من الضرائب كالاشتراك مع التجار الأجانب مقابل نسبة معينة من الأرباح وإن تطلب الأمر فإنهم لا يتوانون في استعارة أسماء تجار فرنسيين أحياء كانوا وحتى الأموات مستخدمين كل أشكال الابتزاز والرشوة والتهديد بناء على نفوذهم السياسي. وعلى الرغم من أن الإيالة وضعت إجراءات رديعة للحد من التهريب وسنت قوانين استثنائية للقضاء عليه، إلا أن التهريب كان من اختصاص اليهود، فقد كان يهود مرسيليا همزة وصل بين إيالة الجزائر وهولندا في تهريب الأسلحة والمواد المحظورة في أسواق أوروبا، و عملوا كعملاء مزدوجين لتوفير هذه المواد لمن يدفع أكثر في حالات الحرب والحصار و الانقلابات العسكرية. غير أن الحكام العثمانيين كثيرا ما تجاوزوا هذه القوانين حيث اشترى الداوي حسن (1698-1700) كمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة الحربية من اليهودي Samuel Moati التي كان يمنع تصديرها إلى الجزائر بموجب قانون جانفي 1794² الذي أصدرته لجنة الخلاص العام Comité du Salut Public للحد من النشاطات العسكرية الجزائرية في البحر ومن الحروب الأوروبية الإسلامية)، وأدخلها في

¹ - Ventrué de Paradis, op.cit., pp. 123- 124.

² - قانون أصدرته لجنة الخلاص العام للحد من النشاطات العسكرية الجزائرية في البحر (الجهاد البحري) ومن الحروب الأوروبية الإسلامية.

الأيالة لأغراض عسكرية¹. وبطبيعة الحال تمت هذه المعاملات التجارية وفق شروط خاصة وضعها Samuel Moati، من بينها تخفيض الضرائب على السلع المحملة بالسفن، مع ترخيص بدخول وخروج سفنه التجارية من موانئ الجزائر دون مراقبة جمركية، مع العلم أن سلطة الأيالة فرضت رسوما جمركية معينة مقدارها 2,5% على الصادرات و12,5% على الواردات على جميع السلع الخاصة بكل تجار الأيالة (أتراك، اهالي أو يهود) و5% على الواردات الأوروبية.

وعلى الرغم من أن 2,5% هي قيمة ضريبية ضئيلة مقابل الأرباح الكبيرة لليهود إلا أنهم مارسوا التهريب بأسلوب فاضح ومبتذل.

سيطرة اليهود على النشاطات التجارية في البحر المتوسط

تحكم اليهود في النشاطات التجارية للواجهة المتوسطية بشكل كبير شملت معظم المدن الأوروبية إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، البرتغال، جنوة وغيرها الجنوبية للمتوسط تونس، ليبيا والمغرب الأقصى، خاصة نشاطات بكري وبوشناق التي تركت انطباعات محلية وأوروبية وفي هذا السياق صرح القنصل الفرنسي Dubois Tainville بالجزائر قائلاً: « هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع، وتتمتع بثقة حكام الجزائر، إنهم شركاء في كل مكان، وامتدت علاقاتهم إلى باريس، مرسيليا، عناية، جنوة، ليفورن، مدريد وكل الموانئ الإسبانية، ولندن ولشبونة، وهامبورغ، وفيلاديلفيا واستولوا على كل تجارة المغرب»²

علما أن حركة السفن التجارية على السواحل الجزائرية خلال العهد العثماني كانت كثيرة إلا أن أغليبتها كان للتجار اليهود الذين أحكموا سيطرتهم على التجارة الخارجية للجزائر، خاصة بعد أن فتحت شركة بكري وبوشناق عدة فروع لها في موانئ البحر المتوسط، نظرا للعلاقة الودية التي ربطت بين اليهودي بوشناق والداي مصطفى الوزناجي

¹ - المرجح أن الداى حسن جلب هذه الأسلحة الحربية لاستخدامها في حربه ضد تونس (مراد باي) والمغرب (مولاي إسماعيل) اللذان تحالفا على القضاء على النفوذ العثماني بقسنطينة وضواحيها.

² - Dubois Tainville, op.cit., p42

كان بوشناق قادرا على التفاوض مع ممثلي التجارة الأوروبية باسم حكومة الداوي، وهذا ما جعل اليهود يتحكمون في تجارة غنائم البحر التي كانت بيد 2000 يهودي من الجزائر الذين كانوا يبعثون بما يشترون من سلع إلى إخوانهم في ليفورن حسب حاجات الأسواق الأوروبية لتلك المنتوجات مع تحديد أسعارها والمصادقة عليها من طرف اليهود دون الرجوع إلى أي هيئة تجارية متوسطة أو أوروبية مستغلين بذلك الظروف المحلية للجزائر¹، والأوروبية أبرزها الأزمة الفرنسية² بعد ثورة 1789.

وأمام تلك الضائقة الاقتصادية التي أصابت الحكومة الجديدة التي اضطرت إلى الاستعانة بالتجار اليهود الذين تمكنوا بفضل نشاطاتهم التجارية الواسعة من تحويل مرسيليا إلى مركز تجاري هام يوزعون من خلاله البضائع والمنتجات المستوردة من الجزائر على الموانئ الأوروبية، حيث ساعدهم في تحقيق ذلك اتصالاتهم المكثفة مع اليهود المقيمين ببلدان مختلفة. وفي هذا الصدد يقول شالر: « إن مراسلاتهم مع اليهود المقيمين في الخارج جعلت منهم الطائفة الوحيدة من السكان التي لها معرفة صحيحة بالشؤون الخارجية...»³. ومن أهم الوكلاء المشرفين على تجارة اليهود بمرسيليا: يعقوب توبيانا، موسى جيورنو،

1 - أدى تراجع مداخيل غنائم الجهاد البحري، التي كانت تعتمد عليها الدولة إلى عجز مالي كبير في خزانة الحكومة، الأمر الذي أخذ ينبئ بفوضى سياسية من طرف الانكشارية في حالة تأخر أو عدم دفع الأجور، مما دفع بالدايات إلى الاستعانة بالتجار اليهود، لتعويض ذلك الخلل الظرفي غير أن اليهود اشترطوا فوائد خيالية تصل الى 400% على مجموع النفقات.

2 - الأزمة الفرنسية إحدى نتائج ثورة 1789 التي رفضت النظام الملكي والاستبداد الإقطاعي والتسلط الكنسي، والتردي الاجتماعي للفرنسيين التي صادقت عليها الجمعية التأسيسية لدستور فرنسا في 05 جويلية 1789 ثم المجلس التشريعي الفرنسي 30 سبتمبر 1792، غير أن تدخل الألمان والنمساويين في الشؤون الداخلية لفرنسا ولدت أزمة سياسية واجتماعية واقتصادية حقيقية استمرت حتى 1830م، حيث ظهرت الحكومة المتطرفة بقيادة روبسبير 31 ماي 1793 إلى 27 جويلية 1794، ثم تشكل مجلس المديرية المعتدل بقيادة نابليون بونابرت الذي حارب الانجليز والألمان واحتل مصر 1798، غير أنه أحدث انقلاب سنة 1799 واستبد بالأمر وأعلن في 02 أوت 1802 نفسه قنصلا مدى الحياة ثم قام بانقلاب نهائي في 08 ماي 1804 وأصبح إمبراطورا وطرد نواب الشعب بقوة السلاح. وأرجع عهد لويس 14 الذي كان يقول "الدولة هي أنا"، ودخل في حروب خارجية طويلة مع الانجليز والنمسا والألمان، أفرغ خزانة الدولة وأفنى جند فرنسا في المعارك ثم جاءت معركة واترلو التي استسلم فيها ونفي إلى جزيرة القديسة هيلانا حيث مات، غير أنه ترك فرنسا أضعف اقتصادا وأصغر مساحة وأقل عددا سنة 1814. فخضعت فرنسا لأسرة آل البوربون واستولى لويس 18 على السلطة في فرنسا بعد حوادث الإرهاب الأبيض التي قام بها الأشراف والملوك ضد الجمهوريين، ثم اعتلى لويس 10 على العرش في 1824 وحاول إرجاع النظام الإقطاعي والاستبداد العتيق غير أنه دخل في ثورة مع الشعب الفرنسي الذي أسقط النظام الملكي في 1830 وهي بالتالي أطول أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية عرفتها فرنسا.

3 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 90.

سلمون ناربوني، ارون سافر، لزاربي سمون¹، وتمكن هؤلاء اليهود من إعداد شبكة تجسسية لصالح الحكومة الفرنسية وهذا حتى تتغاضى عن احتكار اليهود للتجارة في مرسيليا وبعض الموانئ الأوربية.

غير أن هذا الأمر شكل تهديدا صريحا للمؤسسات الاقتصادية الفرنسية وعرقلة نشاطاتها التجارية كالوكالة الإفريقية الفرنسية بالجزائر التي كانت تشتري بعض المواد الأولية (الجلود، الصوف) من الأهالي بأسعار معلومة وأنواع محددة فهي تطلب الجودة مع ثبات السعر، إذ ترفض الأصواف التي تأتي بها القبائل في المواسم والأعياد، بحجة أن نوعيتها رديئة، فاستغل التجار اليهود الوضع ورفعوا أسعار هذه المواد الأولية (الجلود) واشتروا كل أنواعها بدون استثناء، فتوقف الأهالي عن تزويد الوكالة بهذه المواد واتجهوا إلى التعامل مع التجار اليهود الذين شكلوا في حقيقة الأمر منافسا قويا للوكالة².

أحكم اليهود سيطرتهم على التجارة المتوسطة من خلال ربط تجارتهم في بعض مراكز الإيالة بالمناطق التي وفدوا منها، فمدينة وهران سيطرت عليها بعض العائلات اليهودية الوافدة منها عائلة كابييزا من المغرب وعائلات Benoliel، Gabison، Toubiana التي قدمت من جبل طارق، فكان ارتباط كل تاجر بمنطقته من باب تسهيل أمر تجارته، بحكم معرفته بالمنطقة أو بحكم وجود شركاء له فيها وبذلك اتسع حجم التجارة اليهودية بوهران، إذ أن ثلثي المعاملات التجارية على مستوى مينائها، كان من نصيب التجار اليهود، الذين رأوا في توسيع المعاملات التجارية مع إسبانيا، مجالا خصبا لتحقيق الربح والنفوذ، أمثال: دافيد ليفي بالنسي، صمويل حسان، مخلوف بنيشو، أبراهام خلفون³.

■ النزعة الانتهازية لليهود لتحقيق الأرباح:

1 - محمد دادة، المرجع السابق، ص 127. كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 77.

2 - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 78.

3 - محمد دادة، المرجع السابق، ص 118.

تعتبر الجزائر اكبر منطقة جغرافية استقطبت اليهود منذ القديم بأعداد كبيرة، وعلى الرغم من التجارب التاريخية¹ التي مر بها اليهود مع الأهالي بالمنطقة إلا أنهم لم يربطهم بها يوما غير العامل المصلحي، وفي هذا الصدد يقول شارلر: «لقد وصلت بعض الشركات اليهودية في أوقات الرخاء في الإيالة، إلى قمة الثروة والرفاهية...»². فتحقيق الربح في نظر اليهودي هو من أولى الأولويات مهما كانت وسيلته وحتى تبعاته أي الغاية تبرر الوسيلة، فيهود العالم عامة ويهود الجزائر خاصة لا يؤمنون بالشرعية ولا المسؤولية، إذ غلبت النزعة الانتهازية على أرواحهم والتحايل على معاملاتهم واعتبروا الأمر منطقا مقدسا، ومارسوه دونما استثناء. وفي هذا الصدد يقول جورج فيربو مثنيا جهود بوشناق في التحايل على الباي مصطفى الوزناجي [في قضية السرماط³ المرصع بالماس التي ابتاعها منه كهدية لزوجته الداوي حسان باشا (1791- 1798) والتي حقق فيها ربحا مقداره ثلاثة ملايين وأربعمائة وخمسين ألف فرنك رغم أنها لم تكلفه أكثر من ثلاثون ألف فرنك] مستغلا ظروف الباي وخلافه مع الداوي ومحاولته استرضاء هذا الأخير على الرغم من صداقة ربطت الطرفين] «أترى يا بني أن عزيزنا الموقر بوشناق كان تاجرا ماهرا»⁴.

كما استغل اليهود الظروف الدولية فمثلا خلال الأزمة الفرنسية 1795م التي كانت إحدى النتائج لثورة 1789 اتفقت الحكومة الفرنسية مع إحدى فروع شركة بكري بوشناق على تزويدها بمائتي ألف حمولة من القمح 50% منها بسعر مائة فرنك للحمولة والباقي

¹ - منذ أن استوطن اليهود بالجزائر، تفاعلوا مع أوضاعها الداخلية والخارجية، كالغزو الروماني والوندالي والبيزنطي والفتح العربي الإسلامي للمنطقة، والدويلات بها، الدولة الرستمية (776م- 909م) الفاطمية (909- 1171م) الموحدون (1124- 1269) الزيانية (1235- 1556م) والعثمانية (1518- 1830م)، غير أنهم شكلوا مجتمع مغلق عن المجتمع الجزائري لا يربطهم به غير المصلحة الخاصة، وحتى عند الاستعمار الفرنسي سنة 1830م، تنكر اليهود للجزائر، أرضا وشعبا، وانضموا لخدمة فرنسا والجيش الاستعماري الذي استفاد من خدماتهم ما بين (1830- 1860) حيث اعترفت فرنسا بهم كمواطنين فرنسيين بموجب قانون كريميو 1860م مكافئة على خدماتهم للسلطات الاستعمارية.

² - وليام شارلر، المصدر السابق، ص 91.

³ - ذكر حمدان خوجة في كتابه المرأة حول مسألة الصريمة أو السرماط لم يكلف بوشناق سوى ثلاثون ألف فرنك، غير أن اليهودي ادعى أنه اشتراه بثمن باهظ لإدراكه انعدام السيولة لدى الباي الذي تم تسديد هذا المبلغ عينا بدفع 75 ألف كيلة من القمح بسعر زهيد ثم تم تصدير في نفس الفترة من وهران 240 ألف صاع من القمح أي ما يعادل 10572 قنطار بسعر 6 فرنك للصاع، ومن ميناء عنابة 96 حمولة من القمح مما عاد بأرباح ضخمة على الشركة اليهودية التي احتكرت تجارة القمح. انظر حمدان خوجة، المرأة، 142.

⁴ - Virebeaux (I.G) Algèrusalem, L'Algérie terre juive, leçon d'histoire algérienne d'un rabbin à son fils, Alger, imprimerie A Joyeux 1937, p 06.

بسعر 120 فرنك، في حين أن الوكالة الإفريقية بالجزائر كانت توصل القمح إلى فرنسا بسعر ما بين 30 إلى 42 فرنك للحمولة الواحدة علما أن المنتج واحد نوعا وطلبا إلا أن الاختلاف الكبير في ثمن الحمولة يرجع في المدة الزمنية التي تستغرقها الحمولة في الوصول إلى الموانئ الفرنسية وتزويد الأسواق بهذه المادة الأساسية¹. والمرجح أن الشركة اليهودية توصل حمولة القمح في ظرف قياسي نظرا للنفوذ الكبير الذي كان يتمتع به بوشناق لدى سلطات الإيالة، حيث أن سفن البضائع الخاصة لشركة بوشناق- بكري كانت تدخل وتخرج من الموانئ الجزائرية دون مراقبة جمركية، وهذا ما جعل عمليات الشحن والتوصيل تتم بسرعة فائقة وهذا ما كانت تشترطه الحكومة الفرنسية في معاملاتها التجارية مع هذه الشركة اليهودية وذلك لسد حاجات السكان لهذه المادة الأولية، تجنباً لغضب شعبي في حالة نقص أو ندرة هذه المادة، الأمر الذي دفع باليهودي بوشناق لانتهاز الفرصة ورفع أسعار الحمولة، في حين أن الوكالة الإفريقية كان بمقدورها تزويد الأسواق الفرنسية بهذا المنتج وبسعر أقل إلا أن المدة التي يتم فيها توصيل الحمولة إلى فرنسا كانت طويلة بالمقارنة مع الشركة اليهودية، إذ أن السفن التابعة للوكالة الإفريقية بالجزائر كانت تخضع لرقابة جمركية صارمة تستغرق أياما وفي بعض الأحيان أسابيع أو أشهر وحسب وضعية العلاقة السياسية بين البلدين وهي ظروف استثنائية انتهزتها شركة بوشناق- بكري لتحقيق أرباح لها دون مسؤولية أو ولاء اتجاه أي طرف من الأطراف السابقة. حيث حاول اليهوديان تقويض النشاط التجاري لهذه الوكالة التي احتكرت تجارة² الصوف في الشرق³.

والجدير بالذكر أن أوضاع الحكومة الفرنسية مهدت لليهودي بكري التدخل في سياستها الخارجية، حيث جرت اتفاقية سرية بين بكري ووزير الخارجية الفرنسي شارل موريس تاليران (1754-1838) على تزويد الجيوش الفرنسية في إيطاليا بما تحتاجه من

¹ - Virebeaux, op.cit., p 80.

² - صالح عبّاد، المرجع السابق، ص 342.

³ - محمد دلباز، الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريعات، ترجمة وتعليق، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، غير منشورة، ص19.

مؤن وأسلحة في جبهات الحرب¹، ومن جهة أخرى ساند بوشناق التجار الماهونيين في صراعهم مع المؤسسات الفرنسية (الوكالة الإفريقية، الباستيون) في الشرق الجزائري، وحتى بعد حملة اللورد إكسموث على الجزائر سنة 1816م والقطيعة السياسية سنة 1817 استمر بكري في التعاون مع التجار الانجليز وتزويدهم بالمؤن التي تحتاجها مدينتهم.

- اليهود والتجارة بإيالة الجزائر:

أ- التجارة الداخلية:

تعتبر التجارة الداخلية هي القاعدة الأولية التي بنى عليها اليهود نفوذهم الاقتصادي بالجزائر خلال العهد العثماني، انطلاقا من المرحلة التمهيدية التي هيأها لهم الميغورشيم الذين تحكّموا نسبيا في دواليب التجارة الداخلية بحكم ثرواتهم الضخمة واكتسابهم لحرف دقيقة ومتنوعة واطلاعهم على العملات وأحوال الأسواق والطرق التجارية، الأمر الذي جعل اليهود أواخر العهد العثماني يسيطرون بشكل تام على النشاط التجاري بنوعيه حيث ساهموا بصفة عامة في تنشيط اقتصاد الإيالة باعتبارهم أصحاب خبرة في مجال التجارة نظرا لمزاولتهم لأنشطة حرفية مختلفة حسب تعبير شالر: «... وكما هي عادة اليهود في مختلف البلدان، فإنهم يمارسون جميع فروع التجارة، وهم يحتكرون في هذا البلد السمسة وأعمال المصارف، وتبديل العملة...»²، إذ نجدهم صباغين *orfèvres*، خبراء في المعادن *essayeurs de métaux*، سماسرة *courtiers*، الوساطة في العمليات التجارية مهما كانت بسيطة ومتواضعة، وفي هذا الصدد يقول Rozet: « أن الجزائري لا يستطيع بيع دجاجتين دون وساطة يهودي...»³، كما تخصصوا في ضرب النقود الذهبية وصقل اللؤلؤ والمجوهرات ولا توظف دار السكة إلا اليهود في هذه الحرفة، وإلى جانب المراباة، لجأ اليهود لتحقيق الأرباح السريعة إلى تقديم القروض بفوائد جد مرتفعة،

¹ - استرجع الفرنسيون هذه الامتيازات بموجب اتفاقية 15 مارس 1817.

² - شالر، المصدر السابق، ص 89.

³ - Rozet , op-cit,72.

عارضين بذلك خدماتهم على مختلف الشرائح الاجتماعية (حرفيين، تجار، بايات، موظفين بالدولة وحتى القناصل والسفراء)¹. ذكر Haddey أن « اليهودي إسحاق دي جاكوب إسرائيل يعترف في 2 مارس 1728 بأن القنصل الفرنسي Antoine Gabriel Durand ساهم في إطلاق سراحه بعد دفع مبلغ قدر بـ 4000 أسبر بعد أن حذفها من مبالغ 15000 بتاك² التي كان قد اقترضها للداي ومجموعة من الأشخاص....»³، ومن طبع اليهود أنهم كانوا لا يتورعون في عرض خدماتهم على رجال الدولة في القضايا الاقتصادية والمالية، فحظوا بثقة البايات في البايكات الثلاثة، فكانوا محتسبين ومستشارين ماليين مكلفين بوزن وتقدير عملات خزينة الدولة، ووكلاء تجاريين رسميين، فهذا ماردوخاي دارمون (مقدم الطائفة اليهودية) الوكيل التجاري الرسمي لباي معسكر محمد الكبير. إن تشعب نشاطات الجالية اليهودية بالجزائر جعلتهم يحتكرون التجارة الداخلية بجميع أشكالها نظرا للعمليات الواسعة في تسويق نتاج الحرف كالصياغة والمجوهرات والملابس الجاهزة، الاواني الزجاجية، ومقابض البنادق، والقماش، المواد الغذائية، ساعدهم في ذلك امتلاك أو اكتراء محلات تجارية بمختلف المدن الجزائرية، ففي مدينة الجزائر (دار السلطان) انتشرت المحلات والدكاكين اليهودية في أربعة عشر سوقا من أسواقها، منها سوق التماقين، سوق الحاشية، سوق الحوت وسوق الخرازين، وسوق الخراطين وسوق السمن وسوق الشبارلية وسوق الشماعين وسوق الصفارين وسوق العطارين اليهود وسوق القزازين وسوق الصاغة، سوق القسارين وسوق اللوح الذي يعد اكبر تجمع للتجار اليهود بالمدينة حسب ما ورد في بعض وثائق المحاكم الشرعية وبذلك مثل اليهود نسبة 35% من النشاط الاقتصادي بالمدينة.

¹ - Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, traduit par A. Devoulx, conservateur archives arabes des domaines, Alger : l'imprimerie du gouvernement, 1852, p 21.

² -بتاك شيك تساوي 65 سنتيم.

³ - Haddey (M-J), le livre D,or des israélites Algériens, Recueil de renseignement inédit, et authentique sur les principaux négociants d'Alger pendant la période turque, Alger : imprimerie typographique de Boyer, 1872, p 23.

أدت مرونة وتحكم اليهود في مختلف المهن والحرف إلى سيطرتهم النسبية على التجارة الداخلية، وذلك من خلال توفير وتسويق مختلف السلع والمنتجات في مقدمتها المواد الاستهلاكية التي يحتاجها الأهالي يومياً، ففي مدينة الجزائر مثلاً « اشترك الذميون ببيرس بن إسحاق كوهين ويوسف كوهين وعمار بن إسحاق في ملكية أحد الأفران المعد لعجن القمح والشعير الواقع بسوق السمن....»¹.

كما اشتغل بعض اليهود تجار للخضر والفواكه والبقول الجافة والتوابل، فقد ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية: « ... امتلك أحد الذميين محلاً معداً لبيع الخضر بسوق السمن...»²، و«...باع الذمي مخلوف والذمي يوسف كيس من التين المجفف بسوق السمن...»³، ومارسوا تجارة القماش بمختلف أنواعه، وعمل بعض اليهود باعة متجولين في المناطق النائية لمختلف البضائع من الحاجيات إلى الكماليات (ملح، سكر، بنّ، عطور، محارم للنساء...) وكانت عمليات البيع تتم بالمقايضة.

وعلى ما يبدو فإن اليهود زاولوا التجارة مع مختلف الفئات الاجتماعية بالجزائر العثمانية فإلى جانب اشتغالهم بتوفير مختلف المواد الاستهلاكية للمسلمين وفروا بعض المواد المحرمة والمحظورة لغير المسلمين وحتى للجنود الأتراك، والعلوج والبايات، والدليل على ذلك «... امتلاك الأخوين الذميين يوسف وإسحاق أولاد موشي اليهودي لحانتين تقعان بزنقة الحاشية، عادتا إليهما بالهبة من والدهما موشي...»⁴.

أما في مدينة وهران ومعسكر كان اليهود يبيعون الخمر في الغرف الخلفية لمنازلهم أو الحانات المخصصة لمثل هذه التجارة، حيث ذكر تيدينا أن الباي محمد الكبير كان يشرب الخمر في قوله: «... وأصبحت لا أجد صعوبة في مصاحبته عند شرب

1 - م.ش.ع 37-1 (26).

2 - م ش ع 88 (24).

3 - م ش ع 08 (72).

4 - م ش ع 41 (18).

الخمير...»¹، ويضيف: «...أمرني (أي الباي) بأن أذهب وأحضر زجاجتين² من الخمير لكل منّا...»³.

أما في مدينة قسنطينة انتشرت الخمرات (الحانات) في مناطق مختلفة من البايليك نظرا لإقبال بعض الجنود الانكشارية على اقتنائها ولم يجد اليهود مانعا في تقديمها بمختلف أصنافها وجودتها مقابل أسعار تكون في بعض المرات جد مرتفعة، غير أنه في شهر رمضان الفضيل، تتوقف هذه التجارة بأمر من الحاكم لقداسة هذا الشهر فتتعطل أحوال أصحاب هذه التجارة فينصرفون إلى مزاولة أعمال تجارية أخرى.

كما اشتغل بعضهم ببيع الدخان والحشيش، إذ جاء في إحدى الوثائق: «... ملك الذميون مردخاي بن هارون وإسحاق بن براهيم ننوشي وهارون بن شالوم محلا لبيع الدخان يقع بكجاوة...»⁴، وعلى ما يبدو فإن هذه التجارة كانت أكثر ربحا خاصة أن تدخين الغليون كان موضة العصر في جميع إيالات الدولة العثمانية، حيث عكف بايات وبشوات هذه الإيالات على اقتناء الغليون⁵ والتدخين بصفة منتظمة يوميا، حسب تيدينا أن باي معسكر محمد الكبير كان كثير التدخين حتى في خروجه لجمع الضرائب من المحلات أو عند الإغارة على القبائل المتمردة في قوله: «... هناك من الغلمان واحد مكلف بإعطاء الباي غليونه في الطريق ويسير وراءه أي قبل السنجاق وهي مكانة شاقة خاصة عند السبر في الليل...»⁶. وعلى ما يبدو فإن تجارة الممنوعات بالجزائر سيطر عليها اليهود خلال العهد العثماني نظرا للأرباح الطائلة التي كانت تحققها، ضف إلى ذلك العلاقات الكثيرة

1 - تيدينا دوفان، مذكرات تيدينا، تقديم وتحقيق عمير اوي احميدة تحت عنوان الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، الجزائر: شركة الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص 73.

2 - ورد في المذكرة الأصلية أن تيدينا كان دائما يحمل الشراب liqueur وهو عنب المسك المصنوع في لونييل (Lunel) أو فرانتينيان Frantignan، ومسامرة الباي.

3 - تيدينا دوفان، المصدر السابق، ص 81.

4 - م ش ع 51 (41).

5 - الغليون: هو أداة لتدخين التبغ، له أشكال وأحجام مختلفة، وسبب استخدام الغليون بأنه يقوم بتصفية وترشيح المواد القطرانية، ويعمل على تبريد الدخان قبل وصوله إلى الفم، ظهر في نهاية القرن 16م.

6 - تيدينا دوفان، المصدر السابق، ص 65.

التي يربطها أصحاب هذه التجارة من اليهود ببعض الموظفين والمسؤولين في الدولة، لذلك لم ترد أي إشارة تمنع اليهود من مزاوله هذه المهنة.

المعروف أن التجارة الداخلية بأشكالها المختلفة بإيالة الجزائر كانت تحت رقابة الإدارة¹، ولذلك صارت بأيدي حلفائها اليهود حين أعطاهم الحكام حرية مزاولتها شرط أن يدفعوا الضرائب بصفة منتظمة لخزينة الدولة، وبناء على هذا أصبحوا يزودون الأهالي بما يحتاجون إليه من الحاجيات الضرورية (سكر، شاي، بِنّ، تمر، توابل، خبز...) وبعض الكماليات (الحلي، العطور، الكحل، فوانيس، أواني نحاسية...) سواء عن طريق المحلات التجارية التي امتلكوها في المدن، أو بواسطة الباعة المتجولين الذين كانوا يجوبون مختلف بيالك الجزائر وأريافها لبيع مختلف السلع والبضائع التي يحتاجها سكان تلك المناطق. وكانت المعاملات التجارية بين اليهود وأهالي هذه المناطق تتم في أغلب الأحيان عن طريق المقايضة (بيع العين بالعين أي مبادلة مال بمال غير نقدي)، وكان اليهود يتنقلون مسافات طويلة للبيع والاتجار، حتى يصلوا إلى تخوم الصحراء، فيبيعوا أو يبادلوا أهلها سلعا بسلع².

تمكن اليهود الميغورشيم من التحكم في المسالك البرية والطرق الحيوية للتجارة الداخلية بالإيالة، التي تعرف أيضا بالطرق السلطانية، التي كانت تربط بين الجزائر وعواصم البايك³ قسنطينة والمدية، ومازونة ثم معسكر، حيث كانت هذه الطرق تؤمن حركة المبادلات التجارية لليهود بصفة منتظمة مستعملين في ذلك وسائل النقل التي كانت متوفرة خلال تلك الفترة في مقدمتها الدواب لنقل مختلف السلع والمنتجات.

1 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 245.

2 - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 62.

3 - أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، بدون طبعة، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، ص 193.

كما كان يتم نقل البضائع وبدرجة أقل¹ عن طريق الملاحة الساحلية بين المدن المطلة على البحر، وذلك في قوارب أو سفن صغيرة من نوع "الشطية" و"الصندل"، ففي مدينة "دلس"² ازدهرت التجارة الداخلية خاصة مع إقامة الأندلسيين واليهود الميغورثيم بها الذين عملوا على تدعيم أسواقها بالعديد من الحرف والصناعات التي برعوا فيها خاصة بعدما اعتمدوا على الملاحة في ترويض منتوجاتهم بين مختلف المدن الساحلية القريبة منها.

وفي الصحراء تحكّم اليهود في الشبكة التجارية البرية بها ما بين القرنين 11م-15م³ وبرأسمالها من التجارة والقوافل ومختلف الهياكل الضرورية للمبادلات الصحراوية أو العابرة للصحراء، مما أدى إلى انتعاش التجارة بين الجزائر وبلاد السودان الغربي التي تمكن اليهود بالجزائر في القرن 18م من السيطرة عليها والتحكم فيها⁴.

فتحولت الصحراء إلى مثلث تجاري إستراتيجي يربط بين المراكز الحيوية للتجارة الصحراوية شمال الجزائر، بلاد السودان الغربي، وأواسط إفريقيا كما شاركوا بعض التجار السود في تجارة التبر وريش النعام والعييد، وناقسوهم في الاستحواذ على تجارة الصحراء. انعكست الحرية الاجتماعية التي تمتع بها اليهود في الجزائر على طبيعة النشاطات الاقتصادية التي مارسوها، فاحتكروا بموجب هذا الأمر جميع الصناعات وزاولوا مختلف الحرف والمهن حتى الأرزل منها، ويعتبر توفر الأمن عاملاً إيجابياً ساعد هذه الفئة على الاستقرار بالمراكز التجارية الرئيسية والثانوية (الأسواق، السويقات، الرحبات⁵)، والتحكم

1 - أمين محرز، المرجع السابق، ص 194.
2 - دلس مدينة جزائرية على ساحل بحر المتوسط بين بجاية ومدينة الجزائر، أقامها القرطاجيون حوالي 807 ق.م وأصبحت تسمى روسوكوروس، كانت المدينة على مر التاريخ محلاً للصراع بين حكام دول المغرب الإسلامي تارة، والقوى المسيحية تارة أخرى، في سنة 1509م أصبحت المدينة قاعدة بحرية للإخوة بربروس لتحرير المدن الساحلية من الإسبان، في 1837م قاد الجنرال بيجو حملة عسكرية على هذه المدينة ودخل في مواجهة مع قبيلة فليسة، غير أنه تمكن من احتلال المدينة في 18 ماي 1844م.
3 - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 79.
4 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 248.
5 - عبارة عن ساحات عامة مكشوفة مخصصة للمتاجرة في مواد معينة كالقمح، والقمح والشعير حتى يتم الكيل فيها نظراً لزيادة الطلب على هذه المواد الضرورية. انظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية- اقتصادية، ص 275.

في شتى أشكال التجارة، مما أدى إلى تضخم رأس المال لدى اليهود، سيتحولون بموجبه إلى فئة حساسة في المجتمع ولا سيما مع نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م، إذ ستختفي العائلات الأرستقراطية الميغورثيم وتظهر عائلات الليفورنية التي ستغيّر الكيان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بالإيالة ثم تغيّر مصير الجزائر كلها.

ب- التجارة الخارجية:

تتفق معظم المصادر الغربية التي قامت بدراسة التجارة الخارجية للجزائر بين بداية القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر¹، على أن تجارة الرقيق والغنائم البحرية مثلت القسم الرئيسي في العلاقات التجارية للمدينة مع الخارج في تلك الفترة، أي شغلت حوالي 62% من حجم هذه التجارة غير أن هذا لا ينفي اعتمادها أيضا على الصادرات التي تمثلت في شكل شبه حصري على مواد أولية: غذائية وحيوانية الحبوب (القمح والشعير)، الصوف والجلود، الشمع، المرجان... موجهة لأوروبا. أما الواردات اشتملت على مواد أولية مثل الحديد، الرصاص، النحاس، والكبريت، ملح البارود التي كانت تحتاجها الإيالة في صناعتها الحربية، كما كانت تستورد منها الأقمشة والخردوات وبعض المواد الغذائية بكميات ضئيلة (مثل البلح، الجبن، وأنواع من المربي... الخ).

أما بالنسبة لبلاد السودان الغربي، والمغرب الأقصى، والإيالات العثمانية فإنها كانت تصدر إليها أساسا المنتجات النسيجية، وبعض المواد الغذائية، وتستورد بالمقابل الأقمشة والعبود، والمواد الكمالية مثل الحرير والقهوة والعود والتوابل والزرابي، وكانت المبادلات التجارية بين الجزائر والأسواق الخارجية تتم عبر منفذين (بحري وبري) غير أن الطرق البحرية شكلت محورا أساسيا في حركة التجارة الخارجية التي كانت تربط الجزائر بموانئ عالمية ليفورن، جنوة، ومرسيليا، ومتوسطية تطوان، تونس، وقابس وطرابلس الغرب والإسكندرية وميناءي إزمير واستنبول.

¹ - أمين محرز، المرجع السابق، ص 195.

وعلى الرغم من امتلاك إيالة الجزائر لمقومات التجارة الخارجية إلا أن الإدارة أهملت تنظيمها والإشراف عليها وأوكلوا هذه المهمة للدخلاء من اليهود وهذا ما عبر عنه Gonzales P.A في قوله: « تجارة الجزائر هي الأكثر تفاهة من بين جميع المدن الآهلة الكبرى في العالم، وذلك راجع في المقام الأول لنجاح قراصنتها»¹.

■ اليهود وتجارة الإيالة الخارجية:

استقطبت إيالة الجزائر منذ مطلع القرن 18م، شأنها في ذلك شأن العديد من الإيالات المتوسطية، أعدادا لا يستهان بها من يهود مدينة ليفورن Livourne الإيطالية الذين توسعت هجرتهم نحو الجزائر بموجب ترخيص يرجع إلى عهد السلطان سليم الأول (1512- 1520) سمح بموجبه لليهود- رعايا الدوق الأكبر² بتوسكانيا بممارسة أنشطتهم التجارية بالموانئ العثمانية، وبإنشاء مخازن للعبيد والبضائع مصدرها القرصنة.

وعلى ما يبدو فإن هذا الترخيص حفز أعدادا منهم للهجرة في اتجاه تونس وطرابلس في وقت مبكر، أما بالنسبة لإيالة الجزائر فإن الأمر لم يتم إلا ابتداء من أواخر القرن 17م وبداية القرن 18م.

ذكر Eisenbeth أبرز العائلات اليهودية التي اتخذت من مدينة الجزائر منطلقا لأنشطتها التجارية أواخر القرن 17م بعد أن وجدوها ميدانا خصبا للعبقرية اليهودية مستغلين معرفتهم فوق العادة بالشؤون المالية وقضايا العملة والمعاملات التجارية ومهاراتهم التجارية التي فاقت إمكانيات تجار وحكام الجزائر على حدّ السواء، وغياب نظام مصرفي بالإيالة.

¹ - Gonzales P.A., Voyage en Egypte du père Antonius Gonzales 1665- 1666, traduit de néerlandais ,présenté et annoté par Charles Libois S.J., 2 volumes, paris :P I F'A O, 1977, p 125.

² - هم اليهود الذين لجنوا إلى ليفورن بعد طردهم من إسبانيا خلال الفترة الممتدة ما بين 1492- 1496 وأقاموا بها كرها، حيث استفادوا من ميثاق الامتياز الذي يصطلح عليه فيما بعد livornana الذي يسمح للتجار اليهود بالإقامة في موانئ بيزا وليفورن

الفصل الثالث..... دور اليهود الاقتصادي والسياسي في الولاية

والجدول التالي يوضح هذه العائلات بناء على ما جاء به Eisenbeth وما استقصيناه من بعض الوثائق¹:

الوجهة	الاستقرار	العائلة اليهودية
مدينة الجزائر	1686	ألفرينجا al Varenga
/	1686	لوسادا Lousada
/	1690	مولكو Molco
/		بنجامان زاكوتو Benjamin Zacuto
/	1697	تنس Tunes
/	1697	كوهين Cohen
/	1698	يوسف موشي المعروف بهارون كوهين جوثان دولا روزا Joseph Moise Di Aron Cohen Jonathan De La Rosa
/	1714	نتان دو يوسف لطار Nathan De Joseph Lotard
/	1717	إسحاق سليمان Issac Soliman
/	1723	نفظالي بوشناق أو بوجناح (الجد)

¹ - Eisenbeth, les juifs en Algérie et en Tunisie, p 373.

		Naftali Bushnash
/	1724	أبراهام بوشناق Abraham Busnash
/	1732	أبراهام بوشارا Abraham Bouchara
الجزائر	1733	اليزر سفورنو Elizer Sforno
/	1736	يعقوب المعروف برفائيل بوشارة Jacob di Raphaël Bouchara
/	1757	أبراهام بوشارا (الابن)
/	1774	كوهين بكري cohen Bacri
/	1782	نفتالي بوشناق Naftali Bushnash شريك عائلة بكري
العقد الأخير من القرن 18م¹		
الجزائر	1792	ليفي فالانسي Levi Valensi
/	1792	توبيانا Tubiana
/	/	بنسامون Bensamon
/	/	أبولكير Aboulker

¹ - Eisenbeth, Les juifs en Algérie, op.cit., p 373.

/	/	Cohen كوهين شلومون Solomon
/	/	Benhaëm بنحاييم
/	/	Narboni نربوني
/	/	Tabet تابيت
/	/	danino دانينو
الجزائر	1792	Duran دوران
/	/	Stora سطورا
/	/	Cohen Solal كوهين شلال
/	1815	Bahhûn ¹ بحون
/	1817	Lévi Bram ليفي برام
/	1820	Salomon شلومون
/	1822	Bentibi بنتيبي
وهران	1792	Levy Brass ليفي براس
وهران	1792	Cohen Salmon كوهين سلمون

وجدت العائلات الليفورنية بإيالة الجزائر ظروفًا مواتية سهلت تركزها وهيأت لها أسباب التفوق على غيرها من الفئات المنافسة سواء من التجار المسلمين أو غيرهم من

¹ - Eisenbeth, op.cit., p 373.

اليهود (التوشابيم، اليغورشيم)، فقد استفادت كبرى هذه العائلات من سياسة التهميش¹ المنهجية، التي كانت تمارسها السلطة الحاكمة بالجزائر على غيرها والتي تجاوزت أمور السياسة والإدارة والجيش لتشمل الحياة الاقتصادية، حيث اشتغل بعض أعضاء الديوان وكبار ضباط الانكشارية وبعض الحكام (بايات أو دايات) بالتجارة والدخول مع اليهود في مصالح مشتركة، إما كوسطاء أو وكلاء أو حتى شركاء في بعض الأحيان²، هذه العلاقة المتميزة مع الطبقة الحاكمة فتحت المجال للعديد من تلك العائلات لتأسيس وكالات وشركات تجارية حققت نجاحا كبيرا وكانت نواة للشبكة التجارية الليفورنية التي احتكرت وهيمنت على تجارة الجزائر الخارجية، غير أن الإشكالية التي تفرض طرحها بإلحاح: هل استند الحضور ثم النشاط الواسع لهذه العائلات على مجرد ثروة بعضها وتماسك وتأزر أفرادها عبر شبكات اتصالات محكمة التنسيق؟ أم أن الأمر يرجع إلى النجاح الذي حققه بعض أعيان الطائفة اليهودية من خلال خلق روابط محكمة، في ظل ظرفية خاصة بينهم وبين الفئة الحاكمة؟ كيف تسنى لهذه العائلات أن تتحكم في الوسط التجاري والسياسي، وهل يمكن تحميل السلطة العثمانية التجاوزات اليهودية بالجزائر؟ وهل يمكن اعتبار اليهود طرف رئيسي في احتلال الجزائر 1830؟

■ الشركات اليهودية التجارية في إيالة الجزائر (1686-1829):

¹ - طبع وجود العثمانيين بالجزائر هيمنتهم شبه المطلقة على أمور الإدارة والجيش والاقتصاد، أما غالبية السكان "أهل البلد" عربا وبربرا فكان حظهم التهميش في الممارسة السياسية، كأن أهالي الجزائر قطيع غنم كل مرة يشرف عليهم باشا أو خوجة لا يعلمون أصله ولا لغته ولا متى تولى شؤون البلاد، بل كانوا يعرفون أن أحد الحكام قد مات أو تولى سلطته بارتفاع أصوات الأبواق والمدافع التي تعلن ذلك في كلتا الحالتين، وحتى ظهور ذلك العنصر الهجين (الكراغلة) لم يغير من الأمر شيئا بل هذا الجيل الجديد حورب بشتى الطرق والوسائل وأقصى من السياسة ونفي الى مناطق متفرقة من البلاد خشية أن تقع السلطة بيد الأهالي بطريقة أو بأخرى، والأمر تعدى أكثر من ذلك عندما أقصى الأهالي من الممارسة الاقتصادية ومنحت امتيازات وتسهيلات تجارية للأجانب الأوروبيين واليهود، كشركة Sanson Napollon (1628)، Denis rusalt (1679)، وشركة بكري بوشناق اليهوديين في حين ظل الأهالي يتكبدون العناء في تحصيل أقاتهم، ودفع الضرائب التي كانت تفرض عليهم. إن الحكام العثمانيين عملوا جهودهم حتى لا تقع السلطة بيد الأهالي، وتبقى حكرا عليهم غير أنهم لم يدركوا أن سياسة التهميش هذه أقصى الأهالي وأخرجت السلطة من أيديهم وحملتها على أيدي يهودية إلى فرنسا التي ساعدها بطريقة أو بأخرى على تحقيق حلمها في احتلال الجزائر.

² - محمد أمين، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المغرب: مطبعة أنفو برانت، فاس، ص 88.

من الصعب التطرق إلى موضوع الشركات اليهودية، أو ما عرف خلال تلك الفترة بدور التجارة التي سيطرت على التجارة الخارجية في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، وذلك لغياب الوثائق المتعلقة بهذه الشركات التجارية والمتمثلة أساسا في أرشيفاتها الخاصة التي تعتبر مادة خام والقاعدة الأساسية في أي بناء تاريخي حول الحياة الاقتصادية للطائفة اليهودية بالجزائر العثمانية، فحتى لو افترضنا وجودها فهل ستعطينا صورة حقيقية ودقيقة حول أهم هذه الشركات وحجم تعاملاتهم التجارية، وعلاقتها مع الشركات الأخرى (أوروبية أو خاصة بالمسلمين)، وهل كانت لهذه الشركات منافسة في الأسواق العالمية؟

إن هذه الفرضيات لا يمكن أن تلبى فضولنا التاريخي، فالمعروف ان اليهود لا يتركون أثرا وراء أعمالهم التي تكتسيها التجاوزات وتعترىها الشبهات، فإن وجد حقا أرشيف هذه الشركات هيئات أن تصل إليه ولو حتى في الأحلام، إن هذه الثغرة التاريخية يصعب تجاوزها حقا. لكن هذا النقص لا يعني التراجع عن تحليل هذا الموضوع، لأن هناك بعض المصادر¹ النادرة التي تعرضت إلى حيثيات هذا الموضوع بصفة تاريخية إحصائية أهمها كتاب Haddey المعروف بـ *Le livre d'or*، ضف إلى ذلك التقرير سري للقنصل البريطاني Fraser (-) بتاريخ² 17 فبراير 1768، ويتعلق بمعلومات دقيقة

¹ - يعتبر كتاب (MJM Haddey) المعروف بـ *Le livre d'or* من المصادر المهمة والنادرة التي تطرقت إلى هذا الموضوع، فهذا المؤلف عبارة عن وثائق أصلية وغير منشورة على شكل سجلات خاصة بمواعيد دخول وخروج السفن من وإلى ميناء الجزائر خلال العهد العثماني ما بين (1668-1826) ونوع الحمولة والبلد المتوجهة إليه وصاحبها، كما قامت بترتيبها ترتيبا كرونولوجيا دون التعليق عليها، وهذا ما أضفى خصوصية عليه حيث وصل إلينا مادة خام ندرسها بكل موضوعية، وهذا الكتاب حسب Ernest Mainz في مقاله *Les juifs sous la domination turque* صعوبة الحصول عليه وعدم توفره إلا في الجزائر وفي مكتبة خاصة بأحد المهتمين بتاريخ اليهود في الجزائر، فهو حقا من المصادر النادرة، فهو لا يوجد في المكتبة الوطنية الفرنسية أو الأرشيف الوطني الفرنسي بل تحتفظ به بعض الجمعيات اليهودية ذات أصول توشابيمية المتمركزة بفرنسا والتي أهدت نسخة منه إلى مكتبة الرابطة الإسرائيلية العالمية، مما يدعو إلى الشك أن ندرة هذا المصدر ربما يكون لأحفاد يهود ليفورن ضلوع فيه، خشية أن تفضح تجاوزات أجدادهم في الجزائر خلال العهد العثماني، غير أننا لا نحمل اليهود وهدم الانزلاقات السياسية والاقتصادية بالجزائر بل سياسة الحكام العثمانيين كانت وراء ذلك.

ضف إلى ذلك التقرير السري الذي كتبه القنصل البريطاني Fraser (-) بتاريخ 17 فبراير 1768 ويتضمن معلومات دقيقة ومفصلة عن التجارة الخارجية للإيالة، والشركات اليهودية في مقدمتها شركة بكري بوشناق وهو من التقارير الغير منشورة..

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 2، الطبعة 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 309.

ومفصلة عن حالة التجارة الخارجية بالإيالة، خصوصا تلك التي تحتكرها الشركات الأجنبية الدخيلة أو فئات اليهود مثل عائلة بكري أو بن دوران.

■ النشاطات الأساسية للشركات التجارية اليهودية في إيالة الجزائر (1686م- 1830م)

تركزت النشاطات التجارية للشركات اليهودية بالجزائر خلال العهد العثماني على تجارة الأسرى بالدرجة الأولى وعمليات الاستيراد والتصدير بالإضافة إلى الأعمال المصرفية والنشاط البنكي أو ما يعرف بالقروض.

■ تجارة الأسرى:

تعد تجارة الأسرى (تحرير الأسرى) موردا هاما وفرعا من فروع التجارة التي تدر على اليهود أرباحا طائلة، فقد فاقت مداخيلهم من المتاجرة بالأسرى أحيانا كثيرة مداخيلهم من التجارة العادية (الاستيراد والتصدير)، ولعل سيطرتهم شبه المطلقة على هذه التجارة، يرجع إلى دورهم في تسهيل عمليات اقتداء الأسرى المسيحيين أو ما يعرف بالوساطة اليهودية، فقبل تدخل اليهود في هذه العملية، كان تحرير الأسرى يتم بصعوبة كبيرة وغالبا ما تنتهي بالفشل، وهذا راجع إلى عدة عوامل من بينها المسافة الفاصلة بين الأسير وأهله، أو الجهة المكلفة بتخليصه، ضف إلى ذلك طبيعة الحكم العثماني الذي اعتبر تجارة الأسرى احد أهم موارد خزينته، كما اعتمد على هذه الفئة في عدة وظائف مختلفة منها السياسية والاجتماعية، وذلك من خلال وضع شروط معينة¹ في الأسير الواجب امتلاكه، فكثيرا ما كانت المبالغ التي ترسل إلى الإيالة لاقتداء الأسير تذهب سدى، بحيث تحتفظ الجهة التي تملك الأسير به وبالأموال الموجهة لاقتدائه دونما أي حرج أو خوف من مطالبة أصحاب الأموال بها لأن تنقلهم إلى الإيالة كان مكلفا وصعبا، بل خطيرا في أوقات كثيرة² (السفر إلى الجزائر خلال تلك الفترة كان مغامرة لا يقوم بها إلا فئة خاصة اختارتهم السماء لتحقيق ذلك الأمر حسبما اعتقده الناس).

¹ - سنتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل في القسم الثاني المتعلق بالنصارى.

² - Haddey, op.cit., p 11.

وبما أن اليهود كان أول من استعمل السفنجة¹ (lettre de change) كطريقة للدفع، واعتمادهم على ممثلين تجاريين لشركاتهم التجارية بالجزائر في بلدان مختلفة أهمها جنوة، البندقية، برشلونة، هامبورغ، فيينا، أمستردام، مرسيليا، إزمير، الإسكندرية... وغيرها، سهلوا من عملية اقتداء الأسرى.

وما يلاحظ أنه خلال الفترة الممتدة ما بين 1690- 1778 تم شراء أكثر من 1122 أسير من جنسيات مختلفة وبمبالغ جد معتبرة وبأوامر كانت تصل الوسطاء اليهود من مؤسسات دينية² مختصة في فداء الأسرى، كأندلس جمعوية مذهب القديس فرونساوا (Saint François)، والجمعية البرتغالية أنصار مذهب القديس بنوا (Saint Benoit) و L'illustrissime³ Magistrat de Gene، حيث كانت هذه الجمعيات تمثل أسرى دول عديدة: إسبانيا، هولندا، البرتغال، جنوة، البندقية، فرنسا، هامبورغ، الدانمارك، أمستردام، صقلية، وليفورن⁴، كما أن عددا كبيرا منهم كان يقوم بفداء نفسه من مالكة بعد قيامه بجمع مبلغ فديته لسنوات طوال مثلما هو الحال مع بعض الأسرى أمثال: كاثكارت، شارل. ويذكر Haddey عدة حالات كان اليهود أنفسهم هم مالكي الأسير، وهو نفس ما أكده الأسير تيدينا في مذكراته حيث قال: «... حالما نزلنا من المركب قدنا إلى السجن حيث يوجد العبيد المساكين، وبعدها أخذنا رجال إلى السوق وباعونا مثلما تباع الحيوانات... أما أنا فقد اشتراني يهودي... بسبعين سكة... وحينما وصلنا إلى منزله سألني عما أجيد عمله... قلت له لا شيء... فقال كيف ليس لك عمل؟ قلت له لا، قال ألا تعرف أيضا العمل في البستان؟ أجبت لا، لا أعرف شيئا آخر غير الكتابة، وهو العمل الذي شغلته دائما، قال وماذا

1 - قال حمدان خوجة: ان السفنجة أو الكمبيالة استعملها اليهود في معاملاتهم التجارية بإيالة الجزائر.

2 - أسست هذه الجمعيات بدافع ديني محض، لفداء الأسرى الفقراء أساسا، لكنها كثيرا ما قامت باقتداء أسرى أغنياء، كانت عائلاتهم تدفع مبالغ طائلة لهذه المؤسسات، وقد تمت أول عملية من نوعها سنة 1583م وأهم هذه المؤسسات Magistrate Del Riscatlo Regli Shiar بجنوة عام 1597م.

3 - Haddey, op.cit., pp 13- 15.

4 - حسب Eisenbeth فإن اليهودي الليفورني Guida Crespino هو المحرك الأساسي في عمليات اقتداء الأسرى ولسنوات طوال. Eisenbeth, Les juifs en Algérie, p 357.

تنفع الكتابة...؟»¹، ثم أضاف تيدينا: «... كان اليهودي يفضل أن أكون بستانيا أو شيئا آخر، وفي آخر الأمر قال لي إنك لا تساوي شيئا بالنسبة إلي، يجب أن أبيعك وأخشى أن يعرف المشتري أنك لا تملك عملا، وبالتالي لا يمكن استرجاع دراهمي...»².

إن هذا التصريح دليل قاطع أن علاقة اليهود بالأسرى تعدت دور الوساطة التجارية في عمليات الاقتداء بل إلى امتلاكهم وبيعهم بالإيالة للداي أو الباي أو الأعيان بالجزائر خلال تلك الفترة التي تميزت باقتناء الأسرى واستخدامهم للعمل في القصور والبيوت وفي الموانئ وحتى البساتين والحقول، وهو الأمر الذي وجد فيه اليهود إغراء لا يقاوم لأنه يشكل إحدى مصادر الثراء دون عناء، فعكف اليهود على شراء الأسرى من أسواق النخاسة بأثمان زهيدة وبيعهم بمبالغ باهظة كلما سمحت لهم الفرصة بذلك، وهو ما تجسد في قصة تيدينا حيث اشتراه اليهودي بسبعين سكة إذ قال: «... واتفقا على مائة سكة»³. ومن الممكن أيضا وفي حالات شاذة يصبح أحد اليهود المالكين أو الوسطاء أسرى أيضا وهي المتعلقة باليهودي Israel Cebé الذي اسر سنة 1721م، وبعد ستة سنوات من المعاناة تم فداؤه من طرف le corps des juifs بقيمة 1500 بياستر غير انه من سوء حظه أن الداي كرد عبدي باشا (1724-1732م) منعه من الرحيل إلى هامبورغ، وأجبره على الزواج والاستقرار بالإيالة، ولعل السبب الذي دفع إلى استبقائه كونه طبيب⁵.

سيطر اليهود على تجارة الأسرى وجنوا أرباحا طائلة من وراء الوساطة التجارية مقابل تحرير الأسرى حسب الأوامر التي يتلقونها من الجهة المهتمة بأمر المفتدى، حيث تصل الفائدة التي يحددها الوسيط اليهودي إلى 30%⁶، وهذه النسبة المرتفعة كثيرا ما أعاقت تحرير الأسرى الأوروبيين، كما يؤكد ذلك Le père Lazariste Théodore

1 - تيدينا، المصدر السابق، ص ص 47-48.

2 - نفسه، ص 47.

3 - تيدينا، المصدر السابق، ص 48.

4 - في عهد الداي محمد بن حسن باشا (1718-1724م).

5 - Haddey, op.cit., p 50.

6 - Fernand Braudel, La méditerranée et le monde méditerranéen, T2, p211.

الفصل الثالث..... دور اليهود الاقتصادي والسياسي في الإيالة

Croisselle (1721-1765) في رسالة وجهها في 24 ماي 1785 لجمعية Magistrate des provéditeurs sur les hôpitaux et lieux pie de Venise أن تجارة الأسرى بالنسبة لليهود قطاعا اقتصاديا قائما بذاته ومفضلا عن المهن والحرف الأخرى لمردوديته المالية الكبيرة ولريوعه السياسية لدى الدول الأوروبية الذي صور لهم الوسطاء اليهود خير لعنق الأسرى المسيحيين وإرجاعهم إلى بلدانهم مقابل عمولات معينة، والرسم البياني الوارد أدناه يوضح تجارة الأسرى من خلال ما أورده Haddey في كتابه Le livre d'or ما بين 1690-1762.

حسب Laugier De Tassy فإن « اليهود نشطوا في دور الوساطة واقتداء الأسرى أو إعادة شرائهم..»¹ سواء لبيعهم في أسواق النخاسة الخاصة بالإيالة أو في سوق ليفورن بناء على ما كتبه Haddey:

السنوات	1700	1711	1721	1731	1741	1751	1761
الأسرى الموجهين للبيع في أسواق ليفورن	88	89	101	101	78	29	23

أهم التجار اليهود الذين ساهموا في شراء الأسرى: مولكو Molco، آرون ازرائيل دي تونس Aron Israel De Tunes، دافيد كووين صالون David Coen Salon، بوشارة Bouchara، إسحاق سليمان Isaac Soliman.

حقق اليهود من هذا النشاط التجاري أرباحا ضخمة، فقد تراوح سعر الأسير ما بين 100-1200 فرنك وقد يصل إلى أكثر من 4000 فرنك، كالصفحة التي قام بها التاجر

¹ - Laugier De Tassy, op.cit., p 56.

اليهودي Molco سنة 1717 حيث قام بشراء أسير واحد بمبلغ 4308 فرنك ولعل هدفه من وراء هذه الصفقة هو أهداف أخرى إذا افترضنا أن الأسير ينتمي لطبقة سياسية أوروبية معينة (ابن سفير، أو قنصل أو دوق...).

والملاحظ أن اليهود لم يتورعوا في استعمال أساليب ملتوية لنيل مآربهم، وأفضل أسواق ليفورن تلك التي كانت لهم بها سجون خاصة يمكن استعمالها كمخازن لعملية إعادة شرائهم خاصة بالتعامل مع عائلة Aranda، نظرا لمبالغ الاقتداء المرتفعة أو إعادة البيع. فإن اليهود حققوا من تجارة العبيد أرباحا فاقت في بعض الأحيان مداخيل التجارة العادية المبنية على الاستيراد والتصدير، ارتفعت هذه الأرباح في النصف الأول من القرن الثامن عشر، بينما انخفضت في السنوات الأولى للنصف الثاني، ويعود ذلك إلى تراجع دور القرصنة والوباء الذي اجتاح الواجهة المتوسطية وقلة الأسرى الذين يمكن نقلهم إلى مخازن ليفورن.

إن اهتمام اليهود المبالغ فيه بتجارة الأسرى وتسخير الوقت والجهد لها لا يبرره إلا أمران الأول نفسية اليهودي المتأججة بالسخط على جميع البشر على اختلاف أديانهم وجنسياتهم، أما الثاني هو جشع اليهودي وسعيه الحثيث لجمع المال بأرذل الطرق وأشنع المواقف.

■ التصدير:

كان التصدير مركزا بصفة أساسية على الحبوب القمح¹ والشعير، حيث احتلت هذه التجارة مكانة هامة عند اليهود واحتكروها احتكارا شبه مطلق Ouasi monopole، بعد منافسة طويلة مع الشركة الملكية الإفريقية التي عرفت تراجعا كبيرا أمام شركة بكري بوشناق، رغم محاولة العديد من مسؤولي الغرفة التجارية بمرسيليا ومسؤولي الشركة

¹ - حسب Venture de Paradis، فإن قمح الإيالة ذو نوعية جيدة ويستعمل في صنع عجائن جنوة، ولا ينافسها إلا قمح سردينيا، لهذا كانت حكومة البايك تشجع زراعته، كما كان البايات والدايات يملكون أراضي لزراعته.

Venture de Paradis, op.cit., pp 125- 126.

الملكية الإفريقية، وحتى القناصل أهمهم القنصل Vallière الذي حاول بثتى الطرق والوسائل منع اليهود من احتكار هذه التجارة.

غير أن الفرنسيين سرعان ما تخلوا عن مشروعهم هذا لأسباب موضوعية منها:

– عجز حكومة الثورة الفرنسية عن دفع الأموال الضرورية لتسيير الشركة وتسديد نفقات العمال، وتشغيل المعامل التي كانت أنشئت من أجل تصنيع المواد الأولية المصدرة من الإيالة.

بينما كان اليهود على استعداد تام لتصدير الحبوب والمواد الأخرى في شكل قروض مقابل سندات رسمية.

– عدم قدرة حكومة الثورة على تأمين الأسطول التجاري وحمايته من البريطانيين بعكس اليهود الذين يحملون الراية وجواز السفر الجزائريين، ولهذه الأسباب وجهت فرنسا تعليمات لقتلها بالإيالة السيد Vallière وإلى مسؤولي الوكالة تأمرهم فيها بالتعاون مع التجار اليهود أو غيرهم ممن يستطيعون أن يبيعوا الفرنسيين كميات كبيرة من القمح إلى موانئ الجمهورية¹.

من هنا سيطر اليهود سيطرة شبه تامة على تجارة الحبوب في الإيالة، لذلك عملوا جاهدين لسحق كل الشركات التجارية المنافسة وخاصة الفرنسية منها².

وهذا الفرع من التجارة هو الذي أعطى اليهود حظوة كبيرة لدى مسؤولي الإيالة وغير مستقبلهم وهو حسب ما وصفه Fernand Braudel: «... تفتح الباب على أرباح

¹ - Charles Feraud, Histoire des villes de la province de Constantine, La colle et documents, pour servir à des anciennes concessions française d'Afrique, Alger : 1871, pp 462- 473.

² - Charles André Julien , Marseille et la question d'Alger à la veille d'une conquête, in R.A., N°60,Alger :OP.U, p 17.

طائفة، وهي وسيلة للسيطرة على زمام الأمور في الدولة، ووسيلة ضغط للحصول على امتيازات...»¹.

وحسب فليبيني فإن تصدير الحبوب بمختلف أنواعها قد غلب على طبيعة الصادرات الجزائرية نحو ليفورن، خاصة موانئ بايلك الشرق (عنابة، القالة...) كانت ترسل إلى ليفورن كميات كبيرة من أجود أنواع القمح الصلب الذي كان يستخدم في صنع مختلف أشكال عجائن وحلويات جنوة²، غير أن هذا لا ينفي تعرض هذه التجارة إلى انتكاسات اقتصادية بين الحين والآخر نظرا للظروف الداخلية والخارجية للأيالة فمثلا عرف الثلث الأول من القرن 18م تراجع قيمة صادرات الحبوب في مقدمتها القمح بمعدل 2,21% نظرا لمنافسة الشركات التجارية بمرسيليا في استيراد أكبر كمية ممكنة خاصة من موانئ الشرق الجزائري، تراجع رأس المال المستعمل للتوريد والتصدير، إذ لم يتجاوز خلال هذه الفترة المليونين من الجنيهات التورية³.

أما في الثلث الثاني من القرن 18م ارتفع معدل تصدير الحبوب 97/98% بسبب الظرفية السياسية والمتمثلة في الثورة الفرنسية التي عرفتها أوروبا والحاجة الماسة للقمح⁴ باعتباره المادة الأساسية في الوجبات الفرنسية وحتى الأوروبية خلال تلك الفترة، لذلك استحوذ ميناء ليفورن خلال هذه المرحلة على نسبة عالية من صادرات الحبوب نظرا لحياده في هذا الصراع.

ورد في تقرير سري لقنصل بريطانيا لدى الإيالة السيد Fraser، سيطرة اليهود على تصدير مواد أخرى كالجلود وأنواع مختلفة من الزيوت حيث كان يسمح بتصديره مرة أو مرتين في السنة من ميناء مدينة بجاية⁵ وكان ثمنه يدفع للداي شخصيا⁶، ضف إلى ذلك

¹ - Fernand Braudel, op.cit., tome I, p 519.

² - Ventrue De Paradis, op.cit., p 126.

³ - الزبيري محمد العربي، المرجع السابق، ص 143.

⁴ - Venture De Paradis, Alger au XVIII^e siècle, p 286.

⁵ - هذه زيوت الزيتون التي اشتهرت مختلف معاصر بجاية بإنتاجها.

⁶ - Fraser, General state of the trade of Algiers, s, Rapport Mr. Fraser, dates February 19th, 1768, collection number 111, William L. clement, university of Michigan, p 221.

الصوف¹ والشمع². كانت الفوائد التي يجنيها التجار اليهود من تصديرهم للصوف والشمع التي كانت تتاح مرة في السنة تساوي إجمالي الأرباح التي كانوا يجنونها في تصديرهم لمختلف المواد طيلة السنة، وأموال شراء الصوف والشمع عادة ما تكون قروض مقدمة لليهود من الداوي³، بلغ معدل تصدير هاتين المادتين سنة 1767 إلى 1768 تسعة عشر ألف سكينية⁴، حبوب الذرة والكتان (وهذه المواد كانت تمرر خفية بعد إعطاء رشاوى للعاملين في الميناء)⁵، عبيد سود، و⁶ Negro slaves كإحدى المواد التي يقوم اليهود بتصديرها، حيث بلغت قيمة ما صدر منها سنة 1768 حوالي ثلاثة آلاف سكينية⁷ إلى جانب ريش النعام، حياك وأغطية صوفية سبائك الحديد⁸، تمور خمور معتقة⁹. كما صدرت الإيالة مواد أساسية كالسكر والقهوة والكاكاو علما أنها مستوردة لهذه المواد وليست مصدرة، وهذا حسب السجلات التجارية الفرنسية « ففي 16 أوت 1722 دون تحديد اسم

¹ - يذكر Paradis أن البابليك يشتري الصوف ب 8 بياستر للقنطار الواحد ويبيعه ب 10 بياستير، ويخرج من ميناء الجزائر منها سنويا 7 آلاف إلى 10 آلاف قنطار، إلى البلاد المسيحية بينما يحفظ الباقي للاستعمال الداخلي، حيث كان يصنع منها أغطية للبولداش والأسرى، ولكن الطاعون الذي قضى سنة 1778 على معظم مصنعي البرانس أدى إلى رفع معدل التصدير إلى 25000 قنطار.

Venture De Paradis, ibid., pp 123- 124.

² - Fraser, op.cit., p 224.

³ - Fraser, op.cit., p 224.

⁴ - Ibid., pp 224- 227.

⁵ - Ibid., p 224.

⁶ - شكل العبيد السود الذين جلبوا من السودان وبعض المناطق الإفريقية يدا عاملة رخيصة بالإيالة خلال العهد العثماني، واستخدمت النساء للعمل في البيوت وفي الموانئ مع الأطفال في نسج الحبال أما الرجال فقد خرجوا للأعمال الشاقة في الموانئ والحقول ورفع الحمول في المطاحن والأسواق، وبذلك شكلوا طبقة في المجتمع خلال تلك الفترة وهذا ما استقصيناه من إحدى وثائق المحاكم الشرعية: « الحمد لله تم على يد الشيخ الإمام... مصطفى بن أحمد الحنفي... أنه شهدت الولية فاطمة بنت علي شهيدية على نفسها أنها عتقت أمتها ونعتها عربية اللسان زبيبة اللون متوسطة القامة... عتقها من حبل العبودية، وألحقها بدار المسلمات... وشهد على فطيمة المذكورة السيد محمد شيخ الحنفية والسيد أحمد التريكي».

علبة 31 (21) السنة 1239- 1824.

⁷ - Fraser, op-cit, p 222.

⁸ - Ibid., pp 222- 223.

⁹ - Haddey, op.cit., p 59.

التاجر صاحب الشحنة، وصلت إلى ليفورن La barque بولو الصغير محملة بالكاكاو ومواد أخرى»¹.

وهذا يدل على أن التجار اليهود لم يستثنوا من مجمل الصادرات حتى مواد وبضائع القرصنة التي كانوا يقومون بتصريفها في ميناء ليفورن، باعتباره منطقة عبور للبضائع المستوردة والمصدرة للمناطق التي توجد معها علاقات مباشرة في إطار الاستثمارات التجارية الواسعة للتجار اليهود الذين عملوا على ترسيخ علاقاتهم التجارية مع ليفورن أمثال كوهين سودال، جاكوب ماشورو، بوشعرة... ولضمان هذا الأمر اتخذت هذه العلاقة شكل التكتل العائلي أو شبكة تجارية كعائلة بوشعرة سليمان وبكري وبوشناق فعلاقة النسب أو المصاهرة كانت من المبادئ الأساسية في المعاملات التجارية اليهودية حيث ذكر Haddey مشاركة مجموعة من التجار اليهود موسى دي كوين وجوزيف أرون Moise Di Coen et Joseph Aron، أبراهام فاييس Abraham Vaïs، جاكوب ماشورو Jacob Machoro، أرون مالكو Aron Malco في تجهيز Pinque محمل بالشمع، الكاكاو، القرنفل، القرفة، السكر...»².

كانت هذه الصادرات موجهة بشكل أساسي إلى ليفورن (بلغ معدل تصدير البضائع من طرف اليهود إلى ليفورن ما يتعدى قيمته ثلاثمائة سكينية³)، البندقية، جنوة، أزمير، مرسيليا، تولون، الأستانة، الإسكندرية، هولندا، أمستردام⁴.

تشعبت النشاطات التجارية لليهود في مختلف أسواق أوربا، فبعد السيطرة على سوق ليفورن اتجهت أنظار اليهود للسيطرة على سوق مرسيليا ومنافسة التجار الفرنسيين، مشكلين بذلك تهديدا صريحا للمصالح التجارية الفرنسية في الموانئ الأوروبية عامة ومرسيليا خاصة، ولتفادي هذا الأمر أصدرت السلطات الفرنسية جملة من القوانين الرديعية

¹ - A.C.C.M. série K, art. 92, o: Consulat de Livourne, état des bâtiments français arrives à Livourne du levant et barbarie (1722- 1730).

² - Haddey, ibid., p 28.

³ - Fraser, General State of the Trade of Algiers, (Fraser, rapport), op.cit, p 220.

⁴ - Ibid., pp 227- 228.

متعلقة بالتجار أبرزها قوانين 1709 - 1710 - 1716 - 1717¹ - 1753، والتي تمنع بموجبها يهود الجزائر من القدوم إلى مرسيليا للمتاجرة بها، كما منعت التجار الفرنسيين من التعامل التجاري مع اليهود، مهددة بمصادرة محلاتهم وسحب رخصهم التجارية، إن هذه الإجراءات توضح فعلا مدى الخطر الذي شكله اليهود على التجارة العالمية عامة والمتوسطة خاصة، وحتى تعطي هذه الإجراءات فاعليتها عمل القناصل بالجزائر على منع التجار اليهود من المتاجرة بأسواق مرسيليا، لما يمثلونه من منافسة للتجارة الفرنسية، ففي أغسطس 1718 كتب القنصل الفرنسي Baume بالجزائر رسالة طارئة إلى الملك يحثه فيها على معاقبة اليهود الفرنسيين على نشاطهم غير الشرعي مع اليهود الجزائريين...»².

كما وجه القنصل Le Maire رسالة في 10 أبريل 1724 للغرفة التجارية بمرسيليا يحثها على منع التجار اليهود من شحن البضائع الفرنسية في أرصفة هذه المدينة، فتوسع نشاط اليهود وتزايدت أعدادهم مع هذه المنطقة التجارية³، وحسب Tassy فإنه جاء في رد Le Maire على رسالة سبتمبر 1726 ضرورة حماية اليهود الإيطاليين في المحطة التجارية بالجزائر... لمصلحة تجارة مرسيليا، فمنذ 25 أو 30 سنة لم يك هناك سوى 3 أو 4 فقط بينما اليوم هم أكثر من 20...»⁴.

وجاء في فحوى رسالة Le Maire:

¹ - نلاحظ أن القوانين الفرنسية المتعلقة بالتجارة توقفت سنة 1717، لتعود وتظهر سنة 1757 ولعل هذا راجع لعدة عوامل أبرزها الطاعون الذي اجتاح الجزائر ما بين 1718 - 1738.

وكذلك مشكلة الباستيون وأثرها على العلاقات الجزائرية الفرنسية، واضطراب العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد حادثتي طولون، كل هذه الأمور جعلت فرنسا تتحرك سريعا لإعادة إحياء العلاقات الجزائرية الفرنسية لأن مشاكل فرنسا الخارجية تؤثر على سياستها الداخلية.

² - جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500 - 1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 109.

³ - A.C.C.M. série G article 5.

⁴ - A.C.C.M série G Article 5.

« تواجد اليهود عن طريق الوكلاء في مرسيليا ليس كتجار فقط بل كجواسيس، والحصول على المعلومات للبحارة الجزائريين حول حركة ونشاط الملاحة البحرية...»¹.

وتوضح المراسلات القنصلية بالجزائر مدى خطورة الوضع على مستقبل التجارة الفرنسية، خاصة بعد أن لجأ اليهود لاستعمال الحيل ودفع الرشاوى للتجار الفرنسيين مقابل إعانتهم للدخول والتجارة في الأسواق الفرنسية، ويظهر ذلك في رسالة القنصلية الفرنسية بالجزائر 1719:

«أغلبية يهود الجزائر يقومون منذ وقت طويل بتجارة مع مدينتكم – مرسيليا- بتشجيع من تجار مدينتكم الذين يعيرونهم أسماءهم...»².

فحسب القنصل Le Maire فإن تلاعب اليهود بالمصالح الاقتصادية الفرنسية هو مسؤولية قومية، رافضا بذلك تواطؤ التجار الفرنسيين مع اليهود الذين يحاولون تخريب القاعدة الاقتصادية للحكومة الفرنسية نظرا للشبكة التجارية اليهودية التي طوقت بإحكام التجارة الفرنسية وتحكمت بصفة مطلقة في أسواق فرنسا عامة وسوق مرسيليا خاصة، عن طريق التعامل التجاري أو الانتقال بأنفسهم إلى هناك وذلك بوجود مجموعة من البيوت التجارية تتاجر مع هذه المدينة عن طريق الوكلاء والعملاء مثل شركة أفراييم دوران، جوزيف سداكا، بوشارة، جودا بن دوران³.

وحسب الإحصاء التجاري الذي سجله Haddey يثبت سيطرة اليهود على التجارة في ميناء مرسيليا ولعل حركة السفن ما بين 1707- 1812 أفضل دليل على ذلك:

¹ - Lesper (R), Alger étude,... p 148.

² - A.C.C.M. série A (A A 477- 495).

³ - محمد دادة، المرجع السابق، ص 127.

الفصل الثالث..... دور اليهود الاقتصادي والسياسي في الأيالة

السنة	نوع السفينة	اسم السفينة	القبطان	التجار اليهود	الوجهة	البضائع
1707	Vaisseau	Petit Foudroyant	أنطوان فورباين	يعقوب ازرائيل صامويل كوين	مرسيليا	قمح، زيتون، صوف.
1708	Vaisseau	Petit Foudroyant	أنطوان فورباين	جوزيف ومويزدي أرون جوناتون	/	قمح، شعير، زيوت، جلود، شمع.
1713	Tartane	Sain ontoin	جون اوليفي ¹	جاكوب دولاروز مويز سولار جاكوب	/	حبوب، خرطال، صوف، مواد متنوعة.
1716	Pinque	Sain Mari	جوليان دولاسيوتا	جوزيف بن ثابتي	/	مواد متنوعة.
1728	Tartane	Sain Joseph	لويس شاراس	نقتالي بوشناق	/	حبوب، جلود، نحاس.
1733	Tartane	Sain Marie Teriz	/	دافيد ثابتي	/	مواد متنوعة.
1783	Senault	Maryane	/	بوشارة، جودا دوران سولان	/	قمح، زيوت.
1812	Polacre	Moise	ريس محمد	بكري ومجموعة من التجار اليهود	/	قمح، كاكاو، سكر.

¹ - Haddey, op.cit., pp 40- 41.

يوضح الجدول اتساع تجارة اليهود مع ميناء مرسيليا خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، اعتماد صادرات اليهود على المواد الولية في مقدمتها الحبوب (القمح) باعتباره مادة أساسية في الوجبات الغذائية الفرنسية، والجلود والصوف لتموين الصناعات النسيجية بفرنسا، أما المواد المتنوعة فيمكن احتمال أمرين: هي إما مواد محظورة، أسلحة، قنابل يدوية... الخ، خاصة أنه ما بين 1779-1785 كانت الأجواء السياسية الداخلية والخارجية لفرنسا تهدد بقيام ثورة شعبية أو حرب أهلية ولعل اليهود كانوا سباقين في احتمالاتهم بوقوع الأمر نظرا لأعمالهم التجسسية التي طبعت علاقاتهم التجارية مع فرنسا، أو مواد مهربة (مرجان- ياقوت- احجار كريمة)، ذهب، عبيد لبيعها في السوق السوداء في مرسيليا نظرا لحاجة الطبقة المخملية لهذه المواد بإلحاح، ضف إلى ذلك كونها صفقات ذات ربح خيالي لليهود، لذلك لا يصرحون بها على متن السفن التجارية وإنما تصنف ضمن المواد المتنوعة أو تخزن بإحكام في البراميل أو أقبية السفن هروبا من المراقبة الجمركية ومن الضرائب.

كما يوضح الجدول عمل اليهود ضمن شبكة تجارية تضم أكثر من تاجر وذلك للحفاظ على الأرباح وتجنبنا للمصاريف الإضافية التي يمكن أن يأخذها العملاء الفرنسيون في الوساطة التجارية لصالح اليهود.

فالفكر التجاري اليهودي يقضي بالربح ضمن المجموعة الواحدة ولا يمكن خروجه عن هذا الإطار.

ونستشف أيضا من الجدول تزايد حجم التجارة اليهودية مع ميناء مرسيليا بعد سنة 1789 وهذا راجع للظرفية السياسية التي استغلها اليهود لتوسيع تجارتهم الخارجية، ولعل ظهور الشركة التجارية (بكري وبوشناق) خير دليل على ذلك، إلى جانب الإجراءات الاقتصادية التي استخدمتها حكومة الثورة والمتمثلة في حرية التجار بقرار 21 جويلية 1791 والمتضمن حرية الملاحة في المراكز التجارية بشمال إفريقيا والمشرق أمام الفرنسيين.

وهو ما زاد في حماس التجار اليهود لتوسيع شبكتهم التجارية حول أوروبا ورسم جبهة سياسية خاصة بهم مع المسؤولين الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وذلك تمهيدا لتأسيس وطن قومي خاص بهم سيصرحون به عندما تنهيا لهم الظروف والأسباب.

اتسعت العلاقات التجارية لليهود مع تجار فرنسا، لذلك تعددت عمليات التصدير من موانئ الجزائر نحو مدينة مرسيليا (ستورا، الجزائر، عنابة، بجاية...) واشتملت على تصدير مواد متعددة في مقدمتها القمح¹، واحتكرت شركة بكري شراء الزيوت من بجاية مستفيدة من امتياز الأفضلية لدافيد بكري بحكم الصداقة التي جمعتها مع المسؤولين الجزائريين والتي أهلتها بدورها في سيطرته على تصدير الزيوت عن طريق وكلاءه التجاريين بفرنسا منذ 1807 مقابل 125 ألف باتك شيك.

حسب Haddey فإن العمليات التجارية تتم إما لحساب التجار اليهود عن طريق الوكلاء المعتمدين أو لحساب تجار فرنسيين، ففي 6 أكتوبر 1719 أرسل التاجر اليهودي Isaac Soliman إلى التاجر الفرنسي Jean Griffet 2200 كيلة خرطال، برميلين من التمور، 25 برميل من الشمع».

وأرسل التاجر Natran De joseph Latad حمولة إلى التاجر دافيد بلايز شملت 24275 رطل من الصوف، 1537 رطل من الكاكاو، 129 رطل من النحاس...²

من خلال تصريح Haddey نفهم أن الحكومة الفرنسية كانت تعاني خلل فادح في أجهزتها الاقتصادية الداخلية والخارجية، حيث استفاد اليهود من العجز المالي للشركة الملكية الإفريقية بإيالة الجزائر، وإلغاء حكومة الثورة للاحتكارات، غير أن تحول الامتيازات السياسية والتجارية إلى الانجليز بموجب معاهدة 1795 بين جورج الثالث والداي علي باشا فاضطرت فرنسا إلى التعامل مع الإيالة عن طريق

¹ - A.C.C.M. série Liv Art. 132 objet : (Agence d'Afrique , Journal de bone).

² - Haddey, op.cit., pp 32- 35.

الوساطة والبيوت التجارية اليهودية التي استحوذت على جميع أنواع التجارة وظلت تحتكر عمليات التصدير¹ نحو مرسيليا، وكانت شركة بكري بوجناح الممثل التجاري الرسمي والحصري للصفقات التجارية الفرنسية، وهذا راجع لعدة عوامل:

- إلغاء الحكومة الفرنسية الجديدة (الثورة) للاحتكارات.
- الرسوم الجمركية المنخفضة على الفرنسيين.
- تحكم اليهود في التجارة الأوروبية انطلاقاً من ليفورن عن طريق الشبكات التجارية أو ما يعرف (الاتحاد التجاري اليهودي).

■ الاستيراد:

تركزت نشاطات اليهود على استيراد مختلف حاجيات وكماليات أسواق الإيالة في مقدمتها: البهارات، الأواني القصديرية، العطور، خيوط النسيج، ملابس خاصة (ملابس تصنع خصيصاً في البندقية)، الورق الطبيعي، الأقمشة الحريرية، ألياف قطنية، حديد بالقضايب، حديد بأوزان مختلفة، سكر، قهوة، حجر الشب، ألمنيوم، ألعاب، أمشاط خشبية، أسلحة، براميل فارغة، قناني فارغة، زنجبيل، خمارات من بولونيا، أدوية، الكبريت الأصفر، الخمور*، أرز، لحم، ملح، أوراق اللعب، ملابس انجليزية تسمى (البرستول)، موسلين، حجر أسود، أفيون، كتب مطبوعة بألمانيا، ماس وأحجار كريمة أخرى، صرج*، سمن، صابون، فشاغ*، رخام، زجاج للنوافذ، كريستال، قسطل¹.

¹ - محمد دادة، المرجع السابق، ص 139.

* - استورد اليهود باستمرار براميل جديدة لخمور متنوعة لتزويد حانات القنصليات، وكذلك تكتات الجنود الأتراك، واتخذوا من تزويد الخواص والعوام بهذه المادة منطلقاً لرسم علاقاتهم الخاصة.

* - نسيج صوفي متين يلبس على متن السفن أثناء فصل الصيف.

* - نبات من الفصيلة الزنبقية يستعمل لأغراض صيدلانية كترياق ودواء.

ج- الرسوم الجمركية والضرائب:

تطرق الكتاب اليهود إلى موضوع الرسوم والضرائب باهتمام مطلق، متهمين السلطة الجزائرية بالضغط على اليهود بواسطة الرسوم والضرائب التي فاقت طاقتهم، واستنفذت أموالهم، ملمحين إلى المعاملة السيئة التي طالتهم بطريقة أو بأخرى في الجزائر على غرار بقية الرعايا.

غير أنه من الناحية الموضوعية فإن الرسوم الجمركية والضرائب تفرض على المواد في حالة الزيادة عن قيمتها الحقيقية.

ويذكر Venture De Paradis أن الرسوم الجمركية كانت تدفع في حالة ما زادت قيمة البضائع أو المواد التي تم استيرادها عن 400 ألف ليرة (livres) فكل البضائع التي تصل إلى القيمة التي ذكرناها سابقا أو تزيد عليها يتوجب على صاحبها دفع تعريفة جمركية لا تتعدى ربع قيمتها إجمالا²، وتحدد نسبة الرسوم على الواردات بـ 12,5% بالنسبة لكل فئات المجتمع (التجار) غير أن اليهود يتحايلون ولا يدفعون إلا 4% بينما كان الأوروبيون والمور الذين لم يمر وقت طويل على تخفيض نسبة الضريبة لديهم من 12,5% إلى 5% يدفعون أكثر منهم بكثير.

¹ - Fraser, op-cit., pp 216- 228.

² - Venture De Paradis, op.cit., p 133.

أما بالنسبة للمواد التي تصدر خارج الإيالة والمتمثلة أساسا في الحبوب، الصوف، ريش النعام، فقد كان لزاما على اليهود دفع 2% كرسوم للخروج لقائد اليهود¹، ولعل هذه الضريبة الملحقة هي التي ساهمت في زيادة نسبة الرسوم التي يدفعها اليهود مقارنة مع غيرهم من مسلمين ومسيحيين، لأن هذه المواد أولية بالدرجة الأولى، وتعتبر أساسية في صناعات مختلفة وأرباحها مضمونة، لذلك كان اليهود لا يهتمون إلا بتصدير هذه المواد، فوضعت الدولة رسوما ملحقة على هذه المواد، وليس الأمر عنصريا حسب ما ذكره Richard Ayoun, Bernard Cohen أن التجار اليهود في الإيالة كانوا خاضعين لرسوم استثنائية عنصرية وهو ما يعبران عنه بمصطلح (Discrimination) تقدر بـ 12,5% بينما تفرض على اليهود 25%، غير أن الأهم لم يوضحه مصورين الأمر على أنه مسألة شخصية، فحسب Venture De Paradis، فإن الرسوم في العهد العثماني كانت نوعين: الرسوم الخاصة بالأوروبيين³ وهي منخفضة على العموم لتشجيع الواردات القادمة من أوروبا والضرورية للإيالة، التي كانت تفتقر لمعظم الصناعات، ورسوم أخرى هي تلك الخاصة بالأهالي على اختلاف أصولهم، بمعنى أن نفس الرسوم التي فرضت على اليهود هي نفسها التي فرضت على الأهالي غير أنه في بعض الحالات الخاصة كانت تفرض على اليهود رسوم استثنائية كعقوبات على جنح معينة غير أنها ظرفية تزول بعد فترة زمنية محددة.

غير أنه ما لم يفهم على Richard Ayoun, Bernard Cohen هو تضارب في تصريحاتهما حول الرسوم، فبعد أن قدرا نسبة الرسوم على الواردات بـ 12,5% وحصرها في التجار اليهود فقط، يؤكدان في موضع آخر أن يهود الإيالة لم يكونوا يدفعون سوى 3/1

² - Richard Ayoun, Bernard Cohen, op.cit., p 105.

³ - Venture De Paradis, ibid., p 133.

من التعريف الجمركية الرسمية¹. كما يذكر أن عددا من العائلات اليهودية التي كانت تحتكر تجارة بعض المواد الغذائية المستخلصة من عائدات القرصنة، تفضل الشراكة ولو شكليا مع التجار الفرنسيين وخاصة مع عائلة Mandeuél المرسييلية، لدفع ضرائب أقل².

ما استخلصناه من الأمر هو أن كل من برنارد كوهين وريشارد حيون صرحا ضمنا عن التهرب الضريبي لليهود.

والجدير بالذكر فإنه لا يوجد إحصائيات ثابتة عن قيمة الرسوم الجمركية بالإيالة الجزائرية، فالمصادر والوثائق لم تحدد بدقة هذه القيمة وإنما يوجد تضارب في الأرقام حولها خصوصا الرسوم المتعلقة بالواردات وهي تتراوح حسب السيد Fraser قنصل بريطانيا بالإيالة من 10% إلى 12,5%، مؤكدا أن اليهود كانوا يدفعون 10% كضرائب على الواردات³.

وعلى ما يبدو فإن قيمة الرسوم على الواردات التي ذكرها Fraser تتفق مع القيمة التي وردت في دفتر التشريعات: « أما السلع الآتية من ليفرونا وفرنسا وجميع مدن الكفار التجارية وجب أن تدفع الرسوم التالية 10% للبايلك، و1% ونصف للأمين، و1% لباب البحرية»⁴.

مهما كانت نسبة هذه الرسوم على الواردات المهم أنها لا تدل على أي تمييز عنصري أم ديني اتجاه اليهود، لأن التجار المسلمين كانوا يدفعون للإيالة نفس القيمة على البضائع المستوردة، غير أن تحايل اليهود على القوانين الجمركية بشتى الطرق والأساليب واحتكارهم لفروع عديدة من التجارة عاد بالضرر الكبير على التجار المسلمين وغيرهم من التجار ذوي الجنسيات المختلفة بالإيالة.

¹ - Richard Ayoun, Bernard Cohen, op-cit., pp 80- 81.

² - Ibid., p 105.

³ - Fraser, , (Fraser Rapport), p 227.

⁴ - Tachrifat,p49.

د-القروض:

اختص اليهود بالربا منذ العصور القديمة وادعى بعض الكتاب أمثال Edward Valmont في كتابه "Les juifs et l'argent," "Le monde et l'argent, histoire pour une métaphysique de l'argent" و Jacques Attoli في كتابه "économie du peuple juifs": «على انه ضرورة دينية، لأن أول أمر إلهي اقتصادي وجه لليهود يتركز في كلمة "اغتنوا" فبالنسبة للتوراة الغنى وسيلة لخدمة الله لأن من نصوصها الأساسية «يجب أن تحب الله بكل ما أوتيت من قوة»، بمعنى «أن الطريق إلى حب الله يكون بالغنى، فاليهودي كلما كان غنيا، كلما كان قريبا من الله ووجد وسيلة لخدمة الله، فالقرض الذي يمنحه لأخيه في الدين بدون فائدة هو عبادة وتقرب من الله¹، ولغير اليهودي (المسيحي- المسلم) كمساعدة للأول على الغنى لخدمة الله وللثاني على البدء في العمل والخروج من عسر الحال إلى الرخاء، والانتقال من الحياة المادية إلى الروحانية (الميتافيزيقا) وتوحيد الله، وبهذا يكون اليهودي قد خدم الله² وفق منظوره الخاص، غير أن الواقع يوضح عكس ذلك فهذه الضرورة الدينية حسبما يؤكد جاك عطالي في الحقيقة كانت ذات طابع سياسي لا علاقة له بالدين، فكثيرا ما مارس يهود أوروبا في القرون الوسطى ضغوطات من خلال هذا النشاط البنكي المشبوه، لأن موافقة أي حاكم على استقرارهم ببلده بموافقتهم على تأدية هذه المهمة حسب Haddey.

لكن إذا حاولنا تفسير هذا الاعتقاد بفكرنا الإسلامي نجد أنها مجرد مطية حاول اليهود من خلالها تبرير شرعية أعمالهم القذرة في سائر أقطار العالم، فطاعة الله تعني التوحيد والعمل وفق القواعد الشرعية التي سنها الله سبحانه وتعالى للبشر ولم ينحصر هذا الأمر في القرآن بل ورد في جميع الكتب السماوية ، فلو سلمنا أن الله سبحانه وتعالى دعى في جميع الكتب التي أنزلها إلى تحري الغنى لاختار الأنبياء

¹ - سفر التكوين، ص 39.

² - Eric Conan, Les juifs et les chrétiens et l'argent, in l'Expresse Multimédia, N° 2636, année 2002, p 56.

والمرسلين من الأغنياء، فنحن كمسلمين ندرك تماما أن الله سبحانه وتعالى اختارهم قياسا بشرفهم وإيمانهم، فالله غني لا يشترط غنى العبد لتوحيده وطاعته وما يؤكد هذا قوله سبحانه وتعالى: <>المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا<<¹.

أما تفسير الأمر من حيث التاريخ، اليهود بعد تحطيم الهيكل، ضاع ماضيهم ومستقبلهم وأصبحوا مشردين في الأرض لا موطن ولا هوية لهم، والمعروف أن من أضاع وطنه وهويته لا يمكن أن يسترجعهما إلا بقوة السلاح والمال، لذلك كانت المراباة هي الطريقة الوحيدة التي استعملها اليهود للضغط على الشعوب للاعتراف بدولة إسرائيل لأن اليهود وحدهم لديهم أساليبهم الخاصة في فرض الربا في معاملاتهم، وحول هذه النقطة ذكر Fernand Braudel عدة أمثلة عن طلبات وجهها حكام في إيطاليا خلال القرن السادس عشر إلى بنكيين يهود للاستقرار بها²، ونلمس حالة أخرى في وهران خلال الاحتلال الإسباني عندما سمح الحاكم العام للحامية الإسبانية لسبع عائلات يهودية تمارس النشاط البنكي بالبقاء بعد قرار إسبانيا بطردهم من حاميتها سنة 1669.

فتبريرهم لعلاقة اليهود الحميمة بالمال بأنها طاعة الله وخدمة للآخر غير مقبول لا شرعا ولا منطقا، لأن اختصاصهم بهذه الوظيفة كثيراً ما سبب مشاكل اقتصادية وسياسية بالدول التي حلوا بها وأدى إلى ثورات ضدهم وهو ما حدث بولاية الجزائر سنة 1805، وحتى إن حاول Jacque Attali تفسير هذا الطرد على أنه عجز الحكام أو المقترضين عن تسديد ما عليهم، فالحقيقة أن سيطرة اليهود على الأجهزة الحساسة في دولة الجزائر (سياسيا واقتصاديا) بأساليب وطرق غير مشروعة هو ما أدى إلى نقمة شعبية ضدهم، وذكر Pananti أنه سأل احد اليهود مستغربا المعاملة السيئة التي يتعرضون إليها: « كيف استطعتم أن تعيشوا في بلد تتعرضون فيه إلى شتى أنواع الاضطهاد

¹ - سورة الكهف، الآية 45.

² - Fernand Braudel, op.cit., tome 2, p 146.

والإهانة؟» وكانت إجابته هي « عانينا الكثير ولكن جمعنا المال الكثير أيضا»¹. والمعروف أن الشركات التجارية اليهودية بالجزائر اختصت بثلاث وظائف رئيسية تجارة الأسرى، الاستيراد والتصدير، والنشاط البنكي. نظرا لبراعتهم في هذا المجال أطلقت عليهم عدة ألقاب قياسا بهذا العمل الذي اشتهروا به مثل **Hombres Negocios** في إسبانيا خلال القرن السادس عشر، و**Les financiers** في فرنسا خلال القرن الثامن عشر. ولعل ما زاد من اتساع علاقات اليهود بمختلف الشرائح الاجتماعية في الإيالة هو تدخلهم في قضايا الأسرى الأجانب وذلك عن طريق منح قروض للأسرى أو الوكالات المتكفلة باقتدائهم وكمثال على هذا نجد قرضا بقيمة 8900 فرنك منحه كل من دافيد دو سالمون كوهين وألكسندر وفيلبير ليون إلى الأخوين الأسيرين من جنوة فرانسوا وبيار دونادو **François et Pierre Donado** وهم من نبلاء جنوة المرموقين ، القرض منح لهما بطلب من السيد **Guissepe Ganolo** الممثل العام البابوي بالإيالة الذي تعهد بأنهما سيقومان بتسديد ما عليهما خلال مدة قصيرة².

والجدير بالذكر أن اليهود كانوا يمنحون قروضا للأعيان وأصحاب الوظائف الحساسة أكثر من غيرهم ذوي الحالة الاجتماعية المتوسطة وهذا بطبيعة الحال لتحقيق أهداف مستقبلية لم يكن يعلمها إلا اليهود في حد ذاتهم ولعل من بينها: الاعتراف بأحقية اليهود بتأسيس وطن قومي لهم بفلسطين».

حيث كانت هذه القروض تمنح للمؤسسات المسيحية كالقرض الذي قدمه التاجر اليهودي **Aimousvallé Bali** للمسئول عن المشفى الملكي الإسباني السيد **Antonio Spinoso** والذي بلغت قيمته 160 بياستر³، وذهب اليهود إلى أبعد من ذلك في مسألة القروض عندما

¹ - Signor Pananti, op.cit., p 158.

² - Haddey, op.cit., p 17.

³ - Ibid, p 18.

قدموا قروضا ضخمة للقنصل الفرنسي M. De Lavallé بالجزائر وبما أن القنصل قد عجز عن تسديد هذه القروض في المدة المحددة قام سنة 1778 Judah Duran، Belkheir Aron، Ibraha Bouchara، Mouchi Boujnah، Mouchi Cohen Solamon، Jacob Timim، Abraham Tabet و Eliezer Tibi وموحي بعلو Mouchi Pecol بمطالبة الحكومة الفرنسية بتسديد القروض مع الفوائد المترتبة على القنصل M. De Lavallé والمقدرة بـ 99495 ليرة¹ بواسطة ممثلهم المفوض قانونيا التاجر اليهودي المقيم بمرسيليا إسحاق بونجيورنو Isaac Bonjorno، وبعد سنة من التفاوض حول المبلغ قامت الحكومة الفرنسية بتسديد مستحقات التجار اليهود.

وعلى ما يبدو فإن حتى المؤسسات الاقتصادية المنافسة للتجار اليهود كثيرا ما كانت تلجأ إلى الاقتراض منهم، كما هو حال الوكالة الإفريقية، فخلال 1817 قام مدير الوكالة الإفريقية بالإيالة السيد François Maurin باقتراض مبلغ من التاجر اليهودي Moise Benhaim قدر بـ 38500 فرنك، لتغطية نفقات الوكالة التي كانت تعاني عجزا ماليا، بفائدة مرتفعة جدا، بل كانت أضعافا مضاعفة مقارنة مع النسبة المعتمدة في القروض بأوروبا والمقدرة بـ 5% من المبلغ المقرض².

هـ أهم الشركات اليهودية في إيالة الجزائر 1686-1790

▪ دار دانيال دوكوستا ألفرنجا وأرون ليفي لويزادا Daniel Da Costa Alvarangua et Aron Levy Lusada
compagnie

¹ - لجأ القنصل الفرنسي (1774- 1782) M. De Lavallé إلى الاقتراض من التجار اليهود من أجل افتداء مجموعة من الأسرى الفرنسيين بالإيالة حوالي سنة 1775.

² - Haddey, op.cit., p 89.

ينحدر التاجران دانيال داكوستا ألفرنجا وأرون ليفي لوزادا من أصول برتغالية، درج اسم شركتهما على السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر حوالي سنة 1686.¹

عمّرت هذه الدار في الساحة التجارية قرابة 56 سنة (1686- 1742) واستمر تألقها في عالم المال والأعمال حتى وفاة Aron Levy Lusada سنة 1707 غير مخلف لمن تولى إدارة الدار من بعده، فاولاده دانيال ونجمة وكمورا أرون لوزادا لم يبلغا سن الرشد فقام رئيس الطائفة بتعيين كل من سالمون دافييد كوهن وإبراهام عيّايش وصيان على دانيال.

اعتمدت هذه الدار في تسيير نشاطاتها على ممثلين في الدول التي لها علاقات تجارية معها حيث كان Abraham De Castro ممثل في مدينة ليفورن وكل من Moise Cohen Jonathan وMier Lombraso² ممثلان في تونس.

تركزت نشاطات هذه الدار التجارية على تجارة العبيد بالدرجة الأولى، وعمليات الاستيراد والتصدير كاستيراد المواد الكمالية (الحرير، ساعات حائطية، خمور فرنسية) وتصدير الحبوب (القمح والشعير).

دار (Lusada) و(Alvarengua) وتجارة الأسرى³

الوكالة التجارية	السنة	عدد الأسرى	المبالغ التي تدفع لشراء الأسرى بالفرنك	الجهات المستفيدة
------------------	-------	------------	--	------------------

¹ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 181.

² - Haddey, op-cit., pp 12, 13 et 19- 20- 21- 27- 28- 31.

³ - Haddey, op.cit., pp 12- 13 et 14.

ليفورن	58.515	29	1690	Lusada et Alvarengua
ليفورن	1.500	1	1691	
ليفورن	31.833	18	1693	
ليفورن	22.274	9	1694	
ليفورن	28.574	16	1695	
ليفورن	16.362	10	1697	
ليفورن	31.095	20	1697	
ليفورن	37.308	18	1698	
ليفورن	80.000	22	1699	
ليفورن		5	1700	
ليفورن		1	1703	
		1	1704	
		1	1705	
		3	1707	
ليفورن	1989	2	1708	
ليفورن		5	1709	
ليفورن		1	1710	

ليفورن		3	1711	
أمستردام		2	1712	
أمستردام		3	1713	

▪ دار إسحاق باروش و جاكوب ماشورو (Isaac Barouch et Jacob Machoro Compagnie)

من ابرز الشركات التجارية اليهودية في الإيالة، صاحبها "إسحاق باروش" و "جاكوب ماشورو" (Isaac Barouch و Jacob Machoro) من اغنياء مدينة البندقية.

عمرت في السوق أكثر من 28 سنة، حتى بعد وفاة المؤسسين الأصليين سنتي 1717⁽¹⁾ و 1718⁽²⁾ على التوالي، ففي يوم 29 نوفمبر 1717 أعلنت (Sterela Di Jacod Macharo) ابنة جاكوب³ كوريثة وحيدة وشرعية، وباشرت أعمال شركة أبيها هي

¹ - توفي جاكوب ماشورو يوم 20 نوفمبر 1717. لعل اسباب الوفاة الطاعون .

² - توفي إسحاق باروش يوم 2 نوفمبر 1718 في مدينة الجزائر، هناك اختلاف حول سبب الوفاة.

³ - Haddey, op.cit., p 14.

وزوجها (David De Salamon De cohen)، كما أصبح كل من جاكوب (Jacob) ومورداشي (Mordachée) الوريثة المخولين لتسيير الشركة بعد وفاة والدهم إسحاق باروش¹.

تمثلت نشاطاتها التجارية في تجارة الأسرى، إضافة إلى تصدير بعض المواد من الإيالة إلى ليفورن (الشمع والجلود الصوفية)، واستيراد مواد أخرى من الإسكندرية وليفورن وانجلترا (جلود من انجلترا، سكر، قطن، ورق، رخام...)².

كان لهذه الدار ممثلان في ليفورن هما (Alberto et Salvador Audimonte)، وآخر في مدينة البندقية هو (Samuel Baruch)³.

▪ دار Barouche و Machoro التجارية وتجارة الأسرى⁴:

السنة	عدد	المبالغ التي	الجهات المستفيدة
-------	-----	--------------	------------------

¹ - Ibid., p 15.

² - Ibid., pp 13- 14- 15 et 24.

³ - Ibid., p 14.

⁴ - Haddey, op.cit., pp 14- 15.

	تدفع لشراء الأسرى بالفرنك	الأسرى	
13 من ليفورن، 2 لشبونة، 2 البندقية.	20.664	17	1690
ليفورن ولشبونة.	2400	10	1691
ليفورن.	9159	10	1692
جنوة ولشبونة.		2	1693
		1	1696
		1	1697
		1	1699
	6292	4	1715
ليفورن.	4929	4	1716
ليفورن.	6093	5	1717

ليفورن.	2490	2	1718
---------	------	---	------

▪ دار أرون مالكو التجارية (Aron Malco Compagnie):

ترجع اصول "ارون مالكو" (Aron Malco) الى ليفورن ، ويذكر Haddey أنّ أول مرة صادف فيها اسم دار مالكو على السجلات الخاصة بدخول وخروج السفن من وإلى ميناء الجزائر، كان سنة 1686، ورغم أن أرون مالكو كان شريكا مع ابنه (Eliaou) غير ان الصفقات الضخمة تتم لحسابه الخاص بعيدا عن ابنه¹.

استمرت نشاطاتها على الساحة التجارية قرابة 77 سنة²، وبعد وفاة أرون مالكو خلال سنة 1731 تولى ابنه إبراهيم الإشراف على تسيير الدار، بينما قام أخوه جاكوب بتصفية أعماله في مدينة الجزائر وبيع كل العقارات التي ورثها عن والده³. خلال سنة 1733 ثم دخلت الدار في شراكة تجارية مع كل من أنجلو مانيول أنريكاز (Angelo Manuel Enriques) وموسى فيفارو (Moise Faifaro)¹.

¹ - Haddey, op.cit., p 15.

² - Ibid., p 15.

³ - Ibid., p 15.

اختصت هذه الدار بكل عمليات الاستيراد والتصدير، توريد بعض المواد من تولون، الإسكندرية، وتصدير مواد أخرى من الإيالة إلى مدينة ليفورن الإيطالية (أهم هذه المواد: الجلد، الشمع، ريش النعام)². وزيادة على هذه النشاطات التجارية نلاحظ اختصاص دار مالكو التجارية بمنح قروض بفوائد إلى عدة جهات³. وفوضت دار أرون مالكو التجارية وكيلا (ممثّل) لها في مدينة ليفورن وهو Gabriel De Médina⁴.

▪ دار Malco التجارية وتجارة الأسرى⁵:

السنة	صفقات شراء الأسرى	الجهات المستفيدة
1703	أسير واحد.	ليفورن.
1713	أسيرين ب 1278 فرنك.	ليفورن.

¹ - Ibid., p 15.

² - Ibid., p 15.

³ - Ibid., pp 15- 31.

⁴ - Ibid., p 15.

⁵ - Haddey, op.cit.,, pp 15- 16 et 19.

	أسير واحد ب 2700 فرنك	1714
	أسيرين 2400 فرنك.	1715
ليفورن.	أسير واحد 4308 فرنك.	1717
ليفورن.	أسير هولندي بقيمة 350 بياستر وآخر بقيمة 115 بياستر.	21 جويلية 1722
ليفورن.	9 أسرى.	1730
	6 أسرى.	1734
ليفورن.	9 أسرى.	1735
	44 أسير.	1736
	3 أسرى.	1737

▪ دار Malco التجارية ونشاط التوريد والتصدير¹:

الوجهة	المواد المستوردة	السنة
وصلت الشحنة إلى ميناء الجزائر من مدينة تولون الفرنسية (Toulon).	تلقت الدار شحنات كبيرة من مواد (عبارة عن مواد متنوعة مما يعرف بالكماليات) وتم نقلها مجاناً من طرف الربابنة الذين يتمتعون بامتياز نقل المواد مجاناً سواء لحسابهم الخاص، أو لحساب أحد معارفهم.	1695
توجهت هذه السفينة من ميناء مدينة الجزائر إلى ميناء مدينة	قام Aron Malco بكراء السفينة المسماة Antonie St لحمل	15 ماي 1695

¹ - Haddey, op.cit., pp 15- 16.

ليفورن.	كميات معتبرة من السكر، الجلود، التبغ، العطور، ريش النعام.	
	قام أحد أبناء Aron Malco وهو Iliaou بكراء سفينة من ميناء الجزائر إلى ميناء مدينة عنابة لجلب كميات معتبرة من الحبوب وقد بلغت قيمة كراء السفينة 300 بسيطة.	1733
من مرسيليا.	تلقى Jacob Malco كميات معتبرة من الخشب والأمشاط.	4 فيفري 1734

▪ دار Malco التجارية والقروض¹:

السنة	قيمة القرض بياستر	المقرض والمقترض
23 أوت 1690	(Sevillanes 160 et Mexicanis)	قدم Isaac De Aron Malco إلى Abraham Lopez وهو تاجر من ليفورن، بفائدة قدرها 2% وذلك لإخراجه من السجن، رشوة للداي
30 مارس 1722	800	قدم Aron Malco وابنه Eliaou إلى Bernard Maîchens، وهو تاجر فرنسي.
30 مارس 1722	300	قدم Aron Malco وابنه Eliaou إلى Pascal Vesa تاجر إسباني.

▪ دار أرون إسرائيل دو تونس التجارية (Aron Israël De Tunes Compagnie)

¹ - Haddey, op.cit., pp 15- 16.

التاجر اليهودي " أرون إسرائيل دو تونس" (Aron Israël De Tunes) من أصول ليفورنية، وهو شريك للتاجر "صموئيل كوهن" (Samuel Cohen)، فكثيرا ما ظهر توقيعهما على الوثائق الخاصة بسجلات دخول وخروج السفن من وإلى مدينة الجزائر كالأتي (Tounes e Cohen). استمر تواجد الدار على الساحة التجارية أكثر من 32 سنة¹.

في 21 ماي 1702 انضم "جاكوب إسرائيل دو تونس" (Jacob Israël De Tunes) (الاخ الشقيق لأرون) إلى الشريكين صموئيل وأرون، ليصبح ثلاثتهم مساهمين في شركة تجارية سميت بـ (Jacommo Forte et Compagnie) بموجب وثيقة أودعت في ديوان قنصلية فرنسا المتواجدة في إيالة الجزائر بتاريخ 8 أوت 1702، وحرر عقد الشراكة بهدف إتمام صفقة تجارية كان فيها قنصل فرنسا السيد فليب جاكوب دوران (Philippe Jacob Durand) الوسيط في نقل بضاعة هي ملك لشركة جاكوب وأرون إسرائيل دو تونس وصموئيل كوهين (Jacommo Forte et Compagnie) بلغت قيمتها 16962 بياستر. هذه البضاعة أرسلت إلى احد الجزر الإسبانية على متن السفينة (Jean Baptiste) عن طريق الشركة الإسبانية المرموقة² (Saparito Gaillar et Compagnie). والراجح أن هذه الصفقة تمت بين الشركة التجارية اليهودية والقنصل الفرنسي حتى يتمكن اليهود من نقل بضاعتهم إلى أسبانيا - وبيعها هناك- التي كانت لا تزال تتبنى سياسة القطيعة مع اليهود³.

وتظهر الوثائق الخاصة بميناء مدينة الجزائر لسنة 1719 – 14 أبريل- إبراهيم دو جاكوب إسرائيل دو تونس (Abraham De Jacob Israël De Tunes)، وهو أحد أبناء جاكوب المستقرين في إيطاليا الذي قدم إلى مدينة الجزائر لتحصيل اموال القروض التي

¹ - Ibid., p 21.

² - Haddey,op-cit., pp 21- 22.

³ - Ibid., pp 22- 23.

منحها لتجار يهود إيطاليين انتقلوا للاستقرار في الإيالة. إبراهيم رفض الخضوع لقوانين المحاكم الحاخامية الخاصة باليهود في مدينة الجزائر للفصل في قضيته المتعلقة بالاقتصاص من مدينه، وفضل اللجوء إلى المحكمة العليا في مدينة فلورنسا¹. ولعل فشله في استرجاع أمواله كان السبب في رحيله من المدينة – بعد أيام قليلة من تواجده فيها- متوجها إلى ليفورن².

الوثائق التي تخص هذه الشركة تكشف أن أحد أفراد عائلة إسرائيل دو تونس وهو إسحاق ابن جاكوب دو جاكوب إسرائيل تعرض لأزمة مالية – خلال سنة 1728- كادت أن تكلفه حياته لولا تدخل قنصل فرنسا لدى الإيالة السيد (Antonio Gabriel Durand) الذي دفع عنه مبلغ 460 بياستر للداي ولتجار آخرين. الديون تم تسديدها في ديوان الداى وتحت إشرافه شخصيا، وبانتهاء عملية التسديد نجى إسحاق جاكوب دو جاكوب إسرائيل دو تونس من الموت حرقا. ومقابل هذا قام بالتوقيع على عقد رهن فيه ممتلكاته – منزل فخم في مدينة ليفورن- للقنصل الفرنسي، وقد أعيدت صياغة هذا الرهن بعد هذه الحادثة بعدة أيام لأن التاجران صموئيل ودانيال كوهين أرسلوا صكا بقيمة 200 بياستر بينما أرسل رئيس الطائفة اليهودية في أمستردام صكا آخر بقيمة 60 بياستر على سبيل التبرع³.

تمحورت نشاطات هذه الدار على تجارة الأسرى، إضافة إلى توريد بعض المواد وتصدير القمح⁴.

■ دار أرون إسرائيل دو تونس التجارية وتجارة الأسرى⁵:

¹ - Ibid., p 23.

² - Ibid., p 22.

³ - Haddey, op.cit., p 23.

⁴ - Ibid., pp 22- 23.

⁵ - Ibid., pp 21- 22 et 23.

الجهات المستفيدة	عدد الأسرى	السنة
ليفورن.	.6	1697
ليفورن.	.8	1698
تم شراء عشر أسرى للبنديقية وأسيرين بأوامر من ليفورن.	.12	1699
	.16	1700
	.3	1702
ليفورن.	.6	1703
أسير بطلب من المؤسسات المختصة في مرسيليا. وستة أسرى بطلب من المؤسسات المختصة في ليفورن.	.7	1705
ليفورن.	8	1708

ليفورن.	.4	1709
ليفورن.	أسيرين.	1710
ليفورن.	أسيرين.	1711
ليفورن.	.10	1712
ليفورن.	أسيرين.	1713
ليفورن.	أسيرين.	1717
ليفورن.	أسيرين.	1718

▪ دار أرون إسرائيل دو تونس التجارية ونشاط التوريد والتصدير¹:

الوجهة ذهابا-ايابا	المراكب التي تؤجرها الشركة لحمل البضائع	السنة
موجهة إلى Cadix بإسبانيا.	سفينة بقيمة 1692 بياستر	8 أوت

¹ - Haddey, op.cit., pp 22- 23.

	مكسيكي لحمل بضاعة.	1700
موجهة إلى ليفورن.	سفينة St Louis le juste لنقل 35 طن من القمح بقيمة 300 بياستر.	26 جوان 1700
إلى ليفورن، ثم إلى تونس أو طرابلس ومنها إلى الإسكندرية ثم إلى ليفورن مرة أخرى.	تم تأجير سفينة Jésus Marie Joseph لنقل حمولة من القمح.	24 فيفري 1704
الجزائر إلى ليفورن ومن ليفورن إلى الجزائر.	السفينة St Louis Lucrécé لحمل 1200 قنطار من القمح.	4 جوان 1707
ليفورن.	تم تأجير نفس السفينة المذكور سابقا لحمل البضائع.	19 جوان 1707
الجزائر إلى مرسيليا ذهابا وإيابا.	أرسل صاحب الدار البضائع على متن السفينة (Petit Foudroyant).	30 جويلية 1707

ليفورن إلى الجزائر ذهابا وإيابا.	أجر سفينة هولندية بمبلغ 750 بياستر لحمل ثماني أطنان من القمح.	9 فيفري 1713
ليفورن إلى الجزائر.	تلقى من ليفورن بضائع على متن السفينة La Famavolonte.	1713
الجزائر إلى ليفورن.	تأجير سفينة St Joseph وحمل على متنها 1700 قنطار من القمح.	2 أبريل 1719

▪ دار إسحاق سليمان التجارية (Isaac Soliman Compagnie):

التاجر إسحاق سليمان من أصول ليفورنية، ورد ذكر هذه الدار في السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر سنة 1717⁽¹⁾. إسحاق توفي في التاسع من نوفمبر 1723 على متن سفينة كانت متجهة إلى مدينة ليفورن وعند رسوها بميناء مدينة ليفورن قام قبطانها (Guillaume Arnon) باستدعاء قنصل هولندا في المدينة السيد Frédéric Brugh وسلمه مجموعة من البضائع،

¹ - Haddey, op.cit., p 34.

إضافة إلى 125 بياستر كانت للمتوفى، وتسلم القنصل Brugh البضائع والمبلغ المالي بعد توقيعه على وصل استلام باعتباره شريكا لإسحاق سليمان¹.

كان للتاجر المتوفى إسحاق سليمان أخ يدعى إلياؤو سليمان (Eliaou Soliman)، إلا أنه لم يستلم إدارة دار أخيه التجارية التي عرفت مشاكل مالية خطيرة، وخلال سنة 1728 ظهر التاجر مانويل تيدسكو (Manuel Tedesco) الذي طالب بعمولة قدرها 15% من مجموع أرباح كل الصفقات التي كان يقوم بها رئيس الدار المتوفى بصفته شريكا له. مانويل تيدسكو تمكن من استرجاع حقوقه بفضل شهادة كل من (Issouf Tubiana) - الذي كان يعمل سمسارا لحساب إسحاق قبل وفاته- وإلياؤو ماركو (Iliaou Marco) - أحد أصدقاء إسحاق- وواصل عمله في الدار التجارية كشريك مع نפטالي بوجناح الذي آلت إليه ملكية جزء كبير من الدار التجارية بعد أن اشتراها من ورثة إسحاق².

تواصل نشاطها التجاري مدة إحدى عشرة سنة، وتركز على تجارة العبيد كنشاط أساسي وحيوي وذو مردودية كبيرة، واستيراد بعض المواد الكمالية من (ليفورن ومرسيليا) كالقماش الهولندي، والأحذية الهولندية. كما كان لها نشاطات أخرى كبيع وتأجير السفن³. ولها ممثلان في ليفورن هما: لوشنر (Louchner) وسيز (Seiz)⁴.

■ دار إسحاق سليمان وتجارة الأسرى⁵:

¹ - Ibid., p 35.

² - Haddey, op.cit., p 35.

³ - Ibid., p 35.

⁴ - Ibid.

⁵ - ibid., pp 34- 35.

السنة	صفقات شراء الأسرى	الجهات المستفيدة
1717	11 أسيرا دنماركيا.	
1718	8 أسرى دنماركيين.	
1719	10 أسرى.	
1720	24 أسيرا بينهم 8 دنماركيين.	ثمانية لصالح ليفورن والباقي تم اقراضهم المال لفداء أنفسهم.
1721	29 أسيرا.	ليفورن.
1722	18 أسيرا.	ليفورن.
1723	12 أسيرا.	ليفورن.

▪ دار إسحاق سليمان ونشاط التوريد والتصدير¹:

السنة	المواد المصدرة	الجهات المستفيدة
1718		
24 أكتوبر	بيع سفينة هولندية أسرت من طرف الإسبان.	

¹ - Haddey, op. cit., pp 34- 35- 36- 37- 38- 39- 40 et 51.

ليفورن.	تصدير مجموعة من البضائع تمثلت في: صوف، أغطية، مرجان، شمع، صوف إسبانية.	1719 27 أبريل
	توريد صوف إسبانية، شمع، جلود، ريش، حبوب.	23 ماي
ليفورن.	قام إسحاق سليمان، مناصفة مع تاجر يوناني بتوريد: صوف، حبوب، وبقوليات، جلود، شمع.	5 جويلية
ليفورن.	إرسال 2000 حمولة من القمح وما قيمته 1500 ليرة من الشمع، أقمشة، عدة صناديق من الليمون.	3 أكتوبر
ليفورن.	تصدير: جلود، ريش، شمع، حديد أبيض، صباغ، خيوط من الفضة للتطريز، أغطية.	1720 3 جانفي

	إرسال ما يلي: بقوليات، حبوب.	16 أبريل
ليفورن.	أرسل حمولات من الحبوب، جلود.	30 أبريل
من مدينة ليفورن.	استيراد صوف إسبانية، قرفة، حديد أبيض، قصب لصنع الصنارات، تبغ، حديد أبيض.	14 جويلية
البلد	نوع المواد المستوردة	السنة
ليفورن.	جلود قديمة، شمع، أعطية، تمور.	1722 27 فيفري
ليفورن.	صوف، جلود، ريش النعام.	28 جويلية
ليفورن.	صوف، جلود، نحاس، ريش النعام، إسفنج، صور مرسومة على الورق، حبوب.	31 جويلية

ليفورن.	صوف، جلود، شمع، أغطية.	21 نوفمبر
ليفورن.	صوف، نحاس، أغطية، صودا، شمع، ريش النعام.	1723
ليفورن.	أعشاب لصنع الأدوية، ريش النعام.	
ليفورن.	صوف، حبوب، براميل فارغة. شمع، صوف، كاكاو، قهوة.	03 سبتمبر
ليفورن.	أغطية، أعشاب لصنع الأدوية، تمر، برانس.	24 نوفمبر

▪ دار دافيد كوهين سالمون التجارية (David Cohen Salamon Compagnie)

ينحدر دافيد كوهين سالمون من أصول ليفورنية، استقر لمدة طويلة في مدينة الجزائر قبل أن يقرر تأسيس دار التجارية¹. وارتبط بعلاقات تجارية مميزة مع كل من دافيد بوجناح ويوسف بوشارة اهله للتجربة التجارية بالجزائر.

تركزت نشاطات هذه الدار التجارية على تجارة الأسرى إضافة إلى تصدير بعض المواد في مقدمتها القمح إلى ليفورن، تولون²، واستيراد مواد أخرى تمثلت أساسا في الحديد، النحاس، الأقمشة، الخردوات، الزعفران³.

كان لهذه الدار عدة وكلاء في ليفورن جبريل وإبراهيم مدينة (Gabriel et Abraham Médiana)، جوزيف وإسرائيل فرانكو (Joseph et Israël Franco)، وممثل آخر بالبندقية هو سيمون مالو نوكت (Simon Malo Nocte)⁴.

■ دار دافيد كوهين سالمون التجارية وتجارة الأسرى⁵:

السنة	صفقات شراء الأسرى	الجهات المستفيدة
1730	10 أسرى.	ليفورن والبندقية.
1731	6 أسرى.	ليفورن والبندقية.

¹ - Haddey, op.cit., p 46.

² - Haddey, op.cit., pp 46- 47.

³ - Ibid., p 46.

⁴ - Ibid.

⁵ - Ibid., pp 46- 47.

ليفورن.	8 أسرى.	1732
ليفورن.	17 أسيرا كما منح دافيد كوهين سالمون مبالغ ضخمة كقروض لأسرى آخرين لتحرير أنفسهم.	1733
ليفورن.	14 أسيرا.	1734
ستة بطلاب من المؤسسات المختصة بليفورن. واثنان لجنوة.	8 أسرى.	1736
ليفورن.	أسرى واحد منهم هو الراهب Joseph Antonio وقد تم شراؤه بقيمة 800 بياستر.	1737
تسعة لليفورن.	20 أسيرا من بينهم الجنوبي	1738

وستة للبندقية وأربعة للمؤسسات المختصة بجنوة.	الثري Antonio Maria Chiquerie الذي تم شراؤه بقيمة 227 بياستر.	
ثلاثة أسرى لليفورن واثنان لجنوة.	5 أسرى.	1740
جنوة وليفورن.	أسيرا جنوبيين تمت الصفقة مناصفة مع يوسف بوشارة (3 رجال، راهب وامرأتين من جنوة).	1741

▪ دار دافيد كوهن سلمون التجارية ونشاط التوريد والتصدير¹:

السنة	نوع المواد الموردة والمستوردة	البلد
1735	تلقى حمولة على متن السفينة الانجليزية (Roulland).	من وإلى ليفورن.

¹ - Haddey, op.cit., pp 46- 47 et 59.

	قام بكرء سفينة أخرى وهي المسماة (St François De Paul) وذلك لإيصال حمولة كبيرة من القمح من بايلك الغرب إلى ليفورن.	13 أكتوبر
من ليفورن.	تلقي من مدينة ليفورن على متن السفينة St Antonio حمولة متنوعة شملت: زنجبيل، سلفات، حديد ونحاس، حجر الشب، سكر، أقمشة وخردوات، فلفل أسود، زعفران، أغطية، خيوط للنسيج، قماش مشجر، برميلين من الخل الأبيض، برميل من السلمون الأبيض.	1736 5 مارس
إلى ليفورن.	أجر السفينة St Antonio لإرسال 206 قنطار من القطن و25 قنطار من الشمع، وعدة حمولات من الأغطية، وبرميلين من العقاقير.	26 مارس

	زيت، 20 قنطار من الملح، 110 قنطار من الحبوب، 386 برميل من اللحم المملح.	
إلى ليفورن.	أجر السفينة St Antonio لإيصال 100 قنطار من الصوف، 60 قنطار من الحبوب، 365 قطعة من الأغطية.	29 جوان
إلى ليفورن.	أجر السفينة St Antonio لإيصال حمولة من الحبوب وكان على متن السفينة نפטالي بوجناح كوكيل شحن.	20 نوفمبر
إلى ليفورن.	أجر السفينة المسماة St Antonio لشحن حمولة من الكتان، الصوف، الشمع والأغطية.	1738 13 جويلية
إلى ليفورن.	أجر السفينة St Antonio لإيصال حمولة من الصوف بـ 650 قنطار.	5 سبتمبر
في رحلة إلى طرابلس ثم إلى تونس.	قام دافيد كوهين سالمون صاحب الدار بتأجير سفينة Marie- Magelani مع	1741 20 مارس

	الشريكين موسى فارفارو، ودافيد بوجناح.	
إلى ليفورن.	قام دافيد كوهين بتأجير السفينة St Croix بقيمة 400 سكينة ذهبية لإيصال 349 قنطار من الصوف و400 كيلة من القمح و9 حمولات من التبغ والشمع.	7 أبريل

▪ دار جاكوب دي رفائيل بوشارة التجارية **Jacob Di Raphael Bouchara Compagnie**:

التاجر جاكوب دي رفائيل بوشارة¹ ينحدر من أصول ليفورنية، شغل – منذ سنة 1735- منصب رئيس الطائفة اليهودية في الإيالة، واستمر في منصبه هذا إلى السنة التي توفي فيها. بعد موته خلفه ابنه إبراهيم كمقدم، وكمدير للدار التجارية اليهودية المتخذة لمدينة الجزائر مركزا لها، بينما تولى الابن الثاني لجاكوب المسمى جوزيف إدارة فرع الدار التجارية في ليفورن².

تركزت نشاطات هذه الدار التجارية على تصدير: الحبوب (القمح، الشعير)، الأحزمة الحريرية – التي كانت تصنع في الإيالة- إلى ليفورن، مرسلها. واستيراد مواد أخرى: بهارات، أواني قصديرية، مواد تستعمل في الصيدلة، عطور، خيوط النسيج، جلد لصناعة الأحذية

¹ - كان جاكوب دي رفائيل بوشارة قنصلا لمدينة راجواز (Raguse)، سنة 1761.

² - Haddey, op.cit., p 52.

من ليفورن، الإسكندرية، مرسيليا¹. وزيادة على ما سبق تميزت دار جاكوب دي رفائيل بوشارة باختصاصها في شراء السفن التجارية التي كان يأتي بها الرياس وإعادة بيعها أو تأجيرها، وقد تجاوز عدد السفن التي دخلت في ملكيتها (أي الدار) ثمانية سفن خلال خمسة أعوام².

مثلا الدار تجاريا في مدينة ليفورن "جوزيف ورافائيل فرانكو" (Joseph et Rafael Franco) و في جنوة "نيكولا وريزو كارلو ماريا" (Nicola et Riso Carlo Maria)، و البندقية "فرانسيسكو زناشي" (Francisco Zanachi) وسيمون مالانوت³ (Simon Malanote).

■ دار جاكوب دي رفائيل بوشارة التجارية وتجارة الأسرى⁴:

السنة	صفقات شراء الأسرى	الجهات المستفيدة
1737	10 أسرى.	ليفورن.
1742	17 أسيرا.	جنوة وليفورن.
1743	5 أسرى.	

¹ - Ibid., pp 52- 53- 54- 55 et 56.

² - Ibid., pp 52- 53- 54.

³ - Ibid., p 52.

⁴ - Haddey, op.cit., pp 52- 54 et 55.

واحد لليفورن وثلاثة للبندقية.	4 أسرى.	1744
خمسة لليفورن واثنين وعشرون للمؤسسات المختصة في البندقية.	27 أسيرا.	1745
	11 أسيرا.	1746
	8 أسرى.	1747
البندقية، نابولي وهامبورغ.	13 أسيرا.	1749
	8 أسرى.	1753
	22 أسيرا.	1760
	11 أسيرا.	1761
	12 أسيرا.	1762

▪ دار جاكوب دي رفائيل بوشارة التجارية ونشاط التوريد والتصدير وتجارة السفن¹:

السنة	المواد المستوردة وقيمتها	البلد
12 أوت 1732	باع جاكوب بوشارة وشريكه (Juda Brahim) للتاجر دافيد لوزاي من طرابلس حمولة من القمح والشعير والشمع والأحزمة الحريرية.	من طرابلس.
9 أوت 1739	أجر جاكوب بوشارة السفينة (St Mathieu) لحمل شحنة من القمح.	إلى ليفورن.
1740 18 جانفي	أجر مع شريكه موسى سرور السفينة (La vierge de la Grande) لحمل البضائع.	من الجزائر إلى الإسكندرية ذهابا وإيابا.
15	جاكوب بوشارة وشريكه أليزر سافورنو يؤجران السفينة (La vierge)	من ميناء مدينة الجزائر إلى ليفورن، ثم إلى

¹ - Haddey, op.cit., pp 52- 56.

ديسمبر	(Miséricorde) لنقل حمولة من بضائع متنوعة.	مرسيليا.
1741 16 جويلية	جاكوب بوشارة ودافيد كوهين يؤجران السفينة السابقة الذكر لنقل حمولة من القمح.	إلى البندقية.
17 جويلية	تلقى جاكوب بوشارة من ليفورن على متن السفينة (St Barbe Character) حمولة متنوعة: بهارات، أواني قصديرية، لبان جاوة، قرنفل، جوز الطيب، خيوط للنسيج.	من ليفورن.
27 أبريل	قام جاكوب بوشارة بتأجير السفينة (St Joseph La Fortune) بمبلغ 460 سكينية ذهبية لنقل البضائع.	إلى طرابلس.
1745	جاكوب اشترى سفينة من الداوي سيدي إبراهيم بـ 780 سكينية وأرسلها إلى ليفورن بحمولة	إلى ليفورن.

	من القمح	
	شراء السفينة (Les trois frères).	1746
	شراء السفينة (La Victoire) التي غنمت من الإسبان.	1747
	شراء السفينة (La Belle Sarah) من مدينة البندقية.	1748
من مرسيليا.	تلقي حمول كبيرة من المواد الآتية: ورق، كبريت أصفر، مناديل حريرية، قماش مشجر، صنوبر، نسيج قطني، جلد للأحذية، شراب الكزبرة والقرنفل.	1749
من الجزائر إلى إيطاليا، أزمير، الإسكندرية.	قام بتأجير السفينة (St Felix) بمبلغ قدره 67 سكينية ذهبية وذلك لمدة ثلاث أشهر لحمل البضائع فيها إلى إيطاليا، الإسكندرية، وأزمير، شريطة أن لا تقترب من سواحل	4 نوفمبر

	الغرب الجزائري والسواحل الإسبانية.	
لنقل بضائع من الجزائر إلى عدة مناطق.	تأجير السفينة (St Jean Baptiste) بقيمة 75 سكينية ذهبية شهريا لمدة ثلاثة أشهر.	14 نوفمبر
إلى ليفورن.	تأجير السفينة St Mathieu لأجل إيصال حمولتين من القمح إلى ليفورن على مرحلتين: الحمولة الأولى بـ 400 بياستر. الحمولة الثانية بـ 420 بياستر.	8 أكتوبر 1752
إلى جزيرة كولومب وماهون، مالقا، وبرشلونة.	بتأجير السفينة (St Jésus Marie Anne) بمبلغ 400 بياستر لأجل إيصال حمولة كبيرة من القمح.	9 فيفري 1753
إلى جنوة.	أجر السفينة (Le Senant Heureux) بقيمة 200 سكينية ذهبية لإيصال حمولة من القمح إلى جنوة.	22 أبريل 1755

	احتجاز سفينة لجاكوب بوشارة من طرف الفرنسيين ومطالبة جاكوب الفرنسيين بإعادة ماسة كبيرة بقيمة 180 سكينية ذهبية، هي ملك للداي أساسا الذي أراد إرسالها إلى إيطاليا لتوضع في خواتم حسب ما يدعيه جاكوب بوشارة.	1756
	إرسال حمولة من القمح.	25 جويلية
إلى ليفورن.	شراء السفينة (La Victoire) من الداى.	27 جويلية
	جاكوب بوشارة يطالب فرنسا بإرجاع حمولة تقدر 5200 قنطار من القمح كانت على متن سفينة احتجزت من طرف الفرنسيين في سواحل تنس.	10 ديسمبر

	شراء سفينة أخرى من عند الداى (غنمت من عند الإسبان).	1757
	جاكوب وابنه إبراهيم يشتريان سفينة (La Victoire).	1759

ما نستشفه من خلال معطيات Haddey أن الشركات التجارية اليهودية تميزت بالخصائص الآتية:

- 1- الثابت النسبي في القانون الأساسي الذي تبنى عليه الشركة فعادة ما يغير القانون كل خمس أو عشر سنوات كما تجدد بهذه المناسبة قائمة الشركاء والممثلين (الوكلاء)¹.
- 2- الطابع العائلي(النسب او المصاهرة)، فهذه الشركات كثيرا ما تجمع أفراد العائلة الواحدة كالابن والأب كشركاء وهو ما لاحظناه بالنسبة لدار "مالكو" (Malco) التجارية التي كان فيها (Eliaou Malco) شريكا لوالده (Aron Malco)، وكما هو الحال أيضا بالنسبة لشركة (Jacob Di Raphael Bouchara) الذي كان شريكا لابنيه جوزيف وإبراهيم، أو تأخذ طابع المصاهرة كما سنلاحظ فيما سيأتي حول شركة بكري وبوجناح التجارية، حيث كان بوجناح صهرا لبكري، فالمدير العام لهذه الشركات التجارية كان

¹ - Bernard Blumenkranz, « Les juifs dans le commerce maritime de Venise », in R E J, 1961, p 146.

يعين من ضمن أفراد العائلة الواحدة حسب ما ذكرناه بالنسبة للحالة الأولى، أو من بين أفراد العائلتين المتصاهرتين بالنسبة للحالة الثانية.

3- اعتمادها على توزيع جغرافي محدد ، والذي يقلل من الأخطار التي يتوقع أن تتمخض عن تحولات سياسية تؤثر على اليهود ككتلة في مجتمع الجزائر العثمانية، وعلى حياتهم الاجتماعية وهيكلتهم، وبالتالي على نشاطاتهم الاقتصادية ومردوديتهم. ولهذا نجد أن الشركات التجارية اليهودية تحرص دائما على أن يكون المقر الرئيسي لها في الإيالة (وخاصة في أوقات الازدهار والرخاء) بالتوازي مع فروع في بلدان ومدن أخرى، وهو ما لاحظناه من خلال ما سبق، حيث كان لمعظم الشركات التي صادفنا وثائق عنها ممثلين في تونس، طرابلس، الإسكندرية، أزمير، جنوة، البندقية وغيرها.

4- علاقة التجار والوسطاء اليهود المنتظمة مع ليفورن وهذه العلاقة غالبا ما كانت تكتسي طابع بين الأصل والفرع وأمثلة ذلك نذكر منها (Lyach Stora) الذي كان فرعا لأبيه (Jacob Stora) المستقر بمدينة الجزائر¹، وكذا جوزيف بوشارة الذي كان يدير فرعا لأبيه جاكوب بوشارة.

5- تركزت نشاطات هذه الشركات اليهودية حول تجارة الأسرى، التصدير التوريدي والنشاط البنكي.

6- اعتمادها على التكتل التجاري في معاملاتها الداخلية والخارجية

تأسيس دار بكري وبوجناح التجارية ودورها الاقتصادي (1793- 1820)

¹ - Filipini, « Les relations entre Livourne et l’Afrique du Nord », In Revue Maghrébine, N° 7/8, 1977, p 142.

استقطبت ايلة الجزائر بكري وبوجناح شانهما شان التجار المغامرين قبل ان تجمع بينهما المصالح ،الا اننا لانملك اثباتات تاريخية حول ظهورهما لأول مرة بالجزائر.

▪ عائلتي بكري وبوجناح:

1- عائلة بكري¹:

على ما يبدو أن أول استقرار لعائلة بكري في شمال إفريقيا كان خلال القرن الرابع عشر، استنادا إلى ما يذكره (Hirscherberg) نقلا عن أحد المصادر اليهودية التي ظهر فيها اسم العائلة من خلال أحد أفرادها المدعو "موردخاي أرون بكري"، والذي كان مستقرا آنذاك برفقة عائلته في مدينة فاس². وتواصل تواجد هذه العائلة في شمال إفريقيا حسبما يُستقى من المصادر وتحديدا في المغرب الأوسط، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، حيث يظهر عدد من الأفراد في بجاية يحملون هذا الاسم العائلي، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير من خلال احتلال أغلبهم لمنصب المقدم³.

أما أول ظهور تجاري لها في الإيالة – وبالضبط بمدينة الجزائر- من خلال أحد أفرادها هو: جاكوب كوهين بكري زهوط (Jacob Cohen Bacri Zahot)، في 21 سبتمبر 1716، حسب (Haddey) الذي أكدها استنادا إلى السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن

¹ - حسبما يذكر (Paul Cohen Bacri) (وهو أحد أفراد هذه العائلة المستقرين بفرنسا)، أنّ لقب بكري من أصل يهودي، أو عربي، وهو محرّف عن الكلمة العبرية بكور (Bekhor) ومعناه الحقيقي الابن الأكبر، أما المجازي فيعني المبكر النضج، أما تلازم لقب بكري مع كوهين فيفسره على أنه إسناد ديني، ومعناه الحاخامات الذين يقومون على خدمة الهيكل في الصباح الباكر، أما حسب الأصول العربية فهو يعني راعي البقر أو بائع الحبوب.

² - H.Z. (J.W), Hirscherberg, op.cit., p 28.

³ - Ibid., pp 28- 29.

من وإلى ميناء مدينة الجزائر التي تكشف أنه تلقى 4000 قطعة من الزمرد، على متن السفينة (St- Pierre) القادمة من تونس¹. كما تظهر وثائق اطلع عليها Haddey الوسيط التجاري جاكوب – بالتحديد في 12 مارس 1723- عندما قدم قرضا قيمته 25 بياستر إلى السيد (Jacoma Sureda De Mayorque) وهو من تجار مايورقة الأغنياء، لافتداء نفسه من الأسر².

ويذكر فنصل بريطانيا العام الذي تواجد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في الإيالة السيد (Fraser)، في تقرير عام وسري أعده عن الوضع العام للتجارة بإيالة الجزائر، 19 فبراير 1768، اسم عائلة بكري، في عدة مرات في سياق إشارته إلى المواد التي كان يستوردها التجار اليهود من ليفورن بصفة عامة، وما كانت تستورده عائلة بكري بصفة خاصة³.

بعدها بسنوات وتحديدا سنة 1744 نسجل أول ظهور تجاري، وأول إقامة مستمرة ومتواصلة في الإيالة لأحد أفراد العائلة، الذين قاموا بدور مهم وحساس في تاريخ الجزائر العثمانية ألا وهو: جوزيف بكري (Joseph Cohen Bacri) وذلك من خلال السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر⁴. وخلال سنة 1782 كوّن أحد أبناء ميخائيل كوهن بكري الأربعة وهو جوزيف رفقة إخوته الثلاثة: جاكوب وسالمون، وموردخاي شركة تجارية، بموجب عقد حرر بتاريخ 14 نوفمبر بحضور الحاخامين "سماح دوران" (Sémah Duran) و"جاكوب شلبي شيكيتو"⁵ (Jacob Chalabi Chiquito). وفي 14 أكتوبر 1785، تم تحديد عقد

¹ - Haddey, op.cit., p 34.

² - Ibid., p 41.

³ - Ibid., p 66.

⁴ - Fraser, , (Fraser Rapport), op.cit., pp 219- 220.

⁵ - Eisenbeth, Les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit., p 373.

الشركة بحضور الحاخامين "موسى سرور" و"سماح دوران"، وذلك بمناسبة عودة سالمون كوهين بكري إلى إيالة الجزائر قادما إليها من مدينة ليفورن الإيطالية التي كان مستقرا بها عند تأسيس الشركة أول مرة وتوقيع العقد.

سالمون أكد أمام الحاخامين بصفتها الممثلان للسلطة الدينية والقانونية آنذاك، أنه كان ولا يزال كشريك في الدار التجارية، وتم تسمية الدار التجارية بدار سالمون بكري وإخوته (Salamon Cohen Bacri et Frères).¹

أما الابن الخامس لميخائيل والمدعو إبراهيم، فقد ظل بعيدا عن الشركة لعدم اكتسابه صفة الشريك القانوني لأن اسمه لم يكن موثقا في العقد كشريك، إلا أنه كان يعمل معهم، ويتابع أعمال الشركة ومشاريعها التي ما فتئت تزدهر خطوة بخطوة كشريك غير رسمي بكامل الحقوق المحفوظة للشركاء، والواجبات المفروضة عليهم.²

¹ - Ibid., pp 373- 374.voir :

Françoise Hildescheiler, « Grandeur et Décadence de la Maison Bacri de Marseille », In, R.E.J., tome XVI, juillet-décembre 1977, p 391.

² - Eisenbeth, ibid., p 373.

أفراد عائلة بكري حسب ما تذكره المصادر¹

(1841 -1716)

Jacob Coen Bacri Zahout
يعقوب كوهين بكري زهوط

(1716)

Micheal Coen Bacri Zahout
ميخائيل كوهين بكري زهوط

Salamon
سالمون

Mordaché
موردخاي

Joseph
جوزيف

Ibraham
إبراهام

Jacob
جاكوب

Michel
ميشال

Joseph
جوزيف

David
دافيد

Nantan
نانتان

Sadia
سعدية

David
دافيد

Moïse
موسى

Mordachai⁴⁴³
موردخاي

Kamira
قميرة

¹ - Haddey, op.cit., pp 34, 44 و 66.

- Hirschberg, op.cit., pp 28- 29.

- Hildesheimer, op-cit, p 391.

نشاطات عائلة بكري التجارية سنة 1768:

النشاطات التجارية	السنة
الشركة تقوم برحلتين أو ثلاثة إلى مرسيليا. لاستيراد أقمشة فرنسية، قهوة، سكر، حديد، ألعاب ¹ .	1768

¹ - Fraser, (Fraser, rapport), op.cit, pp 220- 221.

<p>تصدير: صوف، شمع، جلود، زيت¹.</p> <p>عدد السفن التي كانت تستعملها في تجارتها مع ليفورن لا تتعدى اثنين أو ثلاث سفن سنويا².</p> <p>استيراد (رفقة مجموعة من التجار):</p> <p>كتان وأقمشة ألمانية، ألعاب، أقمشة حريرية ومناديل، حديد حسب الأوزان بقيمة 1500 سكينية³.</p> <p>تصدير: صوف، شمع، قمح، جلود مدبوغة⁴.</p>	1768
--	------

¹ - Ibid., p 223.

² - Ibid., pp 223- 224.

³ - Ibid., p 224.

⁴ - Ibid., p 254.

نشاطات دار **Salamon Cohen Bacri et frères** التجارية¹:

السنة	المواد	البلد
1784	توريد مجموعة من المواد تمثلت فيما يلي: أقمشة، كريستال، ملابس للجنود، ورق.	
12 نوفمبر 1786	قام جوزيف، وسالمون كوهين بكري (رفقة مجموعة من التجار اليهود) بتوريد: مرايا، حرير، جواهر، خيوط الذهب، النحاس، وكتب على متن السفينة التجارية المسماة (nouvelle)	ليفورن.

¹ - Haddey, op.cit., pp 78- 81.

	.Marianne)	
ليفورن.	استيراد مجموعة من المواد تمثلت فيما يلي: أقمشة، مرايا، 3500 قطعة من الرخام الخالص، أواني فضية، مجوهرات، ماء كولونيا، صحون.	7 أبريل 1789
ليفورن.	استوردت الدار التجارية مجموعة من المواد: مرايا، أقمشة قطنية، ورق، براميل فارغة.	22 سبتمبر
ليفورن.	استيراد: سكاكين (خناجر)، مرايا، سمك السلمون المملح، موسلين، عمودين من الرخام.	30 جويلية
ليفورن.	استيراد ورق، جبن، رخام، ورق.	12 أكتوبر

2- عائلة بوجناح:

نفس المشكلة نواجهها بالنسبة لعائلة بوجناح¹، بسبب غياب الوثائق التي تلقي المزيد من الضوء على حالتها المادية قبل تواجدها في الإيالة، وحتى بعد استقرارها بها، وتساعد على إيجاد تفسير مقنع لما وصلت إليه هذه العائلة من ثراء فاحش ونفوذ لا يضاهي.

يعود استقرار عائلة بوجناح بمدينة الجزائر الى سنة 1723⁽²⁾ ممثلة في أحد أفرادها، وهو نפטالي بوجناح الذي تواجد قبيل استقراره في الإيالة في "ماهون" سنة 1721، التي وفد إليها من ليفورن الإيطالية، وتواجده في ماهون لفترة قاربت السنتين كان بسبب أعماله التجارية التي أنشأها هناك، ونجح في تطويرها نجاحا كبيرا، بحيث امتدت نشاطاته التجارية حتى إلى وهران التي ربطته مع تجارها اليهود علاقات تجارية ممتازة³، ولعل أهمية إيالة الجزائر آنذاك إستراتيجياً، وتجارياً كانت سببا في هجرة نפטالي إليها. أما في سنة 1737 وفد الى الجزائر دافيد بوجناح الذي كان من أقرب المقربين إلى باي تونس آنذاك، والمبعوث الخاص له إلى ماهون لإجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية.

¹ - حسب (Haddey) وردت إمضاءات مختلفة في سجلات دخول وخروج السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر، لبوشناق غير ان الكتابة الصحيحة لهذا الاسم هي (Busnah)، لكنه يظهر من خلال وثائق أخرى مكتوبا بعدة طرق: Bunache, Bouznahg, Bosnah, Bousnach, Bousnah. واختلفت تسميته عند الأتراك، والمور ببوجناح، وهذا الاسم اعتمدنا عليه في دراستنا التاريخية.

² - Haddey, op.cit., p 41.

³ - H.Z (J.W), Hirschberg, op.cit., p 29.

وربما جاء اختياره للقيام بهذه المهمة الدبلوماسية لقربه من الباي، وكذا لمعرفته بماهون وطبقتها السياسية، بسبب امتلاكه لدار تجارية مرموقة، رفقة "إبراهام مالو" (Ibrahim Mello) و"زكرياء خلفون"¹ (Zackaria Qalfon). بعد عدة سنوات جاء السيد (Fraser) ليوضح أن هناك علاقة قرابة بين آل بوجناح المتواجدين في ماهون، وأولئك المستقرين بالإيالة، وذلك من خلال رسالة وجهها إلى الحكومة يعلن فيها استيائه الشديد لقيام بلاده بإعطاء جوازات سفر بريطانية للسفن اليهودية، (يهود ماهون) وعلى رأسهم بوجناح، وذلك لتسهيل عملية الإبحار في البحر الأبيض المتوسط².

السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر تظهر ثلاثة أشخاص آخرين من عائلة بوجناح وهم: الوسيط التجاري إبراهيم بوجناح الذي قدم رفقة ابنه دافيد من ليفورن، إلى مدينة الجزائر سنة 1724 ولا ندري العلاقة بينه وبين نفتالي³. و الوسيط التجاري موسى بوجناح ، حيث يظهر من خلال الوثائق والسجلات عدة عمليات تصدير واستيراد، أولها كانت سنة 1768 عندما اشترى مركبا مناصفة مع عدد من التجار لتصدير بعض المواد إلى ليفورن⁴.

أما نفتالي بوجناح الحفيد، الذي قام بدور مهم وخطير في تحديد مصير الجزائر العثمانية، فإن ظهوره لأول مرة من خلال وثائق الميناء كان سنة 1782 عندما قام بتصدير مجموعة من المواد (حبوب، صوف، شمع)، إلى مدينة ليفورن الإيطالية⁵. هذه الشخصية الغامضة التي غيرت الكثير من معالم تاريخ الجزائر العثمانية، فأغلب المصادر والمراجع التي تطرقت لتاريخ هذه العائلة، ذكرت انها من

¹ - Hirschbeg.,ibid, pp 29- 30.

² - Hirsch berg,op-cit., p 30.

³ - Haddey, op.cit., p 43.

⁴ - Ibid., p 74.

⁵ - Ibid.

العائلات اليهودية الثرية، ماعدا محمد العربي الزبيري وفي سياق حديثه عن يهود ليفورن، يذكر أن العائلة فقيرة وهذا عكس ما ذكرناه سابقا وأكدته السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر: « هاجرت من ليفورن عدة أسر ومن جملتها أسرة بوجناح التي وصلت إلى ميناء عاصمة الإيالة سنة 1727، وكانت معدمة لا تملك قوت يومها، وبدأ رئيسها في العمل عند بعض التجار لسد رمقها، ولم نعد نعرف عنها شيئا حتى سنة 1782 عندما بدأ أحد أبنائها نبطالي يلمع في عالم التجارة»¹. أما Eisenbeth فيكتفي بوصف نبطالي بوجناح الحفيد بقوله: « يظهر نبطالي بوجناح من خلال المصادر متواضعا، متعلما، مثقفا، رحيفا، متسامحا، ملتزما بتعاليم دينية عكس ما تورده تقارير القنصلية الأوروبيين من أنه رجل طموح، ماهر، طماع، طاغية»². هذا الوصف من قبل إيزنبيث غير موضوعي، وهو يظهر جليا القومية اليهودية على غرار الشخصيات المهمة ممن عاصروا نبطالي (قنصلية ورحالة ورجال دولة) وصرحوا عكس ذلك تماما حول نبطالي.

نشاطات عائلة بوجناح التجارية³:

السنة	المواد المستوردة والمصدرة	البلد
1724	تصدير: ورق، مرايا. صدر مجموعة من البضائع المختلفة:	إلى مدينة تطوان. و ليفورن.

¹ - محمد العربي الزبيري، المرجع سابق، ص 287.

² - Eisenbeth, Les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit., p 373.

³ - Haddey, op-cit., pp 41- 42- 43- 44- 45 et 48 et 58- 59- 60.

ليفورن. ليفورن.	قمح، شمع، صوف. شراء 11 أسيرا. قام إبراهيم بشراء 10 أسرى. وإقراض مبلغ 1594 بياستر لتاجر يدعى Pierre Armano لتسليح سفينة حربية هولندية.	
ليفورن. ليفورن. ليفورن.	صدر نفطالي حمولات من: القمح، الشمع، والأغطية الصوفية. و مواد مختلفة: صوف، قهوة، حمولة كبيرة من التبغ، وشراء 38 أسيرا.	1725
إلى براغ وليفورن.	صدر نفطالي حمولات معتبرة من: الصوف، أنياب الفيلة، قطن أسباني، لحم مملح، حبوب وريش النعام.	1726

ليفورن.	يصدر إبراهيم ر حمولة من الصوف.	1729
تطوان.	اجر إبراهيم سفينة تجارية لحمل كميات من القمح، بينما صدر نפטالي كميات من اللحم المملح، والتمور والكسكسي.	1731
ماهون.	قام نפטالي بإرسال حمولة مهمة من التبغ على متن سفينة انجليزية.	1733
ماهون	كراء سفينة مناصفة مع التاجر اليوناني Constantin Paraity لتصدير عدة مواد أهمها: أقمشة قطنية، شمع، تبغ.	1738
إلى ليفورن.	أرسل نפטالي سفينة تحمل كميات معتبرة من التبغ والشمع والصابون، القمح، أغطية.	1739
إلى ليفورن.	صدر نפטالي: حبوب، أسلاك حديدية، شمع.	1740

ثانيا: سيطرة اليهود على النشاط السياسي

1- دور اليهود في توجيه سياسة البايليك:

لم يقتصر استحواذ وهيمنة اليهود على القاعدة الاقتصادية للإيالة، وإنما امتد نفوذهم إلى المجال السياسي والتدخل في الشؤون الداخلية، وذلك بالسيطرة على مقاليد الحكم نظرا للظروف التاريخية التي عاشتها الإيالة خلال تلك الفترة والتي كانت الفوضى السياسية والاقتصادية تحكمها. فاتحاد رأس المال والسياسة في دار بكري بوشناق (بوجناح) توسع إلى مختلف المؤسسات السياسية الحساسة، حتى إحكام السيطرة على الدبلوماسية الجزائرية، والمراقبة الحثيثة لعلاقات الإيالة الخارجية والتجسس على تحالفاتها واتفاقياتها مع الدول الأوروبية المواجهة لها جغرافيا، وحتى مع الولايات المتحدة الأمريكية.

بلغ تأثير بوجناح على المستوى السياسي الداخلي حتى التدخل في القرارات « فهو الذي كان يعزل ويعين من يشاء في الوظائف الإدارية والمناصب العليا»¹، غير أن ما كانت تبعاته خطيرة على امن ومستقبل الإيالة، هو تكليف سلطات الإيالة اليهود ببعض المهام الخارجية، مما سمح لهم بالاضطلاع عن كثب على علاقات الجزائر الخارجية وتحويلها عن النهج العام الذي يحافظ على هيبتها وتوجيهها لخدمة مصالحهم، من ذلك تكليف الداى مصطفى اليهودي Tobiano بحمل رسالة مؤرخة في 7 فبراير² 1704 إلى لويس الرابع عشر، إن هذه المهمة الحساسة التي أوكلت لـ Tobiano دليل قاطع على أهليتهم لهذه الأمور أو حسب ما عبّر عنه شالر: « اليهود الطائفة الوحيدة من السكان التي لها معرفة صحيحة بالشؤون»³ الخارجية وهم ينغمسون في مختلف أنواع المؤامرات التي يقامرون فيها أحيانا بحياتهم».

¹ - إسماعيل العربي، دور اليهود..، ص 63.

² - Palant Eugène, correspondance des consults, pp 26- 27.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 90- 91.

من مظاهر الإقصاء السياسي للأهالي بالجزائر هو تكليف الدخلاء من اليهود الاهتمام بشؤون الإيالة الخارجية، كاستقبال بوشناق للوفود الدبلوماسية.

ومن خلال ما سبق تستوقفنا عدة اشكاليات تاريخية ولعل ابرزها فيما تمثل الدور السياسي لليهود وماهي تبعاته؟ هل يمكن اعتبار التدخل اليهودي في شؤون الايالة ظرفية سياسية؟ ام تواطؤ سياسي للحكام مع اليهود حفاظا على المصالح المشتركة بين الطرفين؟

2- اليهود والعلاقات الجزائرية الإسبانية:

على الرغم من ان لاسبانيا تاريخ دموي مع اليهود إلا أن عائلة بكري قدمت خدمات جليلة لاسبانيا العدو التقليدي لليهود، ولعل أهمية هذه الخدمات بالنسبة لاسبانيا تظهر من خلال رد ملك أسبانيا شخصيا لهذا الجميل بدفع مبلغ 40000 ريال لليهودي جوزيف بكري سنة 1795 كمكافأة للعلاقة الودية بين الطرفين، انطلاقا من عمل أفرادها كسماسرة للقنصلية الاسبانية في الإيالة، نظرا للمقاطعة السياسية التي طبعت العلاقة الجزائرية الاسبانية، وسعي اليهود لقضاء مصالحها بالايالة، لنفس الأسباب قام السفير الاسباني بباريس بدعم عائلة بكري في تطوير علاقتها مع الحكومة الفرنسية حيث استطاع أن يحصل على رسالة توصية من البلاط الملكي الاسباني لأحد أفراد عائلة بكري وهو الأخ الرابع لجاكوب المدعو سالمون. ومقابل هذا تواصلت خدمات اليهود لاسبانيا، ففي رسالة وجهت إلى الوكالة الإفريقية بتاريخ العشرين من جوان 1799 من أحد ممثليها بالقل جاء فيها: «... القنصل الاسباني في الأسر بسبب احتجاز بلده لسفينة جزائرية، والمساعي كانت حثيثة من طرف بكري وبوجناح لإطلاق سراحه...»¹.

¹ - علي تابلت، المرجع السابق، ص 179.

ثم يأتي دور اليهود في العمل على تسوية العلاقات الاسبانية الجزائرية من خلال تدخل نبطالي بوجناح لصالح اسبانيا، حينما قام بعدة محاولات لإقناع الداى الوزناجى بتوقيع معاهدة صلح معها، وبالفعل قام مسؤول سامى بالايالة بتوقيع معاهدة صلح فى 27 ديسمبر 1803، مع نظيره القنصل الاسبانى فى الإيالة. هذه المعاهدة لم تدم طويلا، فلم تمضى بضعة أشهر حتى عمد بكري إلى توتير العلاقات الجزائرية الاسبانية بسبب الدين الذى كان لجوزيف بكري مقدم اليهود على الاسبان، وهو ثمن حمولة القمح الذى باعه لهم، هذا الدين بلغ عند إضافة الفائدة المتراكمة عليه منذ حوالي عشرين سنة يكون خمسة ملايين من الفرنكات¹. وقد طلب جوزيف مرارا من اسبانيا تسديد ما عليها من ديون لكنها تماطلت، ولم تف بوعودها، وهذا ما جعله يشتكى للداى مصطفى الوزناجى الامر وقلة حيلته، خصوصا وأن له ديونا لتجار البلد. وعلى إثر ذلك طلب الداى من قنصل اسبانيا أن يكتب لحكومته، ويلزمها بتصفية الدين وتسديده لخزينة الإيالة بعد أن سارع صاحب الدين إلى التنازل عن المبلغ للداى². ولكن عدم استجابة اسبانيا أثار سخط الداى، حسبما يذكر القنصل الأمريكى السيد (Tobias Lear): «... بمناسبة العيد (عيد الفطر 14جانفى 1804) قام القناصلة بتقديم التهاني للداى، وكان ترتيبهم كالاتى: القنصل الاسبانى، ثم القنصل الدنماركى، ثم القنصل السويدي، وأخيرا القنصل الأمريكى. وعندما مر القنصل الاسبانى أراد تقبيل يد الداى كما هو معهود إلا أن هذا الأخير رفع يده فى حركة سريعة يظهر من خلالها الغضب، وتوجه إلى القنصل بالقول: «أنا لا أعلم ما يحاك فى بلدك، ولكنك إذا أردت السلام من جديد يتوجب على بلدك تسديد الديون» كان هذا فى غاية الحرج بالنسبة للقنصل الاسبانى، وقد اعتبر الآخرون أنفسهم سعداء لأنهم لم يتلقوا أى تعليق أو إنذار»³. ورغم هذا فإن عدم الاستجابة من الجانب الاسبانى دفعت الداى إلى تجديد طلبه للقنصل فى إطار مقابلة رسمية، وعلى

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 181.

² - نفسه، ص 181.

³ - Tobias Lear, Copy of Letter to James Madison N°6, Inclosing Diary or Journal of Occurrences at Algiers by Tobias Lear, January 1, 1804, p 5.

إثر مناقشة حادة جرت بينهما غادر قنصل اسبانيا مدينة الجزائر¹. ورغم أن الداوي حاول تهدئته، وتحذيره من محاولة خلق أي مشاكل مؤكدا له أن العبارات التي وجهت له لا تخص إلا الحكومة التي يمثلها، وأن تماديه في الرفض يعتبر قطيعة بين الحكومتين، إلا ان القنصل غادر الإيالة. وهذا التصرف لم يقلق مصطفى الوزناجي ، بل اتجه و بشكل ودي وسلمي إلى حكومة اسبانيا لإيجاد طريقة للتفاهم².

وبما أن اسبانيا لم تكن موافقة على دفع فوائد تصل إلى 3% على دين يعود تاريخه إلى عشرين سنة، فإن الداوي اقترح عليها أن تدفع مليوناً من الفرنكات مقابل أن يجعل حدا لادعاءات بكري، وأن يسوي القضية تسوية نهائية، وبهذا عادت الصداقة بين البلدين³، بعد أن كادت الأزمة أن تسفر عن حرب واسعة النطاق.

استمر تأثير اليهود على الساحة السياسية حتى بعد مقتل نפטالي بوجناح، و ثورة الانكشارية واغتيال الداوي مصطفى الوزناجي، ، ففي وهران وعندما بدأت الحروب النابليونية ضد أوروبا، حدث انقسام في عمق الطائفة اليهودية الوهرانية، فكان منهم من يدعم الحلفاء، وعلى رأسهم إبراهيم ماسياس (Ibrahim Masias) وسليمان باسيفيكو (Soliman Pacifico) الذي كان وكيلاً للداوي. ومقابل هؤلاء كان هناك من يدعم فرنسا وكانوا الأكثر عدداً وقوة، لأنهم يلتفون حول امرأة يهودية قامت بدور مهم وخطير في قصر بايلك الغرب⁴، وكذا في التأثير على مجرى العلاقات الجزائرية الاسبانية.

كانت اليهودية "حنينة" صديقة الباي بوكبوس، تحب الفرنسيين، ولا تفوت أي فرصة لمساعدتهم حتى ولو كانت على حساب مصلحة وأمن الإيالة. ففي 10 جويلية 1810، حرب فرنسا ضد الحليفتين اسبانيا وانجلترا، قام الفرنسيون بأسر سفينة انجليزية، هذه الأخيرة

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، ص 181.

² - حمدان بن عثمان خوجة، ص 181.

³ - نفسه، ص 181-182.

⁴ - Isaac Bloch, « Les israélites d'Oran de 1792 à 1815 », in R.E.J., N° 25 juillet et septembre, tome XIII, 1886, p 92.

سرعان ما استرجعت من طرف مالكيها الذين فضلوا استبقائها في ميناء مدينة وهران، لكن فرنسا طالبت بها انطلاقا من كونها غنيمة حرب. كانت المهمة صعبة جدا، ولكن دور حنينة إضافة إلى مساعدة السيد (ugustin Negreto) (مساعد قنصل فرنسا)، وسيدي الحاج محمد ابن الباي إبراهيم ساعد على استرجاع الفرنسيين للسفينة، وكاد قرار الباي بإعادة السفينة إلى الفرنسيين أن يشعل حربا بين الحليفين (اسبانيا وانجلترا) بسبب انحيازها ودعمها لفرنسا¹.

تأثير اليهود هدد حتى السياسة الداخلية للولاية، حيث قامت اليهودية بتاليب الباي بوكابوس على الداوي، ففي غضون سنة 1813 إلى سنة 1814 قام باي وهران بثورة ضد الحكم المركزي بمدينة الجزائر ويقال أن خطوة الانفصال هذه اتخذها الباي بوكبوس بإيعاز من حنينة ومن كان وراءها من اليهود². الباي زحف شرقا على رأس جيشه حتى وصل إلى مكان لا يتعدى العاصمة بأكثر من ثلاثة فراسخ، حسبما يذكر وليام شالر³، للإطاحة بالحكم المركزي والانفصال. ولكن هذه الثورة فشلت لأن الداوي عمر باشا - الذي كان يشغل آنذاك منصب الأغا- تمكن من قمعها وأسر باي وهران ثم أعدمه، كما قام بإحراق حنينة ما بين 29 و30 ماي 1813 وبعد هذا القصاص الرهيب، واصل الأغا عمر تتبع المتمردين الذين وصلوا إلى حدود المغرب الأقصى، وكان على رأسهم الابن الثاني لحنينة الذي يشاع أنه أحد ثمرات علاقة غير شرعية بين الباي بوكبوس واليهودية⁴. كما تم القبض على احد اليهود المدعو "دافيد كابييزا" الذي كان مبعوثا في مهمة سرية من طرف الباي لشراء مائتي قنطار من الرصاص، وذلك بموافقة السلطات الاسبانية التي يبدو أنها أرادت تسليح الباي ضد السلطة المركزية. دافيد كابييزا

¹ - Issac bloch, op-cit. p 92.

² - Ibid., pp 92- 93.

³ - وليام شالر، مصدر سابق، ص 180.

⁴ - Isaac Bloch, ibid., p 93.

المعروف بدهائه أثبت عند توقيفه أن الرصاص لم يكن لتسليح بوكبوس، خصوصا وأن الثورة انطلقت وهو لم يجلب الرصاص بعد¹. أما أحد إخوته وهو "جوزيف"، فتسبب في مشاكل خطيرة بين الإيالة وأسبانيا بعد أن استطاع إنقاذ حياته لقاء مبالغ مالية دفعها لمسئولي الإيالة، ولاذ بالفرار محملا بكنوز الباي. ويذكر إسحاق بلوخ – نقلا عن الوثائق الخاصة بقنصل أسبانيا في الإيالة- أن سبب التوتر بين الإيالة وأسبانيا يعود إلى حادثة وقعت قبل ثورة الباي بوكبوس بعدة أيام وملخصها أن الباي طلب من جوزيف الابن الأكبر من حنينة بأن يبيع لحسابه (أي لحساب الداى) عدة حمولات من القمح كان قد جاء بها من أرزيو إلى وهران. جوزيف قام بشراء كل كميات القمح لحسابه الخاص وشحنها على متن سفينة مغربية، وقام بإرسالها إلى جبل طارق لبيعها هناك لكن الرئيس غير مساره إلى مالقا أين باع القمح، ومنها اتجه إلى جبل طارق ورسا هناك بعد عاصفة هوجاء وبسبب أضرار حصلت في السفينة انتقل الركاب إلى سفينة أخرى، وتبين عند النزول أن من بين الركاب أخ جوزيف وابنه الصغير. الداى علي قارة طالب اطلاقه على الأمر بالسفينة كملك للإيالة واليهود كسارقين للمال العام. لكن أسبانيا أكدت أن الدعوة باطلة لأن السفينة كانت ملكا لمغربي يدعى (Vicheau) كما أن طاقمها كان مغربيا والرايس هشام قبطانها أيضا كان مغربيا. الداى لم يقتنع بالرد الأسباني، وطلب من قنصلي أسبانيا وانجلترا الكتابة إلى حاكمي مالقا، وجبل طارق، ومطالبتهما بإلقاء القبض على اليهوديين، لكنهما ردا على مراسلات الداى برسائل تؤكد عجزهما عن إيجاد اليهوديين، ومن هنا أصبحت القضية محل نزاع سياسي بين الإيالة وأسبانيا، فالداى لم يسكت، وطالب أسبانيا بتعويضات قدرها ثلاثين ألف دولار، لكن الحكومة الأسبانية رفضت، وامتنعت عن

¹ -Issac bloch,ibid., p 93.

الدفء بءة اءءمال هرب الءهوءبببب إلى ءبل طارق الواقع ءءء سلءة انءلءراء؁ وأءء القضاة إلى ءوئر العلاءاء بشكل ءطبر ببب البلببب¹. لأن الءاءب أصدر أمرا بءوقبف قنصل اسبانباء بعء ءءءبءه من منصبه وأرسله إلى العمل فب المءرة².

ءوئر العلاءاء ببب الإبالة واسبانباء اسءمر ووصل الأمر بالاسبان إلى إرسال أسطول إلى سواءل مءبنة ءزائر سنة 1817؁ وقء صرء قائد الأسطول بأن بلءه لا بعرءرف باءعاءء الءاءب وأنه لا بببب ءءب الءءول معه فب مباحءاء³. الءاءب ببوره لم بببازل وطالب بـ 300.000 ءولار من ءببب سابقه للبببب على اسبانباء إضافة إلى المبلء الأول الءببب طالب به ءءومة البابلك؁ وهو الءببب هرب به الببببب؁ وبهءا أصبح المبلء الإءمالب ءوالب ملببب وءلالءمئة ألف ءولار. الءاءب كان صارما وأءء أنه لن ببببازل عن أبب قسط من هءه الءببب؁ وسبببمسك بكامل ءقوق بلءه؁ كما أنه سبببببب إلى القوة فب الوقاء المناسب⁴. وبءعءء الطرفببب ءعءءء المسألة وبقبببب عالاقة كما كانت سبببب فب قءبببب ببب البلببب؁ وبعبء ءءورة أءسء الءءومة الاسبانبببب الءسءوربببب بأن العلاءاء الغامضة مع الإبالة ءضر بمصالبها؁ وعلى هءا الأساس وءببب ءعلبماب إلى القنصل لءصfbببب هءه القضاة؁ وأرسلء مقءرءابببب إلى الإبالة من ءلال رسالة ءملها أسطول اسبانببب هولنءببب مشءرك – وكانء هولنءا قء ارءببببب مع اسبانبببب بمعاهءة للءفاع ءء ءول المغرب- وعلى أساس ما ءباء فب الرسالة وءببببب اسبانبببب ءعلبماب لقنصلها فب الإبالة لءل القضاة وأمرءه بمءاءرة الإبالة فب ءالة رفض الءاءب للءسببببب⁵. ولما كان رء الءاءب على مطلب السلءابببب الاسبانبببب ءبببب مرضببب

¹ - Isaac Bloch, op.cit., p 93.

² - Ibid., p 93.

³ - Ibid., p 94.

⁴ - Issac bloch ,op-cit., p 94.

⁵ - Ibid., p 94.

التجأ القنصل الأسباني إلى إحدى سفن الأسطول الأسباني، وبذلك قامت حالة قريبة من الحرب¹ كادت أن توصل الإيالة إلى طريق مسدود، ومشاكل خطيرة هي في غنى عنها، لولا توسط بعض العقلاء ليتنازل الداى أخيراً عن مطالبه² وتحل القضية سلمياً.

3- اليهود والعلاقات الجزائرية الانجليزية:

قام الثنائي بكري وبوجناح بدور مماثل في العلاقات البريطانية- الجزائرية سواء في ترضية الداى على بريطانيا، لتحقيق التقارب بينهما، وفي مساعدة الانجليز على الاستيلاء على مواقع فرنسا الاقتصادية في الإيالة منذ سنة 1809، أو في توريث الإيالة في صراعات خارجية هي في غنى عنها. فتدخل اليهود المستمر في علاقة الداى بقنصل انجلترا، دفع بالعلاقة بين البلدين إلى توتر كبير كاد أن يؤدي إلى الحرب، ففي سنة 1803 وحسبما يذكر Lear قام الداى مصطفى الوزناجي بطرد القنصل البريطاني السيد (Falcon) خارج الإيالة³.

هذا القنصل كما يصفه اليهود كان مصدر إزعاج في مناسبات كثيرة لأنه عمل المستحيل ليحول دون أن يتم تعويضهم من طرف الحكومة البريطانية التي أسرت عدة سفن كانت تابعة لهم (أي بكري وبوجناح) تحمل بضائع باهظة الثمن⁴، وقد كتب الداى إلى الحكومة الانجليزية رسالتين طالب من خلالهما بتعويض اليهوديين، كما طالب بقنصل جديد لكن تلك الرسائل لم تأخذ بعين الاعتبار⁵. فدبر اليهوديان مكيده له وحادثة طرد القنصل (Falcon) تعود إلى شهر أبريل من العام 1803 عندما أرسل الداى بعض الضباط إلى منزله وقاموا باقتحامه، وفتشوه ليجدوا امرأتين من المور داخل غرفة صغيرة. السيد (Falcon) أكد بأن لا علاقة له بالمرأتين اللتين يظن بأنهما أحضرتا

1 - وليام شالر، مصدر سابق، ص 181.

2 - نفسه، ص 181.

3 - Tobias Lear, op-cit, p 6.

4 - Tobias lear, ibid, p 7.

5 - Ibid., pp 7- 8.

من طرف الخادمين لأغراضهما الخاصة دون علمه، أو أن اليهود دبروا له هذا بهدف القضاء عليه، "لير" الذي عاصر الحادثة يؤكد الاحتمال الأخير الذي ذكره القنصل، ويضيف حول الموضوع ما يلي: «... كان هذا السبب كافيا بالنسبة للداي فقد وجدت المرأتان المسلمتان هناك وهذا جرم في الإسلام، فالعلاقة بين المسلمة والمسيحي حتى لو كانت تستند إلى أسس شرعية محرمة، وهذا الأمر كان كافيا لإخراج القنصل الانجليزي بعيدا عن البلاد، وقد اصطحبه الجنود بدون أي احترام وانتظره القناصلة الآخرون ليودعوه... وسافر القنصل على متن سفينة تاجر انجليزي...»¹. بعد هذه الحادثة بعدة شهور وفي يوم وصفه Tobias lear: «... هذه الأيام حافلة بالأحداث التي من الممكن أن يكون لها آثار وخيمة على الإيالة انطلاقا من علاقتها المتوترة مع انجلترا...»². تلقى الداي الوزناجي رسالة من الحكومة البريطانية تطلب فيها تقديم اعتذار رسمي وفوري، بسبب الطرد المهين والمفاجئ الذي تعرض له القنصل بصفته ممثلا لصاحب الجلالة، كما طالبت من الداي استقباله مرة أخرى كقنصل لبريطانيا، ومعاملته باحترام بصفته ممثلا لبلده. الداي صرح بأنه لا يريد أن يستقبل (Falcon) طيلة حياته، وأنه يريد أن يُستبدل بقنصل آخر لأنه اخترق القوانين والأعراف، وأكد أن القنصل الانجليزي إذا قام بفعل ما فعله في الإيالة في بلده (أي اختراق القوانين) فإن حاكمه سيعاقبه بمثل ما فعلت أو أكثر³.

انجلترا قررت عدم اللجوء للقوة وأرسلت القبطان (Keet) بنفس المطالب السابقة، الداي ولدى استقباله للمبعوث استفسر عن رسائله التي وجهها إلى الملك وكانت إجابة القبطان بأن الملك لم يصدق ادعاءاته⁴. وعند سؤاله عن عدم رد السفينة الانجليزية للتحية التي وجهها

¹ - Ibid.

² - Ibid., p 11.

³ - Tobias Lear, op-cit, p 11.

⁴ - Ibid., p 11.

إليها جنود البحرية (طلقات مدفعية) رد بأن الوقت لم يحن لرد التحية ما دامت الإيالة لم تثبت صداقتها بالاستجابة لمطالب انجلترا¹. ولهذا جاء رد الداى سلبيا بقوله: « أنا السيد في بلدي، إذا كنت تريد الحرب فاذهب إلى البحر...»². أما القبطان (Keet) الذي لم يفقد الأمل، فصرح للقناصلة بأنه يعلم أنّ كل ما يجري من تطورات في المسألة يرجع إلى نفوذ اليهود وتسلطهم على الداى. كما أنه بعث برسالة إلى الداى – بعد أن رفض أن يستقبله مرة أخرى 16 جانفي جاء فيها: «... إنّ موقفكم اليوم رغم قسوته، فإنه يدفعني إلى التريث والصبر، لحفظ صداقة كانت بين البلدين لأعوام متعاقبة»³، الرسالة كانت مرفقة بمسودة انطوت على طلب لإطلاق سراح الأسرى الانجليز البالغ عددهم 79 أسيرا، والذين كانوا قد أسروا خلال (1803- 1804)، لكن جواب الداى كان نفسه، وبهذا أبحرت السفينة يوم 18 جانفي 1804 راجعة دون تسوية النزاع⁴. ومضت عدة أيام على رحيل السفينة التي خلقت برحيلها حالة من الترقب والخوف في أوساط سكان الإيالة. ففي 26 جانفي 1804 كتب (Lear) ما يلي حول الموضوع: «... على الرغم من عدم ظهور السفينة البريطانية، إلا أن الأتراك والمور أصابهم نوع من التوتر والخوف، لأنهم رأوا التأثير الكبير من طرف اليهود على الداى، وتفننهم في الإيقاع بين البريطانيين والإيالة. اليهود يعلمون هم أيضا خطورة الوضع ويعرفون أن خطأ كهذا في التصرف سوف يكون صعبا، لاحتمال هجوم خارجي يضاف إلى التدهور الداخلي للأوضاع»⁵. العلاقات الجزائرية البريطانية – بعد هذه الحادثة- اتسمت بالغموض والفتور وبلغت قمة التوتر سنة 1816 بسبب حملة اللورد إكسموث.

4- اليهود والعلاقات الجزائرية الأمريكية:

¹ - Ibid., p 12.

² - Ibid., p 12.

³ - Ibid., pp 13- 14.

⁴ - Ibid., p 14.

⁵ - Tobias lear,op-cit, p 11.

حاول اليهود رسم العلاقات الجزائرية الأمريكية وفق تصورهم الخاص ،فهذه الدولة الناشئة سيحدد اليهود علاقتها مع الإيالة في الوقت المناسب.

كانت العلاقات الانجليزية الجزائرية جد وثيقة رغم مرورها بأوقات توتر عالية، تصل إلى التهديد والمواجهة بين الطرفين غير ان المساعي الدبلوماسية لانجلترا (هدايا المناسبات ،التودد للحكام) في بعض الحالات، مكن انجلترا من حماية تجارتها من القرصنة المغربية، وكانت سفن المستعمرات التي تحمل وثائق صادرة عن وزارة البحرية البريطانية والتي يكون معظم بحارها من الانجليز، تتمتع بوعد بالحصانة وعدم الاعتداء عليها بموجب نصوص معاهدات عقدت بين بريطانيا والإيالة. ولكنه لضمان تنفيذ هذه المعاهدات احتاجت الحكومة البريطانية إلى الاحتفاظ بالسفن مسلحة باستمرار في البحر الأبيض المتوسط¹. وسياسة البريطانيين هذه في البحر الأبيض المتوسط، وعلى الرغم من تعرضها للنقد كانت مفيدة للغاية للمستعمرات الأمريكية، فقد وفرت شرطا اساسيا لتجارة مربحة، كما سمحت هذه السياسة للمستعمرات الأمريكية بعدم دفع الضرائب وضمنت لسفنها مناعة وحصانة لم تكن لتتمتع بها سوى الدول الأوروبية الأكثر قوة، وهذه النقطة توفر بعض التعويض على القيود التي فرضها عليها النظام الاستعماري البريطاني².

الثورة الأمريكية غيرت الكثير من هذه العلاقات، فبعد إعلانها مباشرة سحبت الحكومة البريطانية الوثائق التي كانت تمنحها للسفن الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط، وبذلك أصبحت سفن المستعمرة السابقة عرضة لسفن القرصنة المغربية. ووجدت الجمهورية الجديدة نفسها في موقف صعب، لأنها لن تتمكن في وقت قصير من شراء الحصانة من أعمال القرصنة، أو من إرغام الدول المغربية على عدم

¹ - إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776- 1816)، وهو ترجمة كاملة لكتاب: Raw W. Irwin, The Diplomatic Relations of The United States with Barbary Powers (1776- 1816)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1978، ص 41.

² - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 42.

التعرض لسفنها. وزيادة على ذلك فإنه لا يوجد سوى احتمال ضئيل في أن تتمكن الجمهورية الجديدة من الحصول على حماية لنفسها بواسطة تدخل الدول الأوروبية الصديقة لدى الدول المغربية بصفة عامة والإيالة بصفة خاصة، ولكن الدول الأوروبية التي تعتقد أنّ من حسن السياسة أن تساعد القرصنة من أجل الحصول على فوائد لا تشاركها فيها كثير من الدول التجارية المنافسة لها، لن تقوم بتوفير مثل هذه الحماية لدول بحرية ناشئة¹.

لجأت الولايات المتحدة إلى سياسة المفاوضات لعقد معاهدات مع كل من المغرب وطرابلس والجزائر، وبالفعل تم عقد معاهدة مع المغرب سنة 1788، وعلى غرار هذه المعاهدة جرت محاولات² لعقد معاهدات أخرى مع كل من طرابلس والإيالة. وقد عُيّن lamp كمبعوث إلى الإيالة 25 مارس 1786، وفور وصوله شرع في المفاوضات مع الداوي. ولكنه واجه العقبة الأولى برفض الداوي عقد معاهدة للسلم، ولكنه رضي أن يستقبل المبعوث الأمريكي إذا أراد التفاوض حول فدية مواطنيه، وبالفعل رضخ المبعوث لشرط الداوي، غير أن الداوي طلب فدية ضخمة قدرها بـ 59.496 دولار لعشرين أسيرا³. Lamp الذي اقتنع بأن كل احتجاج وجدال لا فائدة منه، قرر العودة إلى أوروبا وبالفعل فشلت المفاوضات لعدم موافقة الولايات المتحدة على المبلغ⁴.

محاولة أخرى تمت بين سنتي 1790-1796 بعد توارد عدة تقارير من الإيالة تؤكد على أنه الظرف الملائم لعقد معاهدة مع الداوي ، حيث كتب ريتشارد أوبراين يقول: « إنّ شؤون أعدائنا الثلاثة، الفرنسيين، والاسبان، والبريطانيين في الجزائر مضطربة ونفوذهم بدأ

1 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 42.

2 - نفسه، ص ص 50-62.

3 - نفسه، ص 65.

4 - نفسه، ص 65.

بالتراجع بصورة ملحوظة»¹. وكمحاولة ثانية عيّن الكونغرس في جوان 1792 'جوان بول جونز' للقيام بمهمة التفاوض مع الداوي، وليعمل بعد ذلك كقنصل للولايات المتحدة في الإيالة لكنه توفي قبل وصوله²، وعين بعده باركلي الذي أخذ يستعد للسفر بعدما تلقى التفويض وفي نفس الوقت الذي كان منهما فيه بالاستعداد للقيام بمهمته وقع ضحية المرض وتوفي هو الآخر³. هذه الأحداث السيئة حتمت اختيار مبعوث ثالث وتبعاً لذلك منح التفويض في هذه المهمة إلى دافيد هامفري، وزير الولايات المتحدة المفوض في البرتغال وفي نفس الوقت عين القبطان كاتينج في منصب السكرتير لهامفري وكان هذا في سبتمبر 1792. وأخيراً توجت مجهودات "هامفري" بالنجاح ووافق الداوي على عقد معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي 2 مارس 1796 قام مجلس الشيوخ الأمريكي بالتصديق عليها⁴.

المعاهدة الجزائرية الأمريكية لم تكن لتتم لولا مساعدة اليهود وخاصة جوزيف كوهن بكري⁵ الذي وصف كاتكارت دوره: « عندما وصل أحد مبعوثي الولايات المتحدة (سلون فليب) طلب مسئولو الإيالة منّي ومن بكري مرافقة المبعوث إلى الداوي، فأما اليهودي بكري فقد رفض القيام بمثل هذه المهمة بإصرار وبالتالي فكلما قامت صعوبة في وجههم طلبوا إليّ أزالتها من طريقهم، ولكنهم متى كان هناك اتصال من شأنه أن يرضي الداوي سارع اليهودي بالتدخل إلى الممثلين الأمريكيين، ومتى كانت المهمة مشكوكاً بها ويحتمل أن تكون مرضية للداوي،

1 - اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 65.

2 - نفسه، ص 86.

3 - نفسه، ص 87.

4 - نفسه، ص 108.

5 - Eisenbeth, Les juifs en Algérie et en Tunisie, op.cit., p 374.

بقدر ما يمكن أن تكون ماثرا لسخطه وغضبه، قبل اليهود القيام بها ثم ساروا إلى قاعة القهوة في القصر ثم يرجعون بكذبة إلى ممثلينا دون أن يحظوا حتى بمجرد رؤية الداوي»¹.

واحتوت المعاهدة التي تمت بين الولايات المتحدة والإيالة على 22 مادة، تتصل معظمها بالاستيلاء على السفن والمطاردة والتحرش وتنص على تزويد السفن الأمريكية بجوازات المرور في ظرف 18 شهرا بعد توقيع نص المعاهدة كما أن البلدان الأجنبية لا تستطيع بيع السفن الأمريكية في الجزائر لكن يسمح للأمريكيين ببيع غنائمهم في موانئ الجزائر².

ولكن وحتى عند هذه المرحلة بقيت مشكلة عويصة وهي كيفية توفير المال الضروري لكي تصبح المعاهدة نافذة المفعول، هذه الوضعية زادت قلق الداوي حسن بسبب التأخير في دفع المبالغ المتفق عليها وراح يهدد باستئناف أعمال القرصنة. وفي شهر مارس سنة 1796 صرح الداوي بأنه سيعلن الحرب على الولايات المتحدة وطمعا في الحصول على تمديد المهلة اضطر ممثل الحكومة الأمريكية في الجزائر المستر بارلو إلى التضحية ببارجة حربية مسلحة بستة وثلاثين مدفعا قدمها للداوي بناء على نصيحة اليهودي الذي نال هو الآخر مبلغا قدره 18000 دولار لقاء خدماته لتسوية القضية التي كانت صعبة للغاية حسبما يذكر كاتشارت³ الذي تمكن بشق الأنفس من الحصول على مهلة ثلاث أشهر بمساعدة اليهودي جوزيف كوهن بكري الذي بذل مجهودا كبيرا في إقناع الداوي بأن مال المعاهدة سوف يصل في ظرف شهرين أو ثلاثة أشهر على أكثر تقدير⁴. وبالفعل وصل مال المعاهدة في جويلية 1796- وقام الداوي بإطلاق سراح الأسرى ونقلهم على متن

1 - كاتشارت، المصدر السابق، ص 244.

2 - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 112.

3 - كاتشارت، المصدر السابق، ص 168-185.

4 - نفسه، ص 242.

4 - نفسه، ص 194-213.

سفن تابعة لليهود تحمل العلم الأمريكي وبعد نزول الأسرى في مرسيليا قفلت السفينة راجعة إلى الإيالة. ولكن الانجليز استولوا عليها وغنموها، وقد قدر بكري وشركاؤهم خسارتهم بـ 400.000 دولار وقدموا فاتورة هذا المبلغ إلى القنصل الأمريكي مطالبين بتسديده، وجاء في الدعوى أن علم أي دولة ترتبط بعلاقات سلام مع الإيالة يحمي السفينة وما فيها من بضائع. القضية كادت أن تؤدي إلى قطع العلاقات بين الإيالة والولايات المتحدة الأمريكية لولا توصل الطرفين إلى حل تمثل في تسجيل المبلغ كدين على الولايات المتحدة¹.

العلاقات الجزائرية الأمريكية مرت بفترة توتر أخرى بعد سنة 1805 لكنها سويت بعد ذلك، وخلال الفترة ما بين (1808-1811) لم يظهر في العلاقة بين البلدين ما يقلق، أما تلك المشاكل الصغيرة فقد عالجها قنصل الولايات المتحدة لدى الإيالة آنذاك السيد Lear بنفسه². ولكن يبدو أن بداية سنة 1812 كانت تؤذن بنهاية عهد الصداقة بين البلدين بسبب تأخر الضريبة المستحقة على الولايات المتحدة، وامتعاض الداى من بقاء لير الذي كان مصدر إزعاج بسبب مدافعتة عن مصالح بلاده. السيد "Lear" لم يستمر طويلا في منصبه كقنصل لأن الداى حسن أمر بطرده، وهدده بالسجن هو ومواطنيه إن لم يقيم بتسديد ما على بلده من مستحقات، وهذا ما ألجأه إلى شركة بكري اليهودية لطلب قرض. جاكوب بكري لم يفوت فرصة وقوع Lear تحت الضغط وطالب بفائدة عالية جدا وصلت إلى 50% عن المبلغ المقترض.

ونشاط العائلة لم يتوقف عند هذا الحد، فجاكوب بكري كان حلقة الوصل بين المبعوث الأمريكي (Keen) والداى للاتفاق حول قضية إطلاق الأسرى الأمريكان في الإيالة سنة 1813، وقد كتب (Keen) إلى مردخاي سفير الولايات المتحدة في تونس حول الموضوع: « لقد قدمت نفسي إلى جاكوب بكري، ووجدته غاية في الأدب واللياقة وأخبرني بدون تردد أن الداى ليس مستعدا فقط بل متلهفا في الواقع لعقد

¹ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 237.

² - نفسه، ص 237.

معاهدة مع الولايات المتحدة، وكمساعدة له في هذه المفاوضات، حدد مبلغا عاليا على المواطنين الأمريكيين الذين هم في قبضته»¹. محاولات إطلاق سراح الأسرى وعقد معاهدة جديدة مع الولايات المتحدة فشلت لأن الداى اشترط على الولايات المتحدة أن تدفع المستحقات المتأخرة من المعاهدة الأولى، زيادة عن مليوني دولار مقابل مرور السفن الأمريكية في مضيق جبل طارق. ونتيجة لهذا الفشل قررت الولايات المتحدة وضع حد للإتاوة السنوية وأعلنت الحرب على الإيالة سنة 1815، و أعلن Keen في وقت لاحق أن سبب تدهور العلاقات بين البلدين مرده إلى عائلة بكري التي تعاونت مع مسؤولي الإيالة لابتزاز ما يمكن ابتزازه من الولايات المتحدة².

اليهود وخاصة عائلة بكري خدموا الولايات المتحدة لخدمة مصالحهم، وكان يهتمهم في البداية عقد معاهدة بينها وبين الإيالة لأجل تطوير تجارتهم التي كانت قد بدأت مع الدولة الناشئة بعد الثورة، حيث امتدت تجارتهم إلى نيويورك³. كما أنّ توفير الهدايا والتوسط في فداء الأسرى زيادة على منح القروض إلى القناصل الأمريكان في الإيالة تشكل فوائد كبيرة، وكان اليهود يرفضون التنازل عنها حتى ولو تطلب الأمر التضحية بالمصالح العامة، وحتى بمصالح الداى الخاصة، ولعل نشاطهم هذا هو ما لخصه Lear سنة 1803 بقوله: « لقد وجدت بأن بكري وبوجناح يقومان في الغالب بتوفير هذه الهدايا التي كان من العادة تقديمها في مثل هذه المناسبات، وأن شؤوننا تكون محل عناية كبيرة إذا اشترينا منهم هذه الهدايا، حتى نستعمل نفوذهم مع الداى والذي يبدو أنه كبير»⁴.

5- دور اليهود في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية:

1 - علي تابليت، المرجع السابق، ص ص 178.

2 - علي تابليت، المرجع السابق، ص ص 178-179.

3 - Hildsheimer, op.cit., p 231.

4 - علي تابليت، المرجع السابق، ص 179.

على الرغم من أن العلاقات اليهودية الفرنسية اتفقت فيها المصالح والأهداف في بداية الأمر، إلا أن هذه العلاقة عرفت منحنى آخر عندما طفت قضية "الديون" على سطح الوفاق اليهودي الفرنسي، وتآزمت بموجبها العلاقات الجزائرية الفرنسية حيث ادى غياب الوثائق الرسمية الى غموض قضية الخلاف اليهودي الفرنسي الذي ظاهره ديون مترتبة على فرنسا الا ان عمقه نجعله، فكلما الطرفين تحولا الى خصمين بعد الود الكبير الذي جمع بينهما عقدا من الزمن وبالتالي تحول الامر الى قضية سياسية شائكة ، في ظل فقدان الوثائق الأصلية ذات الطابع المحاسباتي التي تبين المبالغ المستحقة على فرنسا تجاه اليهود، والمستحقة على اليهود بدورهم إلى خزينة الدولة وإلى أشخاص آخرين تجهل أسماءهم. طرحت هذه القضية في البرلمان الفرنسي سنة 1820. كما يذكر (Charles André Julien) في مقاله المهم: « La question d'Alger devant les Chambres sous la Restauration » الذي اعتمد فيه بشكل كلي على وثائق أرشيف البرلمان الفرنسي وخاصة تلك المتعلقة بمناسبة طرح قانون 8 جويلية 1820 الخاص بقضية تسديد الديون للتصويت، وبهذه المناسبة كان البارون (De Pasquier) وزير الخارجية الفرنسي آنذاك محل مساءلة من طرف النواب لأجل حل تمهيدي للقضية، ومحاولت تطبيق المعاهدة التي عقدت بين إيالة الجزائر وفرنسا سنة 1801 التي تقضي معظم بنودها بضرورة تسديد الديون المترتبة على فرنسا ثمن الحبوب التي استوردتها.

نواب المعارضة وعلى رأسهم المعارض المتطرف (Alexandre de Lameth) انطلقوا في معارضتهم للقانون من حجج تبدو منطقية جدا، أهمها أنه لا توجد وثائق أصلية يمكن الاعتماد عليها خاصة فيما يتعلق بقضية تزويد دار بكري وبوجناح لفرنسا بالحبوب، فالنائب شكك في القضية كلها بقوله: «... بل إننا لا نعلم أن وجهت هذه الكميات من الحبوب فعلا إلى فرنسا، هل وجهت للمنفعة العامة؟ هل كانت الحبوب ذات جودة؟... نحن لا نملك وثائق تبين ذلك كما أن السفن التي وجهها اليهود لفرنسا كانت كثيرا ما تأسر من طرف القراصنة الجزائريين ويعاد بيعها سواء في الجزائر أو في جبل طارق بأسعار زهيدة مقارنة بحجمها الحقيقي ليعاد بيعها لفرنسا التي كانت في عز

أزمتها وقتئذ، وهذه العملية كثيرا ما تمت عدة مرات لأن سفينة واحدة كانت تباع أكثر من ثلاث مرات لفرنسا، لماذا ديون كهذه وبهذا الحجم لم توثق بعقد رسمي، كما أن كميات ضخمة ومعتبرة من هذه الحبوب التي وجهت لنا سدد ثمنها، بعد معاهدة 1801، وبعد كل هذا يطالبون بأربعة وعشرين مليون فرنك ! إنها قيمة لكميات هائلة من الحبوب هل استهلكها فعلا جيشنا في إيطاليا؟؟¹.

غير ان ظهور مدينين لبكري يطالبون بديون لهم عليه عن طريق إظهارهم لوثائق رسمية مختلفة (كمبيالات، سفتجات) تثبت ادعائهم آثار قضية أخرى، وهي تلك التي تتعلق بديون بكري للداي، أو لخزينة الإيالة التي لم توثق هي أيضا، وظلت محل شك واستفهام لم يحسم إلى الآن؟ ونضيف إلى ما سبق مسألة تخفيض الديون من أربعة وعشرين مليون فرنك فرنسي – عبر عدة مراحل- لتصل إلى سبعة ملايين فرنك، و حمدان خوجة يعلل بأنها تنازلات قدمت من طرف اليهود لأن الأمر المهم بالنسبة لهم في تلك الظروف كان الحصول على سيولة مالية² ، غير انه ماثير الريبة لماذا سكت اليهوديان مدة من الزمن ولم يطالبا بديونهما؟ ماهو سر انقلاب اليهوديان على الحكومة الفرنسية؟ ام هي حيلة بين الطرفين لتطبيق مشروع الاحتلال ؟

ترجع هذه الديون بين الإيالة وفرنسا كما أشار البارون De Pasquier خلال افتتاحه للجلسة العلنية للبرلمان سنة 1820 إلى ما بين سنتي 1793- 1798، حينما قدم كل من اليهوديين بكري وبوجناح كميات هائلة من القمح لتموين وسط وجنوب فرنسا، وكذا لتموين الجيش الفرنسي خلال حروبه، غير أن أغلب الكميات التي تلقتها فرنسا لم تسدد قيمتها³. الوزير اكد بأن حملة فرنسا على مصر كانت سببا في أزمة غير منتظرة بين الإيالة وبلده وحالت دون تسديد الديون وحل المشكلة العالقة – بصفة جذرية وكاملة- بين البلدين الذين تربطهما علاقات اقتصادية منذ أمد بعيد. وبعد هذه القطيعة عقدت معاهدة صلح بين الطرفين في 17 أكتوبر 1801 وأسفرت عن استرجاع فرنسا

¹ - Charles André Julien, « La question d'Alger devant les chambres sous la restauration », in R.A, N°60, OPU, Alger, 1919, pp 278- 281.

² - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 178.

³ - Charles André Julien, op.cit,p274

لامتيازاتها الاقتصادية مقابل تعهدها بتسديد الديون المترتبة عليها بالإيالة، لكن تماطل فرنسا في تسديد ما عليها أدى إلى مشاكل جديدة وصلت إلى نزع الامتيازات من فرنسا ومنحها لانجلترا سنة 1807، وكانت القطيعة مرة أخرى من سنة 1807 إلى 1815 بسبب رفض نابليون تسديد الديون¹.

كانت هذه الخلفية التاريخية لقضية الديون كما وضحها الوزير De Pasquier، أما (Esquer) فيؤكد بأن اليهوديين بكري وبوجناح، طالبا - فرنسا وبعد مرور فترة جد وجيزة على تصديرهم لعدة شحنات من الحبوب إلى موانئ مرسيليا- بواسطة ممثلهما هناك أي بمرسيليا وباريس سنة 1793، Simon Aboucaya من الحكومة الفرنسية تسديد ما عليها من ديون، ولكن وزير الخارجية آنذاك Delacroix رفض طلبهما هذا وراسل وزير المالية الفرنسي قائلاً: «... نرجو منكم أن تؤجلوا تسديد ديون اليهود حتى نجبرهم على التخلي عن دسائسهم مع الانجليز الذين يفضلونهم عنا في سواحل شمال إفريقيا... فهم يأملون في تطوير علاقاتهم التجارية معهم»². رفض الحكومة الفرنسية إيفاء ما عليها من ديون جعل الداى حسن يكتب إليها في 18 ماي 1797 ما يلي: «أعلمني كل من بكري وبوجناح بسوء الفهم الذي بني على معلومات خاطئة مفادها بأننا سنعطي ما للوكالة الإفريقية من امتيازات للانجليز، وبأن هؤلاء -أي الانجليز- سيحصلون على تلك الامتيازات بفضل المدعويين بكري وبوجناح يجب أن تصدقونا فمواطنينا وممثلينا غير قادرين عن التخلي عن فرنسا بهذه الطريقة الخطيرة. أصدقاءنا وحلفائنا القدماء، نؤكد لكم على الوفاء غير القابل للشك من طرف بكري وبوجناح وارتباط مصالحهم بمصالح فرنسا. ولكي نثبت لكم كم نتمنى توطيد وترسيخ العلاقات القائمة بين هذه الحكومة وفرنسا منذ قرن من الزمن، فإننا مستعدين لتموينكم أثناء حربكم بالحيوانات، والمواد الضرورية وكل ما تنتجه بلادنا. وسنحاول أن نلبي طلبات الجمهورية بكل سرعة وأمان، ونطلب منكم فقط مراعاة حسن معاملة

¹ - Ibid, pp 275- 276.

² - Esquer, op.cit., p 21.

رعايانا المقيمين عندكم خاصة أسرة بكري، وكذا سيمون أبوقية الذي سيتولى تسليمكم هذه الرسالة. ونرجو منكم أن تفضلوا بالتسديد الفوري للديون حتى يتمكن كل من بكري وبوجناح من مواصلة نشاطهم»¹.

وبعد مدة وفي نفس الإطار كتب الداى مصطفى الوزناجي إلى تاليران ما يلي: «مضى وقت طويل على تزويد اليهود لفرنسا بكميات جد معتبرة من الحبوب في وقت كانت هي في أشد الحاجة إليه، ووجدت أشخاصا كانت لهم من الجرأة والشجاعة ما يكفي لتقديم تنازلات في طريقة الدفع، بتقديم الحبوب مسبقا وانتظار تسديد قيمتها في وقت جد حرج بالنسبة لفرنسا. حان الوقت لمجازاتهم لخدماتهم الجليلة وهذه المجازاة تكون بإعطائهم ما لهم عليكم ليتمكنوا في المقابل من إيفاء ما عليهم من ديون»². ولكن ورغم هذه المراسلات التي كانت تهدف إلى تسوية القضية إلا أنها بقيت مجمدة بحجة تمويل الإيالة للانجليز المتواجدين بجبل طارق بالمواد الغذائية.

حجم هذه الديون كان يتزايد مرة بعد أخرى، ففي سنة 1800 قدم سيمون أبوقية وثيقة إلى الحكومة الفرنسية جاء فيها أن الديون التي كانت لليهود على فرنسا بلغت ما قيمته 2.297.445 فرنك. وبناء على الوثيقة نفسها طالب وزير مالية مصطفى باشا الحكومة الفرنسية بتسديد المبلغ على شكل أقساط شهرية، تبلغ قيمة كل واحد منها 150.000 فرنك³. وبالفعل تمت الموافقة من طرف وزير مالية فرنسا، لكن حملة نابليون على مصر وما نتج عنها من توتر في العلاقات بين البلدين حال دون التسديد.

حملة فرنسا على مصر جعلتها تطلب من دار بكري وبوجناح تزويدها بكميات أخرى من الحبوب ولتأمين تمويل الجيش بما يلزمه قام جاكوب بكري وعدة تجار بتأسيس شركة مختصة بتزويد جيوش فرنسا بالقمح. ففي العاشر من 10 ديسمبر 1800 وقع جاكوب مع المدعو

¹ - Eugène Plantet, op.cit., T2, pp 462- 463.

² - Esquer, op.cit., p 22.

³ - Ibid., p 24.

Durieux عقدا يتعلق بتزويد جيش فرنسا في الراين (Rhin) بالقمح، بينما أوكل تزويد جيش فرنسا في إيطاليا إلى أعضاء آخرين من الشركة هم Antonini وFlachat وLapote. لكن بداية الشركة كانت سيئة بسبب هرب أحد الشركاء وهو المدعو Antonini بمبلغ قدر بثلاثة ملايين فرنك، واستمر اختفائه إلى سنة 1805، وبسبب ضغوطات مورست عليه قرر إظهار دفاتر المحاسبة الخاصة بالشركة ومعاملاتها، أنطونيني أظهر أيضا وثيقة أخرى موقعة بخط يده تثبت أن عليه لجاكوب بكري مبلغ 608.000 فرنك، وأنه قام باقتراضه في 5 جانفي 1802 (أي قبل خروجه من الشركة). جاكوب طالب بالمبلغ عدة مرات، ورغم الغموض الذي أحاط بهذه القضية إلا أن اتصالاته جعلته ينجح في إقناع فرنسا بإضافة هذا المبلغ إلى ما عليها من ديون له، لكون أنطونيني أحد المتعاملين مع فرنسا.

قيمة الديون ارتفعت بعد سنة 1802 إلى خمسة ملايين ونصف، ثم إلى ما يقارب 7.942.992 فرنك، تقاضى منها بكري وبوجناح ما قيمته 3.175.631 فرنك¹. ورغم تسديد أقساط منها إلا أنها كانت ترتفع حسبما تذكره المصادر سنة بعد سنة، ولا ندري على أي أساس. ففي منتصف 1804 وصلت إلى 8.151.000 فرنك وتلقى اليهود بكري وبوجناح ما قيمته 1200.000 فرنك، ورغم هذا لم ينل الداى أي نصيب من هذه القيمة².

كما أن محاولات أخرى لتسديد الديون وحل هذه القضية بشكل نهائي، كانت بعد سنة 1805، ولكنها باءت بالفشل وتضاءلت الآمال نهائيا في الحصول على تسوية كاملة للمشكلة بعد سنة 1807 السنة التي انتزعت فيها الامتيازات الاقتصادية في الشرق الجزائري لتمنح إلى إنجلترا عدوة فرنسا التقليدية. وبحلول سيف سنة 1815 عين السيد دوفال Pierre Deval قنصلا لفرنسا، ومنذ تعيينه سعى إلى تقديم عهد بإنهاء قضية الديون، وهذه الوعود عُرزت في السنة الموالية لتعيينه (أي سنة 1816) بعدة هدايا (ذهب، ساعات جيب ثمينة، ساعات

¹ - Esquer,op-cit, p 25.

² - Ibid., p 25.

حائطية، أسلحة خفيفة) فاقت قيمتها 112.954 فرنك وبسبب حملة اللورد إكسموث Lord Exmonth قام الداى علي خوجة بسحب الامتيازات الاقتصادية للشرق الجزائري من انجلترا وإرجاعها إلى فرنسا، وبعد رجوع الامتيازات إلى فرنسا، كونت لجنة من مستشارين: (Hély D'Oissel, Monnier, Bessires et Demalartic) للفصل في قضية الديون التي ارتفعت إلى ما يقارب أربعة وعشرون مليون فرنك. قيمة هذه الديون وبعد مفاوضات مع اليهود خفضت إلى ثمانية عشر مليون، ثم إلى 13.895.843 مليون وأخيرا إلى سبعة ملايين فرنك فرنسي، ونتيجة لهذا قررت اللجنة أن تقوم الحكومة الفرنسية بتسديد هذه القيمة على شكل دفعات تقدر الواحدة منها بـ 583.333.33 فرنك تدفع كل عشرة أيام إلى أصحابها مع الاحتفاظ بما على جاكوب بكري من ديون لأشخاص يحملون الجنسية الفرنسية أو مؤسسات فرنسية وهم: الوكالة الإفريقية بمبلغ قدر بـ 111.079 فرنك، إسحاق تاما Isaac Tama، وجوزيف أقيون Joseph Aigulion بمبلغ قدر بـ 564.130 فرنك وسان ماري Sein Mairy بمبلغ قدر بـ 2.500 فرنك¹. قرارات اللجنة لم تنفذ، لكن رغبة فرنسا في المحافظة على امتيازاتها ومكتسباتها الاقتصادية، فرضت عليها ضرورة إيجاد حل جذري لمشكلة ظلت تعكر صفو العلاقات بينها وبين الإيالة، ودفعتها إلى محاولة تسوية القضية عن طريق البرلمان انطلاقا من مشروع قانون 20 جويلية 1820 الذي طرحه وزير الخارجية De Pasquier.

القانون لاقى معارضة شديدة من نواب اليمين الذين حاولوا التشكيك في مصداقية هذه الديون، على رأسهم Lameth، ولكن الوزير De Pasquier أجاب على كل ما طرح خلال جلسات طويلة، اتسمت بالخلافات الحادة، وكان رده للنائب Lameth كالآتي: « القضية أصبحت قضية دولة وهي المحرك الأساسي للعلاقات الجزائرية الفرنسية، كما أن الديون حقيقة وما يثبتها معاهدة سنة 1801 لأن التوقيع

¹ - Feraud, Histoire de la Calle, op.cit., p 595.

عليها يشكل اعترافا واضحا بديون كانت قبل تاريخ التوقيع»¹. ورغم اشتداد المناقشات والتعليقات والاعتراضات بعد ردود الوزير De Pasquier على من عارضوه بقوة ممن أجمعوا على أن الديون التي يطالب بها اليهود مشكوك فيها، وإذا كانت صحيحة يجب أن تثبت بوثائق كوصول الاستلام التي تثبت الزمان والمكان والكمية والنوعية التي صدرت². ورغم طول المناقشات التي شهدتها البرلمان الفرنسي للمصادقة على قانون 18 جويلية 1820 لتطبيق معاهدة 1801 بين الإيالة وفرنسا، ورغم التشكيك في مصداقية الديون، إلا أن القانون الجديد اعتمد أخيرا بأصوات قدرت بـ 68 صوت من ضمن 119 صوت³. أما الحكومة الفرنسية التي عدت اعتماد القانون نصرا بالنسبة لها، وبداية النهاية لقضية الديون التي طرحت طوال سنوات عديدة، فشلت في حل القضية نهائيا⁴. هذه القضية التي لم تحسم كانت النقطة الفصل في انتهاء العلاقات الودية والسلمية بين إيالة الجزائر وفرنسا. ففي 30 أبريل 1827 وفي إطار ما يقوم به قناصلة الدول الأوروبية المعتمدة لدى الإيالة من زيارات إكرام للداي بمناسبة العيد، قام السيد دوفال بتأدية زيارته بمحضر جميع أعضاء الديوان، وبعد انتهاء مراسيم الحفل قام الداي حسين بسؤال القنصل الفرنسي عن سبب عدم إجابته عن برقيات العديدة الخاصة بمطالب بكري. حمدان بن عثمان خوجة الذي كان حاضرا يصف الحادثة كما يلي: « فكان جواب السيد "دوفال" في منتهى الوقاحة إذ جاء كالاتي: "... إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم"»⁵. حمدان أرجع سبب إجابة دوفال بهذا الأسلوب الوقح إلى جهله باللغة، وأكد أن الداي كان من الممكن أن يلتمس عذرا للقنصل لو وقع ذلك بمناسبة أخرى، ولكن هذه الكلمات أمام حاشيته قد مسته، وأثارت سخطه إلى درجة أنه لم يتمالك نفسه من الغضب وضربه

¹ - Charles André Julien, La question D,alger, op.cit, Pp 285- 287.

² - Ibid, pp 285- 287.

³ - Ibid., p 292-293..

⁴ - Charles André Julien,op.cit, p 293.

⁵ - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 180.

بالمروحة ضربة واحدة¹، هذه الحادثة اختلفت صيغ روايتها وتعددت، وأصبحت أقرب إلى الأسطورة من الواقع. فأحمد شريف الزهار يختلف مع حمدان بن عثمان خوجة حول كيفية وصول أخبار الحادثة إلى السلطات في فرنسا حيث يؤكد حمدان بأن القنصل دوفال أفاد من الظروف، ولتغطية سلوكه وإسدال ستار النسيان على عباراته الوقحة عرض ضربة المروحة بكيفية غير موثوقة². أما الزهار، فيذكر أن القنصل رجع إلى داره وسكت، ولم يفش شيئاً من ذلك إلى أن فشي ذلك الخبر بين القناصل الذين اجتمعوا بدوفال، وسألوه عن تفاصيل الحادثة فسردهم التفاصيل، وقرر بناء على ما حدث من تسريب تفاصيل القضية وإخبار مسؤوليه³.

وبغض النظر عن مدى مصداقية الروايتين، فإن وصول خبر إهانة القنصل دوفال إلى باريس أثار الرأي العام الفرنسي بشكل ملفت⁴، فالحادثة انجر عليها حصار بحري فرنسي على السواحل الجزائرية، بعد رفض الداي حسين لشروط الترضية، وقد اعتمدت فرنسا في فرض شروط الترضية التي تطالب بها على مبدأ القوة الحربية، وأسلوب التهديد العسكري وحده، مما أدى إلى فشل مساعيها لأنها تتنافى مع كل تسوية سلمية يمكن أن يقبل بها مسئولوا الإيالة. شروط الترضية تمثلت فيما يلي: في أن يبعث الداي حسين باشا إلى السفينة الملكية الفرنسية La Provence التي يتواجد بها السيد دوفال، بوفد مكون من الشخصيات البارزة وعلى رأسها وزير البحرية والشؤون الخارجية المعروف بوكيل الحرج ليقدّم للقنصل الفرنسي الاعتذارات الرسمية وبعدها مباشرة يرفرف العلم الفرنسي على كل حصون مدينة الجزائر، وتطلق مئة طلقة مدفعية لتحيته⁵. وقد حُدد أجل قبول هذه المطالب بأربع وعشرين ساعة فقط، وذلك لإرغام حكام الإيالة على قبول شروطهم المهينة، وليحولون دون استعداد حربي معادٍ لفرنسا. سكان الإيالة وقفوا موقف اندهاش، واستنكار من شروط فرنسا. كما أن الداي اعتبر تلك

3- ينظر، أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص 164.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، ص 180.

3 - أحمد شريف الزهار، ص 164.

4 - Charles André Julien, La question d'Alger ibid, p 293.

5 - ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 82.

التهديدات وذلك الحصار مجرد عملية ضغط موجهة ضده شخصيا بقصد إثارته وإزعاجه، وليس لها أي أثر مباشر على البلاد¹. وأدى تصلب موقف الطرفين إلى أحداث حربية وقعت أثناء الحصار، وكانت أهمها المعركة البحرية التي دارت أمام ميناء الجزائر يوم 4 أكتوبر 1827 وانتهت لصالح الداى، هذه المعركة وغيرها جعلت فرنسا تفكر في إمكانية التوصل إلى تسوية الخلاف مع الداى بشكل يتماشى مع المصالح الفرنسية، ولكن هذه التسوية لم تتم. ورغم الرأي المتعارف عليه عند الكتاب الفرنسيين من أن الحصار البحري ما هو إلا عملية مؤقتة ومحلية اقتضتها الخلافات الدبلوماسية الحادة بين حكومة فرنسا وداى الجزائر، إلا أننا لا نرى ذلك لأن قرار الملك شارل العاشر بتجنيد الجيش والبحرية استعدادا للغزو يوم 7 فيفري 1830 كان تأكيدا على نوايا فرنسا العسكرية لاحتلال الإيالة، وهذا ماذكرناه سالفا فالقضية ليست قضية ديون او حادثة المروحة المهينة لفرنسا ، وانما كانت مسألة ربح وقت وحلول فرصة اعلان الحرب على الجزائر ،لان مشروع الاحتلال الذي وضعه Boutin صار جاهزا لتطبيقه .

قضية الديون وما تحمله من تساؤلات غامضة، ما زالت تحتاج إلى الدراسة العميقة للوقوف على كل تفاصيلها التي تساعد على إلقاء الضوء على دور اليهود الخطير في إيصال الإيالة إلى طريق مسدود قادها إلى وطأة الاستعمار مائة وثلاثون سنة.

6- موقف اليهود من احتلال مدينة الجزائر:

لم ينتظر يهود الجزائر، على تعدد مذاهبهم ، سقوط مدينة الجزائر ودخول الفرنسيين إليها منتصرين لإظهار ولائهم لفرنسا، لأن غدرهم قبل سقوط الجزائر بوقت طويل. فالحملة الفرنسية استعملت يهود مرسيليا ممن كانوا فرنسيين وأقاموا لمدة طويلة بالإيالة أو ممن كانوا يحملون الجنسية الجزائرية أصلا ممن نزحوا من الإيالة إلى مرسيليا في وقت عرفت فيه تراجعا كبيرا وخطيرا على جميع المستويات،

¹ - نفسه، ص 82.

بينما بدأت فرنسا تعرف نهضة اقتصادية تستطيع أن تؤهلها لتكون قلب أوروبا النابض على المستوى الاقتصادي، كترجمين رسميا للاتصال بالأهالي¹. ويصف شاهد عيان – حسبما يذكر كلود مارتن- موقفهم عند رؤية طلائع الجيش الفرنسي كما يلي: «... كانوا يقبلون أقدامنا وهندامنا طلبا للرحمة... ثم تظاهروا بصخب تعبيراً عن فرحتهم... ليلحق بهم جاكوب بكري عارضا خدماته على القائد العام»². جاكوب بكري أصبح أحد مستشاري الجنرال De Bourment ومن المؤثرين في سير القرارات التي يتخذها الجنرال.

حمدان بن عثمان خوجة هو الآخر يقدم شهادة عن موقف اليهود المخزي، وذلك من خلال موقف اليهودي جاكوب بكري الذي أجبر وكيل الحرج على أن يبيع له أثاث بيته الثمين، وأنواعاً أخرى مختلفة من أمتعة الزينة تقدر قيمتها الحقيقية بحوالي خمسين ألف فرنك بأربعة آلاف فرنك فقط، ولم يدفع له المبلغ نقداً بل وقع له على سند إلى أجل معلوم. وكيل الحرج لم يتقاض هذا المبلغ أبداً لأنه نفي بعدها بوقت قصير. جاكوب الذي تنكر لمسئولي الإيالة، لم يفوت حتى آخر فرصة للاستفادة من الداوي بابتزازه فيمجرد سقوط مدينة الجزائر سارع إلى "الداي حسين" ومعه وثيقة تثبت أنه منح قرضاً لحكومة البايلك بلغ خمسمائة ألف فرنك، وطلب منه أن يوقعها له مقابل قيمة وصلت إلى 125.000 فرنك يمنحها له. جاكوب رجع خائباً لأن الداوي أجابه – حسبما يذكر حمدان بن عثمان خوجة- قائلاً: « إن شرفي يمنعني أن أقوم بمثل هذه الأعمال»³. الداوي حسين، ورغم الظروف التي كانت تحيط به أعطى لهذا اليهودي من أمواله الخاصة- قبل أن يطرده- صدقة تمثلت في مبلغ من المال وصل إلى سبعة آلاف فرنك ليعيل أبناءه⁴.

¹ - André Chouraqui, La marche vers l'occident, op.cit., p 99.

² - Ibid., p 40.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 216.

⁴ - نفسه، ص 216.

وحسب الروايات التي تناقلها سكان الإيالة عند الاحتلال، فإن الداوي حسين حذر الجنرال "دوبورمون" من اليهود بقوله: « إنهم أنذل وأحقر ممن يسكنون القسطنطينية، استخدمهم في الأمور المالية والتجارية لأنهم أذكاء جداً، ولكن اجعلهم تحت نظرك»¹.

الموقف اليهودي لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه إلى تنفيذ اعتداءات خطيرة ضد المور والمسلمين ممن كانوا يصادفونهم في مختلف أزقة مدينة الجزائر، هذه الاعتداءات كانت تصاحبها عبارة: « يحيا الفرنسيون Viva les français»².

هذا الموقف المخزي لليهود يعلّله أغلب الكتاب اليهود وعلى رأسهم Claude Martin و André Chouraqui يبحث اليهود عن الحرية والمساواة التي لم يجدوها في ظل الحكم العثماني وخاصة تلك التي تتعلق باللباس والحرية الشخصية. هذه الحرية التي طمح إليها اليهود لم يجدوها لأنها كانت وهما انتهى عندما أصبح قانون كرميو ساري المفعول.

اننا لانستغرب تنكر اليهود للجزائر ارضا وشعبا، فهذا هو حالهم في كل زمان ومكان، لان اليهودي لايعترف الا بالمال دينا وبالمصلحة صديقا. غير ان العرب لازالوا بعد لم يستوعبوا منطق الشخصية اليهودية بعد.

¹ - Claude Martin, op.cit., p 42.

² - Ibid., p 42.

القسم الثاني

النصارى في إيالة الجزائر (1518م-1830م)

المفصل الأول

النصارى و الكتابات التاريخية حول إيالة الجزائر

الفصل الأول: النصاري و الكتابات التاريخية حول إيالة الجزائر

أولا- المصادر الغربية

1- فراي دياقودي هايدو Fray Diego De Haëdo :

راهب اسباني تعرض للأسر والاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578 بينما كان يستقل سفينة تابعة لقراصنة مالطا رفقة مائتين وتسعة وثمانين شخصا كلهم وقعوا في قبضة الأسر، وفي سنة 1581 تم إطلاق سراحه، وقام بنشر أعماله تحت عنوان "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام" ¹.

ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق النادرة والهامة التي ترتبط بالجزائر التي كانت محطة للأسرى المسيحيين ومركزا هاما من مراكز القرار العثماني التركي، وموقعا متميزا للقراصنة والإنكشارية .

وللكتاب أهمية كبيرة لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها أن صاحب هذا التأليف هو من الذين عاشوا ويلات الأسر في الجزائر، كما يعتبر من المستنيرين القلائل.

¹ - هذا الكتاب حسب رأي المحققين نسب خطأ للراهب دياقودي هايدو و الذي قام بنشره لأول مرة سنة 1612 م في مطابع دياقو فيرنانديث دي كردوبا بنفقة أنطونيو كويو أحد تجار الكتب و في الإهداء يشير الناشر الى نسبة هذا الكتاب الى أسقف باليرمو و حاكم مملكة صقلية Don Deigo de Haëdo الا أن كلا من الدكتور Emilio Zola و georges camicas فإنهما يؤكدان عدم صحة انتساب هذا الكتاب لدياقودي هايدو في حين يظل كل من الكتاب الفرنسيين Henri de Grammant . Ferdinand denis يلحان على وجود أسير بسجون الجزائر يعرف بهذا الاسم ما بين عامي 1578-1581 استنادا الى الأب بيير دان في مخطوطة : "مشاهير الأسرى" الموجود في مكتبة مزارين

الذين تعرضوا للأسر في سجون الجزائر شأنه في ذلك شأن غيره من مشاهير الكتاب الإسبان من أمثال " دي ثرفانتس ميقال"¹، لذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية لأنها صادرة عن شخص واع وعن شاهد عيان . ينقسم الكتاب الى بابين كبيرين باب خصّصه لتاريخ حكام الجزائر العثمانيين الأتراك وباب خصّص لوصف مدينة الجزائر العاصمة، فالجزء الأول منه تعرّض فيه المؤلف الى حياة الأسرى المسيحيين، كما تعرّض بالذكر في الجزء الثاني لشهداء العقيدة – حسب اعتقاده - منهم الذين ماتوا في غياهب سجون الجزائر الذين من بينهم على وجه الخصوص المسيحيون الإسبان، أما الجزء الثالث لقد خصّص للمرابطين الجزائريين أو رجال الزوايا.

ولقد اعتمد "هايدو" في كتابه على شهادات حيّة سجّلها من أفواه بعض الأسرى، كما اعتمد على المصادر التاريخية المعروفة " وصف إفريقيا لليون الإفريقي وجغرافية استربون Estrabon في تحديد المواقع الجغرافية الطبيعية والساحلية منذ عهد الرومان وقد خصص "الراهب هايدو" واحد وأربعين (41) فصلا للحديث عن كل أنواع الحياة الاجتماعية وعادات الجزائريين فقام كل من Berbrugger و Monnerou بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية العديدين 14 و 15 كما ظهر جزء خاص بملوك الجزائر قام بترجمته M De Grammont² .

-2 الأب بيير دان Père Pierre Dan :

¹ - كاتب إسباني، ولد سنة 1547، انخرط في الجيش الإسباني، توفي سنة 1616 م .
² - عبد الله حمادي : " جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان " مجلة المصادر المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954 العدد 06 مارس 2002 ص ص 14-15.

هو فرنسي الأصل والنشأة، ولكن المرجح أن يكون مولده في السنوات الأخيرة من القرن 16 م أو في مطلع القرن 17 م، حائز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت (Théologie) من جامعة باريس، وقد انخرط في سلك رهبان منظمة الثالوث الأقدس وافتداء الأسرى¹ وأهله علمه وتجربته ليشغل مرتبة مدير ورئيس لدير المنظمة ببلدة شيل (schell) الفرنسية على عهد الملك لويس الثالث عشر . بهذه الصفة شارك ضمن بعثة منظمة الثالوث الأقدس في رحلة الإفتكاك بشمال إفريقيا من أجل افتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر وتونس، ثم تقلد مهام إدارة ورئاسة دير المنظمة التي تأسست بالقصر الملكي فونطين-بلو (Fontaine-bleau) ليصبح في النهاية الراهب المقرب من الملك لويس الثالث عشر، وبذلك الصفة ظل على رأس الدير المذكور في عهد الملك الجديد لويس الرابع عشر، حيث سيكون في موقع متميز أهله لمتابعة مختلف رحلات زملائه رهبان منظمة الماتوران إلى شمال أفريقيا، لافتداء الأسرى، وخاصة رحلات 1641، 1638، 1643، 1645، و1648² .

بينما كانت رحلته إلى الجزائر يوم 12 جويلية 1634، بعد عوائق مختلفة أخرت موعد سفره، وقد مكنته رحلته من تحرير اثنين وأربعين أسيرا عاد بهم إلى فرنسا في مارس 1635، كما سمحت له تلك الزيارة أن يجمع المادة الأولية لكتابه " تاريخ برباريا وقراصنتها"³ الذي نشر بباريس سنة 1637، وفي السنة الأولى التي توفي فيها سنة 1649 ظهرت طبعة جديدة للكتاب بها إضافات كثيرة، وهي تضم حوالي 550 صفحة من الحجم الكبير (30 x 21.5 سم)، ويضم المتن ستة أجزاء موزعة على أربعة وسبعين (74) فصلا في المجموع .

¹ - تمثلت مهمة المنظمة في تحرير افتداء الأسرى الأوروبيين، حيث كانت تخصص ثلث مداخلها لذلك، وقد قامت بحوالي ستين (60) عملية افتداء انطلاقا من الأراضي الفرنسية من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، تم خلالها تحرير حوالي ستة آلاف أسير، أنظر : Denis.brahimi.op.cit.p.13 .

² - حسن، أميلي " النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولادي و الراهب بييردان "، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 123، طبعة 2005، ص 179 .

³ - Pierre Dan , Histoire de la barbarie et de ses corsaires , pierre rocolet , paris 1637 .

ففي الجزء الأول تحدث الكاتب على تاريخ القرصنة وشيوعها في شمال إفريقيا، خصص له ثمانية فصول، وتناول فيها تفسير مصطلحي "بارباريا" و "بارباري" مع وصف للبلاد وحكامها عبر التاريخ .

وفي الجزء الثاني أشار "الأب ببيردان" إلى المدن القرصانية في شمال أفريقيا، وأوضاعها وجزأه إلى 24 فصلا في خمس إخباريات: الخبر الأول: حول أوضاع مملكة الجزائر ومدينتها ودورها القرصاني، الخبر الثاني: حول مملكة تونس ومدينتها، وقراصنتها، الخبر الثالث تحدث على ممالك المغرب، ومدينة سلا ودورها القرصاني، الخبر الرابع خصص للمدن الإسلامية القرصانية الأخرى، الخبر الخامس، تحدث عن عقيدة الإسلام المنتشرة في شمال إفريقيا ومظاهر مجتمعا .

أما الجزء الثالث من الكتاب يتضمن أساليب العمل القرصاني ونتائجه، خصص له المؤلف ثمانية (08) فصول للاهتمام بالحياة العملية لقراصنة شمال أفريقيا مشيرا إلى أسباب نجاح المسلمين في هذا المجال، وكيفية استعدادهم وتجهيزاتهم المعتمدة، ثم يتطرق إلى أهمية المغانم وكيفية توزيعها .

وفي الجزء الرابع يشير المؤلف إلى أهمية العلوج، ووضعيتهم وأدوارهم القرصانية والعسكرية، وخصص لهم 10 فصول كاملة، منطرقا إلى دوافع المسيحيين في التحول إلى علوج، ومساعي المسلمين في إجبارهم على ذلك، ومع وصف للطقوس الاحتفالية، مقدما أعداد العلوج حسب المدن القرصانية، ثم يتحدث عن العقوبات التي يتعرض لها من ارتدّ منهم عن الإسلام، أو حاول الفرار إلى الأراضي المسيحية¹ .

¹ - حسن، أميلي: " تاريخ بربريا و قراصنتها للراهب ببيردان في م ت م مؤسسة التميمي للبحث و المعلومات زغوان ع 106 فيفري 2002 ص ص 176-177.

أما الجزء الخامس تحدث المؤلف حول معاناة المستعبدين المسيحيين، وكيفية افتدائهم، حيث وضعه في 16 فصلا تطرق فيه للظروف السلبية التي يعانون منها منذ سقوطهم في الأسر برا أو بحرا، وطرق استنطاقهم وبيعهم، والتعسفات وأنواع السخرة التي يتعرضون لها خصوصا في طواقم التجديف مع وصف أماكن الاعتقال وأساليب المعاقبة .

وفي الجزء السادس والأخير تطرق المؤلف إلى أدوار منظمة الثالوث الأقدس، يتضمن 08 فصول للتحدث عن ظروف نشأتها وانتشارها في العالم المسيحي واهتمامها منذ البداية بافتكاك الأسرى، كما أشار إلى أدوارها التاريخية في إسعاف وتحفيز الحملات الصليبية السابقة 1 .

لقد صاغ بيير دان كتابه بأسلوب اللغة الفرنسية القديمة متأثرا بعمق الروح الدينية الكاثوليكية نظرا لتكوينه المؤسس في علم اللاهوت، إذ لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب من الإشارات المسيحية الممجدة للكنيسة الكاثوليكية والمتعصبة ضد العقيدة الإسلامية.

ولقد اعتمد "دان" في تأليفه هذا على سعة اطلاعه التي يشهد عليها تنوع وغزارة المصادر التي اعتمد عليها، بدءا بالمصادر الدينية البارزة، ويتضح ذلك بجلاء في تعدد الإستشهادات المأخوذة من الكتب السماوية (الإنجيل، التوراة) غالى جانب الكتب اللاهوتية المعتمدة لدى الكنيسة والمؤلفة من طرف علمائها في مختلف العصور أمثال: القديس جيروم، القديس أمبرواز، القديس أغسطين، أوزيب، يوحنا وغيرهم، كما نجد حضورا قويا للفكر القديم في ثقافة المؤلف ومرجعياته، إذ أن أزيد من نصف مصادره تعود لفترة ما قبل القرن الثالث الميلادي، كما

¹ - حسن أميلي، المرجع السابق، ص ص، 178-179-180.

نجده عند تناوله لتاريخ شمال إفريقيا وأوضاعها يعتمد بصفة أساسية على معایناته الميدانية نظرا لضآلة الكتب المهمة بالمنطقة تاريخيا (ليون الإفريقي، مارمول كاربخال)¹.

للكتاب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ شمال إفريقيا وتاريخ الجزائر بشكل خاص، بفضل ما تتضمنه من معلومات جديرة بالاهتمام، ولاسيما الجزء الثالث من الكتاب، يتميز بغزارة المعطيات التي حاز بها المؤلف من موقعه كباحث من خلال المصادر المتنوعة التي استغلها ببطنة، أو من موقعه رحالة عين عن كذب بعضا من الوقائع المعاصرة أو كمؤرخ فضولي يستقصي الروايات والشهادات، والتي أنت في معظمها غير متعارضة مع سيرورة الأحداث، وتغطي لفراغ الذي خلفه التراث التاريخي المحلي خلال حقبة تميزت باضطراب الأوضاع، والتي يقابلها سكوت المصادر².

3- لوجيي دوتاسي Laugier de Tassy :

هذا الرجل غير معروف جيدا " فألبير دوفو" الذي وضع كشافا لأهم الفرنسيين الذين أقاموا بالجزائر من سنة 1686 حتى سنة 1830، خصص له نبذة صغيرة عن حياته اسمه الكامل Laugier jacques Philippe موظف لدى القنصلية الفرنسية بالجزائر كموثق للعقود بقرار يوم 27 جويلية 1717، وتم تسجيله بالجزائر يوم 16 جانفي 1718 وبعد إقامة دامت نصف سنة تقريبا، يغادر بسرعة وبلا رجعة يوم 02 جويلية 1718 تاركا للقنصل الفرنسي " م بوم " M. Baume عبء ديوان القنصلية .

¹ - حسن إميلي، تاريخ باربارا، ص ص 179-180 .
² - أنظر ترجمته و خصوصياته مؤلفه في : ببيردان : تاريخ باراريا و قراصنتها " تعريب حسن أميلي - المجلة التاريخية المغربية - مؤسسة التميمي : الأعداد 106-107-108 سنة 2002، تونس .

وقد شكّل رحيله نفسه موضوع ملاحظة في سجّل ديوان القنصلية " طلب لوجي الرحيل وقد ذهب على متن سفينة المعلم " موليني دوكاسيس Moulinier de cassis، هذا اليوم الثاني من جويلية سنة 1718 م وفي سنة 1725 يشغل منصب مفوض البحرية لملك فرنسا بأمستردام أين نشر كتابه " تاريخ مملكة الجزائر ولقد كان على اتصال مباشر مع واقع مدينة الجزائر ¹ .

وفي سنة 1727، يطبع بباريس بالعنوان الكامل: "تاريخ مملكة الجزائر، حكومتها وقوتها البرية والبحرية ومدخلها، الشرطة، القضاء، السياسة والتجارة وهذا المصدر عبارة عن دراسة دقيقة ومفصلة حول تاريخ الإيالة، نظامها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

ولقد تمّ إعادة طبع الكتاب عدة مرات سنة 1732، في أمستردام، سنة 1750 بلاهاي، كما تم ترجمته إلى عدة لغات إلى اللغة الإنجليزية، الألمانية سنة 1753، الإيطالية سنة 1754 والفرنسية سنة 1757 م .

إن موقف لوجيبي دوتاسي من خلال هذا الكتاب هو وضع حدّ لكل الأحكام المسبقة السائدة في أذهان رجال الدين في أوروبا، وتصحيح الأخطاء الشائعة والنظرة الحاقدة إلى الدول الأخرى وشعوبها خاصة في شمال إفريقيا وبالتحديد الجزائر، رغم أن هناك سلبيات في نظام الحكم التركي، إلا أن هناك ايجابيات لا يمكن إنكارها، وبذلك يمثل "دوتاسي" تيارا فكريا جديدا في أوروبا الذي بدأ يبرز في منتصف القرن 18 م².

¹ - Denis Brahimy , op.cit, p 121 .

² - Ibid, pp 121-122,125-126 .

4- الدكتور¹ توماس شو Thomas Shaw :

يعد من أشهر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا شمال إفريقيا في بداية القرن الثامن عشر، وهو انجليزي، كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر، ويتفق الجميع على قيمته مهمته العلمية التي أنجزها في هذا البلد خلال الاثنتين عشرة سنة التي أقامها بالجزائر من 1720 إلى 1732، إلا أنه في هذه الفترة رغم ارتباطاته بالوكالة، كان يسافر كثيرا حيث زار معظم المدن الجزائرية ووصل إلى جبال ترارا² (TRARA) غربا كما قام بجولة في وهران والمدن الساحلية الأخرى، وذهب شرقا إلى جرجرة، والسواحل مثل بونة وباستيون فرنسا، وبالإضافة إلى بلاد الجزائر زار الدكتور تونس، وبلاد المشرق كسوريا ومصر .

ولقد استطاع شو "أن يقدم عملا نادرا بعنوان "جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق في جزئين تضمنا أوصافا دقيقة والشرق في جزئين تضمنا أوصافا دقيقة وتفاصيل عن بلاد الجزائر وخاصة عن ريفها ومنتجاتها، كما تضمنا معلومات عن الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية.

¹ - إن لقب دكتور لا تيني في الأصل، يهودي في النشأة، أطلقه اليهود على حاخام الشريعة اليهودية، وأخذه عنهم المسيحيون وأطلقوه على عالم اللاهوت " الشريعة المسيحية : أنظر غازي عنابة : إعداد البحث العلمي، ليسانس ماجستير دكتوراة، دار الشهاب، باتنة 1985، ص 24. و لقد أطلق لقب دكتور على توماس شو لأنه كان عالما و أيضا أكليركيا (Ecclésiastique) أي عضو في إكليروس الكنيسة : أنظر :

Thomas Shaw,op-cit, pp121-122-125-126.

² - جبال ترارا : هي سلسلة جبلية على بعد 5 فراسخ (الفرسخ = 45 كلم) عن وجدة إحدى مدن مملكة المغرب تمتد هذه الجبال من الجنوب الى الشمال و طولها حوالي 16 فرسخا و سفوحها مزروعة بعدة محاصيل، و السكان الذين يقطنون فيها لا يدفعون الكثير من الضرائب، فإن ضايقتهم الجزائريون عبروا نحو المغرب، و إذا أراد ملك المغرب إشراكهم في طلب خدمة ما عادوا نحو جهة الجزائر : أنظر

Louis René, des fontaines : fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, tome second, librairie de Gide , Paris : 1838, P 177

ويعد "شو" من الدارسين والرحالة الذين حاولوا التحدث عن بلاد الجزائر خلال النصف الأول من القرن 18 م، إذ رسم خريطة وضح عليها معالم جغرافية وحدد بها حدود اية الجزائر وخاصة حدود بايليك الشرق الجزائري. ولقد طبعت أعمال الدكتور " شو" باللغة الإنجليزية مرتين بأكسفورد سنة 1738 وبلندن عام 1757، مثلما ترجمت هذه الأعمال إلى الفرنسية مرتين الأولى، طبعة لاهاي عام 1743¹ والثانية طبعة باريس عام 1930².

5- مورقان جوزيف Morgan Joseph :

هو انجليزي، عاش مدة طويلة في الجزائر، كان يشتغل في قنصلية بريطانيا بالجزائر، في العهد القنصل روبرت كول Robert Cole³.

وكان مورقان على اطلاع واسع بأوضاع الجزائر العامة في تلك الفترة، فقد كان يتقن اللغة العربية، ويعرف التقاليد الإسلامية، وكان كثير التنقل في مختلف أنحاء الجزائر، للتعرف على أهلها وتقاليدهم زار قسنطينة وغيرها من المدن عدة مرات، وكان دائم الاتصال بالمرابطين ويستمع لأقوالهم ويتعرف على علاقاتهم بالشعب⁴.

وقد سمحت له تلك الظروف أن يكتب عن الجزائر ويؤلف كتابا ضخما بالإنجليزية، طبع في لندن سنة 1731، وعنوانه "الكامل في تاريخ الجزائر والأقاليم التابعة لها منذ استيلاء الأتراك عليها¹

¹ - Shaw,op-cit,p43.

²- Ibid,p44.

³ - هو قنصل بريطاني عام في الجزائر، قدرت مدة إقامته مدينة الجزائر كقنصل أكثر من أربعين سنة (40 سنة)

⁴ - سعد الله، أبو القاسم : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، ط2، الجزائر: 1981، ص 313 .

وتقدر عدد صفحاته أكثر من 700 صفحة من الحجم الكبير، ويقع في مجلدين : المجلد الأول تناول فيه " مورقان " تاريخ شمال إفريقيا عامة من أقدم العصور حتى بداية القرن السادس عشر، والمجلد الثاني خصّصه تقريبا لتاريخ الجزائر، من بداية العهد العثماني حتى سنة 1731، هو تاريخ طبع الكتاب، يحتوي هذا المجلد على جزئين: الأول من قدوم العثمانيين حتى سنة 1545، وهو تاريخ تولى الحاج باشا الحكم، أما الجزء الثاني منه فهو تكمله حتى بداية القرن الثامن عشر².

وقد اعتمد المؤلف في تأليف كتابه على مصادر متنوعة خاصة المؤلفين الإسبانيين "هايدو" "لويس مارمول" كما اعتمد على "لوجي دي تاسي"، كما أخذ عن مؤلفين آخرين أمثال "بيير دان" "قراماي" وغيرهم، ولكن "مورقان" كان كثير النقد لمصادره وكان يحسّ أن الأوروبيين الذين سبقوه بالكتابة على الجزائر كانوا مدفوعين بالهوى الديني والجهل والأحكام المسبّقة لذلك انتقد "هايدو" واتّهمه بضيق الأفق والمحاباة الدينية، كذلك انتقد "مارمول" واتّهمه بعدم التجرّد من الهوى الديني وبكثرة الأخطاء، وخاصة عندما يتحدث عن السكان، كما انتقد "ليون الإفريقي" أن كتابه وصف إفريقيا الذي طبع سنة 1525 قد تجاوزه الزمن ولا يعتبر بالمصدر الأساسي الوحيد عن تاريخ بربريا .

واهتم لوجي دي تاسي بأنه كان يجهل أحوال وعادات المسلمين، وقال عن الجميع بأن لهم أفكارا مسبقة خاطئة عن الأتراك والمسلمين³.

ويعد كتاب "مورقان" وصفا لمحاسن الجزائر، ولسيرة حكامها ولمجتمعها، كما يعد أيضا انتقادا ضد كل من قدم صورة مشوهة عن الجزائر¹.

¹ - Histoire des états barbaresques.

² - سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 313 .

³ - نفسه، ص ص 315-316 .

6- تيدنا : THEDNAT

ولد تيدنا سنة 1758 بفرنسا من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال، ومنذ أن كان صبيا وضعت أسرته في مدرسة كاثوليكية، لكي يصبح من رجال الدين إلا أنه أبدى عدم استعداده لممارسة هذه الحياة الدينية، فأنظم إلى فيلق الحامية العسكرية في كورسيكا فلم ينتظر كثيرا ليتوقف عن العمل العسكري وفضل العمل المدني الإداري في وظيفة كاتب لوكيل مقاطعة، ولكنه حبّه للأسفار قاده نحو مدينتي "ليفورن" Livourne و"قاديس" Cadix، حيث عاش في منزل أحد أقرباء أبيه، ثم مارس مهنة نقل براميل الخمر من مالاقا إلى مرسيليا، على متن سفينة إسبانية التي تعرضت إلى القرصنة، وتمّ أسر "تيدنا" ومن معه، ومن حسن حظه أشتراه في الحين باي معسكر² الذي كان يحتاج الى شخص مثقف ومخلص لإدارة منزله، فبقي في قصره وفي خدمته مدّة ثلاثة أعوام وسبعة أشهر، تدرّج تيدنا خلالها إلى أن صار خزندار³ كان تيدنا يرافق الباي محمد الكبير في كل تنقلاته وعلى هذا الأساس تعتبر مذكراته⁴ مصدرا هاما حيث عرفنا سلوك هذا الباي وبنظام حكمه، وعلاقاته مع مختلف شرائح المجتمع الجزائري، من جهة، وبين الجزائر وأوروبا، ومن جهة أخرى⁵. وقد أكسبته مغامراته ومعاملاته مع أهل غرب الجزائر أشياء كثيرة قلّما وجدنا غيره قد حصل عليها اذ كان يتقن أكثر من لغة كالإسبانية الإيطالية والعربية وثقافتها، الأمر الذي أهله أن يتولّى مهام في حياة الدبلوماسية بعد استرجاع حريته وعودته إلى فرنسا. وفي سنة 1785 كتب هذه المذكرات في إحدى مستشفيات زوريخ (Zurikh) ولقد جاءت على شكل اعترافات وهو مريض، وقد ساهم تيدنا في إثراء الخطة الفرنسية

¹ - دوفان تيدنا، المصدر السابق، ص 26 .

² - هو محمد بن عثمان باشا الملقب في التاريخ بمحمد الكبير تولى منصب الباي في عهد الداوي محمد عثمان باشا (1766-1791) ومنحه هذا الداوي لقب الكبير بعد انتصاره ودخوله وهران (1766-1791).

³ - الحزنदार : هو الذي يقوم بحفظ الثروة وترتيبها تسييرها، مثلما يقوم بالتفاوض مع الهيئات الأجنبية : أنظر :

Venture de Paradis , « Alger au 18é siècle » in R ,A N° 40 .1896, pp 272-273 .

⁴ - « Mémoire de thedmat ;écrites à ZURICH en 1785 » in .R.A. ,Année :1948 , PP. 157-183 , 330-363

⁵ - دوفان تيدنا، المصدر السابق، ص ص 32-33-34.

لاحتلال الجزائر، حيث أسرع في جمع ذكرياته وجعلها في مذكرة تحت عنوان : " نظرة على إيالة الجزائر" ووجهها إلى تاليران، وذكر فيها أعمال القراصنة ووحشية "البربريين" ووضّح أن سلطة الداوي والبايات الثلاث قائمة على أقلية من العسكريين ذوي الامتيازات، وأنّ القوة يدعمها الداوي المستبدّ في الجزائر وقائمة على جبن الدّول التجارية المستعدّة دائما لدفع الإتاوة أو الضرائب¹، وأن حملة عسكرية مدبّرة أحسن تدبير ستجعلها سيّدة البلد ولا تكلف شيئا للحكومة، لأن كنز وثروات الداوي والاستيلاء عليها يغطي كل المصارف، وكما اقترح إرسال جيش إلى تنس ثم محاصرة الجزائر بالاتفاق مع الأسطول فيرغم الداوي على تسليم الكنز وكل المراكب الحربية وبالتالي تتمكّن فرنسا من سيطرة على الجزائر .

ولقد كانت مثل هذه المعلومات مفاتيح تمكنت بها السلطة الفرنسية من فتح أبواب الجزائر العاصمة عام 1830².

ومهما يكن فإن مذكرات تيدنا قدّمت لنا صورة واضحة عن الحياة الإقتصادية والاجتماعية للجزائر، والمعاملة الحسنة التي كان يحظى بها الأسرى المسيحيين في الجزائر، كما قدمت لنا أيضا صورة واضحة عن أحد البايات الكبار الذين عرفتهم الإيالة الجزائرية في القرن 18م .

7- جيمس ليندر كاثارت James Leander Cathcart:

¹- هناك دول كثيرة تدفع الضرائب لإيالة الجزائر، إذا قدرت هذه الضرائب سنة 1822 .
126 ألف بياستر أي بنسبة 29% من مداخيل ميزانية الخزينة أنظر : وليام شالر، المصدر السابق، ص ص69-70
²- تيدنا ، المصدر السابق، ص ص40-41

ولد سنة 1767 بمقاطعة " ميث الغربية " بإيرلندا انتقل مع والده إلى أمريكا في سنّ مبكرة، وكان يشتغل في سفينة تجارية ماريا بوسطن " التي استولى الجزائريون عليها في شهر جويلية سنة 1785، ولم يدم أسره إلا مدة قصيرة ليصبح موصفا ومديرا لمكتب الداى حسن باشا¹ في الجزائر حيث كان يعمل واسطة بين الداى والسفراء الأجانب حينما يعجز هؤلاء عن الحصول على مقابلة مع الداى.

وفي سنة 1796، عاد كاتكارت إلى الولايات المتحدة يحمل معه رسائل تتعلق بصياغة بنود معاهدة السلام مع الجزائر، وقد شغل وظيفة حكومية في فيلاديفيا لمدة سنتين قبل أن تعينه حكومة قنصلا عاما في تونس وطربلس، وقد بلغ مجموع السنوات التي قضاها في مختلف الأماكن بصفته قنصلا أكثر من عشرين سنة، ثم عاد إلى الولايات المتحدة ليعين في مناصب إدارية في كل من لويزيانا، وواشنطن، حتى أن وفته المنية يوم 6 أكتوبر 1843م² لم ينشر كاتكارت مذكراته في حياته وإنما تولّت نشرها ابنته "نيوكيرك – New Kirk" بعد وفاته بنحو نصف قرن من الزمن .

ولقد طبع الكتاب بدون أن يحمل إسم الناشر (دار النشر) ولا التاريخ الذي نشر فيه، وكل ما ورد على غلافه هو اسم المطبعة : هيرالد التي طبع فيها في مدينة "لا بورت" واللغة التي كتب بها هي اللغة الإنجليزية السائدة في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، وهي لغة المعمّرين الأمريكيان، تبتعد عن الاستعارة والمجاز والصور الأدبية.³

لقد تناول كاتكارت في مذكراته، العلاقات الجزائرية الأمريكية، وهي المصدر الأساسي والوحيد في هذا المجال في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وذلك لأن كاتكارت هو الذي تولّى المفاوضات مع الداى في مختلف مراحلها لعقد المعاهدة الأولى مع أمريكا، مستغلا في

¹-حسن باشا : حكم بين سنتي 1791-1798 في عهده تمّ فتح مدينة وهران سنة 1792 وطرد الإسبان منها .

² - جميس، كاتكارت : المصدر السابق، ص ص 10-09 .

³- المصدر نفسه، ص ص 5-6.

ذلك معرفته بنفسية الدّاي وبهيكل العلاقات الخارجية بصفة عامة. كما تطرّق "كاتكارت" في مذكراته إلى علاقات الجزائر بالدّول الأوربية، ولقد وصفها بأنها مليئة بالتنافس والتطاحن من اجل المصالح السياسية والتجارية، وقد خصّص فصلا لوصف الشؤون البريطانية في الجزائر .

كما أشار "كاتكارت" إلى المؤسسات والمنشات العمومية، ووصفها وصفا دقيقا، فيتحدث بصفته شاهد عيان، عن المدارس والمساجد والسجون... وقد خصّص فصلا لوصف قصر الدّاي من الداخل في عهد حسن باشا، ويعتبر وثيقة هامة لا مثيل لها حيث تعرّفنا بمختلف أجنحة القصر ودهاليزه ومرافقه وشكله المعماري وزخارفه .

كما تطرف في مذكراته الى الحالة الإجتماعية، بالرغم، أنّه لم يختلط بالشعب الجزائري، لأنه عبد لا يسمح له بالخروج إلا في مواسم الأعياد، سجّل كاتكارت أن الشعب كان يعاني من الإهمال والإرهاق بالضرائب والظلم والجوع والأمراض، تحت ضل الحكم العثماني، كما أن وصفه لنظام السجون في أواخر القرن الثامن عشر، يمكن أن يعتبر وثيقة فريدة، سيجد فيه الباحث تفاصيل دقيقة وشاملة بشأن تشغيل الأسرى وطعامهم ونومهم، والرقابة والإدارة ..

كما سجّل " كاتكارت " كثيرا من الإنطباعات التي علقته بذهنه من خلال إتصالاته ومعاملاته مع عدد من الشخصيات السياسية والإدارية، ومن أهم هذه الشخصيات التي وصفها، القنصل السويدي "سكجولدر براند" القنصل الأمريكي "أوبراين" والقنصل البريطاني " لوجي" .

كما تناولت المذكرات دور اليهود في قصر الداوي، وبصفة خاصة دور " كوهين بكري " الذي كان موظفا ومترجما في قصر الداوي، قبل أن يقيم " أمبراطورية القمح " في أوائل القرن التاسع عشر، والذي كان من الأدوات الأساسية التي جلبت ويلات الاستعمار الفرنسي على الجزائر¹.

8- "فونتوردي بارادي" : " Venture de Paradis "

ولد جون ميشال فونتور دي بارادي يوم 08 ماي 1739 بمرسيليا من أم يونانية، وأب فرنسي كان يعمل كمترجم في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق وعند بلوغه سن الثالثة عشر، إستفاد من منحة دراسية لتعلم التركية والعربية في معهد اللغات الشرقية بباريس، وقد زوال وظائف عديدة في سفارة فرنسا باستانبول، وفي قنصلياتها الموزعة على مختلف المدن العثمانية، وبصفة خاصة في تونس بين 1780-1786، ثم في الجزائر بين 1788-1790² وتواجهه بالجزائر في تلك الفترة ليس إعتباطيا بل أوفد من طرف الدولة الفرنسية لتسوية خلافات نشبت بين الجزائر وفرنسا، فأقام سنتين بالعاصمة الجزائرية درس خلالها نضمها وترتيبها، وكتب عنها المذكرات القيمة، كما درس اللغة البربرية دراسة واسعة وألف قاموسا يترجم الفرنسية إلى العربية والبربرية³ شارك فونتور دي بارادي في حملة نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) على مصر (1798-1799) وجعله مستشاره لعلاقاته مع سكان البلد، وكان له الفضل في ضم الكثير من القبائل العربية حول بونابرت، وبقي مساعدا له حتى أصيب بمرض خطير أثناء انسحاب فرق الجيش التي كانت تحاول الإنضمام لحامياتها

¹ - جميس، كاتكارت : المصدر السابق، ص ص 6-7-8

² - Venture de Paradis , op-cit , pp 9-10.

³ - أحمد توفيق، المدني : المرجع السابق، ص 161.

في القاهرة، وكان ذلك قبل 15 ماي 1799، وقد علق " بونابرت " على موته قائلاً : " لقد مات فونتور إنها لخسارة كبيرة لنا ". يعتبر فونتوردي بارادي أحد أكبر مستشرقى في القرن الثامن عشر، نادي بضرورة تشجيع دراسة اللغات الشرقية في فرنسا.¹ وقد ذكره الجبرتي في تاريخه وأثنى عليه وإمتدح اخلاقه ومواهبه .

ولقد ترك "فونتور" عدة مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطا بالمكتبة الوطنية بباريس ومن بين مؤلفاته ترجمة كثير من الكتب العربية النادرة، ومن أهم ما ترجمه: تاريخ الخلفاء والمماليك بمصر للشيخ يوسف المقدسي، والموجز الجغرافي والتاريخي لدولة المماليك لأبن شاهين الزيري²، وأهم ما ألفه فونتور دي بارادي، كتاب تحت عنوان " تونس والجزائر في القرن 18 م " وهو عبارة عن تقارير عديدة، تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والإجتماعية في الأيالتين : تونس والجزائر، وقد جمع تلك التقارير الفرنسي "جوزيف كوك-Joseph Cuoq" وحققها ونشرها تحت العنوان المشار إليه في باريس عام 1983، والكتاب يعتبر بحق مصدرا تاريخيا متميزا من حيث معلوماته والحقائق التي جاء بها، وفريدا من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها بخصوص سير الإدارة الجزائرية بمختلف أجهزتها العسكرية والمالية والأمنية، وضمّنه معلومات حول الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الإيالتين وقد ساعدت المؤلف معرفته الجيدة باللغة العثمانية والعربية على فهم أغلب المسائل المتعلقة بتلك الموضوعات .

وقد تميز هذا الكتاب بالدقة في تسجيل الأحداث ووصفها، وهي الميزة التي تكاد لا توجد في المؤلفات الأوربية الأخرى في تلك الفترة.

9-وليام شالرWilliam Shaler :

¹- Venture de Paradis, op .cit. pp 13-14.

²- أحمد توفيق، المدني، المرجع السابق، ص162.

هو قنصل إمبريكي في الجزائر بين 1816-1824 وهي فترة شهدت فيها العلاقات الجزائرية الأمريكية تطورا مهما لم يكن في صالح الجزائر، بحيث وجهت الولايات المتحدة كل اهتمامها إلى الجزائر ووضع حدّ لسيطرتها البحرية، فأعلنت حربا ضدها في مارس 1815¹. ولقد جرت المفاوضات بين الدولتين ومثلها عن الطرف الأمريكي وليام شالر الذي عينه رئيس الولايات المتحدة قنصلا عاما لأمريكا في بلدان المغرب، ولقد أحسن الداوي استقباله الرسمي له وكأنه يمثل دولة صديقة، وليس هو الرجل الذي أملى على متن سفينة حربية معاهدة مهينة، وقد أبرمت في عهده عدّة معاهدات بين الدولتين، وكما قام بإرسال تقارير مفصّلة حول الإيالة، وهذا ما يبرز بوضوح الدور الذي قام به القنصل أثناء ممارسته مهامه الرسمية، ويعتبر من رواد الدبلوماسية الأمريكية². ولقد تمّ نشر مذكرات " وليام شالر " في بوسطن سنة 1826، وتمّ ترجمتها إلى الفرنسية ونشرها في باريس سنة 1830 من طرف M.E.Banchi³

ولقد وردت في مقدمة المترجم الفرنسي ضرورة إستغلال المعلومات الخطيرة التي يحتوي عليها الكتاب في حملة فرنسا ضد الجزائر، فقد جاء في صفحة 4 من المقدمة ما يلي:

" وأما ما ذكره المؤلف عن موقع مدينة الجزائر، وإمتدادها وتحصيناتها، وضواحيها التي إستكشف بعناية طبوغرافيتها فهو بدون شك، سيكون موضع تقدير خاص من ضباط الجيش، وسيجدون فيه عونا كبيرا لتوجيه العمليات العسكرية"⁴

1- أمتدت هذه الحرب حتى شهر جويلية، وفي إحدى معاركها قتل " الرايس حميدو " وإختتمت بذلك أسطورة قائد من أعظم القواد البحريين في زمنه، وقد وصفه شالر في مذكراته بأنه كان " يشم بالذكاء الخارق والشجاعة النادرة " أنظر وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية الجزائر : 1982، ص7.

2 - وليام شالر : المصدر السابق، ص ص 5-6-14.

3- هو المترجم الرسمي للملك شارل العاشر الذي خطط حملة الجزائر.

4 وليام، شالر، المصدر السابق، ص 18 .

وما سيتخلص أيضا من مذكرات " شالر " أنه عدوا لحكومة الأتراك، ولم يكن صديقا للشعب الجزائري الذي يرى فيه شعبا منقسما على نفسه إلى قبائل شتى، وينقصه التعليم والتدريب، ولكنه لم يحتقره، بل إكتشف كثيرا من فضائله عندما تحدّث عن عاداته وتقاليده وعقائده الدينية بما ينبغي من الإحترام كما يرى أيضا أن نظام الحكم التركي غير قابل للإصلاح، وإقترح بديلا له يتمثل في نظام الإستعمار.

وخلاصة القول أنّ هذا الكتاب يضمّ حقائق وشهادات، يمكن الإستفادة منها التي لا نظير لها في تاريخنا الحديث.¹

¹ نفسه، ص 14-16.

جدول لأهم المؤلفين : تاريخ ومكان ومدة تواجدهم بالجزائر

المؤلف	تاريخ زيارته	الأماكن التي زارها	مدة الإقامة
كارفاجال	1536	مختلف اطراف البلاد	8 سنوات
هايدو	1578	الجزائر	3 سنوات
دان	1634	الجزائر	سنة واحدة
دارندا	1640	الجزائر	سنتان
خمينس	1717	الجزائر، وهران	3 سنوات
دوتاسي	1718	الجزائر	5 أشهر ونصف
شو	1720	مختلف مناطق البلاد	12 سنة
باسيونال	1724	قسنطينة، عنابة، الجزائر	سنة واحدة
كوكوفتسوف	1777	عنابة وضوحيا	سنة واحدة
دي فونتين	1783	مختلف أطراف البلاد	سنتان

سنة واحدة	الجزائر والشرق الجزائري	1785	بوارى
11 سنة	الجزائر	1785	كاتكارت
سنتان	الجزائر	1788	دي بارادي
فترة قصيرة	الجزائر	1814	بانانتي
8 سنوات	الجزائر	1816	شالر
5 سنوات	الجزائر، المدينة	1825	بفايفر

ثانيا- طبعة الكتابات الأوربية

يتميز تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ، بتنوع المصادر الغربية وغازرتها وهي ذات جنسيات مختلفة منها الفرنسية، الإسبانية والإيطالية ، الإنجليزية والأمريكية وهي عبارة عن رحلات أو تقارير أو مذكرات ألّفت من طرف قناصل أو رحّالة أو جواسيس أو رهبان أو أسرى تعرّفوا على المنطقة¹ وغطّوا تقريبا مختلف جوانب الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية في الجزائر، بل تجاوز ذلك البعض منهم إلى دراسة الجغرافيا والحيوان والنبات والمعادن، وكلّما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية، أو في دائرة البحر

¹- مولاي بلحميسي، " المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني " مجلة الأصالة عدد 14-15-1973 : ص 72

الأبيض المتوسط كلما تحوّل إهتمام الأوربيين إلى خوف أو إلى سخط كانا أقوى دافع الى تتبع كل ما يحدث في بلادنا ليصبح موضوع دراسة وتحليل .

وكان لظهور التيار الديني المتعصّب بأوربا أثر جلي على الصراع بين المسيحية والإسلام، فتجسّد ذلك في ظهور المخططات العديدة والمتنوعة لتفكيك الأمبراطورية العثمانية وتحطيمها والقضاء على الخلافة الإسلامية وفي تبني الأحكام المسبقة ضد المسلمين فنعنوا بشتي الألقاب وصوّروا في أبشع الصور، و يعتبر " قرامي " في ذلك، صورة صادقة لعصره وقد كان أسره بمدينة الجزائر ، الفرصة السائحة لأن يعلن حربا ضد المسلمين ولا سيما الجزائريين ، فجاءت كتاباته عبارة عن نداءات صريحة للقضاء على مسلمي المغرب ، فالجزائر في نظره "مصدر بلاء أوربا ومغارة اللصوص ، ومهد القساوة والفظاظة بشتي صورها " وبنفس المنصور راح يقيم بحارتنا ومدى عدم وفائهم بالعهد : " إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة ، يستولون على السفينة وما احتوته طمعا بالثروة حتى لوكانت السفينة لإحدى الدّول المرتبطة بمعاهدة صداقة معهم " .¹ اما الراهب "دان " ، فقد برع براعة فائقة ، وتقن تفننا لا نظير له في تشويه صورة الجزائر وكان كتابه السلاح الذي تسلّحت به الدعاية الفرنسية الصليبية ضد بلاد المغرب وهو امر يجب أن لا نندهش منه ، والغاية من تأليف كتابه كانت إثارة الحماس الديني وكسب عطف أوربا المسيحية من أجل تخليص الأسرى المسيحيين من جحيم الجزائر ، وهو مادفعه إلى تحريض أوربا المسيحية على القضاء على الجزائريين ، حيث قال " الذين ليسو سوى قراصنة لا عهد لهم ولا صدق ولا يتورعون لنقص المعاهدات المصادق عليها ، لأول فرصة حينما يتعلق الأمر بمصالحهم ، بل أنّهم يفتعلون الأسباب لنكثها " .² وفي مطلع القرن الثامن عشر

¹ A.E.H.Ben Mansour , « le regard du captif ou le bestiaire Algérien ,de J.B,Granaye »in R.H N°20 Annee 1985 ,P 11.

²-Dan ,Pierre : Histoire de Barbarie et de ses corsaires. Paris , pierre Rocolet 1649 p 121

ظهر تيار فكري نادي برفض الذهنية الموروثة ، وبإعادة النظر في تقييم الغير تاركين جانبا الأحكام المسبقة ، ومن الذين نادوا بهذه الأفكار ببيصونال " J.A . Peyssonnel " ولوجي دي تاسي " Laugier de Tassy " ولي روا " Leroy "

ولقد إنطلق لوجي دي تاسي من مبدأ وهو أن الإنسان واحد في مختلف الأمم تقريبا ، ولذا يجب القضاء على الأحكام المسبقة .¹ وحذا حذوه " Leroy " إذا يذكر في مقدمة كتابه أن هدفه الأساسي من تأليف كتابه هو إعطاء نظرية جديدة عن الجزائر ، أي تصحيح النظرة القديمة وهو ما عبّر عنه بما يلي : " ستغمرني سعادة كبرى إذا إستطاع كتابي أن يقدم نفعاً للدول الأوربية المتعاملة مع الجزائر ، وإذا نجح في القضاء على الإدعاء غير العادل الناتج عن تعصب مبالغ فيه ضد كل من هو تركي "² . ويعتبر " لي روا " من الذين حاولوا انصاف حكومة الجزائر في هذه الفترة فهو يميز تمييزاً دقيقاً بين مسؤولية الحكومة ومسؤولية بعض البحارة الخواص في أعمال القرصنة وهو ما عبّر عنه بما يلي : " إن أعمال القرصنة لا تمارس إلا ضد الأعداء ، وإذا تضررت أحيانا ، بعض الدول الأوربية الصديقة منها فهذا راجع إلى تصرفات بعض البحارة الخواص ، ولا مسؤولية للحكومة في ذلك "³ .

بينما " توماس شو " رغم أن إقامته كانت لغرض التحقيق في بعض النظريات العلمية في المجال العلوم الطبيعية فإنه لم ير مانعا في أن يدلي هو الآخر برأيه في سياسة الجزائر العثمانية وموقف دول أوربا منها فالدول الأوربية في نظره بإختيارها طريق التفاوض وإبرام معاهدات السلام مع دول المغرب (البربرسك) لأن معاهداتهم متزعزعة وغير ثابتة وكان من الأفيد لأوربا أن تتحد للقيام بعمل هجومي ضد

¹- Denise ,Blahimi : op.cit P : 121

²-Leroy, état général et particulier du royaume et de la ville d'Alger ,Lahaye , Autoine Vondole 1750 ,p : Préface

³-Ibid, p : Préface.

الجزائر، مركز اللصوصية، وحتى يعزز "شو" فكرته أورد في كتابه، ردّ أحد الدايات على إحتجاجات قنصل الإنجليزي ضدّ إعتداءات البحارة الجزائريين : " أنهم يشكلون عصابة وأنا رئيسها".¹

بينما " فونتور دي بارادي ، فيرى بأن الإلتزام بالمعاهدات من قبل الجزائريين ضرب من الخيال فالجزائريون في نظره لا يعرفون معنى إحترام نصوص الإتفاقيات .² بل أنه يذهب إلى أبعد من هذا ، حيث يقترح أن تتخلص نصوص الإتفاقيات في بندين لاغير أولهما السلام وثانيهما التأكيد على المعاملة المتبادلة ولاداعي للإتفاق حول قضايا مختلفة. فما يزعج الجزائريين لا يكتب له الدوم".³

وواكب " وليام شالر " تلك المرحلة ، حيث أشاد بحقد وسخرية بقوة الجزائر ، وإندھش لسماح الدول الأوربية لهذه الحفنة من القرصنة بالتمتع بأجمل جزء من العالم.⁴ أما الأسير " باننتي " الذي كان معاصرا لشالر يؤكد على أن الوضع الطبيعي لهذه الأمم يقصد الأتراك – ان تكون في حرب دائمة مع الأمراء المسحيين ، إن كرهها لأية صناعة ولأي عمل نزيه وجشعها الطبيعي تدفعها إلى ممارسة القرصنة ، والجزائر في نظره عقبة في وجه إزدهار التجارة الأوربية يجب القضاء عليها .⁵

كما ركّز المؤلفون الأوربيون جلّ اهتماماتهم على القرصنة وإستعباد النصارى وظروف إقامة الأسرى وما يعانون من بؤس وشقاء وأوجاع وآلام ، ووصفوا الحكام ، قبل الأهالي بأبشع الصفات وحقدو عليهم ، ومعظم هؤلاء المؤلفين من رجال الدين الذين تستروا وراء أهداف معلنة كافتداء الأسرى لتحقيق مآربهم الخفية التي كشفها أبناء جلدتهم أنفسهم ، وصارت الجزائر الشغل الشاغل لكامل أوربا كما

¹- Thomas .Shw : Voyage dans la Aégence d'Alger Traduit par J.MAC. CARTHY. Tunis .P401

²- Venture de paradis ,Alger au XVIII Siecle, Grand Alger livres ,Alger 2006 .p : 156

³ -Venture de paradis ,Tunis et Alger au XVIII Siecle, sindbad,paris 1983 .p : 20

⁴ - وليام ، شالر ، المصدر السابق ،ص 53.

⁵- Filippo, Pananti : Relation d(un Séjour à Alger le nomant ,Paris , 480

أتاحت الحروب والتجارة والتجسس والدبلوماسية وافتداء السرى وحب المغامرات لسكان الضفة الإخرى من البحر المتوسط فرصا عديدة للتعرف على المغرب الأوسط أو التأليف في تاريخه وتفصيل الكلام عن حادثة أو أخرى من الحوادث التي وقعت فيه.¹

إن جلّ ما كتب حول الفترة العثمانية ، كان الاهتمام والتركيز منصبا على مدينة الجزائر وعلى ما يهم الأوربيين من نشاطها مثل الاحتكارات التجارية، ومشاكل القرصنة المتعلقة بقاء الأسرى ودفع الإتاوات والهدايا من طرف الدول الأوربية، وما أنجرّ عن هذا النشاط من أعمال عدائية وغارات وهجومات انتقامية شنها الأوربيون على السواحل الجزائرية، وحتى إذا تجاوزت هذه الكتابات الأوربية مدينة الجزائر، فإنها لا تبرز، أوضاع البلاد إلا من خلال الحملات الانتقامية للحكام الأتراك والاعتداءات المتكررة لرجال البايليك والفوضى والاضطرابات التي كانت تعيشها المجموعات العشائرية، حتى يكاد المنتبع لمثل هذه الدراسات أن يسلم بأن مثل هذه الحالة لا يمكن وضع حد لها إلا بالتدخل الأوربي.²

أما حكومة الإيالة الجزائرية وجهازها الحكومي ووضعيتها أسطولها وتنظيمات جيشها وعلاقتها الخارجية ، وما كانت تمتاز به أوضاعها الاجتماعية وأنظمتها الاقتصادية، فقد ظلت في مثل هذه الدراسات مهمة ومشوهة، وقد يعود ذلك الى طبيعة هذه الدراسات التي لم تكن تعكس بصدق وضعية البلاد وحالة السكان فهي موضوعة من طرف هؤلاء الكتاب الأوربيين ، لم يكونوا يعيشون الأحداث أو يتفاعلون معها بل كانوا يتفرجون عليها ويسجلون منها ما كان يتماشى مع طباعهم الأوربية ونظرتهم الخاصة إلى الحياة، هذه النظرة التي تتجلى لنا بكل وضوح في بعض عناوين هذه المصادر مثل كتاب " مشاهير الأسرى" أو "تاريخ بلاد وقراصنتها للأب "دان"³

1 - مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص 72.

2 - ناصر الدين سعيدوني ورفقات الجزائرية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 5.

3- Dan ,Pierre ,Histoire de la Barbarie et de ses cosaises ,paris : Rocdet : 1637.

وكانت أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية، والتي تمت على يدّ كتاب أوروبيين، تعتبر دراسات مغرضة ، فهي تهدف إلى خدمة الاستعمار الأوروبي بحيث أخضعت منهجية التاريخ ومتطلبات البحث إلى واقع الاحتلال ومرامي السياسة الاستعمارية، مما يحطّ بالقيمة العلمية لمثل هذه الدراسات ، وينزل بها في بعض الأحيان إلى مستوى الدعاية المغرضة¹ فالوجود العثماني بالجزائر في نظر المساهمة الأوربية كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية وعرقل تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية، فالحكم التركي كان يقوم في نظرهم على الاستبداد ويتصف بالظلم والعدوان.

وقد أدّت هذه النظرة المغرضة بالكتاب الأوروبيين إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري² واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمة متكاملة ، فبهذه النظرة لم تكن الجزائر تعدو عن كونها منطقة جغرافية يتعاقب عليها الحكام و تنتقل عبرها القبائل والعشائر المتنافرة والجماعات المتطاحنة التي لا تخضع إلا للقوة³. فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها على أنها جزء من الغرب اغتصب من طرف الشرق في مناسبتين - الأولى عند الفتح الإسلامي في القرن 7م ، والثانية مع ظهور الأتراك وتأسيس إيالة الجزائر في القرن 16م .

وما يؤخذ على المساهمة الأوربية كذلك كونها ظلت تتصف بمحدودية و ضآلة الإنتاج ، رغم الجهود التي بذلت في الميدان.

وما يلاحظ على المساهمة الأوربية أيضا ، وهو أن الدراسة التاريخية حول الجزائر العثمانية ظلت في أغلبها عملا يتصف بقلة العمق وسرعة الأحكام وسطحية التفسير وهي من هذا الجانب نجدها غالبا ما تتناول العديد من الموضوعات ولكن بصفة عامة ، بحيث ظلّت هذه

1- ناصر الدين ، سعيدوني، المرجع السابق ص 26.

2- محمد ميلي، " موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر " الأصالة ، عدد 15-15، ص 58.

3- سعد الله أبو القاسم، " منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر ، الأصالة عدد 14-15 ، 1973 ، ص 12.

الموضوعات تفتقر إلى العمق المطلوب في الدراسة التاريخية الجادة¹ غير أن ما أبدينا من انتقادات وملاحظات وتحفظات ليس معناه رمي هذا الإنتاج الضخم في سلّة المهملات فهناك قسم لا نستغني عنه أبداً، ففي كتب الأوربيين شهادات وأوصاف دقيقة وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم الحكام وتحليلات لحوادث خطيرة وتقارير وتفصيل لا نجدها في غير هذه الكتب .

¹- ناصر الدين سعيدوني المرجع السابق ، ص 35.

الفصل الثاني

الأقليات النصرانية والجزائر العثمانية

الفصل الثاني:..... الأقلية المسيحية بالجزائر العثمانية

يمثل الحضور المسيحي بالجزائر إحدى أهم الفئات الدخيلة على المجتمع منذ عقود طويلة، مشكّلة إحدى أهم العناصر البشرية الفعّالة فيه، غير أننا لا نستطيع الجزم حول تاريخ الاتصال الفعلي بهذه المنطقة، فالمصادر اللاتينية والعربية لا تكاد تفصل في الموضوع فصلاً تاماً، ولعل الأمر راجع لتعرض منطقة الشمال الإفريقي عامة والجزائر خاصة خلال فترات تاريخية معينة إلى تدفق عناصر بشرية متنوعة لأغراض دينية، سياسية واقتصادية.

يختلف النصارى عن اليهود في الفكر والمعتقد والأعراف والتقاليد، فما المقصود بالنصارى أو النصرانية؟

أولاً- ماهية النصارى:

لغة: نصر، ينصر، انتصاراً

اصطلاحاً:

تطلق النصارانية على الدين الذي أتى به عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل منذ نحو 1900 سنة¹، وقد بني على أصول ثلاثة أولية.

- 1- الخالق واحد ولكنه في وحدته مؤلف من ثلاثة أصول وهي الأب والابن وروح القدس وهذا ما يعبر عنه بالثلاثية².
 - 2- الابن: وهو المسيح تجسد واستقر في بطن مريم العذراء حتى استتم شهور الحمل الطبيعي ثم ولد ولمّا شبّ أخذ يدعو الناس إلى الإيمان به وبأبيه.
 - 3- العالم: الكون كله كان ملوثاً بقدر الخطيئة التي ارتكبتها آدم بالأكل من الشجرة وقد نهى أن يأكل منها، فأرسل الله ابنه المسيح إلى الأرض وقضى عليه بالصلب ليكون فدية عن جميع الخلق.
- أما روح القدس، فقد ورد في أكثر النصوص المسيحية حتى في كتابات يوحنا ما يدل على أن روح القدس هي هبة يهبها الله لمن يدعونه بإخلاص فيعمل في الإنسان كقوة أو فضيلة معطاة من الله³.

¹ - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، بيروت: دار الفكر، ص 197.

² - المرجع نفسه، ص 198.

³ - نفسه، ص 199.

والنصارى أو النصرانية نسبة لبلدة الناصرة بفلسطين وهي التي ولد فيها المسيح عيسى عليه السلام، وقيل إشارة لنصرهم له وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، وبيّن لنا الله سبحانه وتعالى أمرهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾¹.

وفي العصور المتأخرة أطلق عليها المسيحية نسبة للمسيح عيسى عليه السلام، فالمسيحية² هي النصرانية³ والنصارى هم الطائفة التي اتبعت تعاليم الدين النصراني.

1- نصارى المغرب الأوسط:

تعتبر منطقة المغرب ذات البعد المكاني مهمة جداً لقربها من أوروبا، مما جعلها تعرف حركات تنصيرية⁴ منذ القرون الأولى، فالمنفذ الذي دخلت منه النصرانية كان قرطاجة وهذا خلال القرن 2م، وقد تميزت المدن بكثرة معتنقي هذه الديانة فقامت الكنائس وامتدت بصورة سطحية على طول الشريط الساحلي في المغربين الأوسط والأقصى وصولاً لطنجة⁵، والمعتقد أن والدة القديس أوغستين كانت بربرية الأصل وهذا ما يدعوننا للقول أن بعض القبائل البربرية كانت على النصرانية، لكن المعتقدات لم تخرج عن تقديس الإله "بعل مولوخ"، أدى هذا الأمر إلى مطاردة روما لأصحاب المعتقد في المنطقة، بالإضافة إلى وجود معتقد آخر كانت روما تتبناه وهو عقيدة التثليث.

1 - سورة الصف، الآية 14.

2 - المسيح والمسيحية، قال أهل اللغة له خمس معاني، قيل المسيح لسياحته في الأرض، ولأنه ممسوح الرجل ليس لرجله أخصص، وقيل خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل المسيح الصديق، واستقتت الكلمة من المسيح للتعبير عن الديانة المسيحية أو النصرانية.

أبي الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، 2002/1423، بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، ص ص 94- 95.

3 - ناصر الفقاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، طبعة 1993/1413، العربية السعودية، دار ناصر العقل، ص 18.

4 - كمال محمد جاد الله، الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 10، شوال- ذي الحجة، أكتوبر- ديسمبر 2011، بريطانيا: المنتدى الإسلامي، ص 04.

5 - بديعة الغازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 2007/1428، الرباط: مطبعة المعارف المغربية، ص 11.

عرفت منطقة الشمال الإفريقي كباقي مناطق الحوض المتوسط الاحتلال الروماني حيث عمدت هذه الإمبراطورية إلى نقل معتقداتهم إلى المنطقة وترسيم الدين الروماني كدين رسمي لروما على يد قسطنطين الأول¹، كان من الواجب أن تسعى إدارة روما بالمغرب الأوسط إلى نشره بين جموع القبائل البربرية.

تشير أغلب المصادر إلى فئة النصارى حتى نهاية العهد الروماني من فئات السكان التي كانت تستوطن الشمال الإفريقي قبل الفتح العربي الإسلامي، ويميّز هؤلاء عن العناصر السكانية الأخرى بأنهم لم يمتزجوا بالسكان المحليين أو البربر إلا في حالات نادرة ومحدودة، من ذلك ما روي أن الكاهنة البربرية كان لها ابن رومي² كما تبين أن أغلب الروم كانوا يستقرون في المدن الساحلية المحصنة بدءاً من برقة وانتهاءً بطنجة ويستدل على ذلك ما رواه ابن عذارى عن جرجير Gregarie قائد الروم في إفريقيا، في سياق حديثه عن حملة عبد الله ابن أبي السرح قال: « وكان سلطانه – أي جرجير- من أطرابلس إلى طنجة»³.

وكذلك ما قاله يليان حاكم طنجة لعقبة بن نافع أثناء حملة عقبة الثانية لفتح المغرب الأقصى، قال له يليان: « قد تركت الروم وراء ظهرك وما أمامك إلا البربر». ومن المدن التي استوطنها النصارى، الرمادة، برنيق في منطقة برقة، مدائن قسطلية كثوزر والحامة وتقيوس

¹ - هو إمبراطور روماني يعتبر فترة حكمه نقطة تحول في الديانة المسيحية (272-337م)، ففي عام 331م أصدر مرسوم ميلانو، سميت القسطنطينية باسمه، توفي في سنة 337م.

Bertrand Laçon Tiphane, Constantin un Auguste chrétien, paris : Arman Colin, 2012, p. 256.

² - معظم المصادر تعرضت إلى هذه النقطة، غير أنها لم توضح في سياقها التاريخي هل هذا يعني أن الكاهنة تزوجت من أحد الرومان، فكان لها ابن رومي، أما أنه نسبة إلى ديانة النصرانية، وصف على أنه رومي.

³ - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 48.

ونفطة وكذلك طبنة والمنستير التي كانت من أعظم مدائنهم وحصونهم وقرطاجنة وباغاية وفرادي المسيلة في منطقة الزاب وتاهرت وسبته وطنجة ونفيس في منطقة سوس¹.

حافظ الروم على الديانة النصرانية وذلك بغرض المذهب الكاثوليكي المسيحي كمذهب رسمي لرعاياها بشمال إفريقيا (الجزائر)، وبغزو الوندال 435-534م فرضوا المذهب الأرسوي²، يفهم ذلك ضمن الإشارات التي وردت في المصادر، فقد أورد ابن عذارى نصا قال فيه: « وكان ملك القسطنطينية العظمى وروما يؤدي إليه كل نصراني في بر وبحر جزية منهم المقوقس صاحب الإسكندرية وبرقة ومنهم صاحب أطرابلس وصبرة وروم إفريقيا»³.

تشير أغلب المصادر أن فئة النصارى بالجزائر حتى نهاية العهد الروماني قليلة لكن تستوقفنا إشارة واضحة أن عددهم كان لا يستهان به في هذا الحيز الجغرافي، وهناك إشارة واضحة أن القديس Augustin⁴ أرسل أمرا للبابا سياستيان بأن يعين أسقفا لرعيته بفوسالا⁵ وهنا يتضح كثرة أتباع هذه الديانة.

2- واقع النصارى خلال الفتح الإسلامي:

1 - محمد علي الأحمد، مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي دراسة لجهود الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب، الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2011، ص 31.

2 - محمد علي الأحمد، المرجع نفسه، ص 32.

3 - محمد البكري، المسالك والممالك، ص 155.

4 - القديس أوغستين (354م-430م) ولد بمدينة Thagaste (سوق أهراس حاليا) من أب وثني وأم مسيحية، رحل إلى روما ودرس الخطابة في ميلانو، تأثر بالمذهب الريبي "الشك"، اعتنق المسيحية عام 386م ثم عاد لهيبونيس "عنابة" وأسس رهبانيته التي لا تزال إلى اليوم، ألف كتاب "الاعترافات" 400م، و"مدينة الله" سنة 410م، توفي بهيبونيس سنة 430م.

جورج الطرابيشي، معجم الفلاسفة، لبنان: دار الطليعة للنشر، ص 117-122.

5 - فوسالا (تبعد ستون كيلومتر عن عنابة).

أضفت الفتوحات الإسلامية على المغرب طابعا جديدا، فشروط الفاتحين كانت واضحة لأهالي المنطقة: (الإسلام أو الجزية أو الحرب)، قاومت بعض عناصر الروم المعتقد الدخيل عليهم، لكن سرعان ما اندحروا ولم تجد الفلول المسيحية وراءها إلا البحر، فالتجئوا إلى الجزر البحرية المقابلة للساحل الإفريقي مثل جزيرة صقلية ومالطة وسردينيا وكورسيكا، كما لجأت جماعات منهم إلى المناطق الداخلية قسنطينة وبلاد الجريد ثم أسلموا بعد ذلك ليحافظوا على أنفسهم وأموالهم من المسلمين الفاتحين.

غير أنه يفهم من إشارة الناصري أن النصارى اختاروا مواقع تركزهم بعناية تامة وهذا لأغراض تبشيرية وتجارية حيث قال: « كان الفرنج مجاورين للبربر في المغرب الأدنى والقوط مجاورين لهم في الأقصى، ليس بينهم إلا خليج البحر، فحملوا أهل السواحل منهم على الأخذ بذلك الدين... واستمر الحال على ذلك، حتى جاء الله بالإسلام¹...».

أدى ضعف السلطة السياسية في المغرب الإسلامي في أولى الحقب في بقاء المسيحية كدين وليس كطائفة، إلى أن جاء إدريس الأكبر فوحد القبائل وقضى على المسيحية.

شهدت فترة المرابطين والموحدين حراكا للنصارى كفتة كفلت لها دولة الإسلام حقوقها، فتقلدوا المناصب في عهد المرابطين حتى وصولا لدرجة روبرتير²، وامتهن النصارى في عهد الموحدين الزراعة³، كما تقلدوا وظائف عليا في الدولة، ومنهم المستعربون⁴ الذين حافظوا على أرواحهم وممتلكاتهم مقابل الجزية وكفلت لهم دولة الموحدين امتيازات مقابل خدمات معينة للدولة الموحدية، وتعدى الأمر إلى

1 - أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء 2، تحقيق محمد وجعفر الناصري، دار البيضاء: دار الكتاب للنشر والتوزيع، ص 69.

2 - روبرتير هو قائد الحامية في الجيش المرابطي.

3 - إيمان عبد الرحمن حسن العثماني، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر يوسف بن تاشفين، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 05، السنة 1435/2014، ص ص 04-05.

4 - المستعربون هم المسيحيون الذين كانوا يعيشون في الأندلس خلال الحكم الإسلامي وتحذوا العربية ومارسوا تقاليد العرب Mozarab. - مايكل إيبارزا، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس، ص 227.

أن أصبح للأمير حرس من النصارى، وفي فترة الموحدين نشط التبشير المسيحي مع انطلاق المذهب الفرنسي سكاني¹ سنة 1208، وقد تم قتل المبشرين الأربع الذين أرسلهم المجمع الديني الكاثوليكي من طرف الأمير الموحي سنة 1220، ولم ينج منهم سوى واحد الذي فرّ إلى المغرب الأوسط والأدنى ومع تولي المأمون بن منصور الحكم سنة 627-630هـ/1231-1234م سمح ببناء أول كنيسة نصرانية بالمغرب الإسلامي، وقد اشترط ملك قشتالة² على المأمون أن تشيّد كنيسة للنصارى لأداء الصلوات وأن يسمح لهم بدق الناقوس كل صلاة مقابل أن يدعمه بالمؤن والجنود وأن يؤيده في حروبه مع خصومه ومناوئيه.

وعلى ما يبدو فإنه في عهد الدولة الزيانية حافظ النصارى على مكانتهم الاجتماعية في المملكة حيث شكلوا إحدى فئاتها السكانية، فنجد منهم الأطباء والمهندسين والنحاتين والتجار والعبيد، فقد اشتغلت النساء النصرانيات كوصيفات للأميرات الزيانيات وكجوارى داخل القصور. وتعتبر الطبقة المثقفة أكثر الفئات حظوة، حيث سجلت أغلب المصادر لهذه الفترة المكانة الهامة التي تمتع بها النصارى المثقفين في البلاط الزياني وهذا راجع لتشجيع الملوك الزيانيين للعلوم والعلماء على اختلاف أديانهم وثقافتهم، وهذا ما جعل الدولة الزيانية خلال هذه الفترة قبلة للنصارى واليهود، غير أنه ما يهمننا في هذا السياق هو مصير هذه الفئة خلال العهد العثماني خاصة مع توقيع فرمان إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1518؟ وهل تمتع النصارى بحقوقهم كأقلية دينية؟ وكيف تم تصنيفهم ضمن الهرم السكاني بالإيالة؟

¹ - هي جماعة دينية مسيحية تأسست على يد الراهب فرنسيس الأسيزي، وقد انبثقت عن الطائفة الكاثوليكية وتفرعت إلى ثلاثة مذاهب الكبوشينيس، رهبان الفرنسيسكان، وأديرة الفرنسيسكان والهدف منها مواجهة التراجع الروحي وانتشار البدع النصرانية جنوب فرنسا وإيطاليا ومواجهة الإسلام خاصة بعد أن تعددت منافذه إلى أوروبا.

J. Moorman, A History of the Franciscan Order from its Origin to the Year 1517, paris: Pierre Fontaine 1955, p 125.

² - مملكة قشتالة بالإسبانية Reino Castilla واحدة من ممالك القرون الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا، تسمى مقاطعة كاستيا، برزت عندما استقل بها Ferman Gonzalez عام 961م أشهر ملوكها ألفونسو السادس .

ما يلفت الانتباه الوجود المعتبر للنصارى بمجتمع إيالة الجزائر في أواخر القرن السابع عشر تراوحت نسبتهم بين 10 و20% من مجموع السكان بمدينة الجزائر (دار السلطان) وشكل هؤلاء النصارى خليط مختلف من الأمم الأوروبية، وانقسموا بحسب وضعيتهم إلى مجموعتين متباينتين، وسنحاول فيما يأتي إبراز مكانة كل فئة وعلاقتها بالسلطة والمجتمع؟ وأثارها على الإيالة؟

أ- الأحرار:

كانت هذه الأقلية تضم عددا هاما من الأعالج والقناصل والأطباء والتجار والجواسيس والسماصرة الذين وفدوا الى الإيالة أساسا لشراء الأسرى، هاته البضائع البشرية التي كان يعاد تصريفها في أسواق مرسيليا وليفورنة، وجنوة، وأمستردام. لذلك كانت إقامتهم بالإيالة مؤقتة لا تتجاوز السنة في أغلب الأحيان.

وإلى جانب هؤلاء، كان هناك عدد قليل من رجال الدين الذين كانوا يقومون باقتداء الأسرى ورعايتهم بأموال التبرعات.

تمتع الأحرار الأوروبيين بعدة امتيازات، إذ كانوا يتحاكمون بمحاكم خاصة بهم ويقيمون شعائرهم الدينية بكل حرية في الكنائس الموجودة في القنصليات¹ حيث كان قناصل يتولون مسؤولية الدفاع عن مصالح هذه الفئة أمام سلطات الإيالة. والمعروف من خلال المصادر أن جل هؤلاء الأوروبيين كانوا يقيمون في قصور بجنان واسعة أو فنادق في القسم الشمالي الغربي من المدينة قرب باب الوادي²، أو دور مستأجرة (إما وكالات خاصة بالإيجار أو اكتراء بيوت من الأهالي حيث ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية أن أحد التجار الأوروبيين قام بكراء بيت حسن التصميم فاخر الأثاث من أحد أهالي الجزائر.

1 - خلال القرن السابع عشر كان يوجد بالجزائر ثلاثة قناصل يمثلون الدول البحرية الكبرى وهي قناصل فرنسا، إنجلترا، الأقاليم المتحدة.

2 - عرفت أماكن إقامة الأوروبيين بباب البحرية.

ب- الأعلاج Renégats:

الأعلاج أو المهنتون هم المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام، ويعرفون في المصادر الأوروبية بالمرتدين¹.

والأعلاج أيضا هم صغار المسيحيين الذين كانوا يقعون في الأسر وكانت السلطات العثمانية في جميع الولايات التابعة لها تضعهم في مدارس عسكرية أين يتعلمون تعاليم الإسلام ومبادئ الحياة العسكرية كما يتدربون على مختلف الفنون القتالية، وذلك لتأهيلهم لحياة الجندية التي سيحظون بها بعد تخرجهم، فمنهم من كان ينجح ويرتقي في المناصب حتى يصل إلى رتبة راييس يقود أسطول قرصنة بحري ومنهم من يصبح حاكم لإيالة من الإيالات العثمانية كما هو الأمر مع إيالة الجزائر التي عرفت فترة من الفترات "حكم الأعلاج". فما هي الصورة التي طبعت الجزائر خلال فترة الأعلاج؟

ذكر الفارس دارفيو أن ميليشيا الجزائر 1674 كانت تتشكل من الأتراك والكراغلة والأعلاج².

شكل الأعلاج عنصرا مهما في الجيش الانكشاري لذلك تمتعوا بنفس الامتيازات التي تمتع بها الأتراك وترتب عن ذلك حضور قوي لهذا العنصر في صفوف الانكشارية³، مما أهلهم للارتقاء إلى أعلى المناصب في السلطة وهيمنوا على مختلف الأجهزة السياسية والإدارية في الإيالة وهذا راجع للسمة التي طبعت التحاقهم بالجزائر المتمثلة في الصفة العسكرية الدفاعية عن المبادئ الدينية والأطر الجغرافية السياسية⁴ للأراضي التي اعترفت بولائها للسلطان العثماني والتبعية للإمبراطورية العثمانية، وهذا ما يفسر حضورهم القوي في البدايات الأولى لإيالة

¹ - حنيفة هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: دار الهدى، عين مليلة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، ص 124.

² - D'Arvieux, op.cit., p 250.

³ - Ibid, p100.

⁴ - حنيفة هلايلي، المرجع السابق، ص 34.

الجزائر حيث ذكر هايدو: « أنه في سنة 1580 ضمت طائفة الرياس بين أفرادها اثنان وعشرين علجا»¹ وتمكنوا بفضل أهليتهم العسكرية وخصيتهم الجندية من الهيمنة على مختلف مقاليد الدولة، فكان منهم الحكام والقيّاد... حيث أحصى هايدو أحد عشر قائدا من الأعلاج²، شكلت جماعة منتفذة في الدولة ففي الفترة الممتدة من 1537- 1656 تعاقب ستة وثلاثون واليا عثمانيا على حكم الجزائر، تسعة منهم كانوا أعلجا.

بموجب سياسة الانفتاح التي تبنتها السلطة العثمانية مع إيالاتها أوفدت عددا معتبرا من الأعلاج إلى مجتمعاتها (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) وهذا ما جعل عددهم كبير نسبياً في مجتمع مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر حيث قدر هايدو ذلك سنة 1580 في قوله: « بأنهم يمثلون نصف سكان المدينة»³، بينما كانوا حسب بيير دان «حوالي ثمانية آلاف رجل، إضافة إلى ألف أو ألفا ومائتي امرأة»⁴. ثم أخذ هذا العدد في الانخفاض تدريجيا وهذا راجع لعدة اعتبارات منها فقدان الرياس لصفة الجندية مع مرور الزمن، نظرا لتورط أغلبهم في الأزمات السياسية الداخلية هددت مكانة السلطة العثمانية في تلك المناطق مثل تمرد 1556⁵

¹ - Haedo, Topographie..., op.cit., pp. 98- 99.

² - Ibid., p. 63.

³ - Haedo, Topographie ,op-cit., p. 60.

⁴ - Dan, op.cit., p 343.

⁵ - ترجع أحداث هذه الأزمة عندما أرسل السلطان العثماني محمد تكلرلي في سبتمبر 1556 باشا جديدا لإدارة إيالة الجزائر فرفض الانكشارية والأعلاج هذا القرار الجديد لأنه يهدد امن واستقرار الإيالة وفكر الأعلاج (حسن قورصو، مصطفى رايس علج ألباني، علج، علي سارودو ويوسف الكورسيكي) بإجبار الباشا الجديد على العودة وذلك بإطلاق نيران المدافع من عنابة. غير ان الباشا الجديد تمكن من فرض سيطرته بمدينة الجزائر وهذا بمساعدة الرايس شلوق ومامي رايس، ووالي رايس ومصطفى رايس ويحي رايس فصلب حسن قورصو، وعذب علي سارودو حتى مات وخوزق مصطفى رايس، وهذه التصفيات أدت إلى تأليب الانكشارية على محمد تكلرلي وتواطؤوا على اغتياله، فتطوع علج كورسيكي واسمه يوسف وكان عبدا لحسن قورصو لقتله وقتله بجامع سيدي يعقوب في كدية الصابون.

- Haedo, Topographie, op.cit ,p 348.

بالإضافة إلى قضاء الأمراض والأوبئة (داء الطاعون) على معظم الأقاليم بالإيالة فحسب "كانو" Cano «انخفض عدد الأقاليم خلال القرن الثامن عشر حتى لم يبق منهم سوى مائتين أو ثلاثمائة في سنة 1769»¹، ولم يعد لهم دور يذكر في سياسة البلاد.

غير أن قبل هذا التاريخ أدى الأقاليم دورا مهما في أمن وإدارة البلاد وتجلي ذلك في رد معظم الهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية، وإخضاع الأقاليم المتمردة على الحكم العثماني بالإيالة، والحفاظ على حدود الدولة من خلال إفشال الحملات المغربية في الغرب الجزائري. والجدول الآتي يوضح الأقاليم الذين توالوا على حكم الجزائر:

الأقاليم	فترة الحكم	ملاحظات
حسن آغا الخادم	1545-1537	تولى في الفترة الفاصلة بين حكم خير الدين بربروس وحسن بن خير الدين وعلى ما يبدو أنه قضى فترة حكمه في رد الحملات الصليبية وإخضاع القبائل المتمردة ضد الحكم العثماني

¹ - Cano A., Nouvel aspect de la topographie d'Alger, traduit par Bonnaute, 1769, p 185.

بالإيالة.		
حاول القضاء على الوجود الإسباني بوهران إثر محاصرتها برّاً وبحراً، إلا أنه اضطر لفك الحصار على وهران بأمر من السلطان العثماني لحاجته لأسطوله في البحر المتوسط.	1557-1556	حسن قورصو
تمرد على السلطة المركزية حيث رفض قرار الباب العالي في تنصيب جلبي كرادو علي ووقع إضراب في الحكومة غير أنه قتل سنة 1557.		
أرسله الباب العالي واليا، فرفض مجموعة من الانكشارية والأعلاج تسليم الحكومة إليه وصدوه بعناية، غير أنه جمع أتباع من الأعلاج واستأصل شوكة المتمردين فقتل حسن قورصو، وعلج مصطفى وعلج علي ساردو، غير أن علج يوسف الكورسيكي قتله سنة 1557 بجامع سيدي يعقوب عند كدية الصابون.	1557	جلبي كردو علي

<p>خلف حسن باشا الكرغلي بن خير الدين (1557-1567)، أخضع تونس بعد تمرد مولاي حميدة في ديسمبر 1569. ساهم في نقل عدد كبير من الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية، شارك في الحرب البحرية الكبرى في لبيانت¹ في 7 أكتوبر 1571، حيث كان أسطوله في الميسرة والأسطول المصري في الميمنة وأسطول السلطان العثماني في القلب بقيادة علي باشا، ألحقت الهزيمة بالأسطولين ما عدا أسطول علج علي الذي أنقذ بقية السفن واستولى على السفينة التي تحمل الراية البابوية.</p>	<p>1571-1568</p>	<p>علج علي باشا</p>
<p>نشطت القرصنة في عهده، واجه مجاعة كبيرة حيث عمد إلى مصادرة عبيد الرياس والأتراك</p>	<p>1580 - 1577</p>	<p>حسن باشا، فنزيانو</p>

¹ - بعد إخضاع تونس للحكم العثماني 1569، شكلت البابوية وجمهورية البندقية وإسبانيا حلفا ضد العثمانيين وانعقدت جلسة الأطراف الثلاثة في جويلية 1570، وفي 25 ماي 1571 وقعت الأطراف الثلاثة معاهدة تقضي بمواجهة العثمانيين فووقت المعركة البحرية الكبرى في لبيانتو على سواحل بلاد اليونان الغربية بين أسطول الدولة العثمانية والحلف المقدس (البابوية روما، البندقية، إسبانيا).

<p>والأهالي حتى عبيد القائد رمضان (التركي) وذلك للحصول على الفدية تمكنه من مواجهة القحط الذي تعاني منه البلاد، وفرض على الرياس دفع خمس الغنائم للدولة بدل السبع واشترى الكثير من القمح والمواد الغذائية ورفع ضرائب الأهالي واشترط دفعها قمحا وشعيرا ليعيد بيعه محققا أرباحا كثيرة، كما احتكر تجارة اللحوم¹.</p> <p>هيمن أسطوله على سواحل شبه الجزيرة الإيبيرية أين وجد فضاء رحبا لأسر الإسبان وتهجير الفارين من الأندلس، أثارت سياسته الأهالي والرياس والأتراك فحرروا عريضة فيها مساوئه الإدارية وأرسلوها للباب العالي مع وفد يتكون من عدد كبير من الشخصيات الأهالي والمرابط بو الطيب وثلاثة ضباط قدامى من الانكشارية برتبة</p>		<p>علج (من البنديقية)</p>
--	--	-------------------------------

¹ - Haedo, Histoire des rois d'Alger, traduit et annoté par H.D. de Grammont, p..23

بولكباشي فلبى السلطان طلبهم وعزل حسن فنزيانو.		
اصطدم بالرياس والانكشارية، اهتم بالنشاط البحري أدت سياسته إلى تدبير مؤامرة لقتله في أبريل 1581 التي دبرها قائد الانكشارية السابقة ابن دالي، في عهده حاول علج علي تأديب الملك المغربي بتدخله في شؤون الإيالة، غير أن جعفر باشا رفض شن حملة على مدينة فاس، وصلت أنباء الخلاف بين العلجين إلى السلطان العثماني نظرا للرسالة التي حملها إليه المرابط بوبكة، أوقف السلطان مشرف علج علي في احتلال المغرب وعزل جعفر باشا ¹ .	1582 - 1580	جعفر باشا علج هنغاري
بعد عزل جعفر باشا، أوفد الباب العالي الباشا رمضان لتسيير البلاد، فرفضه السكان فاضطر	بضعة أشهر من 1582	مامي الأرناؤوط علج يوناني

¹ - Haedo, Histoire des rois, op.cit., p23.

<p>مامي الأرنؤوط لتسيير البلاد لفترة قصيرة جدا، عكف فيها على إخماد الغضب الداخلي للأهالي، وفرض النظام في صفوف الرياس والانكشارية.¹</p>		
<p>واصل على سياسته في تشجيع القرصنة في السواحل الغربية للبحر المتوسط، فبلغت مراكب الرياس جنوة وبرشلونة وحتى جزر الكناري. عينه السلطان العثماني قبطان باشا للأسطول العثماني سنة 1586، غير أنه لم يحظ بمنصب بايلرباي المغرب كون الإدارة العثمانية كانت تسعى التخلي عن منصب البايالربايات وتعويضه بنظام الباشوية في جميع ولاياتها العربية.²</p>	<p>1583-1582</p>	<p>حسن فنزيانو</p>
<p>كانت الاوضاع متوترة في عهده، وتمردت الانكشارية عليه.</p>	<p>1587-1585</p>	<p>محمد باشا عتيق قارجه علي</p>

¹ - Ibid., p23.

² - Ibid,op-cit,p.25.

حاول تجاوز الازمة السياسية والعسكرية الداخلية في اقرار الهدوء النسبي، غير الامر لم يدم طويلا.	1603-1598	سليمان باشا عتيق قطانيا
وقعت عدة أحداث في ولايته منها مهاجمة الدويلات الإيطالية (توسكان) مرسى عنابة وتحطيمه واحتلوا المدينة غم جهود محمد بن فارح باي قسنطينة للحيلولة دون ذلك الذي استشهد في المعركة، سرقة مدفعين برونزيين من طرف احد الفرنسيين، ونقض الجزائر معاهدة مع فرنسا بموجب هذا التصرف. في 14 ماي 1610 ظهور عمارة فرنسية في المياه الإقليمية الجزائرية وتحطيم مرسى ثورايا. ¹	1610-1607	رمضان باشا بكرلي عتيق رمضان باشا
رسم الحدود الجزائرية التونسية تبعا للاتفاقية بين الطرفين، ودخل في مفاوضات مع فرنسا، بخصوص افتداء الأسرى المسلمين ولم تصل	المرّة الأولى 1617-1613	حسين باشا الشيخ

¹ - Haedo, op.cit, p.

المذاكرات لحل مجدي نظرا لشروط فرنسا التعصبية. ¹		عتيق قايا باشا
كثرت القلاقل الداخلية في عهده وفشلت المساعي الدبلوماسية في إحلال السلام بين فرنسا والجزائر فعزله السلطان. ²	1617	سليمان باشا قطانيا
أرجع الهدوء النسبي للإيالة وعقد اتفاقية تبادل الأسرى مع فرنسا حيث أرسل مفاوضين للملك وأسفرت المفاوضات عن تبادل الأسرى بين الطرفين، فتبادلوا الأسرى غير أن إشاعة مفادها تعرض سفن جزائرية لسفينة مرسيليا في البحر المتوسط دفعت بأهل مرسيليا إلى الفتك بالجزائريين وقتل نحو 48 شخصا، وبناء على هذه الحادثة فتحت السلطات الفرنسية تحقيقا مفصلا	للمرة الثانية 1620-1617	حسين باشا الشيخ

¹ - Dan, op.cit., p. 343.

² - Delphin ; Histoire des pachas... ; i, J.A., Avril-juin 1922, pp. 200- 204.

<p>وأعدمت 14 من الجناة غير أن هذه الحادثة غيرت من وجه العلاقات بين فرنسا والجزائر.</p>		
<p>عادت مسألة الحدود في عهده إلى واجهة العلاقات الجزائرية التونسية، عندما نقضت القبائل التونسية تخطيط 1614، فهاجم الجزائريون البلاد التونسية ودحروا الجنود التونسيون قرب الكاف في الستارة ماي 1628 ثم عادت الأمور إلى نصابها بين الطرفين ورسمت الحدود من جديد وكان التخطيط يمتد من الشمال إلى الجنوب من البحر إلى رأس جبل هفا على قلوب الثيران ومنه إلى الكيرش ومنه إلى وادي ملاق إلى وادي السيران في الجنوب. واتفق الطرفان على احترام الحدود. عقدت معاهدة سلام بين الجزائر وفرنسا بعد تسليم المدفعين البرونزيين، غير أن الجند الانكشاري ثار على الباشا وسجنه في 1633 واستلم الديوان زمام</p>	<p>1633-1627</p>	<p>حسين باشا الشيخ</p>

السلطة.		
ظهر في عهد خصرف باشا (1623-1627) أظهر جدارته في القيادة بعد وصوله سنة 1627 إلى جبال إزلاندا في البحر الشمالي وغنم غنائم كثيرة منها 400 أسير.	1624 - 1623	كور مراد باشا الأعمى
استخلف إبراهيم باشا عرباجي أبريل 1624- أكتوبر 1624 لأسباب مجهولة وعلى ما يبدو فإن مدة حكمه لم تتجاوز الأشهر، عند شغور المنصب الحاكم اما في حالة الفوضى أو المرض. ¹	1651-1650	عتيق إبراهيم رايس عرباجي

▪ وضعية الأعلج:

¹ - Haedo, Histoire des rois, op.cit., pp. 43- 231.

- Grammont H.D., de lettre d'Isrmael Pacha à Louis XIV 1688, in R.A. 28, 1884, pp. 68- 73.

- Plantet Eugène, op.cit., p. 57.

من خلال رسوم المخلفات على ما فيها من ثغرات ونقض تظهر بكل وضوح درجات التفاوت الاجتماعي في الثروة وفي الأوضاع بين الأعلاج، ففي قرن القرصنة كان على رأس أثرياء الأعلاج نجد العليج رمضان بن عبد الله عتيق محمد آغا الذي زوجه بنته وعند موته في 1649 ترك حوشاً كبيراً ودار فخمة وأربعة عبيد نصارى، وقدرت ثروته بـ 24500 دج وليس مندرجا فيها ما حبسه من أملاك.

وذكر شالر¹ أنه في الصيف الأول من إقامته في الجزائر جاء راييس مسن لزيارته وسأله عن أخبار قبطان أمريكي أصبح صديقا له إثر سفر مشترك من الجزائر إلى اسطنبول، وكان الرايس عضواً في وفد رسمي سافر على متن سفينة أمريكية إلى اسطنبول لحمل الهدية المرسلة من الجزائر إلى السلطان وحاشيته وترك الرايس أثراً حسناً عند القنصل الأمريكي، وفي الأخير اعترف للقنصل أنه بلا عمل حالياً وبلا أموال وطلب منه ان يقرضه بعض النقود...، وأقرضه بعض النقود وأكد له أنه مستعد لمساعدته عند الحاجة واستمر يلتقي به ويراه أيضاً في المناسبات الرسمية.

وبعد سنوات قليلة عين هذا الرايس حسن خزناجي وهو منصب يوفر لصاحبه 50 ألف دولار سنويا حسب شالر، إن هذا الرايس يذكره سجل الغنائم البحرية كرايس له شبك حصل على على عدة غنائم في 1793، 1795، 1796. وفي 1816 عينه عمر باشا قائدا للأسطول وفي جويلية 1818 عينه حسن باشا خزنجيا وهو منصب بقي فيه إلى 1826 رغم تقدمه في السن كثيراً.

بعد تدمير الأسطول الجزائري 1827 لم تعد القرصنة فيما عدا سفن البايلك سوى عملية هامشية، غير أن هذا الامر لم يؤثر على معظم الأعلاج الذين احتفظوا بمراكزهم الاجتماعية نظراً لما ادخروه من غنائم خلال ازدهار فترات القرصنة.

ج- القناصل:

¹ - وليم شالر، المصدر السابق، ص 199.

أدى اتساع العلاقات الخارجية للإيالة الجزائرية مع الدول الغربية، إلى ظهور مشكلة الأسرى كإحدى تبعات هذه العلاقة، الأمر الذي استدعى إرفاق قناصل لتلك الدول بالجزائر العثمانية لإدارة أمور رعاياها الخاصة، وتمثيل هذه الدول أمام حكام الإيالة، وبالتالي يعتبر هذا المنصب حساس يتوجب على صاحبه اتخاذ كل تدابير الحيطة والحذر، وجميع الوسائل الدبلوماسية لترضية الحكام. كما يجدر على الدولة المرفقة له على إتباع نفس الطريقة في التعامل مع باشاوات الإيالة، أما إذا تقاعس الطرفان في كسب ود الحاكم، فهذا يؤدي إلى توتر العلاقات بين الطرفين، ويكون قنصلها الموفد إلى الإيالة مهددا بالسجن أو الأسر أو الطرد، ولعل كل من شالر وكاتكارت أمثلة واقعية تثبت هذا الوضع، حيث أورد Plantet الرسالة التي كتبها الحاج علي إلى لويس الثامن عشر¹ شرح فيها الأسباب التي دفعته إلى طرد القنصل الفرنسي (تانفيل) من بلاده والتي جاء فيها: «... إن هناك مثل عندنا يقول أن الإنسان يربط بلسانه، والحيوان برأسه، وهذا القنصل لا يمكنه ربط لا بلسانه ولا برأسه...»².

غير أن ما تجدر الإشارة إليه، أن أغلب القناصل بإيالة الجزائر، قد تمتعوا بامتيازات هامة لم يكونوا ليحصلوا عليها حتى في بلدانهم الأصلية، خاصة أن بعض الهيئات الرسمية في الإيالة اعتنت بالصورة الدبلوماسية للقناصل وأعطتها الأولوية في فترات مختلفة من تاريخ الإيالة وما يثبت صحة هذه الحقائق التاريخية هو كل ما تعلق بأماكن إقامتهم وتوفير خدم وحرس لحمايتهم وتلبية رغباتهم، غير أن دولتهم هي من تتكفل بدفع مرتباتهم ولا علاقة للإيالة بالأمر.

¹ - لويس الثامن عشر هو آخر ملوك فرنسا قبل الثورة الفرنسية (17 نوفمبر 1755 - 16 سبتمبر 1824) ملك فرنسا ونافارا، هو أخ لويس الرابع عشر وعم لويس السابع عشر، حكم المملكة من 1814 حتى 1824 حكما مطلقا، تخللتها فترة قصيرة فقد فيها الحكم عام 1815 بعد عودة نابليون، وهو فيما عرف في تاريخ فرنسا باسم المائة يوم، في عهده تراجعت السياسة الداخلية للحكومة الفرنسية وأخذت تنتقل إلى السياسة الخارجية وأعطتها الأولوية على الداخل، مما أدى إلى احتقان شعبي واسع، انفجرت بموجبه الثورة الفرنسية وهذا يعتبر من تبعات حكم لويس الثامن عشر الذي لم تختلف سياسته عن سابقه من ملوك فرنسا.

²-Plantet Eugène, Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1700- 1833, T2, paris :1889, pp. 527-529.

- أماكن الإقامة:

اختلفت أماكن إقامة القناصل الأجانب بإيالة الجزائر غير أن مركزها الأساسي كان في دار السلطان (مدينة الجزائر) التي اعتبرت وقتئذ أكبر تجمع للدخلاء من أمم وملل مختلفة.

- مرتبات القناصل:

بما أن منصب القنصلية يستدعي نفقات كثيرة لتوفير رفاهية مناسبة للقنصل يتمكن بموجبها مباشرة أعمال دولته بالإيالة، فإن الدول الغربية كثيرا ما تأخرت أو عجزت عن دفع رواتب قناصلها وهو ما أدى في أغلب الأحيان إلى توقف القنصل عن أداء مهامه أو ممارسة التجارة في الإيالة لتحمل مصاريفه أثناء فترة أداء مهام القنصلية حيث ورد في إحدى الرسائل الإدارية لإقليم بايلك الشرق حول القنصل الانجليزي الذمي يريد شراء القمح من الباي ويعيد بيعه، ليتوجه بعد ذلك بالمبلغ المتحصل إليه إلى ماهون، والرسالة كالتالي: « بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد

من الحاج عمر بن الحاج أحمد المركانتي بعنابة إلى مصطفى بن كوجك باي قسنطينة أخبرك أن القنصل الانجليزي يريد أن يشتري القمح من¹ الباي بخمسة ريالات للصاع الواحد والقنصل يطلب رخصته ليتوجه إلى ماهون وهو يطلب إخبار الباي بسرّه، وهو شراء البارود من الخارج بواسطة اليهود...»¹ الرد والسلام

¹ - مجموعة رسائل، 3205 الملف الثالث، رسالة من الحاج عمر بن الحاج أحمد المركانتي بعنابة إلى مصطفى كوجك باي قسنطينة، بدون تاريخ، ص 01.

الغريب في الأمر أن هذه الوظيفة التي جاهد أغلب أصحابها في الحصول عليها إما بالتركية أو الرشاوى أو الوصايا والعلاقات العائلية، عانى أصحابها من أزمات مالية هددت في الكثير من المرات مناصبهم هذا إذا لم نقل حياتهم، فالقناصل بالجزائر مارسوا مختلف الأساليب من أجل تأمين نفقاتهم الكثيرة والمتعددة لعل أهمها ممارسة التجارة سراً وعلانية وأخطرها الاستدانة من اليهود بفوائد عالية. ولعل هذه الثغرة التي أدت إلى تدخل اليهود في السياسة الخارجية للدول الأجنبية وعلاقتها مع الإيالة.

وعلى كل فما يمكن ملاحظة في هذا السياق أن كل دولة اعتمدت على سياسة معينة في دفع أجور قناصلها، فمثلاً بالنسبة للقناصل الفرنسيين، تكفلت الغرفة التجارية بمرسيليا، بدفع رواتب القناصل وموظفي القنصليات (نواب قناصل، موثقين، مترجمين، سكرتير... الخ).

تمثلت مداخل القناصل الفرنسيين أساساً في ما يعرف بحقوق القنصلية *Droit du consulat* وهي حوالي 2% رسوم على السفن الفرنسية وسفن الدول التي تحت حمايتها، لكنها مداخل قليلة مقابل النفقات الكثيرة للقناصل الفرنسيين، وهذا ما دفع ببعض القناصل إلى انتهاج طرق عديدة في الحصول على المال (التجارة) ضاربين بالأوامر الملكية عرض الحائط بخصوص التزام وانضباط في أداء المهام الحكومية، غير أن الأمور خرجت عن السيطرة فأرسل كاتب الدولة سانيلي *Seignelay* رسالة إلى محاسب البروفانس السيد *Lebret* رسالة في أوت 1689 والأخرى مع نهاية سنة 1689 في 06 ديسمبر 1689 جاء فيها: «... على نواب الغرفة التجارية بمرسيليا أن تتحمل تكاليف القنصل الذي يوافق الملك على تعيينه»²، وأجرت الحكومة الفرنسية تحقيقاً في شكاوى القناصل حول الوضعية المادية المزرية، غير أن الأوضاع بقيت على حالها وبعد عدة لقاءات سرية وعلنية مع ملك فرنسا تحصل بموجبها الكونت *Conte*

¹ - نلاحظ أن القناصل بالإيالة كان مسموحاً لهم حتى بشراء السلاح وهي تعتبر تجارة محظورة نوعاً ما، لكن الواضح أن القنصل يكون إما أن تحصل على رخصة من قبل الداي، أو يكون يتمتع بحظوة لدى باي البايك.

² - ACCM, série J, Art. 14.

Pontchartrain على مرسوم ملكي في 13 جويلية 1691، تتكفل بموجبه الغرفة التجارية بمرسيليا بدفع أجور القناصل الفرنسيين، وتخصيص 100 ألف ليرة توزع على جميع القنصليات في الإمبراطورية العثمانية.

غير أن الوضع بقي على حاله أمام هذا العجز الملكي في تغطية مصاريف القناصل استمر القناصل في تأمين نفقاتهم بطرق شرعية أو غير شرعية خاصة أمام مسؤوليتهم تجاه الهيئة الرسمية في الإيالة وما تقتضيه الدبلوماسية من التودد والتملق بالهدايا والهبات في المناسبات الرسمية وغير الرسمية، وهذا حتى يحافظ القنصل على حياته ويؤمن نفسه من الأسر الذي كثيرا ما حصل لبعض القناصل خاصة الفرنسيين الذين كانت علاقة دولتهم بالإيالة يسودها التوتر والاضطراب في أغلب الفترات.

وأمام هذه السلبيات اكتفى القناصل الفرنسيون بتوجيه نداءاتهم المتكررة إلى حكومتهم من أجل أخذ طلباتهم بعين الاعتبار حيث كتب القنصل لومير Le Maire رسالة في 29 جويلية 1694: « ... إنكم تسمحون أن أعاني يوميا وأنا أعمل للصالح العام، والإنفاق من مالي الخاص، بالإضافة إلى المأساة اليومية...»¹.

أما القنصل دوران فكتب رسالة في أبريل 1701 يقول فيها: «... أفضل حراثة الأرض على أن أعمل قنصلا...»².

غير أن ما كتبه القنصل الفرنسي Baume في 09 أكتوبر 1717 يحمل طابع التهديد أكثر ما يوضح المعاناة: «... أنا وحدي من يعاني، ولم يبق إلا جلدي أبيعه وأنا لا أبالي، عليكم بالحنر وعليكم أن تراعوا مصالحكم...»³.

¹ - ACCM, série J, art. 1354.

² - ACCM, série J, art. 1355.

³ - ACCM, série J, art. 1356.

وعلى ما يبدو فإن الأمر كان أسوأ ففي رسالة وجهها القنصل باري Paret في 14 جانفي¹ 1820 إلى الحكومة الفرنسية يطلب من خلالها جواز سفر لـ Olivier للعمل كطباخ لدى قنصل بريطانيا نعتقد في هذه الحالة أن منصب القنصل الفرنسي في الجزائر كان هامشيا لا واقعا ولعل الهدف من وراء ذلك هو أن تخلق فرنسا علاقة دبلوماسية مع الجزائر حتى وإن كانت صورية، حتى وإن دفع ثمن هذا التهور السياسي قناصلها بالإيالة، ففرنسا أرسلت قناصلها للجزائر كعيون لها لإفادتها بالمستجدات وبذلك حولت مهمة القنصلية كإحدى الواجهات السياسية للدولة وإنما جعلتها بيد الأقدار والظروف، ولعل هذا ما زاد في تدمير القناصل الفرنسيين خاصة أن هناك قنصليات في الولايات العربية للدولة العثمانية كانت فيها أجور القناصل مرتفعة على عكس قناصل إيالة الجزائر التي استمرت وضعيتهم في تدهور يوما بعد يوم وهذا ما نلمسه من خلال مراسلة قنصلية في 26 فيفري 1726 «... تجدون في البريد المرفق بيان النفقات بما أنه لم تكن السيولة الكافية اضطررنا للاستدانة بفائدة 2% لمدة شهر بالبستيون الإسباني..»².

أمام هذه الأوضاع المزرية تحاول الخارجية الفرنسية تجاوز الأمر وتدارك الفرق في مرتبات القناصل بين إيالات المشرق وإيالات شمال إفريقيا، وذلك بإلغاء كل الحقوق والرسوم القنصلية في 01 أوت 1720 وهذا حسب تصريح Duc Prashin في 1716، فكان من النتائج أن ارتفعت مرتبات القناصل ظرفيا.

بعد 1789 وجدت الحكومة الفرنسية مأزقا في دفع أجور القناصل خاصة بعد أن ظهرت السندات les assignats وبذلك تحولت العملات النقدية إلى ورقية مما أثر على طريقة الدفع بالنسبة للقناصل في مختلف القنصليات بالإمبراطورية العثمانية، أمام هذا المشكل الحقيقي اضطرت الخارجية الفرنسية إلى قطع وعود لقناصلها بتجاوز هذه الأزمة العابرة.

¹ - ACCM, série M, 05.1/13.

² - ACCM, série J, art. 1358.

والجدول التالي يوضح التطور البطيء لأجور القناصل بالجزائر حتى أصبحت قارة:

السنوات	1691	1720	1766	1779
القيمة (الليرة التورية)	6 آلاف	9 آلاف	10 آلاف	15 ألف ¹

وعلى ما يبدو فإن قناصل الانجليز كانوا أوفر حظا من الفرنسيين فالشركة² الشرقية هي المسؤولة عن دفع مرتبات القناصل الانجليز، فقد دفعت لجمس فريزل أجرا فوريا ومسبقا لسنتين¹، غير أن هذا لا ينفي بعض الاضطرابات المالية التي واجهت القناصل الانجليز بالجزائر.

¹ - ACCM, série J, art. 14.

² - شركة الهند الشرقية أو شركة الهند الشرقية المحترمة وسميت كذلك بشركة جول. تشكلت في البدء لمزاولة التجارة مع جزر الهند الشرقية ولكن انتهى بها الأمر بالمتاجرة مع شبه القارة الهندية والصين، وكانت من بين العديد من شركات الهند الشرقية الأوروبية ذوات الأسماء المتشابهة، وقد حصلت الشركة على تفويض ملكي انجليزي تحت اسم حاكم وشركة تجار لندن المتاجرين في جزر الهند الشرقية، بعد أن تحددت شركة انجليزية منافسة للاحتكار في نهاية القرن 17م، اندمجت الشركتان في 1708 ليشكلان الشركة المتحدة لتجار انجلترا المتاجرين في جزر الهند الشرقية التي اشتهرت باسم شركة الهند الشرقية.

تاجرت شركة الهند الشرقية أساسا في القطن، الحرير، النيلة، الشاي، الأفيون، كان العامة يطلقون عليها اسم شركة جون، أما الهنود فسموها شركة بهادور.

أما بالنسبة للقناصل الأمريكيين فقد كانوا أوفر حظا من القناصل الفرنسيين والانجليز وهذا نظرا لما تتمتع به من مركز دبلوماسي حقيقي، ووضع مالي قار ومريح، فالقناصل الأمريكيين أقاموا في قصور جميلة ومنازل ريفية فخمة، وكانت أجورهم تدفع بانتظام وبصفة دورية وهذا يوضح أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تبحث عن صدى خارجي حقيقي لدولتها في الأطلسي والمتوسطي وهو عكس ما انتهجته فرنسا وبريطانيا في اعتماد الآلة الدبلوماسية للتوغل داخل الإيالات العربية للدولة العثمانية العظمى، وبذلك صارت أوربا (فرنسا، إنجلترا) لا تستغني عن خدمات قناصلها التجسسية وهذا تمهيدا لمشروع استعماري مستقبلي وهيمنة حقيقية.

د- الأطباء:

سجلت هذه الفئة حضورها بمجتمع الإيالة، وكانت ذات ترحيب واسع بين الحكام والأهالي على حدّ السواء، لذلك كانت فئة الأطباء فئة ذات وضع حساس إذا ما تعلق الأمر بالأسر، فكانت حظوظها في الافتداء قليلة إذا لم نقل نادرة، لأن حاجة الإيالة للخدمات الطبية الغربية التي كانت متطورة خلال تلك الفترة جعلت الحكام يضعون في الكثير من الأحيان عراقيل أمام عمليات افتداء الأسرى الأطباء.

أما واقعها الاجتماعي في العهد العثماني يمكن الجزم أنها كانت فئة مرحب بها وعليها الكثير من الطلب، ففي عام 1775م² وجه صالح باي طلبا إلى وكيل الباستيون لإرسال طبيب فرنسي المقيم في القالة ليعالج ولد الباي الذي كان يعاني من علة مجهولة عجز الطب

الملكة إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا، أصدرت مرسوما بإنشائها في 31 ديسمبر 1600 مانهة لها سلطات احتكارية على تجارة الهند وجميع مستعمراتها في جنوب شرق آسيا لمدة 21 عاما، وبذلك تنفرد الشركة بتولي جميع المعاملات التجارية لتتحول الشركة من مشروع تجاري إلى سياسي حكمت بموجبه جميع الولايات الهندية، وجميع مستعمرات التاج البريطاني وذلك ببعد سياسي وعسكري من بريطانيا واستمرت الشركة على هذه الحال حتى إعلان التمرد المدني في الهند عام 1858.

¹ - جون وولف، المرجع السابق، ص 257.

² - مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم 53 من صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة بعام 1775، ص 01.

البديل عن اكتشافها ومداواتها، وفي رسالة أخرى من أحمد باي إلى وكيل الباتسيون أوائل رجب 1185¹ طلب فيها إرسال الطبيب الفرنسي إلى الباي للكشف عن مرض أصابه.

إن الرسالتين توضحان الأهمية البالغة والحظوة الكبيرة التي كان يتمتع بها الأطباء بالإيالة إلى درجة أن إقامتهم في منطقة من مناطقها كانت محل ترحيب وامتنان، ضف إلى ذلك أن فئة الأطباء هي الوحيدة من فئة الأحرار التي كانت تنتقل بين مختلف ربوع الإيالة دون رخصة وهذا يتضح من خلال الرسالة التي بعث بها الرئيس دحمان في القل إلى إبراهيم وكيل الحرج بعناية جاء فيها: وصلتنا رسائل من وكيل الجزائر في تونس إلى حسن باشا حول اعتناق طبيب أوروبي الإسلام يقيم بعناية ويتردد على قسنطينة لمعالجة المرضى... " وعلى ما يبدو من مضمون الرسالة أن الباي كان مسرورا من هذه المبادرة، فلهذا سيخفف من حدة الطلب على الأطباء ببايلك الشرق.

اهتمت حكومة الإيالة بهذه الفئة وأعطتها أولويتها داخل المجتمع دون مراعاة لأهليتها الأخلاقية أو العلمية المهم أن تسد ثغرة مهنة الطب بالإيالة، فعينوا لهم إقامة خاصة تليق بمقامهم وحددت لهم نفقات خاصة بهم، وألحقتهم بالمستشفيات العسكرية وحاميات الجند، ومستشفيات الأسرى، وعينت لهم خدم ترافقهم أثناء أداء مهامهم، واعتنت أيضا بتوفير وسائل النقل لتحركاتهم المختلفة، فالطبيب كانت تقله عربة خاصة وهي دائما تحت تصرفه سواء تعلق الأمر أوقات العمل أو تنقلاته الخاصة، إن هذه الحظوة التي تمتع بها الأطباء والتساهل الذي حظوا به من قبل حكومة الإيالة هي ما سجلت عدة تجاوزات من قبلهم ولعل أهمها هي تلك ما تعلق باتهام طبيب فرنسي في قضية أخلاقية، حيث ورد في رسالة من صالح باي إلى وكيل الباتسيون عام 1779 حول قيام قائد بعناية بقتل امرأة بسبب اتهامها بالزنى مع طبيب فرنسي « الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الأرفع الهمام الأنعب الصدر الوجيه الأيمن مولانا السيد صالح باي أعزه الله تعالى أمين إلى خديمتنا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإنه قد ورد علينا كتابكم وما عرفتمونا فيه من أمر

¹ - مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة رقم 41 من باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة في أوائل رجب 1185، ص ص 01 و02.

الطبيب وما وقع له مع القايد بسبب المرأة وقتل المرأة علما بأن تعلم وأننا زجرنا القايد عن فعله هذا الذي قام به لم يثبت عندنا... وكنا أمرنا قبطان عنابة أن يبعث الطبيب إليكم... أوصوا النصارى لا يجرون على عاداتهم، ولا يدخلون ديار المسلمين... حتى لا تنسب إليهم مثل هذه الأمور...»¹.

إن هذه الرسالة توحى بأمرين:

- الأول: إما أن الأطباء لكثرة حريرتهم صاروا يدخلون بيوت المسلمين، وبالتالي أمور الشبهات واردة.
- الثاني: أن الباي ربما تغاضى عن ما حصل من قبل الطبيب وذلك لحاجة البايلك لخدمات هذا الأخير.

وفي الأخير يمكن القول أن النصارى الأحرار كونت طبقة اجتماعية ظرفية بالإيالة اختلف واقعها ومصيرها عن بعضها البعض، غير أننا لا ننكر أنها كانت فئة فاعلة ومؤثرة بمجتمع الإيالة على الرغم من التحفظات الكثيرة والعديدة، ربما ستكشف عنها الوثائق في مستقبل قر يب في دراسات جدية معلنة.

هـ- الجواسيس:

1- الكلونيل بوتان² : أنموذج

¹ - مجموع رسائل 1641، الملف الثاني، رسالة صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة عام 1779 الرسالة كاملة.
- فانسان إيف بوتان" ولد في 1 يناير 1772م، بقرية" لورو- بوتيرو بلور السفلي، بضواحي مدينة نانت الفرنسية، من عائلة متواضعة، أبوه هو المارشال" فيرون" كانت له بعض² الممتلكات، ويحظى بسلطة بين أوساط سكان بلده، وقد أهله ذلك لتقلد منصب رئيس بلديته سنة 1790م. تلقى "بوتان" تعليمه الأول، بمدرسة قريته، ثم واصل تعليمه بكوليج مدينة نانت، وأنهاه سنة 1791م، وفي سنة 1793م، شارك في مسابقة الدخول بمدرسة ميزيير العسكرية، ونجح في ذلك، لكن الدراسة فيها كانت غير منتظمة، نظرا للظروف التي كانت تمر بها فرنسا، لاسيما وأن ذلك تزامن مع سنوات الثورة فحولت المدرسة إلى مدينة ميتر بقرار 11 فبراير 1794م، ومنذ 15 سبتمبر من نفس السنة الأخيرة، التحق "بوتان" بسلك الهندسة العسكرية، ثم القوات العسكرية" بسمبر موز" ليبدأ مشواره العسكري.

من القضايا الخطيرة التي إرتبطت بتاريخ الجزائر الحديث، أواخر الحكم العثماني، قضية الجوسسة الأوروبية على إيالة الجزائر، في محاولة للنيل منها، بإعتبارها كانت أحد " القلاع" الإسلامية، التي وقفت ندا للند أمام القوى الأوروبية المسيحية فترة طويلة، وقد سبق الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، مهمة تجسسية قام بها الكلونيل بوتان" عميل" نابليون بونابرت سنة 1808م-

كانت العلاقات بين الحكومة الفرنسية وإيالة الجزائر، متوترة بسبب عدم تسديد فرنسا مستحقاتها، من الديون للجزائر، بعد تمويلها بالقمح، وكان" نابليون بونابرت" إمبراطور فرنسا، يحلم بأن يجعل من البحر المتوسط بحيرة فرنسية" لكن هذا المشروع سيؤجل إلى حينه، نظرا لإنشغاله بالحروب ضد أعدائه في أوروبا، وروسيا القيصرية، ومع ذلك كان يفكر مليا في إحتلال الجزائر، وللتعرف عليها عن كثب قبل غزوها، كلف في 18 أبريل 1808م، الأميرال "ديكريس" وزير البحرية، بإرسال أحد مهندسيه العسكريين سريرا على متن سفينة للتحدث مع السيد" تانفيل" القنصل العام الفرنسي بالجزائر، على أن يتصف بالذكاء والدهاء، وأن يكون ضابطا عسكريا ومهندسا، وعليه أن يتجول بنفسه داخل وخارج الأسوار، وعند العودة إلى غرفة نومه عليه أن يدون ملاحظاته لنقلها جميعا إلى فرنسا .

وإستنادا إلى أحد تقارير القادة العسكريين الذين كانوا في مهمة بالقسطنطينية حول" بوتان" وقع الوزير المكلف إختياره على" بوتان في 30 أبريل 1808م¹، لإنجاز مهمة تجسسية بالجزائر.

في نوفمبر 1794م، ترقى" بوتان" إلى رتبة ملازم أول ثم إلى رتبة نقيب، في 21 مارس 1795 خلالها كلف بعدة مهام لمصلحة بلاده، لاسيما في أوروبا والأناضول وقد أبت جدارته في إدارتها بشهادة قاده مما أهله لأن يترقى إلى رتبة رائد(كومندان، قائد كتيبة) في 28 ديسمبر 1807م.

¹ - محمد خير فارس ، المرجع السابق، ص58.

وفي 9 ماي من نفس السنة أقلعت سفينة "لوروكان" من السواحل الفرنسية في اتجاه الجزائر، وعلى متنها "بوتان" بهوية أنه أحد أقارب السيد "تانفيل" (قنصل فرنسا في الجزائر) لكن السفينة إنحرفت نحو تونس، بسبب تعرضها لهجوم بحري بريطاني، وفي 24 ماي وعلى الساعة التاسعة مساء وصلت السفينة الفرنسية إلى ميناء الجزائر، وهنا تبدأ مهمة "بوتان".

إتصل بوتان أولاً كما هو معلوم بالقنصل الفرنسي تانفيل" الذي زوده ببعض المعلومات ثم بدأ مهمته، بالتجول في شوارع المدينة، وفي ضواحيها، وفي نفس الوقت كان يقوم بالصيد على شط البحر، تلك كانت هوايته المفضلة، وكان يقوم بعض الرسومات التمهيدية وعندما كان يعود مساء إلى القنصلية يشرع في تدوين ملاحظاته وأبحاثه، قام بها خلال ذلك اليوم، وقد وصلت أبحاثه لغاية خليج "متيفو" وناحية" من سيدي فرج لأن حارس ضريح الولي الصالح" سيدي فرج" منعه من التقدم أكثر إلى ذلك المكان المقدس بالنسبة للمسلمين .

وفي 17 جويلية من نفس السنة، تنتهي مهمة "بوتان" في الجزائر، التي إستغرقت أقل من شهرين، إذ نقل على متن نفس السفينة في اتجاه مدينة تولون، لكنها إحتجزت من طرف الفرقاطة الإنجليزية " لافولاق" التي كانت تجوب عرض البحر المتوسط، مما جعل "بوتان" يتخلص من بعض الوثائق الهامة التي كانت بحوزته، من ذلك قرارات ممضية، وتقارير سرية للقنصل" تانفيل" رسومات جغرافية واضحة وخطيرة عن الجزائر، ويحتفظ ببعض المعلومات التي دونها كتابيا عن الجزائر (العاصمة) أو كانت مخزنة في ذاكرته.

وبعد إطلاق سراحه، وصل "بوتان" إلى باريس في 29 أكتوبر 1808م، وهناك كتب تقريره الأول عن المهمة التي قام بها في الجزائر، إستنادا إلى الوثائق التي بقيت في حوزته، والمعلومات التي كانت لا تزال راسخة في ذاكرته، وقدم تقريره إلى الإمبراطور " نابليون "مباشرة بعد عودته من إسبانيا في فبراير 1809م، هذا الأخير طلب منه تحرير تقرير ثاني سياسي، يسلمه إلى وزير العلاقات الخارجية، فأجزه خلال شهر مارس.

وكان على الإمبراطور الشروع فوراً في إعداد الخطة لغزو الجزائر، بناء على معلومات "بوتان" لكنه عزف عن ذلك، نظراً لتحالف أوروبي جديد تشكل ضده.

وخلال مهامه التي قام بها في المشرق العربي، لاسيما في مصر، ثم سوريا، تلقى "بوتان" الأوسمة، وترقى إلى رتبة عقيد (كلونيل) لكن مشواره توقف بعد إغتياله في ظروف غامضة بسوريا، وحسب المعلومات التي أدلى بها نائب القنصل الفرنسي بأنطاكية، أن الكلونيل، بوتان" توفي خلال شهر جويلية أو في بداية شهر أوت سنة 1815 م، بالقرب من قرية البلاطة، وهي السنة التي أندحر فيها" نابليون نهائياً، ونفي إلى جزيرة سانت إيلينا، ليتوفي هناك سنة 1821م.

وفي أواخر حياة عرش أسرة" آل بوريون" بدأت التحضيرات مجدداً لغزو الجزائر، وبناء على تقارير الكلونيل" بوتان" التي اقترح فيها نقطة إنزال القوات الفرنسية في "سيدي فرج" لأنها منطقة مستوية، وغير محمية، لا من حيث الجند، ولا من حيث بطاريات المدافع، بعد ذلك يتم السير على منحدر غير مريء بعيد عن أنظار التحصينات أو تجمع الفرسان، لغاية الوصول إلى مكان نصب المعسكر، ومن ثم الإنطلاق في أول هجوم، وهذا ما سيحصل فعلاً.

كما اقترح "بوتان" في تقاريره، بأن يكون موعد الإنزال ما بين 10 ماي و 10 جوان، لأن خلاله تكون التربة والمسالك مهيأة، ومنابع المياه متوفرة، وهذا ما يمكن القوات الفرنسية من التزويد بالمياه اللازمة قبل حلول موجات الحرارة، وهذا ما سيعمل به الغزاة لاحقاً، فالإنزال تتم بتاريخ 14 جوان 1830م، بتأخر أربعة أيام عن الموعد المحدد، وهذا راجع لرياح عكسية عطلت الإنزال.

واقترح" بوتان" أيضاً على الجنود الفرنسيين الحذر واليقظة، خلال هذه الحملة، وقد تم العمل بذلك فعلاً، لأن الجزائر(العاصمة) سقطت في أيديهم صباح يوم الخامس من شهر جويلية 1830م، وهذا ظرف وجيز، ربما لم يكن الفرنسيون يتوقعونه.

وإقترح " بوتان " عند دخول المدينة، تشكيل شرطة، تكون مرنة في تعاملها مع السكان المحليين، ومن جهة أخرى نصح بإحترام المساجد ، وعدم التعدي على النساء وحرمات البيوت أو الحدائق، وبتسديد المال عند الشراء، وأن أرى خرق لذلك سيؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، كما نصح الجيش الغازي عندما يتوغل في داخل البلاد (جنوبا) أن يستعمل أسلوب الحجة والإقناع، بدلا من إستخدام القوة العسكرية، وهذا لكسب تأييد السكان المحليين¹، لكن هل هذا صحيح هل فعلا طلب بوتان الرافة باحترام حرمة البلد والأهل؟ نعتقد أن الأمر فيه نوع من :

و- فئة التجار:

إستقطبت إمكانيات الإيالة الإقتصادية أنظار التجار منذ فترة بعيدة، تعود إلى القرن الثالث عشر (13) عندما تعاملوا مع سكان المنطقة الشرقية لصيد المرجان ومنذ القرن الرابع عشر (14) مع الموانئ الغربية² وكان هؤلاء التجار من جنسيات مختلفة فمن أهم الأوروبيين الذين كانت لهم مصالح مع الجزائر: الفرنسيون حتى أن المعاهدات التي وقعت مع الإيالة في عهد لويس الخامس عشر (15) كانت كثيرة وسنحاول أن نفصل بين التجار الأفراد والمجموعات أي المؤسسات التجارية إن التعدد الجنسي للتجار سيعطي للتجارة الجزائرية العالمية، فالكثير من المدن الساحلية طبعت بخاصية التجارة البحرية مع الضفة الشمالية.

■ التجار الفرنسيين أنموذجاً:

نظر إلى لغنى ساحل الجزائر بالمرجان بمختلف أنواعه، وإزدياد الطلب عليه بدأ تردد التجار الأجانب على الساحل الجزائري يتبادلون السلع تصديرا وإستيرادا بالتوجه نحو الإستثمار والشئ الملفت للإنتباه هو كثرة التجار الفرنسيين بمدينة الجزائر بصفة مؤقتة أو دائمة وقد

¹- Commandant p Chalmin le colonel Boutin , une mission en Algerie en 1808 Revue historique de l'armée N 2 T -1953 , p P 7-24

²- Pestemaldjoulou (A), le consulat français d'oran de 1732 à 1754 R . A 1942 1^{er} et 2^{eme} Trimestre, pp 220-254 P 221.

سمحت دراسة "Devoulx"¹ الذي أحصى الفرنسيين المقيمين بالجزائر من 1686 إلى 1830 يتبع نشاطا الرعايا الفرنسيين ولاسيما التجار منهم ويظهر ذلك أيضا في وثائق الغرفة التجارية بمرسيليا.

إنعكست الأوضاع السياسية والعلاقات الدولية على التواجد الأوروبي بسواحل الجزائر، إذ تركزت سيطرة الفرنسيين على الساحل الشرقي من خلال الإمتيازات والمؤسسات نجد التفوق الإسباني بموانيء الغرب بالأخص وهران والمرسى الكبير بحكم سيطرة إسبانيا وإحتلالها للمنطقتين منذ مطلع القرن السادس عشر (16)، ويليهما في المرتبة الثانية الإنجليز، بينما عرفت مدينة الجزائر تعدد التجار الأحرار من فرنسيون يهود ولاسيما الليفورنيين الذين أحصاهم هادي Haddey في عصر القرصنة الذهبي، أو الإحصائية التي قام بها محمد أمين² حول التجار الجزائريين في فترة نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

وإن كان عدد الفرنسيين يبدو قليلا مقارنة بالفترة المدروسة وغير ثابت، إلا أن الملفت للإنتباه هو طول مدة الإقامة بالجزائر فعلى سبيل المثال:

– ماركوران قاسبار Mercurin Gaspard من أكسر الذي إستقر بالجزائر ولمدة 17 سنة بدون إنقطاع 1718 إلى 1735³.

– برونو دنغاليار Bruno Dengallière من 1734 إلى 1749 لمدة 15 سنة وإبتداء من 1741 إشتراك في العديد من الصفقات التجارية مع بيار إيكار Pierre Icard من مرسيليا⁴.

¹- Devoulx (A), relevé des principaux français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830 R A 1872, P 387- PP 420-429.

²- Mohalmed Amine, commerce et commerçant d'Alger, R. H . M année 1995 , N° 77-78

³- Devoulx (A), principaux français , op.cit, p 368 .

⁴- Ibid , p 373.

- نيكولاس برينجو Bringer Nicolas من أوباني الذي أقام بالجزائر مدة 11 سنة من 1747 إلى 1758¹.
- ما يفرن بيارجوزيف Meifrun Pierre Joseph من 1752 إلى 1794 أقام بالجزائر لمدة 42 سنة لتسيير شؤون رونيرو دنقالير Rongnon et Dengalliére وبيت دنقالير من 1758 إلى 1778².
- كريست هاسنت Crest Charle Hacinthe الذي رخص له بالإقامة بالجزائر كوكيل تجاري لبيت Raffau فقد أقام بالجزائر لمدة 48 سنة من 1769 إلى 1817³.

ويمكن تفسير قلة الفرنسيين مقارنة بالفترة تحت قيد الدراسة لطول الساحل ووفرة المدن ذات الطبيعة التجارية البحرية وبالنظر إلى نمط الحياة الإجتماعية المختلفة عن النمط الأوروبي، فصعب الإستقرار ببلد يختلف في طبائعه وأنماطه المعيشية، أو لإنخفاض القدرة الشرائية لسكان الجزائر، بالإضافة إلى أن هؤلاء التجار في أغلب الأحيان وكلاء لتجار أو مجموعات تجارية، وقد يعود ذلك إلى شراسة وقوة المنافسة التي واجهها التجار المرسيليون من قبل الشركة الإفريقية التي أصبح موظفوها متحكمين في التجارة الفرنسية مع الإيالة.

إن التجار الفرنسيين كثيرا ما شاركوا إلى جانب بقية التجار الأوروبيين واليهود في تجارة الغنائم البحرية عن طريق المزايعة، في السوق الجزائرية، بالإعتماد على المعطيات التي قدمها درفلكس Devouix ففي 1746 إشتري التاجر دنقالير Dengalliére في المزاد سفينة ذات حمولة 180 برميل أخذت من الهامبورجيين Hambourgerois وإشتري أيضا فرقاطة برتغالية ذات حمولة 120 برميل في

¹- Ibid ,p 317 .

²- Ibid, p 381.

³ - Ibid , p p 421-422.

1748 ، كما أرسل في نفس السنة باتجاه مرسيليا حولتين من السمك Morue من غنيمة فرنسية¹ فرغم الإجراءات الحكومية الإسبانية والفرنسية التي تمنع تجارهما من شراء الغنائم البحرية، لكن فرصة الربح كانت أكبر من أن تجعل هؤلاء التجار يلتزمون بهذه القرارات.

كما دفعتهم فرص الربح إلى إجراء بعض المعاملات التجارية لصالح الدايات، كالدور الذي قام به التاجر مايفرن Meifrun الذي أقام مدة طويلة بالجزائر، فقد أحضر للداي من مرسيليا في مارس 1753 مجموعة من المواد الإستهلاكية الكمالية (تفاح، زبيب، شراب...)² وكان له نشاط معتبر بالجزائر، وكثيرا ما إشتري من الديوان سفنا(حصيلة غنائم) كمثال: شراء سفينة بحمولة 80 برميل في 13 سبتمبر 1769 وبينكين الأول بحمولة 1000 قنطار والثاني 3000 قنطار.....³، ولم يتوان التجار الفرنسيون في تقديم خدماتهم لكبار مسؤولي الإيالة رغبة في الحصول على إمتيازات ومصالح تجارية وإن كان الإتجار حتى فيما تمنعه حكوماتهم كالمواد الحربية، إذ نجد التاجر مايشن Maichen زود الإيالة في 1728 عن طريق قريبه بيراد Peyrade من هامبورغ Hambourg ب 60 قطعة مدفوع، 800 قنطار Filasse، 1000 كريات Boulets و300 برميل بارود.....⁴ بيراد، وذلك ما تظهره رسالة الداوي إلى لويس الخامس عشر وكعينة عن التجار الفرنسيين نتناول.

■ بيوت التجارة الفرنسية:

¹- Devoulx (A), principaux français, op.cit , pp 421-422

² - Ibid , p 381.

³- Ibid , p 382.

⁴- Plantet (E), op.cit , pp 132-133 .

يشكر الداوي عدي باشا لويس الخامس عشر (xx) عن التسهيلات التي قدمها للتاجر Maichen بخصوص تزويد الإيالة بالمعدات الحربية Alger article 1881 objet (A cc série J) divers)

مراسلة levet محاسب بروفانس من باريس 29 ماي 1723: مقابل 2000 بباسترة كالتى يدفعها الإنجليز يتحصل ميشان على إمتياز تجاري مطلق بوهران، بذلك يلطب ترخيص وتسهيل إستغلال هذا المركز.....

التاجر جيمون Gimon الذي يعد من أهم التجار الفرنسيين الذين كانت لهم بيوتات تجارية بالجزائر، وتداولت على إدارتها عدة شخصيات من نفس العائلة، وإستمر نشاطه فترة طويلة حتى الثورة الفرنسية، يبدأ هذا البيت التجاري مع جيمون لويس ميشال Gimon Louis Michel الذي إستقر في الجزائر مع 1749¹ ، وكان قد سدل نجاحا كبيرا فقام بعدة صفقات مربحة حت تحصل على إحتكار تجارة الشمع، الجلود والزيت بمدينة الجزائر مركز الإيالة.

بدأ جيمون الأول نشاطه كشريك للبيت Porterie Frère المرسلين فقد إشتري في سبتمبر 1756 من عبد الله خوجة سفينة من نوع ترتانة (St Vincent - Ferrier) ذات سعة 60 برميل كما شغل منصب مستشار بالقتصلية في غياب جرمان Germain M في 2 ماي 1752 لتنتهي مهامه في 27 ماي 1760² بعد تعيين المستشار الجديد أرميني Armany.

بعد مدة سيعويضه ابنه جون باتيست (Jean Batiste Louis Marie) الذي إستقر في حدود 1772 بالجزائر كوكيل لأبيه شريك الإخوة بورتوري (Porterie Frère) فإشتري من سفينة Polacre بسعة 225 برميل التي أسماها القديس لويس³ وفي 1781 إشتري عدة سفن من الغنائم البحرية وهي كالتالي⁴.

▪ ترتانة بسعة 105 برميل (سانت ماري) غنيمة نابوليتانية.

▪ Senault بسعة 105 برميل (Triton) غنيمة جنوبية وفي 1782 إشتري :

¹ - Devoulx (A), principaux français Op.cit, p 379.

² - Ibid , p 380.

³-Devoulx (A), principaux français Op.cit , p 422.

⁴- Ibid ; pp 422-423.

- سفينة بسعة 120 برميل التي كانت مجهزة في السابق للأعمال البحرية بقيادة الرئيس إنجي محمد وأطلق عليها اسم S'Genivieve.

- بنك 216 برميل " سانت فرانسوا " غنيمة نابوليتانية .

- سفينة 120 برميل (la fortune) غنيمة إسبانية.

- Brigantin برميل " المغامر " غنيمة برتغالية...

لقد تميز نشاط بيت جيمون التجاري بتصدير منتوجات الإيالة الأساسية وحتى تلك المواد التي تأتي بها القوافل (القرون الحلفاء...)¹ وبعد 1784 يأتي جيمون الثالث جون باتيست² Gimon Jean Baptiste الذي يسلك نهج سابقه في تجارة السفن فيشتري في 1785:

- 180 Polacres برميل " سانت جون باتيست من غنيمة نابوليتانية .

- 130 Senault برميل " la Mariane " غنيمة برتغالية.

- 80 Goelette برميل l'heureux labre غنيمة أمريكية....

وفي نفس السنة يقوم ب13 عملية تصدير لمواد متنوعة (جلود، صوف، فول، ريش نعام....) و8 عمليات توريد من مواد مختلفة (ورق، حرير، أقمشة، وليج....) ويقوم في 1786 ب16 عملية تصدير و11 عملية إستيراد.

¹ - Ibid, p 423.

² - Ibid , p 425 .

غير أن أحداث الثورة الفرنسية إنعكست سلبا على نشاط عائلة جيمون Gimon فأصبح عاجزا عن الوفاء بالتزاماته المالية إزاء الخزينة الجزائرية¹، فانتزعت منه سلطات الإيالة الإحتكار التي يحظى به بإستثناء الجلود حيث تحول إلى أيدي التجار الإسبان²، ثم يتحول البيت من الأبناء جيمون إلى الإخوة جيمون التي يمثلها Gimon Jean - Nicolas الذي سجل طلب ترخيص في 1793 من السلطات الفرنسية للحصول على الجلود والأصواف من الجزائر، لكن سيتوقف نشاط هذه العائلة في 1802³.

لم يقتصر نشاط عائلة جيمون على صفقات تجارية لحسابها ولشركائها، بل يمكن القول أنها لعبت أيضا دور الوسيط التجاري لبعض التجار الجزائريين⁴ كما حظيت بقبول من سلطات الإيالية التي منحتها رخصة تصدير الحبوب من ميناء الجزائر، ويظهر ذلك في رسالة الداوي سيدي حسان إلى الكونت برتراند Bertrand المؤرخة في نوفمبر 1791:

..... " صديقي لقد تم تسليم هذه السنة إلى الإبن جيمون وكيلكم 75000 كلية قمح، أو ليس هذا تفضيل من طرفنا للفرنسيين؟ أي أمة أخرى إستفادت من مثل هذه الكمية من الحبوب"⁵.

وبذلك نرى أن هناك توسيع في رخص تصديره كميات القمح التي كانت محظورة في ميناء الجزائر حتى عهد محمد بن عثمان باشا وفيما يلي يمكن تقديم جدول لصادرات أبناء جيمون في 10 جويلية 1765 من ميناء الجزائر بإتجاه مرسيليا على متن سفينة من نوع

¹ - قنان جمال : العلاقات الجزائرية... المرجع السابق، ص 237.

² - قنان جمال : العلاقات المرجع السابق، ص 237 .

³ - Devoulx A, principaux ... op.cit , p 440.

⁴ - Palante , op.cit , p 396.

رسالة الداوي إلى بابا محمد إلى الكونت لوزان luzerne كاتب الدولة البحرية :

..... كنا قد طالبنا بأن تعيدوا لنا السفينة التي إسرتموها والمحملة بالقمح لكن المساهمين جعلوا سيدي حسان خوجة وقبطان السفينة نائبان عنهما..... واللذان يبيعان بضاعتها عن طريق الأبناء جيمون GIMON.

⁵ - Palante,ibid, P 418.

goulette ويحمل إسم "la Vertu" وهي مواد موجهة للشريك الإخوة Porterie بقيادة القبطان أندي دومارتين¹ André Du Martigne (أنظر الوثيقة في الملحق) .

- 08 بالة صوف بوزن 872 قنطار وزن الجزائر.
- 1بالة من وبر الجمال، الوزن 107 قنطار.
- بالة من ريش النعام.
- صندوق من الخردوات.
- 5 ساعات : 3 ذهبية و2 فضية.

تبين هذه العمليات عينات من أعمال بيت جيمون الذي لم يستطع الصمود أمام تغيرات الثورة وما نتج عنها من قوانين، فأعلنت الإفلاس.

ي- الأسرى والأرقاء:

شكل الأسرى والأرقاء الأغلبية الساحقة من النصارى بإيالة الجزائر على اختلاف أجناسهم فكان منهم الإسبان، البرتغاليون، البنادقة، الفرنسيون، الانجليز، والهولنديون، واليونانيون والصقالبة، وكان مصدر هؤلاء الأسرى يرجع بشكل رئيسي إلى عمليات الجهاد² البحري

¹ - A. C. C M serie J Article : 1884 Objet Affaires diveres (1761-1786) .

² - أمين محرز، المرجع السابق، ص 161.

(القرصنة) سواء نتيجة المعارك البحرية ومطاردة السفن الأوروبية، أو عن طريق الإغارة على سواحل وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وشمال الأطلسي¹.

كانت عائدات القرصنة من الأسرى تخضع لبيع أول عن طريق المزاد في الأسواق المحلية أو ما عرف خلال تلك الفترة بالبادستانات²، والثاني عند اقتنائهم على يد رجال الدين والوساطة اليهودية. وذكر Philippe Gosse أن هناك مؤسسات تكونت في كل من إيالة تونس والجزائر كان هدفها العودة بالبضائع الحية والتي يمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام³:

– Mistances (ذوي الحرف والمهن).

– Marinier يتم استعمالهم لخدمة البحارة القرصنة في السفن والغيلوبات.

– Caravanes حمالين.

– Poussabarres يكلفون بأعمال أقل مشقة.

بموجب هذا التصنيف كان بعض الأسرى يصبح ملكا للبايلك والبعض الآخر ملكا للخوادم. وتجدر الإشارة أن الأسرى من ذوي المكنات كالأطباء ورجال الدين والضباط كانوا يعفون من الأعمال إلا في حالات تأخر دفع فديتهم، أما بخصوص أوضاع هذه الفئة الحساسة

¹ - نفسه، ص 161.

² - البادستانات هي سوق النخاسة الرئيسية التي تجري فيها عمليات بيع الأسرى... وهي كلمة فارسية مركبة من بزّ (القماش) واستان "مكان" فهو في الأصل البزارة أو القماش ثم أطلق فيها بعض على سوق الأسرى نظرا لتجمع الحشود الكبيرة به مثلما هو الحال مع سوق الأقمشة.

³ - Belhamissi (M), Les conflits algériens et l'Europe chrétienne (1518-1830), paris : Ed. France empire, 1984, p. 27.

لا يترك مجالاً للشك عما انتظرها من مصير مجهول بالإيالة، لذلك فإن كل من مرّ بهذه التجربة فإنه كتب عنها بما خالجه من شعور وتقاذفته من أحزان وأحقاد اتجاه الإسلام عامة والعثمانيين خاصة.

ذكر وولف أنه عندما تصل السفينة الأسيرة إلى الميناء، يقاد الأسرى إلى قصر الجنينة أو "دار الإمارة" حتى يقدر الباشا أو الداى حقه الذي هو بين العشرة والاثني عشر في المائة من مجموع الأسرى... كما يحتفظ أيضا بحق شراء أي رقيق بالسعر الذي وصل إليه في المزاد من أول مشتر هذا بخصوص دار السلطان، أما في بيالك الإيالة، فإن البايات لهم نصيب من الأسرى، ثم يقاد بقية الأسرى إلى البانيو "Bagno" (السجن)، وفي صباح اليوم التالي يعرضون للبيع في السوق الرئيسي، ويخبر الدكتور أندر هيل بأنه كان قد جرد من ملابسه إلا ما يستر عورتهم وعرض للبيع «... رفقة النساء والرجال...»² وهذا بعد فحص مخصص للأسرى: أيديهم وأسنانهم وصحتهم العامة، واحتمال السن، وتحديد قيمة الفداء، أما البيع فيجري بعد صلاة الظهر، لذلك بالغت المصادر الغربية في تقديرها لعدد الأسرى بالجزائر وبوجه خاص في القرن السابع عشر حيث تراوحت ما بين 20 ألف³ و60 ألف⁴ أسير حسب بعض التقارير والإفادات، غير أن هذا الرقم رغم المبالغة فيه إلا أنه ينم عن كثرة الأسرى في إيالة الجزائر وصعوبة إحصاءهم بدقة نظرا للحركة البشرية التي كانت تشهدها الجزائر خلال هذه الفترة كونها مدينة متوسطة كثيرة المعاملات الدبلوماسية والتجارية مع المدن الأوروبية.

¹ - السجن بناية تستقبل النور داخلها حسب الطريقة العثمانية، صحنها الداخلي طوله ثمانون قدما وعرضه عشرون قدم (القدم وحدة قياس تساوي 33سم) وارتفاعه يصل إلى خمسة وثمانين قدما، له رواقان يمكننا أن نتجول فيهما وكان عرض كل رواق عشرة أقدام وبجانبه أركان خلفية تستعمل كمرائد للعبيد طول كل واحد منها خمسة أقدام ونصف، وعرضها قدما، وكان كل ركن يبلغ طوله أربعة وعشرون قدم وعرضه ثمانية أقدام وارتفاعه اثني عشر قدما حيث يرقد ما بين ستة وثلاثين وأربعين عبدا كل خمسة منهم ينامون فوق بعضهم بعضا وهذا حسب وصف: Gerrit Mertzson, op.cit., p. 18.

² - جون وولف، المرجع السابق، ص 210.

³ - Lanfreducci et Bosio, op.cit., p. 940.

⁴ - Knight, op.cit., p. 51.

تعرضت أغلب المصادر الغربية لوضعية الأسير المسيحي بنوع من التطرف والمبالغة لوضعية الأسرى بالإيالة فهي تصور حياة الأسرى بالجزائر على أنها معاناة وذل هوان، بينما تعرضت أخرى لوضع الأرقاء المسيحيين بموضوعية منها المصدر الانجليزي «الوضع الراهن للجزائر: إنهم يعاملون في غالبيتهم بشكل أفضل من غيرهم في باقي ممتلكات السيد العظيم، حيث يستفيدون من غدارة حوانيت وحنات، أو من الاشتغال على حرفهم اليدوية، مقابل دفع مبلغ شهريا لمالكهم لا يتجاوز ثلاثة دولارات في الشهر... بهذه الطريقة نال عدة آلاف من الأسرى حريتهم بإمكانياتهم الخاصة، ولهم أيضا الحرية في تلاوة صلواتهم، وسماعها طوال أيام الأسبوع كل في سجنه الخاص، أو في الأمكنة التي يسمح بهذه الخدمة... ولديهم كذلك مستشفى...»¹.

ويضيف شالر في هذا الموضوع: «... والأسيرات كنّ دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن والأشغال التي كانت يطلب إلى الرجال القيام بها لم تك مفرطة المشقة، والأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم كان يسمح لهم بحرية الخروج إلى حيث يريدون مقابل دفع 75 سنتيم في الشهر...»².

ونعتقد أنه ليس هناك أشد عذابا من حرمان الإنسان من دينه ومع ذلك فقد كان للأسرى المسيحيين الحرية الدينية وهذا حسب ميترزون: «وعندما طلع نهار 20 جويلية 1815 كان أحد العبيد قد نادانا... فأخرجنا من مراقدنا في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه صوت صاحب ينادي الأرقاء الكاثوليكين... لكي يحضروا أداء طقوسهم الدينية...»³.

¹ - G.P, op.cit. pp. 92- 93.

² - وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 98-99.

³ - Gerrit Metznan, Journal de captivité à Alger (1814-1816), traduit en français par G.H. Bousquet et A.v Bousquet Miranchole, Alger : édition Houma, p. 19.

إن هذا الاختلاف في طرح هذه القضية يخضع لعدة دوافع سياسية ودينية لا يفهم من سياقها إلا الرغبة في القضاء على حكم العثمانيين بالإيالة لأنهم هم الهاجس الوحيد الذي شغل الرأي العام الأوروبي، نظرا لانتهاجه سياسة القرصنة البحرية كمبدأ أساسي في تأمين عائدات خزينة الدولة، لذلك اتخذ من عمليات الاقتداء أهم مصادر الدخل في الإيالة، فبيع الأسرى بمختلف انتماءاتهم ومراكزهم ما هي إلا صفقة تجارية تتطلب دفع مجموعة من الحقوق والرسوم فعلى كل 10 بوجو يدفع لخبزينة الدولة 1 بوجو أي 10% وعلى وصل الاقتداء 12 ريال نصف هذه القيمة موجه للخبزينة¹.

بالنسبة للفدية العامة لا فرق في السعر بين الضباط والأشخاص العاديين، أما في حالة الفدية الخاصة، فإن الداى يطلب 4 آلاف دولار عن كل ضابط ووكيل الربان، وألفين دولار عن كل أسير خاص، كما يتم دفع الأموال المستحقة عن كل أسير يموت بعد إبرام معاهدات. وقد تحصل الداى محمد عثمان باشا على المبالغ المالية المطلوبة عن جميع الأسرى الأمريكيين الذين ماتوا بعد 5 سبتمبر 1795.²

بالنسبة لأسرى البايك فإن مبالغ الفدية تدفع نقدا بالريال (دراهم صغار 60 سم)³، ويكون تقديم الوصول من قبل أعضاء الديوان للباياباشي ولقائد المرسى وهناك هدايا أخرى إلزامية **Etrennes** يدفعها رجال الدين وتقدر ب ألف صائمة عن كل أسير أي ما يعادل 60

¹- Tachrifat, op.cit., p. 58.

² - علي تابلت، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797، الجزائر، 2007، ص 260. هي ترجمة للمصدر الأمريكي: James Nilson Steven, The American Captives in Algeria 1785- 1797

³ - على ما يبدو أن داي الجزائر أراد مبالغ الفدية بالريال بدل الفرنك، لأن تأمين نقود الفدية بهذه العملة سيتطلب وقتا، مما يزيد في رفع الفدية وبذلك يحقق الداى مكاسب خاصة وراء الأمر.

إلى 70 ريال (36 فرنك)¹ بالإضافة إلى هدايا أخرى تتمثل في 1 ريال عن كل أسير للباياباشي و4/1 ريال لخوجة الروكامجي، و4/1 ريال لكاتب الغنائم و4/1 ريال للجنود المرافقين المكلفين بأمن ورجال الدين.

ولن تتوقف المستحقات عند هذا الحد بل هناك مستحقات أخرى، فالداي يأخذ عن كل أسير 2 ريال من الحجم الكبير، الكاتبين وخوجة الدفتر 1 ريال، قائد الميناء 1/2 ريال، كاتب البحرية 8/1 ريال ويدفع للمترجمين الانجليز والفرنسيين 1 ريال، ومترجم الباشا 8/1 ريال، ويذكر Tassy أنه بعد الاتفاق على السعر تدفع رسوم تعرف بحق الباب²، وهي كالتالي:

– 10% على مبلغ الاقتداء للجمارك.

– 15 بياستر تدفع للداي وتعرف بحق قفطان الباشا.

– 4 بياستر للكاتب الكبار.

– 7 بياستر لقبطان الميناء.

كانت النقود المحمولة كهدية للأسرى كرسوم الجمارك 33%³ وبذلك تعد عملية بيع الأسرى جزء من تجارة الإيالة، وتتحصل منها على رسوم جمركية، تدفع للبايلك حق 5 ريال (3 فرنك) لكل 100 ريال (60 فرنك)، ولن تستعمل النقود إلا بعد دفع الرسوم المترتبة على الجمارك.

¹ - Tachrifat, Ibid., p.24.

² - Laugier De Tassy, op.cit., p. 168.

³ - Laugier De Tassy, op.cit., p. 174.

وما تجدر الإشارة إليه أن مبالغ الفدية لم تك مستقرة وإنما كانت ترتفع وتنخفض قياسا بمعدل القرصنة البحرية، وفاعلية المعاهدات واتفاقيات السلم بين الإيالة مع الدول الغربية. ودقت التشريفات يعطينا إحصائيات حول الأسرى بالإيالة ما بين 1774-1816¹:

السنوات	1188هـ	1189هـ	1192هـ	1194هـ	1199هـ
عدد الأسرى	1774م	1775	1778	1780	1785
عدد الأسرى	1376	1496	1640	1340	2219
السنوات	1201هـ	1250هـ	1214هـ	1217هـ	1226هـ
عدد الأسرى	1787	1795	1799	1802	1811
عدد الأسرى	1041	630	1050	937	1494
السنوات	1228-1227	1230-1229			1231هـ
عدد الأسرى	1813-1812	1815--1814			1816
عدد الأسرى	1645	1487			1365

¹ - Tachrifat,op-cit , p. 59.

من خلال الجدول الوارد أعلاه يمكن أن نتصور حجم المداخل من عمليات وصفقات الافتداء التي كانت تدر على خزينة الدولة والتي كانت في الغالب توجه لدفع رواتب الجنود الانكشاريين وأعضاء الديوان، كما كان جزء منها نصيب الداى أو الباى الخاص الذي اعتبره حقا مشروعاً لا يمكن التنازل عنه، فهذه الإجراءات حولت البشر إلى بضائع بشرية أو قطيع آدمي يتم تسويقه وتصديره نحو المراكز التجارية الأوروبية ولا سيما مالطا وليفرون. وعدد الأسرى بالإيالة حسب دفتر التشريرات كان متذبذباً يرتفع وينخفض فهو لم يعرف استقراراً واضحاً طيلة القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وهذا راجع لظروف محلية ودولية أثرت بشكل عام على معدل الأسرى.

■ ظروف الأسرى:

اختلفت إشكاليات ظروف الأسرى في المصادر الغربية وحتى في الوثائق العثمانية سواء المحلية أو الرسمية، فأغلب المصادر أظهرت التنوع الكبير في ظروف حياة هؤلاء الأسرى (رجال، نساء)، خاصة ما كتبه رجال الدين (المسيحيين) المكلفين بعمليات الافتداء والذين كانوا يختلقون حكايات رهيبية بقصد التأثير على الناس لجمع التبرعات من أجل خلاص أسرى الأوربيين، اختلفت عن المصادر أكثر موضوعية¹ وواقعية، فمثل هذه الوقائع (القصص) لا يعتد بها في مجال تحقيق الوقائع التاريخية، ولكنها قد تكون في حد ذاتها موضوع دراسة أنثروبولوجية تاريخية لها مناهجها الخاصة في تحليل مثل هذه النصوص. كما يمكن أن تشكل أيضاً مادة للتحليل السيميولوجي والسوسيولوجي المهتم بدراسة وسائل الدعاية السياسية والإيديولوجية، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الوقائع حول ظروف الأسرى حسب الأحداث التي وضعها رجال الدين والرهبان أصبحت مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مشروع احتلال فرنسي

¹ - Laugier De Tassy, op.cit., p. 164

للجزائر سنة 1830م، لكن الأمر الذي يعنينا ظروف الأسرى حسب الواقع الاجتماعي والعامل الظرفي التي تباينت حسب أهلية كل فرد أسير يذكر. والجدول التالي يبين عدد الأسرى بالجزائر ما بين 1580- 1729 من خلال المصادر الغربية.

■ الأسرى حسب المصادر الغربية:

السنة	عدد الأسرى	الجنسيات- الأعراق	المصدر
1580	25 ألف	مسيحي أو رابي	دييغو دي هايدو
1587	20 ألف		لانفردوتشي بوزيو
1598	15 ألف		جيو فاني ماجيني
1619	32 ألف		غراماي
1621- 1624	8 آلاف	كاثوليك- بروتستانت	ماسكاريناس
1625	25 ألف		سالفاجو
1634	25 ألف	كاثوليكي	الأب دان
ما بين 1631- 1638	60 ألف		فرانسيس نايت

جوزي دي تامايو		40 ألف	1640
إيمانويل دراندا	كاثوليك	40/30 ألف	1640
صانسون دايفيل		40/30 ألف	1656
دافيتي		35 ألف	1660
لويس دوامي		5 آلاف	1660
الأب أوفري	كاثوليكي	12 ألف كاثوليكي	1662
دوفال	مسيحي أو رابي	40 ألف	1665
الأب لوفاشي	كاثوليكي	14 ألف	1671
الفارس دارفيو		10 أو 12 ألف ¹	1675

¹ - Arvieux Chevalier L.L.d, Mémoires du chevalier d'Arvieux, mis en ordre par le R.P. Jean Baptiste Labot, T. 5, paris : Delespine le Filo 1735, p. 225.

ج ب ¹		18 ألف	1676
روبرت كول		3 آلاف	1677
دو فركور		30 /20 ألف	1678
مانسون- ماليه		40 /35 ألف	1683
بتيس دي لاکرو		35 ألف	1684
لورانس		4 آلاف	1693
لورانس		ألفان وستمائة	1698
کوملان ودي لامون		10/8 آلاف	1700
لورانس		3 آلاف	1701
غونفيل		4 آلاف	1719
فاو		10/9 آلاف	1723

¹ - G P, The Present State of Tangier in a letter to his Grace The Lord Chancellor of Ireland and one of the Lord Justice there to which is added the present state of Algiers, London: H Herring, 1676, pp. 91- 92.

فاندر آ		يفوق 5 آلاف	1729
---------	--	-------------	------

الجدول أعلاه المستخرج من بعض المصادر الغربية يقدم تقديرات إجمالية عن عدد الأسرى ما بين (1729-1580) وهي الفترة التي كانت فيها حركة القرصنة أو ما يعرف (بالجهاد البحري) مزدهرة على مدى قرن ونصف، غير أنه ما يقاس عليها أنها تقديرات تقريبية أو معقولة خاصة ما بين 1578-1684 وهذا راجع إلى الحرب الجزائرية الإسبانية والنشاط الكبير للقرصنة في الحوض المتوسط، ضف إلى ذلك حالة الحرب البرية والبحرية للإيالة مع الدول المسيحية في معظم القرن السادس عشر والتي كانت المورد الأول في مداخل خزينة الدولة.

وفي هذه الفترة كانت القرصنة على أهميتها الكبرى عنصرا ثانويا داخل هذه الحروب وبعد 1580 حلت القرصنة محل العمليات الحربية وبدأ في النمو إلى أن بلغت أوجها قبيل منتصف القرن السابع عشر، لذلك تباينت التقديرات التقريبية، حيث قدر بالجزائر ما بين خمسة عشر وعشرون ألف أسير على أكثر تقدير¹، ففي سنة 1587 قدر كل من بوزيور لانفردوتشي الأسرى بحوالي 20 ألف² أسير، وقدم جيوفاني ماجيني إحصائية حول الأسرة سنة 1598 قدرت بت 15 ألف أسير بالنسبة للجزائر وحدها و32 ألف بالنسبة للبلاد البربرية.

¹ - بالمقارنة مع الأسرى بالجزائر كان يوجد بتونس حوالي عشر آلاف أسير وفي طرابلس الغرب ما بين أربعمئة إلى خمسمئة أسير.

² - Lanfreducci et Bosio, O, Costa e discorsi di Barberia ç1er septembre 1587) traduit et notes de Ch. Monchicourt et P.G. Randchamp, in R.A. n°66, 1925, p. 540.

ويذكر ماسكاريناس عددا تقريبا للأسرى في قوله: «... يوجد بالجزائر إذا لم نأخذ في الحسبان الذين ينتمون لكنيسة روما، نحو ثمانية آلاف أسير مسيحي، ولو لم يفتك الطاعون بالعديد منهم لكانوا أكثر بكثير...»¹، هذا دون استثناء المسيحيين من الطوائف المختلفة (البروتستانت) فإننا نصل على عدد تقريبي يتراوح بين 10 و12 ألف.

كما نسجل انخفاضا في عدد الأسرى ابتداء من سنة 1623 بالموازاة مع انخفاض عدد السكان في زمن كثرت فيه الأوبئة والاضطرابات، ويضيف Dumay أنه بعد وبائي عامي 1654-1663 الذين ذهب ضحيتهما ثلث ونصف سكان الجزائر، انخفض بموجب ذلك عدد الأسرى بشكل كبير إلى 15 ألف أسير².

غير أنه من يدفع ثمن هذه العلاقات من يقع في الأسر فأحيانا كانوا يتعرضون للتصفية الجماعية كما ورد في إحدى المراسلات الهمايونية بحيث أصدر قائم قام باشا أمرا بقتل الأسرى الموجودين في السفن الجزائرية « ليقتل دون أن يترك أحد منهم حيا، جميع الرعايا الأسرى الموجودين في كافة السفن الجزائرية... في مكان مناسب... ليقتل جميعهم دون أن يبقى أحد منهم وعددهم أربعون أسيرا...»³. وهذه المراسلة الهمايونية لم توضح جنسيات هؤلاء الأسرى إننا لا نستبعد أنهم يكونون إسبان نظرا للعداء التقليدي الذي طبع العلاقات الجزائرية الإسبانية لعقود طويلة، حيث ورد في أمر إلى أمير أمراء الجزائر علق علي من السلطان العثماني سليم الثاني بالاحتفاظ بأحد الأسرى الإسبان وهو أحد أقارب الملك الإسباني وهو كالاتي: «... سمعنا بمواجهتك لسفن مالطة أثناء إبحارك من جزائر الغرب باتجاه أسطولي الهمايوني، وإتاك تمكنت من الاستيلاء على ثلاثة فرققات منهم، وأنه قد تبين وجود أحد أقرباء ملك إسبانيا في تلك الفرققات لطلبك أمرك بالاحتفاظ بذلك

¹ - Mascarenhas, op.cit., p. 74.

² - Dumay. L., « Projet pour l'entreprise d'Alger », in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps, Christophe Van Dyck, Cologne 1666, pp. 1- 13.

³ - دفتر خط همايون، عدد 144، تاريخ 1203 هـ، الموضوع بخصوص قتل الأسرى الموجودين بالسفن التجارية، تعريب فكري طونا، ص 01.

الكافر، وأمرت عليك بالمحافظة على المذكور والحذر من إفلاته، كما ينبغي التأكد من هويته ومدى قرابته من ملك إسبانيا وإعلام سدة سعادتنا عن ذلك مع الاهتمام بتشديد الحراسة على المذكور...»¹.

شكل الأسرى محور العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وغيرها من الدول الغربية، فمثلا فرنسا غلبت نوع العلاقات بين الطرفين (ودية، مضطربة) على ظروف أسر الفرنسيين، حيث ورد في إحدى المراسلات السلطانية توضيح لعلاقات المودة بين الطرفين: « سمعنا أنه قد تم أسر بعض الكفرة الفرنسيين، فإذا صح هذا الخبر، فإن ذلك يعتبر مغايرا للعهد... نظرا لأن الفرنسيين معروفين من قديم الأيام بكمال صداقتهم وإظهار عبوديتهم تجاه أستاذنا عدالتنا، وأمرت أن تتقيد بما جاء في هذا الحكم حال وصوله... فإذا تبين أن هناك من بين الأسرى البندقيين أو² أسرى الدول المعادية فرنسيين... فعلك بإطلاق سراحهم، قم أعلمنا عن ذلك كي يتمكن الفرنسيون من إرسال سفنهم لإعادة أسراهم... ولا يفوتك الحذر من اندساس الأسرى البندقيين المعادين لنا وانتهاز هذه الفرصة للخلاص والهرب، وبعد التأكد التام من هوية الفرنسيين عليك إطلاق سراحهم بموجب أمري وابعث لنا قائمة بعدد الأسرى الفرنسيين الذين تم إطلاق سراحهم...»³.

وعلى ما يبدو فإن أوجاق الجزائر لم يعطوا الأولوية لعلاقات الدولة العثمانية بالدول الغربية كما في السابق، خاصة في عهد الدايات ولا سيما فرنسا العدو التقليدي للجزائر، فمهما كانت العلاقة بين الجزائر وفرنسا، إلا أن القرصنة البحرية استهدفت الفرنسيين بالدرجة الأولى ولم تكثر بالرسائل الهمايونية والمراسلات القنصلية وهذا حسب تقرير السيد طاليران، التي جاء فيها: «... وهذا... فإن قرصنة أوجاق جزائر الغرب لا يخلو أمرهم عن الأفعال والحركات التي تهدف إلى تحقير وتذليل العلم الفرنسي بشكل مستمر... فإنه لا يزال حتى الآن أكثر

¹ - دفتر مهم، عدد 14، علية 05، صحيفة 274، حكم 390، الموضوع حكم على أمير أمراء الجزائر "علج علي" بتاريخ 07-03-978هـ، تعريب محمد داود التميمي.

² - دفتر مهم، عدد 12، علية 03، صحيفة 579، حكم 1102، الموضوع حكم إلى أمير أمراء الجزائر، "علج علي" بتاريخ 08-11-979هـ، تعريب محمد داود التميمي.

³ - دفتر مهم، عدد 12، صحيفة 579 (المصدر السابق).

من 150 نفر يعيشون أسرى في أيدي أولئك الغلاظ... والغريب في الأمر أن والي الجزائر بدأ يهدد بالحرب ضد الجمهور الفرنسي... دون أي اهتمام بالأصول والآداب الواجب رعايتها تجاه الجمهور الفرنسي بناءً على المعاهدات والاتفاقيات القائمة بين الطرفين...»¹.

والجدير بالذكر أن ظروف الأسر تتحكم في وضعية الأسرى بالإيالة التي تتشكل حسب علاقة دولة الأسير بالإيالة وفاعلية الدبلوماسية القنصلية في تحديد هذه الوضعية، فحسب تعبير كاتكارت فإن الأسر في الجزائر هو قطعة من الجحيم نظراً لما يعانيه الأسرى في ظروف قاسية ليس لها صلة بالإنسانية حتى وإن كان هناك اختلاف في الأديان خاصة عندما يصف جو السجون بالداخل «... المضايقة الكبرى في هذا السجن ناجمة عن الاحتفاظ فيه بأسود ونمور تنبعث من أبقاصها رائحة كريهة... ولقد رأيت بعيني ما لا يقل عن 27 أسدا ونمرا احتفظ بهم... في هذا السجن... وما يزيد في دقة الحالة أن هذه الحيوانات المفترسة... تخرج من أبقاصها وتتهجم على المسجونين وقد قتلت فعلا عددا من العبيد² الذين لم يكونوا يجرئون على قتلها حتى وهم في حالة الدفاع عن النفس³... وفضلات هذه الحيوانات توفر غذاء شهيا للفئران، وهي أكبر الفئران التي رأيتها في حياتي، وهذه الفئران بدورها كثيرا ما يستعملها بعض العبيد المساكين لدفع غائلة⁴ الجوع الذي ينهش أحشاءهم، وكذلك يأكل بعض العبيد القطط بحكم الضرورة، وقد سألت أسيرا فرنسيا ذات يوم، ماذا سيصنع بالقط الذي سلخه، فأجابني: يتحتم على المرء أن يسد الرمق»⁵.

1 - دفتر خط همايون، عدد 5746، تاريخ 1217، الموضوع تقرير السيد تاليران إلى السلطان العثماني حول تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا التي يعتبر الأسرى إحدى محاورها، تعريب فكري طونا، ص 02.

2 - حيمس لنذر كاتكارت، المصدر السابق، ص 60.

3 - نفسه، ص 60.

4 - يقصد به الجوع الشديد، وسوء التغذية الذي كان يعانيه الأسرى بالجزائر.

5 - كاتكارت، المصدر السابق، ص 60.

وعلى كل فإن الإطار العام لحياة الأسرى تقاذفتها الأقدار وغلبت عليها الظروف بالإيالة، ففي نظر حكام الجزائر، فإن العدو يبقى عدوا حتى وإن أصبح يملكه ويتحكم في مصيره، وعلى كل فإن جيمس ولسن ستيفن لم يختلف عن كاتكارت في وصف وضعية الأسرى المزرية بالإيالة في قوله: « فالعبيد الذين يباعون داخل البلاد (الأسرى) يخضعون لأعمال شاقة وغير معهودة... وإن لم يقدموا خدمة كافية... فإنهم بالتأكيد سيضربون، فالبعض من هؤلاء العبيد يمشي في الحقول حافي القدمين، حيث يرعى الأنعام ويجر المحراث، ويؤدي كل الأنواع الأخرى من العمل الشاق»¹، «كما يشتغل العديد من الأسرى في أماكن أخرى من البلاد فالبعض منهم بجبل بوزريعة، والبعض في حدائق مختلفة للقتاصل المقيمين في الريف والآخرين في البحرية، فأما يوم الجمعة يؤسرون بالعمل في باب الوادي...»².

وهذا الجهد الجهيد الذي يقوم به الأسرى لا يحصلون فيه بالمقابل إلا على قدر قليل من الطعام « يتمثل أساساً في كمية من البرغل الممزوج بكمية من السمن³ الكريه الرائحة وهو أسوأ من الشحم الحيواني، وأما درجة نظافته فيكفي أن أقول أنه كثيراً ما عثر فيه على الفئران والجرذان وغير ذلك من الحشرات والحيوانات، ومع ذلك فإن المئات من هؤلاء البؤساء أثناء مدة أسرهم يجلسون حول المائدة ليلتهموا هذا البرغل... وكأنه يتناول نوعاً من الكعك الرفيع...»⁴. أما يوم الجمعة لا يتلقون سوى رغيفا واحدا لا يزيد وزنه عن 12 أوقية، والخبز يوزع في أيام العمل بطريقة عشوائية⁵.

وعلى كل ما يمكن طرحه في هذا السياق فإن مصير الأسرى بالجزائر رافقه ثلاثة احتمالات:

-
- 1 - جيمس ولسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797، ترجمة علي تابلت، الجزائر، 2007، ص 262.
 - 2 - جيمس ولسن ستيفن، المصدر السابق، ص 267.
 - 3 - هو السمن الذي كان يجلب من تونس كاتاوة ويستعمل لطهي طعام الجيش الاكشاري، وبعد ان يتبقى منه القليل يبعثه الخزناسي الى السجن حتى يطبخوا منه للاسرى والمساجين، وهذا بطبيعة الحال بعد ان يصبح غير صالح للاستهلاك البشري، بعد انتقضي براميل السمن شهورا في العراء عرضة للشمس والغبار والحشرات، كاتكارت ص 60-61.
 - 4 - كاتكارت، المصدر السابق، ص 60.
 - 5 - نفسه، ص 60-61.

- الأول: إما أن تتحرك دولته وتفقدية وتنتهي بذلك معاناته.
 - الثاني: يموت جراء الوباء أو الضرب أو العمل الشاق.
 - الثالث: يقضي بالإيالة جل حياته بمصير مجهول نظرا لتقاعس دولته عن افتدائه.
- إن مشكلة الأسرى 1525-1830 من أعقد القضايا الخاصة بالإيالة لا تزال تحتاج لدراسة موضوعية عميقة.

الفصل الثالث

ثنائية العلاقات الجزائرية العربية الفرنسية أممونا

الفصل الثالث:..... ثنائية العلاقات الجزائرية الغربية الفرنسية أنموذجا

أولا- العلاقات مع فرنسا :

1- سياسيا:

العلاقات السياسية الجزائرية الفرنسية:

تمددت وتطورت العلاقات السياسية الجزائرية مع الدول الغربية منذ القرن 15م، و تأكدت على عهد كل من السلاطين سليم الثاني في عام 1568 ومراد الثالث في أعوام 1575 و1576 و 1581 ، ومقابل هذه المبادرة السياسية قام هنري الرابع من جهته، بعد إستقرار الأوضاع في فرنسا، على إثر الحروب الدينية التي أرهقت كاهل هذه البلاد، بإقرار هذه المعاهدات وتثبيتها في عام 1597م.

لم تخرج المعاهدات الجزائرية الفرنسية عن إطار تثبيت الامتيازات الرعايا الفرنسيين بالايالة خلال القرن السادس عشر، وعمدت إلى تأكيد خصوصية هذه الأقلية ولاسيما التجار منهم، في أراضي الدولة العثمانية¹ بمنحهم مختلف التسهيلات والتشجيعات من بينها السماح لهم بشراء القطن والصوف والشمع والجلود وتصديرها إلى الخارج.

إذ كان تصدير هذه السلع قبل ذلك محظورا وحصول الفرنسيين على هذا الحق يمثل امتيازاً لهم على غيرهم مم التجار الأوروبيين الآخرين، كما أعفى هؤلاء من دفع أي رسم أو ضريبة على النقود التي يدخلونها للأراضي العثمانية، ومنع أسر واسترقاق من ود منهم على

¹- يستخلص عادة رسم مقدار 5% على النقود تدخل إلى الأراضي العثمانية والهدف من ذلك هو تحديد كمياتها في السوق تزيد عن حاجة التجار مخافة أن يعمد هؤلاء إلى تزيف الزائد منها عن حاجاتهم وسكها في شكل عملات عثمانية بقيمة حقيقية أقل منها ينخفض ميزانها من الذهب أو الفضة عن ميزان العملات العثمانية الدراجة المقابلة لها.

متن مراكب معادية للعثمانيين شريطة ألا يكونوا بحارة أو جنودا في هذه المراكب، كما رخص للفرنسيين بنقل سلع تموينية م م بلد معادي للدولة العثمانية إلى بلد معادي آخر دون أن يتعرضوا للمصادرة والأسر وأعلى هؤلاء من دفع الرسوم الجمركية في الموانئ العثمانية الأخرى إذا ما تم استخلاصها في أحد موانئ الدولة، وكذلك عدد من الرسوم والعوائد التي اشتهرت تحت إسم "التكاليف العرفية، وعلى عهد السلطان أحمد الأول سوف تطور هذه الامتيازات خصوصا تلك التي تتعلق بالحصانة القنصلية والقضاء ، توسيع هذه لتشمل جميع المراكز التجارية الساحلية التابعة للإمبراطورية العثمانية، وذلك في المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين في عام 1604.

1- العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل عام 1619:

شكلت معاهدات الامتيازات المبرمة بين الدولة العثمانية ومملكة فرنسا أمام الجزائر، منذ وقت مبكر، اختيارا صعبا وعسيرا في ظل تلك الظروف المتوترة التي لا تزال فيها الهجمات الصليبية تهدد منطقة المغرب: إما الاستسلام وإتباع السياسة العثمانية والانقياد لها واعتبار نفسها ملزمة بتنفيذ وتطبيق كل ما أبرمه السلاطين بحذافيره سواء مع الفرنسيين أو مع غيرهم أو اتخاذ موقف مستقل تمليه عليها مصالحها ومعرفتها العميقة لطبيعة المشاكل ولصعوبات التي تحيط بعلاقاتها ميدانيا مع الدول الأوروبية، في هذا الجزء من العالم، وإذا كان هذا الاختيار لم يطرح بشكل حاد على عهد البايبربايات الذين كانوا الموجهين الرئيسيين للسياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط، وهو التوجيه الذي كان يخضع بالدرجة الأولى لاعتبار حماية منطقة المغرب ورعاية مصالحها، فإن هذه القضية ستصبح حادة وعويصة عندما يتم إلغاء هذا المنصب وتحويل بلدان المغرب إلى باشويات¹. وسوف تكون مصدرا للتوتر خاصة بالنسبة للعلاقات الجزائرية العثمانية منذ نهاية القرن السادس عشر حتى عام 1830.

¹ - يعتبر إلغاء منصب البايبرباي خطوة استبدادية من الدولة العثمانية الهدف منها توجيه السياسة العثمانية المتوسطة وتأكيد هذه السياسة من المتوسط إلى الشرق وآسيا.

خلال عهد البايبربايات استطاعت الجزائر أن توفق بين موقفها الاستقلالي في صياغة سياستها الغربية والمحافظة على علاقتها الوطيدة مع الدولة العثمانية وذلك بسبب مرونتها من جهة وتفهم السلاطين العثمانيين لموقفها ومصالحها الحيوية من جهة ثانية، لقد برز هذا الاتجاه في علاقتها مع فرنسا في هذه الفترة وموقفها من مسالتين بارزتين كانتا محور الاهتمام في تلك الفترة وهما: مسألة اعتماد القنصل الفرنسي في الجزائر وقضية تطبيق الامتيازات التي منحت للفرنسيين في الأراضي العثمانية في هذه البلاد.

لقد درج بعض المؤرخين الفرنسيين الذين تناولوا هذه الفترة عند تعرضهم لمسألة اعتماد القنصل الفرنسي بالجزائر إلى ترديد جملة كانت قد وردت في الرسالة التي كتبها حسين باشا (فينيزيانو) إلى المسؤولين المكلفين بتسيير شؤون مدينة مرسيليا¹ بكونه لا يمكنه قبول اعتماد قنصل بالجزائر لأن ذلك "بأنف منه التجار والشعب وكل الناس"² للتأكيد بأن الدافع لهذا الرفض هو ناجم عن الاعتبارات الدينية والنفسية جسدها العداء الإسلامي المسيحي قد يبدو من المفيد محاولة استجلاء الموقف الحقيقي للجزائر حول هذه المسألة وعدم التوقف عند ترديد هذا الاعتبار مفصولا عن السياق العام للرسالة المعنية من الناحية وعن الظرف التاريخي الذي طرحت فيه هذه المشكلة من الناحية أخرى³.

¹- كانت مدينة مرسيليا في هذه الفترة لاتزال تتمتع بامتياز تسيير بنفسها في ظل تبعية تاريخية للملكة الفرنسية ذلك أن هذه الأخيرة كانت لاتزال لم تستكمل بعد وحدتها الإقليمية والسلطة المركزية، لايزال نفوذها محصورا في المنطقة المعروفة بإسم جزيرة فرنسا، ولن تستكمل فرنسا وحدتها الإقليمية إلا على عهد لويس الرابع عشر، أما السلطة المركزية فلن تمتد يدها على عموم الأقاليم الفرنسية إلا في عهد الثورة الفرنسية .

²- ورد نص هذه الرسالة لدى بالونتي .

³- Plantet.E, op.cit, p 1-2.

³- تعتبر هذه المسألة حساسة في تاريخ العلاقات الفرنسية الجزائرية و لا سيما في غياب المادة الوثائقية في دور المحفوظات الفرنسية لاستجلاء هذه المسألة وتوضيحها.

تشير بعض المراجع إلى وفود مبعوثين فرنسيين إلى الجزائر في عامي 1551 و11553 ويبدو أن زيارتهما لم تسفر عن أية نتيجة مباشرة تخص العلاقات بين الطرفين، إذ إن أول تسمية لقنصل فرنسي بالجزائر كان قد تم في 15 سبتمبر عام 1564 و تنص رسالة اعتماد الملك شارل التاسع لفانسون بيرطول كقنصل في الجزائر بأنه: " نظرا لازدياد الأهمية التجارية التي يمارسها رعايانا في الجزائر وعلى السواحل البربرية ونموها فإنه يتحتم تعيين قنصل بها لحماية مصالح التجار وحقوقهم، كما فعلنا مع البلدان الأخرى التابعة للسلطان "لكن يبدو أن هذا القنصل لم يستلم عمله أو أنه جاء إلى الجزائر ولم يقبل اعتماده، إذ أن مراسلة من السفير الفرنسي مؤرخة بالقسطنطينية في 15 جويلية 1565، تدل على أن هذا القنصل لم يلتحق بمنصبه، ذلك أن السفير يلح في هذه المراسلة على ضرورة تعيين قنصل في الجزائر لرعاية مصالح التجار الفرنسيين بهاوليكون عينا على ما يفرغه البحارة الجزائريون في هذا الميناء من الغنائم، ودفعهم إلى التحرز والإحتياط في مهاجمة السفن المرسييلية والإستيلاء على شحناتها وأسر الأشخاص الذين هم على متنها"².

يؤكد البعض بأن هناك مفاوضات جديدة أجراها الفرنسيون مع الباب العالي هذه المسألة³، ومن المؤكد أنه حتى عام 1580 لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر، ولكن في العام التالي أصبح لهذه البلاد قنصلا في هذه في هذه المدينة كيف يمكن تفسير موقف الجزائر الراض في البداية ثم القبول بعد ذلك؟ .

لا يمكننا في هذا الصدد سوى تقديم بعض الافتراضات التي تستشف من التقاليد القديمة المتبعة في العلاقات المغربية الأوروبية، ومن الرسالة التي بعث بها حسين باشا إلى مسؤولي مدينة مرسيليا بتاريخ 28 أفريل 11578¹..

¹ - انظر: Planet، ص 34.

² - جمال قنان، العلاقات، ص 97.

³ - يقضي العرف الدولي في المعاهدات هو تجديدها و تمديدها عند تعيين كل سلطان جديد. و الشيء المؤكد هو أنه تم تحديد معاهدة الإمتيازات وتوسيعها على عهد كل من السلطانين سليم الثاني ومراد الثالث في أعوام 1568 و 1575 و 1576 و 1581 ، ولا يبدو أن هناك ما يبرر إجراء مفاوضات خاصة حول قنصلية الجزائر ومن المحتمل أن ما يسميه بعض المؤرخين بمفاوضات حول مسألة لا تعدو كونها مجرد مساع كان يبذلها السفير بالقسطنطينية من أجل إقناع الباب العالي بالضغط على الجزائر لقبول اعتماد قنصل فرنسي بها.

فالتقاليد التي كانت جارية في المغرب هو قبول اعتماد القناصل الأوروبيين مع منحهم إمتيازات واسعة مثل الحصانة القنصلية والقضاء القنصلي والسلاطين العثمانيون لم يغيروا من هذه التقاليد بل أقروها في البداية ثم وسعوها فيما بعد وخاصة بالنسبة لفرنسا منذ معاهدة 1529 وعلى ذلك فليس هناك ما يوحي بالاعتقاد يكون الجزائر ترفض إقامة الأجانب في أراضيها وخاصة إذ كان هؤلاء يقومون بعمل مفيد للطرفين مثل التجارة وتبادل التسهيلات المختلفة والمصالح بينهما، وبعد أن أكد حسين باشا رغبته في الحفاظ على الصداقة بين البلدين وعلى إحترامه لملك فرنسا هنري الثالث يعبر لسلطات مارسيليا عن أسفه في كونه لم يجد وسيلة لترضيته بخصوص قبول اعتماد قنصل في المدينة، إذ أن ذلك:"يأنف منه التجار والشعب وكل الناس ولا يريدون أبدا قبول السلطة الجديدة التي تريدون فرضها عليهم والتي ستضر بمصالح ميناء الجزائر إن هي نصبت بالقوة وسندهش إذ أنتم قبلتم ذلك، فأسلافكم لم يتجرؤوا أبدا على هذا إذ أن ذلك سيضر بكم ويكون خسارة بالنسبة لنا، وعندما تطلبون منا أشياء تتلاءم وطبائعنا وتتفق مع واجباتنا فإننا سوف لن نقصر في التعبير عن إرادتنا الحسنة من أجل إرضائكم"² ماهي هاته السلطة الجديدة التي تريد فرنسا فرضها عن طريق القنصل والتي يرفضها كل الناس؟ وماهي الخسائر التي ستلحق بميناء الجزائر إن تم فرض هذه السلطة بالقوة؟.

يبدو أن الجواب عن ذلك يكمن في تلك الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها القنصل الفرنسي في أراضي الدول العثمانية من جهة وطبيعة وظيفة القنصل وشخصيته نفسها من جهة ثانية.

فالقنصل إلى جانب كونه يتابع سير مصالح التجار رعايا بلاده في الموانئ له سلطة قضائية أيضا عليهم، وما دامت هذه الصلاحيات تخص الرعايا الفرنسيين فإن ذلك لا يثير إعتراضات ولكن عندما يتجاوز الأمر الرعايا الفرنسيين تصبح القضية على درجة كبيرة من التعقيد،

¹ - على ما يبدو لم تكن هذه أول مراسلة محفوظة تمت بين الجزائر وفرنسا و إنما سبقتها رسالتان بعث بهما رمضان باشا إلى فرنسا مؤرختان الأولى في 13 مارس والثانية في 13 ماي من سنة 1577 .

² - انظر planet ، المرجع السابق، ص 1.

فعندما يريد قنصل فرنسا فرض رعايته وحمايته على غير الفرنسيين من المسيحيين وما ينجر عن ذلك من حقوق يستخلصها من هؤلاء فإن المسألة تكتسب طابعا آخر يجعل من فرنسا وصية على المسحيين في الإمبراطورية العثمانية، وهذا ما يرفضه عموم الأوروبيين من غير الفرنسيين، وبالفعل فإن الإمتيازات قد نصت على ذلك وجعلت كل الأوروبيين الذين ليس لهم قنصل في الموانئ العثمانية، يدخلون آليات تحت رعاية القنصل الفرنسي¹ وبما أن فرنسا كانت الدولة الوحيدة في هذه الفترة قبل عام 1573 ، التي إرتبطت بمعاهدة سلم مع الدولة العثمانية غير محدودة الأجل فإن ذلك يجعل منها الوصية الوحيدة على التجارة الأوروبية في هذه البلاد والأضرار التي سوف تلحق من جراء ذلك بمرسى الجزائر وبموانئها الأخرى يتمثل ربما في عزوف التجار الآخرين في الإرتياد إلى موانئ هذه البلاد، لتجنب هذه الوصاية وما ينجم عنها من الأعباء المالية المعروفة بإسم الحقوق القنصلية، كما أن هذه الوصاية تفرض عدم المساواة في الحقوق بين الرعايا الأوروبيين ففي حالة حدوث تنافس أو نزاع بين تاجر فرنسي وتاجر أوروبي من جنسية أخرى ففي هذه الحالة فإن القنصل الفرنسي هو الحكم وهو القاضي الذي سيفصل فيها وفقا لشرائع بلاده، وهذا بقطع النظر عن الإعتبارات الأخرى التي قد تدفع القنصل إلى محاباة رعايا بلاده على حساب الطرف الآخر.

وإذا ما حاولنا التعرف على طبيعة وظيفة القنصل في هذه الفترة ونوعية الأشخاص الذين يشغلونها ، فإننا نلاحظ أن هذا المنصب في فرنسا كان يباع ويشترى كغيره من المناصب الأخرى، بمعنى أن وظيفة تجارية بالدرجة الأولى ذلك أنه جرت العادة أن يحصل أحد على وظيفة القنصل عن طريق شرائها ويفوض غيره للقيام بمهامها وإستثمارها في مكان التعيين، وصاحب الوظيفة الرسمي مقيم في فرنسا، وفقا للإتفاق وشروط تبرم بينهما وهذا يعني أن القنصل هو تاجر بالدرجة الأولى بهذه الصفة والغرض سوف يتصرف ويسير لمصالح التجارية الموكلة لرعايته وفقا لمصلحته ومصلحة من يمثلهم من التجار ومن الصعب عليه أن يكون محايدا ومحقا في تسيير الشؤون المناطة به

¹ - حاولت فرنسا اقناع الدولة العثمانية بضرورة تثبيت منصب القنصلية بالجزائر ، حفاظا على مصالحها بالمنطقة ، وتمهيدا لمشروع استطاني مبكر .

بالإضافة إلى هذا فإن القنصل أو من يقوم مقامه لم يكن له مرتب رسمي يتقاضاه، فقتاصل فرنسا في الدولة العثمانية كانوا يتقاضون في هذه الفترة علاوة رمزية تصرفها لهم الغرفة التجارية بمرسليها، فقط، وكانوا يسدون حاجاتهم ويغطون مصاريفهم من الرسوم المستخلصة بإسم الحقوق القنصلية وعلى ذلك فهم ليسوا دبلوماسيين أو أعوان الدولة وإنما هم رجال أعمال بالدرجة الأولى¹.

الإشارة التي وردت في رسالة حسين باشا حول رفض الشعب وكل الناس لهذه السلطة الجديدة، ربما كان يقصد من ورائها كذلك إلى جانب الإعتبارات السابقة الإشارة إلى الصلاحيات القضائية التي منحت للقنصل وإلى الإمتياز الذي يتمتع به الرعايا الفرنسيون في الإمبراطورية العثمانية في حالة نشوب نزاع بين أحد منهم وبين أحد رعايا البلاد، فالقاضي ليس له حتى النظر في مثل هذه القضايا وإنما يجب أن تعرض على مستوى الباب العالي للبت فيها.

لا نملك معلومات عن الكيفية التي تمت تحت تسوية هذه المسألة بين الجزائر وفرنسا، وإنما يكفي أن نشير إلى أن القنصل الفرنسي بالجزائر لم يمارس في هذه البلاد تلك الصلاحيات وذلك الإمتياز الواسع الذي منحتها إياه المعاهدات التي أبرمتها فرنسا مع الدولة العثمانية. أما بالنسبة للإمتيازات ومسألة تطبيقها في الجزائر، فقد بدت قضية مستعصية الحل منذ البداية وتبين إستحالة التفاهم والإتفاق حولها، وخاصة عندما توسعت هذه ونمت على عهد من السلطانين مراد الثالث (في عام 1581) والسلطان أحمد الأول (عام 1604) على حساب المصالح الحيوية للدولة العثمانية وللجزائر على السواء.

فمنذ عام 1578 م حصل الفرنسيون على حق صيد المرجان في خليج شتورة، هذا الإمتياز لا يشكل في حد ذاته عنصرا جديدا في العلاقات الجزائرية الأوروبية إذ نجد أمير بجاية والسلطان الحفصي أبي عبد الله قد منحا للجنوايين إمتياز إصطياد المرجان على السواحل

¹-على ما يبدو ان وظيفة القنصل بالجزائر كانت متداخلة ومعقدة الصلاحيات مما دفع بالدبلوماسية الجزائرية انتستفسر عن الامر في مراسلاتها مع السلطات الفرنسية ، قضية عدم وضوح وظيفة القنصل وتداخلها مع النشاط التجاري مبرزة خطورة ذلك على العلاقات بين الدولة وأخرى وملحة على ضرورة الفصل بين النشاط الذي يتعلق بخدمة الدولة وذلك الذي يخص المصالح الخصوصية، عن طريق تعيين قناصل تكون مهمتهم الوحيدة للقيام دولتهم في البلدان التي يمثلونها .

الشرقية الجزائرية والغربية التونسية منذ منتصف القرن الثاني عشر وأن المرسيانيين قد حصلوا على هذا الإمتياز من شيوخ منطقة عنابة مقابل عوائد يدفعونها في عام 1478¹ وإنما الجديد هو الوضع المتميز الذي أصبحت تتمتع به فرنسا في الدولة العثمانية والحقوق التي إكتسبها رعاياها في هذه الإمبراطورية.

نظرة سريعة على هذه الحقوق التي منحت للفرنسيين حتى عام 1604 سوف تعطي لنا صورة على الوضع المتميز هذا .

منحت الدولة العثمانية حق إحتكار التجارة الأوروبية في أراضيها لفرنسا ولرعاياها كما منحت أراضي الإمبراطورية لكل الأوروبيين الأصدقاء منهم والأعداء على سواء شريطة إرتياد هؤلاء الآخرين إلى موانئها تحت الراية الفرنسية، وقبول حماية القنصل الفرنسي لهم، هذا الإمتياز الخطير لا يوجد له ما يوازيه من ناحية العثمانيين، بمعنى لا يوجد هناك تنصيب على مبدأ المعاملة بالمثل، كما أنه لم تتخذ أي إحتياطات لمنع تحول هؤلاء التجار رعايا " دار الحرب" الذين يرتادون إلى الموانئ الإسلامية قرصنة بمجرد مغادرتهم لها ضد التجارة والتجار المسلمين² كما ألقى الرعايا الفرنسيون من دفع أي رسم أو ضريبة على البضائع التي يستوردونها أو يصدرونها سوى الرسوم الجمركية التقليدية المحددة بنسبة 10% من قيمة السلع على الواردات وب 5% على الصادرات و عدا الرسوم الجمركية هذه فإنهم لا يدفعون من الرسوم الأخرى الجارية في الإمبراطورية سوى مبلغ ثلاثمائة أسبر³ على الرسم المعروف بإسم رسم السلامك، مهما كان المبلغ المستحق لذلك كما ألقى القناصل والتراجمة من ضريبة الخراج ومن تلك العوائد المشهورة بإسم التكاليف العرفية، كما يدفع الرعايا العثمانيون الذين يتاجرون مع رعايا دار الحرب تحت الراية الفرنسية للقنصل الفرنسي الرسم المعروف بإسم الحقوق القنصلية، كما أنه

¹-Planet، المرجع السابق،ص 27 ، إن إلقاء الكاتب أن هؤلاء الشيوخ قد منحوا إلى جانب حق صيد المرجان شريطا من الأرض عرضه عشرة فراسخ (40 كيلومترا) من بجاية إلى طبرقة هو إلقاء لا يستند على أي أساس من الصحة، بل هو مجرد تخيل لتبرير إلقاء كانت فرنسا لتتبيه للإستيلاء على المنطقة الشرقية من البلاد عشية هجومها على الجزائر.

²- أنظر نصوص الإمتيازات الممنوحة خلال القرن 16 .

³- أسبر Aspre أو الدرهم عملة فضية صغيرة كانت كثيرة التداول في القرن السادس عشر 280 أسبر تساوي جنيه تورنوا تقريبا أو فرنك، 232 أسبر تساوي 1 بatak جزائرية خلال القرن السابع عشر، وهي بصفة عامة، عملة خاضعة لحالة السوق في إرتفاع وهبوط.

لا يحق للقاضي العثماني أن يفصل في نزاع وقع بين مسلم وفرنسي إلا بحضور مترجم عن السفارة أو القنصلية الفرنسية، وحق الأولوية للسفير الفرنسي بالقسطنطينية على غيره من السفراء، وللقناصل الفرنسيين على غيرهم من القناصل في أماكن إقامتهم، وحرية التنقل للتجار الفرنسيين بين المدن الساحلية منها والداخلية في أراضي العثمانيين، بعد دفع الرسوم الجمركية التقليدية مرة واحدة¹.

ومهما يمكن أن يقال بخصوص هذه التسهيلات الممنوحة من أجل ترسيخ قواعد السلم والتعايش بين الشعوب والدوافع السياسية والإنسانية التي أملتها، فإن إنعكاساتها على الشعوب الإسلامية كانت خطيرة لقد جعلت منها فريسة سهلة لجوارح ضارية تنهش جسدها على مر القرون لتحويلها في النهاية وبمساعدة عوامل أخرى إلى شبه حطام.

في بداية التحالف العثماني الفرنسي وحتى أواخر السبعينيات من القرن السادس عشر، كان السلاطين العثمانيون يجدون مخرجا وذريعة لرفض مطالب الفرنسيين وإلحاحاتهم المستمرة لتطبيق معاهدة الإمتيازات على الجزائر بنصيحتهن بتسوية هذا الموضوع مع بايلربايات الجزائر أنفسهم، لأن ذلك يدخل في صميم إختصاصاتهم وضمن صلاحياتهم² لكن الفرنسيين في مفاوضاتهم لتوسيع معاهدة الإمتيازات وتمديدها في عامي 1581 و 1604 قد حصلوا من السلطان العثماني من بين ما حصلوا عليه، على ترتيبين هما على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة، بخصوص مستقبل السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط من جهة وعلاقات الجزائر بالدولة العثمانية هذه العلاقات من جهة أخرى، فالترتيب الأول هو الذي ينص على تعميم تنفيذ معاهدة الإمتيازات على جميع مناطق الإمبراطورية ، بدون تمييز وإعتبار كل من يعرقل تنفيذها أو يخالفها بكونه عاصيا ومتمردا ويعاقب على ذلك بدون تأجيل ولا هوادة"³ والترتيب الثاني وينص على ما يلي: " على الرغم من أن قرصان الجزائر يعاملون معاملة حسنة عندما يرسون في الموانئ الفرنسية حيث يعطي لهم البارود

¹- A.N.P / Marine B538.

²- رسالة السفير الفرنسي بالقسطنطينية مؤرخة في 12 فبراير 1578 عن Watbled ، ص 31.

³ - البند 31 من معاهدة الإمتيازات .

والرصاص وأشرعة ومعدات أخرى ومع ذلك فإنهم لم يقلعوا عن أسر الفرنسيين الذين يلاقونهم في البحر وسلب ممتلكاتهم وسلعهم، وهو عمل كانوا قد منعوا عنه عدة مرات على عهد سلفنا الطيب الذكر ولكنهم لم يتوقفوا عنه، إننا نشجب هذا السلوك بشدة ونريد إطلاق سراح كل فرنسي ثم أسره في مثل هذه الظروف ورد كل الأشياء التي سلبت منه، وإذا ما تمادى هؤلاء القراصنة في عصيانهم فإن مجرد رسالة من جلالة الملك (ملك فرنسا) تخطرنا بذلك فإنه يتم عزل البايلرباي القائم في الحال، وتعويض الفرنسيين عن الخسائر التي لحقت بهم، ربما أنها لم ينصاعوا كثيرا لأوامرنا وتصريحاتنا المتكررة التي وجهت إليهم بهذا الشأن حتى الآن، وفي حالة ما إذا لم يمتثلوا لأوامر الإمبراطورية في المستقبل، فإن إمبراطور فرنسا¹ سوف لن يستقبلهم تحت قلاعه ويمنعهم من الدخول إلى موانئه وأن الوسائل التي سوف يتخذها لقمع لصوصيتهم سوف لن تؤثر على علاقتنا ولن تمس بمعاهداتنا وفقا للفرمانات الإمبراطورية الصادرة على عهد أجدادنا والتي نقر ونثبت هنا محتواها، كما أننا نعد كذلك بقبول أقوال جلالته (ملك فرنسا) حول هذه المسألة".

يبدو أن هذا الموقف العثماني الجديد لم يؤثر ولم يخف الجزائريين الذين أصروا على موقفهم وسياستهم المستقلة بخصوص التعامل مع فرنسا ، إذ هم أدري عمليا بطبيعة الميدان وملايساته، لقد إكتسبوا خبرة في علاقتهم مع الرعايا الفرنسيين مما يبين لهم أن الإمتيازات لكي تكون مفيدة للطرفين تفترض أن يوجد في الطرف المقابل أناس هم من النزاهة وصدق النوايا والإخلاص في التعامل فوق المستوى كل الشبهات ، وهو مالم يكن متوفرا على الساحة الواقع ذلك أن الحوادث الشبه اليومية التي كانت تقع في البحر وعلى السواحل الجزائرية كانت تؤكد لهم عكس ذلك² لذلك لم ينزعجوا من تهديدات السلطان ولا الفرنسيين وقد تأكد هذا الموقف الصلب في الفشل الذي أحلق بالمبعوث

¹ - إن لقب الإمبراطور كان السلطان سليمان القانوني قد خلعه على ملك فرنسا وبقي تقليدا متبعا يطلق على جميع ملوك فرنسا من طرف الممالك الإسلامية ومملكة فرنسا كانت تعتر بهذا اللقب وتحرص على أنها يهمل في المراسلات مع الدول الشرقية.

² - تورط البحارة الفرنسيين في أعمال القرصنة ضد التجارة البحرية الجزائرية حتى الساحلية منها، لايحتاج إلى دليل بالنسبة لهم والإرهاب الذي كان يزعه فرسان مالطة المدعين من فرنسا بالدرجة الأولى، على التجارة الإسلامية في المتوسط لايمكن أن ينكره أحد ومن المفيد دراسة تأثير القرصنة المالطية على التجارة الإسلامية في المتوسط ومقارنة ذلك بالإرهاب الذي مارسه البرتغال في المحيط الهندي والبحار الشرقية ضد هذه التجارة .

الفرنسي سفاري دي بريف وبمساقيه في الجزائر من أجل تنفيذ الإمتيازات في هذه البلاد¹ بالرغم من المساعدة والدعم الذي قدمه له مبعوث السلطان العثماني الذي أوفد إلى الجزائر لهذا الغرض وللجزائر أسباب أخرى جعلتها تشكك في نوايا فرنسا نحوها، وتريد أن تقيم معها علاقات مباشرة تحددتها معاهدات تبرم بين البلدين لحفظ مصالح كلا الطرفين.

ويبدو من ناحية أخرى أن فرنسا من جهتها قد إستخلصت هي الأخرى عدم جدوى المساعي التي كانت في القسطنطينية لإرغام الجزائريين على تنفيذ معاهدة الإمتيازات وقررت الدخول في علاقات مباشرة معهم بعد فشل مهمة دي بريف، وأبرمت من أجل ذلك عددا من الإتفاقات ، ولكن أول معاهدة محفوظة في دور المحفوظات الفرنسية بين الجزائر وفرنسا، هي معاهدة سنة 21619.

2- إقتصاديا:

لم يكن الأفراد العناصر الوحيدة المشاركة في الحركة التجارية بين الإيالة وفرنسا، بل هناك الشركات والمؤسسات التي استفادت من الامتيازات التي تحصلت عليها فرنسا خلال القرن السادس عشر تعاقبت مجموعة من المؤسسات على استغلال الامتيازات في شرق الجزائر، وتكشف هذه الحركة عن دورتين تجاريتين:

- تجارة المرجان التي تميز المؤسسات التجارية التي سيطرت على النشاط حتى القرن السابع عشر.

¹ - للمزيد من التفاصيل حول مهمة هذا المبعوث أنظر كتابه:

Brèves F Savary Relation des voyages de Monsieur de Brèves de tant en Grèce, terre Sainte et l'Egypte jusqu'à aux Royaume de Tunis et Alger paris 1628.

² - جاء في مدخل هذه المعاهدة أن الطرفين كانا قد أبرما عددا من الإتفاقات بينهما في السابق وأن آخر إتفاق تم إبرامه كان سنة 1617.

- والثانية تجارة القمح التي تستمر حتى القرن الثامن عشر حيث تظهر حرب القمح في المتوسط¹ وذلك بسبب الأحداث التي عرفتھا أوروبا المثلثة في حرب الوراثة الإسبانية، فيعبر برودل Braudel عن ذلك: " تجارة القمح تفتح المجال للسلسلة من التسهيلات والأفضليات..."

وسيلة لصنع الإمتيازات، قد يخلق المآسي بسبب فياضانات الشتاء، أو جفاف الصيف... تقلبات في الأسعار... ولم تدرس ديناميكية هذه التحولات إلا خلال القرن الثامن عشر...².

إن المنافسة الفرنسية البريطانية توضح تطور تجارة القمح في الحوض الأبيض المتوسط لقد تمكنت فرنسا من إبرام معاهدة الصداقة والحصول على إمتيازات في عام 1535 بين فرانسوا الأول وسليمان القانوني، هذه المعاهدة التي سمحت لهم بالتركيز بسواحل شمال إفريقيا وحماية الرعايا الفرنسيين عن طريق القناصل، فكانت الفترة ما بين 1535-1580 خصبة للتجار الفرنسيين وذلك بسبب التحالف الجزائري الفرنسي مع 1561 إستقر تاجران مرسيليان لينش Thomas Linche وديدي Carlin Didier بمكان أطلق عليه بإسم باستيون فرنسا³ وتكوين شركة لغرض صيد المرجان⁴ لتتجد لصانسون Sanson لإستغلال ذلك الحصن في 1628.

1-Braudel F, la Méditerranée et la monde de Phillippe II, op.cit , T II , P 269.

2- Ibid.

3- Dan, op.cit , p 60.

4- مهمة دفترية : رقم 35 ، حكم رقم 314، صحيفة 122 ، تاريخ 986 : تقدم الكفرة الفرنسيون بعرض حال للحصول على إجازتنا الهمايونية..... بشأن السماح لهم بصيد المرجان..... حيث سبق للكفرة الجنوبيين إذ كانوا يصطادون المرجان هناك من ي قبل وعليه فقد أمرنا : حال وصوله للسماح للكفرة الفرنسيين بصيد المرجان.... وعدم التعرض لهم في ذلك السبيل شريطة عدم إقامة أي قلعة.... وشريطة أدائهم ضريبة العشر على المرجان الذي يصطادونه... ترجمة محمد داوود التميمي.

هذه الإمتيازات التي منحت لفرنسا أخذت طابع حرية التجارة في أنحاء الإمبراطورية العثمانية¹ شرط عدم الإتجار بالمواد المحضورة، تجسيدا لتوسع رأس المال الأوروبي الذي تطور أكثر خلال القرنين 18 و 19م لتحقيق إستعمار إقتصادي يكون بداية لإستعمار حقيقي في ضم المقاطعات العثمانية الواحدة تلو الأخرى.

بعد إنقضاء عقد الإنجليز في 1694 الذين إستغلوا القالة منذ 1684 تحصلت شركة مرسيلية على الإمتيازات تحت إدارة هيلي P.Helly، وقد عرفت تطورا وإزدهارا خاصة في ما بين 1701-1709 بسبب إزدياد صادراتها إتجاه فرنسا، وما زاد في نشاطها إنضمام مؤسسة الرأس الأسود Cap Negre إلى مؤسسة هيلي في 1707، وقد تسبب في إفلاس خزينة المؤسسة اليهوديين سيمون ووميهلين Milhan و Simon الذين هربا إلى غسبانيا، فجاء قرار مجموعة من التجار المساهمين من بروفانس (أرنول Arnoul لوبري Lebret دوسو Dusault، فوفري Vauvret) ونظرا لإهتمام الشركة بإستغلال المرجان أعلنت سيطرتها على الباستيون،ى عنابة ومناطق أخرى.

لقد منع على سكان المنطقة من التعامل مع أطراف غير الشركة هيلي HELLY في إستيراد المواد المختلفة (صوف، جلود...) وقد حذر حتى أعضاء الشركة بأقصى العقوبات في حالة عدم إحترام المصلحة الوطنية²، إذ في الكثير من الأحيان قام أعضاءها بتصدير كميات من القمح خارج مرسيليا كتلك التي صدرت إلى إسبانيا من قبل مديرها شافينييو Chavignot مما أثار مخاوف بعض المسؤولين³.

¹ Balarbi Loula, Le régime liberal des capitutions la cadre juridique cahier Maghrebins d'histoire , N° 07 juin 1990 , p 89.

² - في رسالة المراقب العام إلى محاسب بروفانس في 29 جوان 1709 : : بمأن الشركة لم تعد تقدم أعمالا إيجابية فيما يخص القمح ، يجب إبلاغ مسيرها أنه في حالة الإشتباه أو إكتشاف تحويل القمح نحو مناطق غير بروفانس، ما عليهم إلا إنتظار أقصى العقوبات....

³ - تعول شركة هيلي بالشركة الإفريقية التي دفعت 150.000 ليرة مقابل إستغلالها للمؤسسات، برأس المال 720.000 ليرة موزعة على 24 سهم قيمة كل واحد 30,000 ليرة" عن أرشيف المستعمرات (علبة الشركة الإفريقية).

" يجب إتخاذ إجراءات ضد هذه الشركة لمنعها من بيع القمع خارج مارسيليا... لتكون وسيلة نافعة وقت الحاجة" ونظرا للخدمات التي يمكن أن تقدمها الشركة لفرنسا خاصة في هذه الظروف الحرجة، فقد قدم الملك الفرنسي في 11 1709 فرقاطات للشركة لنقل الحبوب. غير أن الشركة تعرضت للحل سنة 1713 وعوضت بشركة أخرى بإعتماد من الملك الفرنسي لمدة خمس سنوات، في هذه الظروف طلب من المحاسب أنرول Arnoul دراسة إقتراحات لإنشاء شركة جديدة فجاء الطلب المرسلي للإحتفاظ بوحدة المؤسسات بشمال إفريقيا، وتأسست شركة جديدة بعقد لمدة ست سنوات.

1- الشركة الإفريقية:

في 1714 توقع معاهدة التجارة بين مديرها دومارل Demarle وحسن باي بقسنطينة، وهي أول معاهدة يوقعها باي قسنطينة جاءت تجديدا لمعاهدة 1694 والتي رخصت للفرنسيين إستغلال الحبوب لكن ببند إضافي:

" لا يحق لأية سفينة كانت شحن القمح، الشعير، الفول... من ميناء عنابة وتركوت ولو كانت سفنا إسلامية".

كانت هذه المعاهدة ذات منفعة لصالح فرنسا لكن كثيرا ما كانت تتعرض لمضايقات، كتعرض مدينة القالة لهجوم من طرف القبائل القاطنة في المناطق الحدودية الجزائرية، التونسية قبائل يصعب عقابها كما سجل وجود سفن صقلية سمح لها بصيد المرجان في السواحل الشرقية خلافا لما جاء في معاهدة 1694 و 1714.

شكلت هذه المحطات الإهتمامات الأساسية للحكومة الفرنسية والتخوف من سقوط الإمتيازات بيد الأجانب ولاسيما الإنجليز وتم عقد إمتياز هذه الشركة في ديسمبر 1718 لنرى أن مؤسسات وإمتياز هذه الشركة تنقل إلى مؤسسة أخرى.

2- شركة الهند الشرقية الفرنسية:

تأسست بقرار حكومي في 4 جوان 1719¹ وإستحوذت على جميع الإحتكارات لمدة 24 سنة، ثم بصفة دائمة ربما يكون اللجوء إلى شركة الهند الشرقية إنقادا لهذه الإمتيازات بتدخل من الدولة حفاظا على المصلحة العامة ويطلب من الغرفة (ت،م) المساهمة في تدعيم رأسمالها خوفا من وقوعها بيد الأجانب ويتجلى ذلك في طلب دوق أورليان للمحاسب لوبري Lebret لتأسيس شركة جديدة وقدم مجلس البحرية التسهيلات ليستمر إستقلالها فقد عرفت هذه الشركة توسعا رأسماليا في هذه الفترة وحاولت إمتصاص كل شركات البلاد، ودفعت رأس مال ما يفوق كل من سبقها بمقدار 2000.000، وقد حققت أرباحا سنوية 1510000 في حين كانت النفقات 351000 ليرة.

كانت البداية جيدة نوعا ما لصالح هذه الشركة بسبب المعاهدات المبرمة مع الإيالة في 1719 بالأخص تلك المفاوضات التي قام بها مايي M De Maillet القنصل السابق بليفورن والتي تتعلق بالتجارة غير أن هذه الشركة عرفت مصير سابقاتها فتعلن عن مشاكلها المالية التي تعرضت لها مع 1725، فتتخلى عن إستغلال الإمتياز بعد سنوات قليلة لصالح المتعهد جاك أوريول Jacques Auriol لمدة عشر سنوات² التي إستفادت من مصادقة عبدي باشا في 1731 على معاهدة حسن باي مع Demarle TD في 1714³.

هذه الشركة لم تختلف عن سابقاتها في تسيير المؤسسات بشرق البلاد، إذ كانت تعامي من نفقات التسيير خاصة وأن مركزها باريس بعيدا عن مرسيليا فتغافل من وكلائها بالمحطات التجارية عن هؤلاء الأجانب⁴ فتناقض نشاطها وإنخفاض رقم أعمالها، فتلك المؤسسات التي كنا

¹- في مارس سددت مبلغ 68,679 للشركة الإفريقية السابقة عن عقارتها .

² - Plantet, op.cit , p 90.

³- قنان جمال ، العلاقات الجزائرية ،ص 229

⁴ - أصبحت التجارة أسوأ تحت إدارة شركة الهند، لأنه مقابل نشاطاتهم الضخمة، إلا أن محطات إفريقيا لاتعني لها الكثير " وفي نفس السجل مراسلة مدير القالة مع عامل رأس العبد يوضح فيها تلك التلاعبات.

نجد فيها: "40 سفينة لصيد المرجان، ولم يعد يرتادها سوى ما بين 26 و 27 سفينة بالقالة.... ولم تعد تعنتي بمعامل صقله، ولم يعد في مرسيليا سوى معملين بعد أن كانت 40 معملا " و إنتقلت تلك المعامل إلى جنوة¹ لتموين الأسواق الإنجليزية والهولندية.

3- الشركة الملكية الإفريقية:

لم تترك الأوساط التجارية الفرنسية فراغا بمؤسساتها بالجزائر خلال القرن الثامن عشر فبمجرد إنتهاء عقد أو التراجع حتى تعوضها الشركة جديدة، وأولت السلطات إهتماما خاصا بها، خشية لأن تقع هذه الإمتيازات بيد الأجانب إلى جانب أبعادها الإستعمارية وما يمكن أن توفره هذه الإمتيازات من مواد لتموين فرنسا.

بمجرد انقضاء مدة استغلال السيد أويول Auriol وبموجب مرسوم ملكي في فيفري، 1741² انتقلت الامتيازات إلى شركة جديدة تحت إسم " الشركة الملكية الإفريقية" بصفة دائمة، وتحظى هذه الشركة بإهتمام ملكي يظهر في أمرية 25 أوت 1741³ التي امنع حتى على الفرنسيين الإتجار بمناطق الإمتيازات (أنظر الملحق) وكل من خالف ذلك يتعرض إلى غرامات مالية 3000 جنيه، ويمنع على القنصليات قبول عقود الشحن والمخالفة تعني غرامة 500 جنيه.

تكونت هذه الشركة برأس مال 1200. 000 جنيه تطور حتى وصل سنة 1775 إلى 420722 جنيه ويتحصل المساهمين على فائدة 6% وهي مقسمة إلى 1200 لهم.

¹ - أنظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص 195.
² - لقد أردنا أن ننمي تجارتنا في إفريقيا، وتوفر الرخاء لرعايانا، فقررنا أن نعطي لأصحاب الشركة الجديدة كل الوسائل التي تساعد على تطوير العمليات التجارية، وذلك بأن نقدم لهم رؤوس الأموال الضرورية.... وإن جعلهم يحظون بالحماية ويتمتعون بمختلف الصلاحيات والامتيازات.....

³ - A.CC.M série Art : 1873.

كان للغرفة (ت،م) وحدها ربع الأسهم إلى جانب استثمار 300.000 جنيه بهدف دعم دورها كمخزن رئيسي للحبوب في حوض المتوسط، والتزمت الحكومة بتقديم مساعدة مالية للشركة 40.000 جنيه ولمدة خمس سنوات وتتجلى أهمية هذه الشركة بالنسبة لفرنسا في قول الوزير الفرنسي:

... إنه من واجبنا التفوق على الإنجليز فضياع نشاطنا في سواحل شمال إفريقيا، سيكون ضرر كبير على تجارة فرنسا وسيزيد من بؤس مناطقنا الجنوبية... "

وتعد من أهم الشركات الفرنسية خلال العهد القديم لضخامة ما حققته من أرباح سنوية بمتوسط 250.000 فرنك سنويا¹، لقد أساسا على صيد المرجان الذي شكل أساس تجارتها، فكان يغطي وحده مصاريف ونفقات الشركة، ونجد أنها كانت تدفع 100.000 جنيه كلزمة لداي الجزائر². إضافة إلى صندوقين من أجمل أنواع المرجان، كما تدفع الشركة إلى شيخ قبائل المعزل Mazoule 2,5 جنيه عن كل حمولة قمح و1,2 عن كل حمولة شعير...³ ولباي قسنطينة 4,10 جنيه عن كل قنطار صوف .

لقد عملت هذه الشركة على تطوير هذه التجارة وتوسيع مجالات الإستغلال، فارتفع عدد من سفن صيد المرجان corailleurs كان عدد السفن 14 سفينة في 1759، 32 في 1777 و 38 سفينة في 1780 وقامت الشركة أيضا بتقنين العلاقات بين صيادي المرجان والشركة، فهي توفر لهم الإستقرار وتضع تصرفهم مراكز صيد مجهزة، توفر لهم المواد المعاشية والمأوى مقابل بيع ما يصطادونه للشركة بسعر 5 فرنك

1 - محمد العربي الزيري التجارة، المرجع السابق، ص 199.

2 - كتب أحد المدراء M de verrayon إن صيد المرجان وبدون نقاش الفرع المشرق لتجارة القالة.

3 - قنان جمال، العلاقات، ص 229.

للكيلو غرام¹ بعد ما كانت الشركة قبل 1780 تقدم ما متوسطة 180 صندوق من المرجان، نجد أن ذلك تناقص ما بين 50 و 60 صندوقا، وفي بعض الفترات بسبب المنافسة الشديدة من قبل الصقليين والنابوليين.

إن الأرباح الضخمة التي حققها الشركة ناتجة عن نشاطها المكثف في مختلف المجالات فالمرجان وحده كان يحقق ربحا يزيد عن 400.000 فرنك² فمتوسط ما تصطاده سنويا 26 طن تشتريه ب 5 فرنك للكيلو غرام لتبعية بسعر يتراوح ما بين 20 و 30 فرنك، كما يصل في مرسيليا إلى ما بين 60 و 80 ألف حمولة قمح سنويا و 20 حمولة شعير³ كما يتزامن الربح لسنوات 1772-1773 مع كميات القمح المصدرة إتجاه مرسيليا، ويتضح بذلك أن الشركة لم تكتف بصيد المرجان الذي يعد الأساس الذي قامت عليه، فقد وسعت نشاطها نحو مواد أخرى (كالأصواف، الفول، الجلود....)⁴.

لقموح شرق الإيالة لأهمية خاصة في أهداف الشركة وفرنسا، تمكنت من الحصول فيما بين 1741-1765 على 332152 حمولة قمح من ميناء عنابة وحدها، ومن القالة 152176 حمولة، وتتجلى أهمية هذه المادة الحيوية في مراسلات الشركة المتعددة⁵ التي تحفز للحصول على أكبر كمية من القمح بالشرق وبضرورة إزاحة المنافسين، وعلى سبيل المثال مراسلة 20 ديسمبر 1776:

" أعلمنا وكيلنا في مدينة عنابة بوصول قرار الداوي إلى قسنطينة ، الذي يسمح بأخذ 5000 قفيز من القمح وأن السعر سيكون ب 20,5 بياسترة للقمح الجديد وب 18,5 للقمح القديم...."

1- نفسه، ص 229.

2- قنان جمال، العلاقات، ص 229

3- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص 199.

4- نفسه، ص 202

كانت الشركة تشتري حوالي 80,000 جلد، 900 قنطار من الشموع، 30,000 قنطار من الصوف....

5- A.C.C.M série LII Art : 85

وبذلك تكون المواد قد ساهمت في أرباح وإزدهار الشركة بإعتبارها أهم منتوجات الإيالة كان للشركة الملكية الإفريقية عدة مراكز وهي كل من: القالة، عنابة، طبرقة والقل¹ وهي في ذات الوقت تلك المراكز التي ورثتها عن المؤسسات التي سبقتها، وتبين سجلات الغرفة (ت،م) الخاصة بأرشفيف الشركة السفن التي خرجت من المراكز الثلاث (القالة، عنابة، القل) في الفترات التالية²:

- ما بين 1755-1759 ----- 38 سفينة .
- ما بين 1760-1764 ----- 29 سفينة .
- ما بين 1765-1769 ----- 38 سفينة .

ويظهر من خلال تلك السجلات شبه تخصص لهذه المحطات، إذ تختص القل بتصدير الجلود، عنابة بالقمح والقالة والمرجان... وفي فترة السبعينات نجد أنه دخل مرسيليا من سفن الشركة الملكية من مختلف مؤسساتها:

- ما بين 1771-1777 ----- 568 سفينة
- ما بين 1786-1792 ----- 446 سفينة

التوسع الرأسمالي الفرنسي تحت وجه التجارة، ویتزامن إرتفاع رقم أعمالها مع زيادة حجم صادرات الشركة من القمح كسنوات (1771 ، 1772 ، 1773) وهي الفترة التي عرفت إرتفاعا في اسعار القمح التي وصلت إلى 38 جنية للحمولة¹ تجسيدا للأرباح المحققة و عرفنا لمساعدات الملك إتجاه الشركة، تمنح قرضا للحكومة بقيمة 1200.000² من أجل إقامة بنااءات تحصينية بطولون.

¹ - A.C.C.M Série Art 03.

² - A.C.C.M Série Art 04.

لكن الشركة الملكية الإفريقية عرفت هي الأخرى بعض الهزات أدت إلى تقلص رقم أعمالها، وعجز في موازينها خاصة في الفترة ما بين 1779-1783 التي تحددت في :

■ 1779 ----- 980540 جنييه 1781-----182562 جنييه

■ 1782-----275511 جنييه 1784-----71078 جنييه

إن هذه الخسارة ترتبط طرديا مع تصدرة الشركة ، فقد سجلنا في الجدول أن أدنى ما صدرته الشركة من قمح كان سنة 1780 و 1781، ولم تعد مبيعات القمح 120.000 جنييه، إلى جانب إرتفاع أسعار القمح بالجزائر إلى 32 بباسترة، دون أن ننسى هؤلاء المزاحمين للفرنسيين بشرق الإيالة ويظهر في مراسلة وكيل الشركة للغرفة (ت،م) في 30 سبتمبر 1773: " رغم ترخيص الباي في الحصول على 500 قفيز المعهودة، إلا أننا لم نتحصل عليها.....

فالحصول أخذ من طرف اليهود ، الجزائريين وآخرين الذين منحهم الداى رخصة الشحن، وكتب إلينا من ليفورن أنهم بانتظار 30.000 حمولة تعادل حوالي 5000 قفيز...³.

¹- Boyer.P, Commerce des céréales, op.cit ,pp 328 -334.

² - طلبت شركة سورين Sorin المرسلية من الشركة الملكية أن تزودها ب 30,000 حمولة بسعر 35، فبيع قمح القالة ب 35,2 فرنك، ويعود ذلك أيضا إلى الإعصار الذي ضرب فرنسا فارتفع السعر إلى 38 فرنك.

³- A.C.CM Série LII ART 85 .

A.C.C.M série LII art 86.

في رسالة أخرى من فيرقاف M في 28 جويلية 1787: تجارتنا للحبوب في حالة حرجة، إذ يصعب علينا بيع قمح القالة، ونحن مجبرين لقبول سعر 19 بباسترة ل 2000 شحنة..... ضخامة الإنتاج وكثرة القموح التي دخلت حتى من موانئ البحر الأسود، يجعل من الصعب أن يرتفع سعر القمح....

هذه الكميات المشحونة ستكون على حساب الشركة، إذ تؤثر عليه سلبا ليس هذا فقط يضاف إلى ذلك التهريب لصيد المرجان من قبل الأجانب على حساب إمتيازات الشركة بالأخص الكورسني، إلى جانب تلك الإضطرابات التي عرفتتها الشركة في بداية عهدا كفقدانها لرأس نيقرو في 1741 ونهب القالة في 1744 وسيطرة الباي على هذه المحطة، إلى جانب تأثير حرب السبع سنوات التي أثرت على نشاط الشركة فارتفعت قيمة التأمينات ب 50% و 60% .

حاولت الشركة أن تضمن سلامة نشاطها من الإعتداءات أو تلك العراقيل بإقامة علاقة طيبة مع سلطة البايلك عن طريق تقديم الهدايا والخدمات¹ كأن توفر لهم المشتريات من مواد الرفاهية، على سبيل المثال شراء الشركة للحاج عمر صهر الباي فراشين من الريش² والتقرب أيضا من الأعيان ورؤساء القبائل، بهدف حماية الطرق وعدم إعاقة وصول الحبوب إلى القالة بتقديم الهدايا.... وتظهر تلك العلاقة بين الشركة وسلطة البايلك من خلال مراسلة صالح باي إلى الشركة :

".. السيد صالح باي محروسة قسنطينة لي جملة الكبانية بفرنسا.... المطلوب منكم والموكل عليكم والموكل عليكم أن تبعثوا لنا مولان الطبيب إن كان موجودا، أو لم يكن موجد تبعثون لنا من غيره من أعز الأطباء الموجودين عندكم.... إم كنتم تريدون خدماتنا مع أول قادم إلينا مولان الطبيب لأننا محتاجون إليه غاية الإحتجاج...."³.

بنهاية النظام القديم وقيام الثورة الفرنسية، ستعرف فرنسا عدة تحولات ستعكس على مصير الشركة أهمها صدور قرار 21 جويلية 1791 من المجلس الوطني يمنح الفرنسيين حرية التجارة في جميع المراكز التجارية الفرنسية في المشرق وشمال إفريقيا، وبذلك ستفقد الشركة إمتيازها

¹- Archive B du R série C 2473.

²- A.C.C.M série LII Art 85.

³- A.C.C.M série LII ART 360 objet Compagnie Royale d'Afrique (correspondance à, l'étranger 1761-1774 .

لإستغلال تلك المؤسسات بإسم الحرية التي نادى بها الثورة الفرنسية التي وضعت حدا للنظام القديم، فجاءت قرارات الجمعية التأسيسية لتضع حدا للإحتكارات وحتى التصنيفات الحرفية فأصبح المواطن الفرنسي حر في إختيار نشاطه الإقتصادي.

ستصمد هذه الشركة إلى غاية 1794 وستعمل على تزويد مقاطعات الجنوب الفرنسي بالمواد الإستهلاكية، وبدأت تعرف المشاكل منذ 1790 التي أدت إلى إنهيارها كما صدر قرار حل الغرفة (ت،م) من قبل الجمعية التشريعية¹ التي تعتبر الموجه والوصي على هذه الشركة ولم تعد تسييرها سوى هيئة مؤقتة، فتراكمت عليها المشاكل المالية والإقتصادية التي نجعل من الصعب عليها الإستمرار فمن جملة الأسباب التي ساهمت في إضمحلالها وزوالها:

- ظهر الإسبان في ساحة المنافسة التجارية الذين سيستفدون من المعاهدة الموقعة مع الجزائر في 1791 والتي منحتها حقوق إمتياز شحن 10.000 حمولة من القمح و100 قنطار من شمع النحل، إعفاء السلع المشتراة والمصدرة إلى وهران والمرسى الكبير من طلب الرخصة، لايؤدن لأحد من أجناس أخرى، لإقامة والقيام بالشراء، والبيع في (الأماكن المذكورة.....)² (أنظر الملحق) ولم يرد في النص العثماني إمتياز صيد المرجان كما ورد عند لوفاي Fey (في البند الثاني) أي رغبة الإسبان في الحصول على إمتيازات في غرب الإيالة كالتي كانت فرنسا في الشرق³ وعرف الإسبان توسعا وسط الإيالة أي بمدينة الجزائر ثم الإنتقال إلى شرق الإيالة، فأصبحوا يشترون كل

¹- قنان جمال، العلاقات ، ص 234-236.

²- Balarbi L Traduction inédite du manuscrit ottomane de la Langue Osmanli -Cia –en langue Française Université d'oran, البنود الخاصة بالتجارة (3،4،5،6)

³- Grammont (H.de) H d'Alger... op.cit , p 346.

ما تقع عليه أيديهم حتى تمكنوا من شراء إحتكار السيد جيمون gimon الذي سحب منه لعدم الوفاء بالتزاماته المالية، فإنتزعت منه وبيعت في المزاد¹.

- من جهة أخرى إندلاع الحرب الأوروبية وظهور الإئتلاف ضد حكومة الثورة منذ 1792 فحوصر الجنوب الفرنسي مما عرقل حركة الملاحة البحرية ومن ورائها نشاط التجارة، فلجأت الشركة إلى سفن غير فرنسية هروبا من الحصار، لقد كان وصول القمح إلى موانئ فرنسا غير مأمون، فكانت السفن الجزائرية تمثل حماية للشحنات الفرنسية على أساس حيادها في الصراع الأوروبي وهروبا من الحصار الإنجليزي.

■ قرار حرية التجارة الذي فتح المجال أمام الكورسكين في إستغلال المرجان متجاهلين مصالح الشركة الملكية، خاصة وإن المرجان كان الأساس الذي قامت عليه الشركة وذلك ما جاء في إحدى مراسلاتها إلى مسؤولين الدولة في 6 مارس 1792:

" إن عددا من الصيادين المكورسكيين يستعدون للذهاب إلى سواحل القالة وعنابة، وهذا مضر بمصالح الشركة وقد كتبنا إلى سلطات كورسيكا، ولكن النواب هناك يؤدونهم وعليه نرجو أن تأخذوا شكوانا بيعن الإعتبار... يبدو أن هلاكها محقق وقريب..."².

دون أن ننسى المنافسة اليهودية لهذه الشركة كما سبق التطرق إلى ذلك، وما زاد في إنعكاس الأحداث الخارجية على نشاط واستمرار الشركة الملكية الإفريقية، مسألة ما يفرن Meifrun اللاجئ بالجزائر والذي تدخل الداى لصالحه سلطات الثورة واعتبرها مسألة خاصة¹

¹- قنان جمال، العلاقات، ص 237.

²- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص 205.

A.N.P.B 313 Lettre du directeur de la Compagnie au ministre de la Marine Marseille , 1792

- Devoulx (A) principaux Français op.cit pp 381-382.

وأعتبرها تماطلا وخذلانا فزاد ذلك من العراقيل إتجاه الشركة بشرق الإيالة والدليل أنها لم تشحن سوى 32000 حمولة من مختلف الحبوب وفي مراسلة للشركة 1793: "إننا لم نتمكن حتى من شراء الكمية المنصوص عليها في المعاهدات المبرمة بيننا وبين الإيالة"².

كما واجهت الشركة (م،إلا) بعض المضايقات من السلطات المحلية إما بتأثير من اليهود، أو لسياسة البايات الذين أصبحوا يتعاطون التجارة، فأثر ذلك سلبا على نشاطها وعلى مداخيلها فتهربت من دفع مستحقاتها وتلاعب بالحسابات كما يظهر في مراسلة الشركة:

" إن علي باي قد لاحظ بأن الحسابات مغشوشة ، ففي المرة الأولى إكتشف أنكم إنقصم 1100 بباسترة ، قوي ولم يقل شيئا، وفي هذه المرة قد خصم 2400 بباسترة، فإنه يطالب بالتصليح ويطلب منكم أن تطلعوه على كميات الحبوب التي صدرتومها في هذه السنة..."³.

وظهرت هذه المضايقات أيضا في عدم السماح لوكيل عنابة بشحن الحبوب ، نتيجة لهذا التدهور، لم يعد في مقدورها دفع المستحقات والهدايا التي تعودت أن تمنحها لأعيان المنطقة وما زاد في حدة الخسائر قرار الحجز لما يوجد في مخازنها من حبوب، قدرت خسارتها بـ2400.000فرنك بغض النظر عن المصاريف السنوية التي تقدر بـ224000 فرنك، ومع ذلك ستصمد إلى غاية 17 جانفي 1794، وهو تاريخ إيقاف نشاطها بقرار من لجنة الإنقاذ الشعبي، ومن الأرجح أن تكون الخسائر هي التي دفعتها إلى التخلي عن جميع إمتيازاتها بشمال إفريقيا، خاصة أنه لم يعد لها أي دعم من قبل الدولة إذ تلقت الشركة رسالة من وزير البحرية الكونت لوزرن Comte De La Luzere في شهر ماي 1792:

" إن المصالح السياسية لفرنسا ليست مرتبطة بالمؤسسات وما عليها من الآن إلا الإعتداد على نفسها لحماية مصالحها"

¹ - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية ،ص 208 عن 1793-313 A.N.P B.

² - نفسه،ص 209

A.N.PA E B 287 lettre du chef du Mazoule à M peron (1792).

³ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ،ص 205.

فالشركة مظهر من مظاهر النظام القديم زالت بزواله لتفتح المجال المؤسسة الجديدة.

4- الوكالة الإفريقية:

بعد حل الشركة الملكية الإفريقية حلت عليها مؤسسة جديدة تحمل إسم " الوكالة الإفريقية" في 7 فيفري 1794، فقد ورثت الشركة القديمة بكل مؤسساتها وتنظيماتها وإمтиازاتها مقابل حقوق تعودت المؤسسات الفرنسية أن تدفعها لديوان الجزائر.

ولضمان تمويل فرنسا بما تحتاجه من مواد، خاصة في حربها مع أوربا المتحالفة ضدها، ثم تنظيم خدمات مستمرة للسفن بين فرنسا والجزائر، خدمات تكلفت بها الوكالة الإفريقية في 28 أوت 1794، وبقرار من المؤتمر الوطني في 27 بليفيوس العام الثاني تم تحديد الألوان الوطنية الثلاث¹ كراية للسفن والأساطيل الفرنسية وثم إعلام الداى من هذا التغيير في 28 مارس 1794²، أصبحت هذه الشركة تابعة للدولة تحت إشراف وزير الداخلية، فأصبح موظفوها يتقاضون أجورا ثابتة هذا ما أثار مخاوف الطبقة الثرية التي دفعتها القوانين لتعسفية إلى الهجرة إذ تم إعدام 251 من الأغنياء في 1794.*

فما كان أمامهم سوى الهروب والهجرة، ولم يتوانوا عن عرقلة وصول القمح إلى فرنسا عبر إيطاليا .

أهم عائق واجه الوكالة هو مشكل رؤوس الأموال، فقد حرمت على خلاف المؤسسات السابقة من تمويل المساهمين، فهي الشركة تحت إشراف النظام الجديد الذي يعاني أزمة مالية خانقة حتى تنازلت عن الكثير من نشاطاتها لصالح اليهود الذين عرفوا كيف يستفيدون من هذه التحولات.

¹ - Plantet. E, op.cit , pp 438-439

² - رسالة المواطن دي فرقس Defergues وزير الشؤون الخارجية إلى الداى سيدي حسن: إن ممثلي الأمة الفرنسية إرتأوا وتعيرير الراية الفرنسية إنني مكلف من حكومة الجمهورية بإعلامكم بهذا التغيير لكي لا يحدث أي خطأ بين السفن الفرنسية والجزائر...."
* - وكيل الشركة بمرسيليا هو يعقوب كوهني باكري (أنظر فصل اليهود).

عجزت الحكومة عن تمويل العمليات التجارية أو إنشاء أسطول خاص بها، وعجزت عن الوفاء بالتزاماتها بشراء السلع التي تحتكرها في المناطق الشرقية من الإيالة، إذ نجد في 1796 كان محوزة الشركة باكري 40.000 قنطار من الحبوب لصالح الوكالة الفرنسية، غير أن وكيل الشركة اليهودية بمرسيليا إمتنع عن تسليم الشحنة لأن الوكالة تعاني من ضائقة مالية، وأمام تأثير اليهوديين سيتوقف وفق نشاطها مع 1798، تأثير اليهود كان قويا على الداوي حسن والباي مصطفى الخرناجي الذي منحهم إحتكار تصدير الحبوب فأصبحت الوكالة عاجزة عن تزويد الحكومة الفرنسية لمطالبهم دون وساطة يهودية فقرر الفرنسيون مغادرة القل.

إن سنة 1798 إستحمل معها رياح التغيير بالنسبة للعلاقات الجزائرية ، الفرنسية ستكون جملة نابليون على مصر التي ستعكس سلبا على الوكالة ستخرب محطاتها (القالا، عنابة، القل) وذلك بأمر من المركزية العثمانية التي أمرت بإعلان الحرب على فرنسا في 21 ديسمبر 1798، كما تم القبض على مدير المؤسسات الفرنسية السيد بايرون Peiron والعمال الفرنسيين والبالغ عددهم 25 عامل و14 مسؤولا إداريا¹، وتم نهب المؤسسات الفرنسية.

تسبب قرار حرية الإتجار وإلغاء الإمتيازات، تقلص نشاط الوكالة الإفريقية، فقد فقدت الوكالة سيطرتها على أهم نشاط كان دائما المصدر القادر على تغطية نفقاتها إلا وهو المرجان الذي إستحوذ عليه الصيادين الإيطاليين والكورسيكي² الذين وجهوا إنتاجه نحو المعامل الإيطالية، فقلص عدد المعامل الفرنسية.

إلى جانب فقدان تجارة المرجان يضاف إلى قائمة خسائرها الجلود التي إشتهر بها مركز القل، في 1796 وصنعت الوكالة مقاييس جديدة لشراء الجلود حسب النوعية مخالفة تلك التقاليد المتعارف عليها في الشركات السابقة ، فحاول منتجوا المنطقة الضغط على الوكالة

¹- قنان جمال، العلاقات، ص 99 عن : المحفوظات الخارجية الفرنسية / المراسلات القنصلية التجارية: تقرير المديرية التنفيذية، ، باريس 27 مارس 1799.

²- نفسه، ص 242 عن : م، خ، ف، ت 26 ماي 1797 (7 بربريال العام V) .

لشراء الجاد حسب ما تعودا عليها ، فكان رد فعل الوكالة أن أغلقت محطة القل¹ وكان الوكالة كانت تبحث عن سبيل للحد من نفقاتها، فإقتصر نشاطها على تصدير المواد المحتركة من حبوب أصواف وشموع، التي إستطاعت الوكالة ورغم تلك العقبات تمكنت من تصدير كميات كبيرة حسب تقرير تانفيل Thanville M:

" إن الوكالة صدرت لفرنسا في 1798 (300 ألف قنطار من القمح، 40 ألف من الشعير، الفول، و 28 ألف قنطار من الصوف، 80 قنطار من الشمع و 80 ألف جلد) " ².

إن وضع الوكالة لن يتحسن في ظل هذه الظروف خاصة مع 1798 حين اضطرت إلى توقيف نشاطها لدرجة أنها لم تتمكن من الحصول على مبلغ المليون فرنك الذي طلبته من حكومة الثورة لأن التكاليف الفرنسية قد زادت خاصة بعد هزيمة الأسطول الفرنسي أمام الإنجليز عند ساحل أبي قير، إضافة غلى ما ورد عن دردوسن Derdoso أن نابليون بونابرت أناب عن الوكالة " بالوكالة العامة المتوسطية" ومقرها أجاسيو Ajaccio وفروع لها في كل من عنابة، تونس، والإسكندرية³ وبذلك نرى أن المؤسسات خرجت من السيطرة المرسلية لأن هذه المؤسسة كورسيكية، دون أن ننسى إنتماءات نابليون ، وقد عجزت الوكالة عن إسترداد ما كان للمؤسسات الفرنسية من نقود أمام المنافسة الأجنبية وتزايد تأثير اليهود وما كان لفرنسا من مشاكل داخلية ومع أوروبا مما يؤدي إلى إلغائها في 1801.

¹ Ferraud .L.CH, op.cit , pp 124-131 -140

²- محمد العربي الزبيري، التجارة، ث 219 عن :

AN P ,AE, 310 « Rapport de l'agent principale à MDubois Thain Ville la calle , le 30 Fructor An vill .

³- Plantet, op.cit , p 490

أمام إغلاق المؤسسات الفرنسية راجت شائعات أنها ستسلم إلى الإنجليز الذين طالما راغبوا في أن تكون لهم بها محطات منذ زمن بعيد، ويتجلى الخوف الفرنسي في مفاوضات هرکولي Herculais بشأن الإمتيازات، فرد عليه الداى: "أبلغ حكومتك أن لي كلمة واحدة"¹ ومرت هذه المفاوضات بمرحلتين:

-الأولى توقيع معاهدة جويلية 1800 (1 ترميدور العام الثامن) الموافق ل 28 صفر 1215 بين متصرف الجزائر مصطفى باشا والسيد شارل دوبات نفييل² الذي تم إيفاده إلى الجزائر خصيصا لهذه المهمة من الجمهورية التي كانت بنودها سياسية بحتة(أنظر الملحق) في إطار العلاقات الجزائرية، الفرنسية وتمهيدا لمعاهدة ثانية تتضمن بنود إقتصادية تجارية ويهدف إعادة العلاقات كما كانت قبل القطيعة .

المعاهدة الثانية بين الطرفين في 17 ديسمبر 1801 التي تتضمن إعادة الثلاث السياسية والتجارية، وعدم دفعه للزمة لمدة سنة كتعويض عن ما نهب وما صدر ما للمؤسسات ,غن لايبداً في حسابها إلا بعد عودة الفرنسيين لمراكز الإمتيازات... ودون تحديد تاريخ سريان مفعول المعاهدة فقد ضمت 19 بندا أهمها:

■ البند الثالث: أن تعيد الإيالة للجمهورية الفرنسية للإمتيازات الإفريقية بنفس الوضع ونفس الشروط التي كانت تتمتع بها فرنسا قبل القطيعة.

■ البند الرابع: إن البضائع والأموال التي أخذت من المؤسسات ترد بخصم جزء كعوائد بسبب الحرب المعلنة 1 نيفوس العالم VII .

■ البند الخامس: إن اللزمة لن تكون إجبارية إلا بعودة الفرنسيين إلى مراكزهم غير أن الوكالة كان عمرها قصيرا ولم تكن في مستوى الأحداث على الصعيدين الفرنسي والجزائري، وأمام عجزها المتزايد صدر قرار حلها، ومحاولة إرجاع الشركة الملكية الإفريقية¹

¹- قنان جمال، العلاقات، ص 241.

²-خط همايون ، عدد 5825 تاريخ 1215 تعريب فكري طونة .

التي رفضت الإلتزام بتنفيذ القرار لأنه يحرّمها من إستغلال وصيد المرجان الذي تستغله الوكالة العامة المتوسطية، ففي هذه الفترة سحب البساط من التجار والأوساط المرسلية إد أرسل الصيادون الكورسيكيون 300 سفينة لصيد المجان.

كان للتحويلات السياسية التي عرفها البحر المتوسط إنعكاس على العلاقات الجزائرية، الفرنسية، فبعد تفوق البحرية الإنجليزية في معركة الطرف الأغر* في 21 أكتوبر 1805، أصبحت إنجلترا سيدة البحر المتوسط، حيث منحت إمتياز إستغلال المؤسسات الفرنسية بشرق الإيالة لمدة عشر سنوات بعدما عرضت على الداى 40.00 قرش إسباني، وهو المبلغ الذي عجزت فرنسا عن دفعه أمام الأزمات الخائفة التي واجهتها، دفع الإنجليز مبلغا أكثر مما كان يدفعه الفرنسيون بمرّة وثلاث ونصبت إنجلترا سكديرو² Escadero الإسبان كوكيل لها وتسلمت هذه الإمتيازات في 01 جانفي 1807 بعد الإتفاق الموقع بين الداى أحمد باشا والقنصل هنري بلانكاي وينص على : إستغلال عناية ، القالة والتنازل عن القل وجيجل ، مع حق إستغلال المرجان - لكن ما مان يهم بريطانيا هو إقامة قواعد عسكرية بشرق الجزائر كمالطا وجبل طارق والدليل هو السماح للمالطيين بالإتجار مع موانئ الشرق بهدف تزويد الحامية الإنجليزية بلمالطا، كما منحوا الإسبان، الكورسيكيين صيد المرجان.

¹ - محمد العربي الزبيري، التجارة..... نفس المرجع، ص 228 عن :

=A.N.P AE . B Mémoire sur les Etablissement de la Compagnie Royale D'Afrique Maerseille 1817

المادة الأولى منه: على إثر اقبر مت وزير الداخلية قرر قنصلية الجمهورية بإستعادة الشركة الملكية الإفريقية، وإلغاء الوكالة الإفريقية التي يوجد مقرها بمرسليا"

*الطرف الأغر: Trafalgar تقع بالقرب من مدينة قادس الإسبانية، وقاد المعركة نيلسون NELSON

²- قنان جمال، العلاقات، المرجع السابق، ص 252 عن: م، ج ف/ م، ف،ت الجزائر باريس 28 ديسمبر 1806.

A .N.P A .E.B , 301 Mémoire sur les Etablissement de la Compagnie Royale d'Afrique Marseille 1817.

الإيالة لم تستجب لمطالب بريطانيا في إقامة قواعد عسكرية بموانئ الشرق الجزائري وحتى الصيادون توقفوا عن العمل ابتداء من 1809، وقد أورد قارو Garrot إن سكان المنطقة كانوا مرتبطين بالفرنسيين ، مهما يكن هناك عامل الأسبقية وطول المدة الزمنية التي تعامل فيها الفرنسيون مع الأهالي.

من جملة المشاكل التي واجهتها إنجلترا هي قضية المنشآت والمخازن ومنزل إقامة نائب القنصل بعنابة التي ستجعل منها فرنسا، "قضية شرف وطني"¹ وأحيلت القضية على محكمة عنابة التي أصدرت حكمها في مارس 1810 لصالح الوكالة الإفريقية للدوافع التالية: على أنها أملاك فرنسية منذ أمد بعيد وبحكم طول مدة الإستغلال بإسم " شهرة حيازة التصريف"² والتي لم ينفذها الداوي³ فبقي بها إسكيديرو الوكيل الإنجليزي وفي ذات الوقت وكيل الشركة باكري إلى غاية 1817.

حاولت إنجلترا إستعمال كل الأساليب والتذرع لحجج وأهمية الإرغام الإيالة على تحقيق مطالبها في إقامة قواعد عسكرية، فإستغلت تأثيرها وقوتها بعد هزيمة نابليون بوناپرت للضغط على دول شمال إفريقيا لوضع حد لإسترقاق البيض في الحقيقة أن إنجلترا لوحث بالقوة ضد الجزائر أنها لم تنل ما كانت ترمي إليه⁴ فلعب الورد إكسموث دور المفاوض والوسيط بين الداوي وملوك سردينيا ونابولي، غير أن القوى الأوروبية، لم تكن راضية عن اللقاء الأول وإتهمت إكسموث بالضعف، فتلقى تعليمته من حكومته للضغط على الداوي لإطلاق سراح الأسرى المسيحيون ورد المبالغ التي دفعتها نابولي وساردينيا لشراء أسراهم بإرسال أسطول إلى الجزائر، لكن هذه المرة لم يحسن الداوي

¹ - قنان جمال، العلاقات ، ص 334.

² - نفسه ، ص 335.

³ - Plantet.E, op.cit , p 548.

..... إن الفرنسيين أصدقائنا وكذلك الإنجليز، فليس من اللائق أن أسيء إلى هذا أو ذاك، وليس بإمكانني أن أسحبها من الإنجليز فعليكم أن تكاتبوا إنجلترا لهذا الشأن
⁴ - خط همايون عدد 22486، تاريخ 1231 تقرير عمر باشا أمير أمراء الجزائر والأوجاقيني والضباط:..... " يطالب اللورد إكسموث بأن تعقد الصلح مع بعض الأجناس الكافرة..... رغم عداوتها لنا من قديم الزمان، وقد تم الإتفاق مع الأوجاق وإبرام الصلح مع الأجناس المذكورة دون تقييد العوائد وبدون دراهم..... وأراد جازما ومصمما فك الأسرى الموجودين منذ زمن بعيد في الجزائر.....

إستقباله وفي الوقت الذي كان فيه الأسطول الجزائري راسيا قرب الميناء، وجهت تعليمات إلى باي قسنطينة لإيقاف العاملين بعنابة حيث قتلوا 100 صياد كانوا يركبون سفن تحمل رايات بريطانية، وتم إقتياد 800 شخص كأسرى إلى قسنطينة¹ ونجد تضارب حول هذه الأرقام يرد في الدوائر الأوروبية رقم 300 شخص بينما يرد عنه الجهة العثمانية 30 شخص فقط² وذلك بناء على مناشير وزعت على قلاع السواحل، إشارة إلى تعليمات الداوي إلى باي قسنطينة لوضع حد للإنجليز في عنابة.

أمام تدهور العلاقات الجزائرية الإنجليزية تأتي حملة إكسموث الثانية في 27 أوت 1816 الموافق لـ3 شوال 1213، إد قبل إنقضاء 6 أشهر المتفق عليها، وفي ظرف شهر عاد إكسموث وبلهجة جديدة مدعمة بأسطول قوي مدعمة ببعض الوحدات الهولندية، وحاولت إنجلترا إستغلال الضائقة التي كانت فيها الإيالة من حيث الذخائر³ وقديكون ذلك سبب الذي دفع الداوي عمر إلى طلب مهملة 6 أشهر حتى تصله الإمدادات من الأستانة.

فكانت هذه الأحداث سببا في وضع حد لصالح بريطانيا التجارية والإستراتيجية لإقامة موانئ عسكرية بعنابة والقالة لضمان يطرقها على مالطا وجبل طارق⁴ في منطقة الشرق وتترك المجال لفرنسا لتملأ الفراغ.

■ عودة المؤسسات لفرنسا:

¹- محمد العربي الزبيري، التجارة ، ص 238 عن Feraud Histoire de la Calle p 594
-صالح العنتري... تاريخ قسنطينة ، ص 82 في 1816 طلب الداوي عمر بن الباوي شاكرك الذي حكم ما بين 1814- 1818 أن يعتقل كل الإنجليز المقيمين في مركزهم التجاري بعنابة بعد التأكد بأن اللورد إكسموث سيهاجم الجزائر، نفذ الأمر وإعتقل حوالي 800 شخص وخرب مركزهم التجاري...
²-خط هامايون، عدد 22556 بتاريخ 1231 خلاصة التحريرات الواردة في طرف خسروا باشا قبطان دريا الحالي)
³- خط هامايون ، عدد 22486 تاريخ 1231 عرض حال عمر باشا أمير أمراء الجزائر والأوجاقين والضابط (المجموعة الثانية) للعلم الهمايوني ثم إبرام العقد بين الطرفين وأخذ التعاهد مع بعضها البعض لمراعاة الزمن والمدة المتفق عليها بين الطرفين.... مدة أقلها 6 أشهر.... ونظرا لأن الأوجاق المنصورة كانت في ضائقة من حيث الذخائر والعساكر، وكانت تنتظر صدور الإذن الهمايوني والفرمان الشهاني من أجل جلب العساكر والذخائر دار السعادة إلى الأوجاق المنصورة... "

⁴- Primaudaie.E, op.cit ,p 54.

بمقتضى إتفاق فرنسي جزائري وقع في 15 مارس 1817 عادت الإمتيازات إلى فرنسا، وتكريس إحتكارها لصيد المرجان والمواد المستغلة سابقا، كان لعودة أسرة اليوروبون إلى عرش فرنسا بعد سقوط نابليون على علاقاتها مع الجزائر إذ إهتمت بمسألة الإمتيازات الإفريقية، وبالأخص عند تبديل القنصل تانيفيل Thainville بالقنصل الجديد دوفال Deval الذي إلتحق بمنصبه في شهر فيفري 18165 والشروع في التفاوض مع سلطات الإيالة بشأن رد الإلتزام إلى فرنسا وأبدت الجزائر موافقتها لكن مقابل دفع مبلغ 50.000 قرش إسباني كأتاوة سنوية وهو مبلغ يفوق ما كان يدفعه الإنجليز ب 20% فكان هذا المبلغ سبب في طول مدة المفاوضات التي ستنتهي بتوقيع إتفاق فرنسي، جزائري وقع في 15 مارس 1817 أعاد الإمتيازات إلى فرنسا مقابل الأتاوة المتفق عليها بالإضافة إلى 18000 ريال بوجو لباي قسنطينة، وأتاوة المرجان "قنطارين للدايلك وقنطار للبايلك الشرق² دون إثبات ذلك كتابيا.

ومع إستعادة فرنسا للإمتيازات ثم إنشاء الشركة الملكية المؤقتة بقرار من لويس الثامن عشر لإستغلال الباسيون والمؤسسات بإدارة السيد فورة Faurat وكننتيجة لذلك بدأ ظهور صيادوا المرجان في السواحل الشرقية للجزائر، وتمكنت هذه الشركة من تحقيق أرباحا زادت عن 150.000 في أقل من شهر، وهي قيمة قاربت رأس المال الذي وصل متأخرا³ ولم يكتب لهذه الشركة المواصلة بسبب كثرة الدائنين من المساهمين في العهد القديم والذين عجزت الغرف (ت،م) ترضيتهم وهذا ما دفعنا إلى طلب تدخل الحكومة لتسوية المشاكل العالقة.

¹ - قنان جمال، العلاقات، المرجع السابق، ث 258 عن : م،خ،ف/م، ق، ت الجزائر 42 باريس نوفمبر 1816.

² - نفسه، ص 262.

³ - محمد العربي الزبيري، التجارة، ص 243 عن

أمام عجزها عن الوفاء بمطالب المساهمين القداماء إقترحت الحكومة منح المؤسسات إلى تجار خواص مقابل مبالغ مالية قد تدفع سنويا، فتمكن التاجر المرسيلى باري (paret Joseph –Barthelemy) الذي نجح في توقيع العقد 30 أكتوبر 1821¹ وذلك بعد إنسحاب منافسه السيد شودفان Chaudevin وبهذا تنتهي مدة الشركة المؤقتة لمبدأ عهد جديد.

▪ شركة السيد باري Paret:

أما عجز الحكومة في تسديد مستحقات الدائنين، نرى بعض التجار الذين طلبوا الموافقة على إقامة مؤسسات لهم بالجزائر كالسيد أنطوان بثدافون Antoine Chaudevain² لكن طلبه قوبل بالرفض ويظهر ذلك في مراسلة وجهت إلى الغرفة (ت،م) في 9 أوت 1816³ بسبب الظروف الراهنة، وإنفرد باري Paret الذي سبق له وأن أقام بالجزائر كوكيل وشريك للبيت التجاري جيمون Gimon في فيفري 1787⁴ وتمكن هذا التاجر من إنجاز العديد من الصفقات التجارية لحسابه: كسواء سفينة من نوع Polacre بسعة 300 برميل La Convenance من غنيمة نابوليتانية وقام ب 23 صفقة تجارية (13 تصدير و 11 إستيراد) والكثير من العمليات الأخرى (راجع نفس المصدر) يبدو وكأن التاجر باري له خبرة في مجال السفن فقد أورد دوفلكس Devouloux⁵ ما إشتهر من سفن تدعيما لأسطوله التجاري لكن الأهم في نشاطه هو حصوله على الإمتياز المطلق فقامة مؤسسة تجارية بالجزائر في 1818 حيث تمت تزكيته من وزارة الداخلية على

¹- A.C.M .FIX Algérie avant 1830 : Concession d'Afrique .

²- A .C.C.M série M. Q 5. 1/13 art : Commerce international Relation avec les pays étrangers échelle d'Alger .

³- A .C .C.M série MQ 5 1/13, Devoulx.A, principauxop.cit ,pp 426-428.

⁴-Ibid , p 426

⁵ -Ibid , pp 426-428

-السفينة الإخوة الثلاث (50 برميل) 1787 سفينة الموافقة (300 برميل) 1788
- السفينة السعيدة (160 برميل) 1797 سفينة المغامرة (50 برميل) الشهر القادم عام VI.

أنه عارف بالمنطقة ولما كان له من علاقات مع شخصيات الإيالة وتظهر في قرار نائب كاتب الدولة في 30 مارس 1818 إلى نواب الغرفة (ت،م):

..... أيها السادة، رسالة من فخامة الدوق ريشيليو Richelieu
..... بعلم بموافقتة على إقامة مؤسسة وبت تجاري دائم بالجزائر،
مقابل دفع 60.000 ويرغب في تحديد المدة.....¹

كما استفاد باري من المعاهدات المبرمة لإستغلال (الأصواف، جلود.....) ومن الشروط التي يجب أن تلتزم بها الشركة هي إعادة باسيون القالة لكن بناءات خشبية، وكان للتاجر العديد من الوكلاء الذين باشروا أعماله في الجزائر ك شيوز (Chieuse Bathelemy) بالجزائر خلفا للسيد أيدين Eydin²، وتم على يد هذا الوكيل إرسال سفينة الفجر ذات 158 برميل إلى عنابة محملة ب (الشب، السكر، الرصاص أقشمة...) أو الوكيل جوبار، Jobert Arnaud كما أورد فلوكس قائمة العمليات التي قام بها بيت باري في هذه الفترة³:

- 20 جانفي 1823 من مرسيليا، السفينة (السعيد سان جزييف) 131 برميل محملة ب: التوابل، سلك الحديد، ورق، حرير، قهوة....

- 13 فيفري 1824 والسفينة 148 Bartheleny برميل محملة ب: القهوة، ورق، فلفل، أقشمة، زجاج، شراشف .

- 21 ديسمبر 1824 (السفينة الصغير أوليني) 93 برميل : قهوة، سكر، قرنفل شراشف...

¹ -A.C.C.M série M.Q.51/13.

مراسلة 26 جانفي 1818 ، ومراسلة 18 جويلية 1818 من وزارة الداخلية ".... لا يرى الدوق ريشيليو أي مانع لبياشر السيد باري نشاطه.... وكذلك مراسلة 11 سبتمبر 1818.

² - Devoulx.A, principaux , op.cit , p 446.

³ - Ibid , p 447.

- 24 نوفمبر 1826 السفينة (سان ترو باز) 170 برميل:خزف، ورق، مرايا كراسي، مناديل...أما بالنسبة للمادة الحيوية القمح التي قامت عليها جميع المؤسسات الفرنسية لم تكن من نصيب باري بل من إختصاص الحكومة الفرنسية، كثيرا ما تتعرض نشاطها إلى العرقلة من قبل الصيادين(الإيطاليين والتهريب دون دفع الرسوم فأقدمت وزارة الخارجية الفرنسية على تعيين وكيلها عنها في ليفورن بهدف المطالبة بهذه الرسوم 0,5% من المبالغ التي تجمعها، لكنها لم تنجح فرفعت المسألة إلى مجلس المستعمرات الذي توصل إلى العديد من الإقتراحات من أجل تنظيم صيد المرجان¹ ويتضمن:
- إبقاء صيد المرجان لأنه من مصادر الثروة لفرنسا.
- إعفاء الصيادين الفرنسيين من جميع الرسوم لتشجيعهم ومضاعفتهم
- إعادة بناء حصن القالة، وتزويد الصيادين بما يحتاجونه إليه.

لكن هذه القرارات لم تصدر إلا في أواخر 1825² في وقت تجدد فيه توتر العلاقات بين الطرفين بسبب تعليمات الداى بضرورة تحديد منازل صيادين المرجان دون أن يزيد عددها عن 5، وعدم السماح لمتعهدي الإلتزام بإكثراء أكثر من ثلاث محلات، كما رفعت الرسوم الجمركية على الواردات إلى 10% في مدينة عنابة دون سواها³ وكانت هذه الإجراءات ترمي إلى تحديد الفرنسيين، ونلاحظ أنه توتر إنتهى بفرض الحصار على سواحل الجزائر، وأرسلت الطرادات الحربية لتجوب طول السواحل، في حين توجهت سفينة (البركان) إلى

¹ - محمد العربي الزبيري، التجارة، ص 250 عن :

Feraud, Histoire de la calle, op.cit , p 601.

² - محمد العربي الزبيري، التجارة، ص 251.

³ - قنان جمال : العلاقات ، ص 263 .

القالة وعنابة لإجلاء الفرنسيين وذلك في 20 جوان 1827¹ وتوجيه الأوامر لإميرال البحرية بطولون ليأمر الأسطول الفرنسي الرابط بمنع السفن المحايدة م دخول الجزائر² إذ كان هذا الحصار قد منع السفن المحايدة من دخول الجزائر فإنه لم يستثنى التجارة حصار وضع حدا لنشاط المؤسسات الفرنسية وحتى ميناء الجزائر، كان حصارا طويلا تم ثلاث سنوات كلف فرنسا الكثير وهي فقدان مورد هام لتموين جنوب فرنسا، بما تحتاجه من حبوب، إلى جانب الإنعكاسات السلبية على لإقتصاديات الإيالة.

لقد أدى هذا الحصار إلى تدهور حجم المبادلات ووضع حد للتجارة البحرية بالنسبة لموانئ الجزائر عنابة، القالة، مما أدى إلى تغيير الطرق التجارية، بالنسبة لبايك الشرق ثم التحول إلى تونس والإتصال بقسنطينة عن طريق القوافل، في حين إستمر نشاط مراسي بايك الغرب (أرزيو، وهران) في التعامل مع إسبانيا وجبل طارق التي وصلها سنة 1829 من ميناء وهران وحده 70000 فنيق للتاجر الواحد.

2- معاملات دايات الجزائر مع المسحيين الإسبان 1792-1505:

¹-Mercier. E, Histoire de Constantine, op.cit , p 379.

²-A/.C.CM série MR 46/132 Navigation Maritime réglementation de la navigation.

عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين، تحولات هامة قلبت موازين القوى في المنطقة. و من أهم هذه التحولات الجديدة، سقوط غرناطة سنة 1492م بيد الإسبان، و طرد المسلمين منها، و سجل سقوط الأندلس بداية لعصر جديد، يتميز بالفوضى و عدم التوازن و دخول العالمين الإسلامي و المسيحي في مواجهة جديدة(63).

تمكن خير الدين من جعل إيالة الجزائر قوة بحرية في المنطقة المتوسطية، لغزو إسبانيا كما أرعدت أوروبا واستحقت بأن يطلق عليها "بلد الجهاد" و على مؤسساتها العسكرية أكبر مدارس الإسلام البحرية(64)، و كانت معرفة خير الدين بالملف الموريسكي جيدة، مما جعله يعتقد في وجوب إنشاء دولة قوية بالمغرب الأوسط، و التي انطلقا منها يكون باستطاعته استرجاع الأندلس، و العمل على إنقاذ الموريسكيين من سياسة الاحتواء الثقافي و الديني التي مارسته محاكم دواوين التفتيش(65).

و من جهة أخرى كانت إيالة الجزائر في نظر الموريسكيين، أكثر الإيالات العثمانية-المغربية المهيأة عسكريا لتقديم الدعم و المساندة، وهذا نظرا لفعالية تحرك أسطولها البحري في الحوض المتوسط الغربي، وكذا كثرة رياستها و بحارتها أمام الأسطول الإسباني الذي يراقب كل تحرك بحري في اتجاه سواحله. وتشير بعض الدراسات أنه في سنة 1529م بعث خير الدين حملة بحرية قوامها خمسة عشر سفينة تحت قيادة إيدين راييس على مشارف نهر أوفيلا (Oliva) بإسبانيا لإنقاذ الموريسكيين.

(63) إن الاهتمام بالتاريخ الموريسكي الأندلسي، الذي يمتد من سقوط غرناطة سنة 1492م، وإلى غاية الطرد النهائي للمسلمين سنة 1609م، قد منح لتاريخ الإنسانية والأمة الإسلامية أروع الأمثلة في البطولة والتضحية عن العقيدة، ومقاومة سياسة الاندماج والتنصيري التي فرضتها الكنيسة بمعية محاكم التفتيش. إن ما حل بالموريسكيين، يعد أبشع وأخطر اضطهاد عرفه التاريخ الأوروبي الحديث. بخصوص هذا الموضوع يرجى العودة إلى:

حنيفين هلابلي، المرجع السابق، ص 122-143

(64) علي، ألقو: "الدولة الجزائرية الأولى (1514-1830م)، دراسة مؤسساتية"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد2، جامعة باتنة، ديسمبر 1994، ص 137-154.

(65) عبد الجليل، التميمي: "الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24، تونس، نوفمبر 1981م، ص 195

مع بداية شهر نوفمبر 1569م اندلعت في غرناطة انتفاضة، حاصر الثوار من خلالها مدينة ألمرية، وهذا بمساندة **علج علي** (1568-1571) بيلرباي الجزائر الذي دعم الموريسكيين بأربعين سفينة وحلت إلى شواطئ ألمرية، وقدرت السلطات الإسبانية الثائرين بحوالي 150000 وكان هدفها الأساسي يتمثل في إعادة تكون غرناطة الإسلامية و الدفاع عن المصالح الاقتصادية للمسلمين وردع الظلم والجور الإسباني. وقد حرص الملك الإسباني **فليب الثاني** (1556-1598م) على كتمان الأم خشية وصول الجند إلى العثمانيين. وقد سخرت إسبانيا كل إمكانياتها وسلمت الأوامر للحكام العسكريين بالقضاء على هذه الثورة⁽⁶⁶⁾.

و تذهب بعض المصادر إلى أن **علج علي** كان يريد الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد بالأندلس. لكن ما أشيع من تجمع أساطيل المسيحية و استعدادها لإجراء معركة ليبانت (Lepante)، و أمر السلطان له بالاستعداد رفقة البحرية الجزائرية للمشاركة في هذه الحملة العظمى، اضطره للبقاء في الجزائر، وكان ينوي الذهاب رفقة ستين ألف رجل و النزول بهم في الميناء بلنسية (valence)⁽⁶⁷⁾.

و في شهر أكتوبر 1569م نجحت البحرية الجزائرية من إيصال 400 بندقية إلى أراضي الأندلس، وكمية من الذخائر، و كان الأسطول يحمل أعضاء من الجيش الإنكشاري مما يملكون الخبرة، ليكونوا عوناً للموريسكيين⁽⁶⁸⁾. ما هو الهدف من تقديم الجزائر المساعدات للموريسكيين؟.

هل هو غزو الأندلس و استرجاعها ؟ أم الضغط على السلطات الإسبانية لتغيير مواقفها تجاه المسلمين هناك؟.

⁽⁶⁶⁾ ليلي، الصباغ: "ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ/أواخر عام 1568م، والدولة العثمانية" مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، سبتمبر-أكتوبر 1975م، ص 116-175.

⁽⁶⁷⁾ Haedo, Topographie..., P.404

⁽⁶⁸⁾ عبد الجليل، التميمي: الدولة العثمانية... المقال السابق، ص 198.

وفي مابين سنتي 1604 و 1609م عقدت بإسبانيا اتفاقيات مع كلا من هولندا و انجلترا للتفرغ كلية للمشكل الموريسكي. وفي عهد **رضوان بكرلي** (1607-1610م) أرسلت الجزائر أسطولها بالقرب من **دانية** لمساعدة الموريسكيين للقيام بالثورة. لكن السلطات الإسبانية كشفت المؤامرة. فأعلن المجلس الملكي الإسباني في عهد **فليب الثالث** (1598-1621م) من المصادقة على القرار التاريخي الصادر في يوم 4 أبريل 1609م و الخاص بطرد جميع الموريسكيين الأندلسيين من المملكة الإسبانية⁽⁶⁹⁾

وتمثلت المهمة الثانية للبحرية الجزائرية في العمل على نقل المطرودين إلى موانئ الجزائر، و في هذا السياق، يخبرنا كاتب **شلبي** أن **خير الدين** وجه حوالي 36 سفينة إلى السواحل الإسبانية، و ذلك خلال سبع سنوات، لنقل ما يناهز حوالي سبعين ألف موريسكي⁽⁷⁰⁾.

و نقتبس من كتاب غزوات أيضا رواية أخرى تتعلق بالمساعدة في إطار إنقاذ أندلسي غرناطة، وقد وردت بهذا النص: "...أنه جهز لهم (**خير الدين**) ستة وثلاثين جفنا (سفنا)...فتكرر ذلك منهم سبع مرات و كان من حملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا..."⁽⁷¹⁾.

تواصلت جهود إنقاذ الموريسكيين طوال القرن السادس عشر و تسهيل عمليات نقلهم من خلال الأسطول، و كمثل على ذلك جهود **حسن فنزيانو**⁽⁷²⁾ الذي جلب ألفي موريسكي من الرجال و النساء و كان ذلك سنة 1584م من منطقة أليكانت (Alicante)⁽⁷³⁾.

⁽⁶⁹⁾ للمزيد من التفاصيل راجع:

رزوق، محمد، المرجع السابق، ص 119.

⁽⁷⁰⁾ عبد الجليل، التميمي: "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1541م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس، جويلية 1975م، ص39.

مجهول كتاب غزوات، ص48 و82.⁽⁷¹⁾

⁽⁷²⁾ بيلرباي الجزائر مرتين: (1577-1580م) و (1582-1585م).

⁽⁷³⁾ Haedo, Histoire..., P.193.

كلفت عمليات الإنقاذ و الإنزال البحرية الجزائرية ثمنا غاليا في الأرواح و العتاد، و بالرغم من الاشتباكات المستمرة مع العدو و قلة الإمكانيات. فإن رياس البحر قاموا بالدور المنوط بهم بكل مسؤولية: يتجلى عملهم الضخم في إنقاذ الآلاف من المسلمين الأبرياء من نار الحقد و الكراهية و الإبادة المسلطة عليهم من طرف التعصب الإسباني و أرغموا التجارة الإسبانية على التراجع مما أضر كثيرا بالاقتصاد الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. و لم يتوقف عمل الأسطول في هذه الجهات، بل هاجم سفن الأعداء و أسر الكثير منهم، و أغار على سواحلهم مسلطا عليهم الرعب جزاء تنكيلهم بالمسلمين(74).

و بالنظر لقوة هذه الحملات البحرية التي شنها الأسطول الجزائري خلال هذه المرحلة، كتب المؤرخ الفرنسي بروديل (Brandel) يقول: "أن سفن الأسطول الجزائري، قد جعلت الطرق البحرية بين إسبانيا و إيطاليا عملية صعبة، إن حرية التنقل نحو الإمارات الإيطالية كانت مهمة بالنسبة للإمبراطورية إسبانية منذ أن أصبح الملك الكاثوليكي سيد الإمارات الإيطالية.. لقد كلفنا هذا الحصار البحري تضحيات جسيمة، جعلتنا ن فكر في إحداث طريق بري آمن بين منطقتي لندوك غوسيون L.Roussillon و ليجري (إيطاليا) (Lugurie)، ثم نبداً من جديد بإرسال حملاتنا البحرية ضد الجزائر و تونس..."(75).

إغتر الإسبان بقوتهم، وبالغوا فيها، و صمموا على إخضاع الجزائر لهم مهما كان الثمن، و تصوروا أنهم بمقدورهم تحقيق ذلك، إستنادا إلى تجاربهم بأمريكا و الأندلس و بالمغرب الأقصى، و لذلك كان منطق القوة هو أسلوبهم الوحيد تقريبا طوال القرون الثلاثة: 16م و

(74) حسن آغا هاجم مضيق جبل طارق سنة 1539م، صالح راييس فتح حجر باديس سنة 1551م. هاجم حسن فنزيانو سواحل شبه الجزيرة الإيبيرية و استولى على جزر الباليار و غزل برشلونة سنة 1582م. راييس القرنين السابع عشر و الثامن عشر لم يتقاعسوا عن مثل هذه العمليات البحرية.

(75) Braudel,(F), « Les Espagnols et l’Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in R.A(N°49), 1929 , P.380.

17 م و18م، ولم يتعظوا بالهزائم الكبرى التي تعرضوا لها في القرن 16 أمام مدن: الجزائر وشرشال وبجاية ومستغانم في أعوام 1516م و 1519م، و1531 و 1555 و 1558 م وأمام مدن: حلق الوادي وجربة وطرابلس في أعوام: 1551م و1560 م و1565م ، و 1569م، 1574م، فاستمروا على هذه على هذه السياسة وهذا الأسلوب العدواني ومنا طويلا، واتخذوا من قواعدهم العسكرية المحصنة في قرطاجنة وسبته ومليية والمرسى الكبير ووهران، منطلقا للغارات، والهجمات والحروب، على أمل إرغام الجزائر على الخضوع والإستسلام، ولكن دون جدوى على أي حال.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ألح الإسبان كثيرا على هذه السياسة، وحاولوا بكل قواهم وطاقاتهم أن يرغموا الجزائر على الخضوع، بالتعاون مع عدة قوى أوروبية سياسية وبدعم البابوية، و نفذوا في ظرف عشر سنوات خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات، ثلاث حملات عسكرية كبرى وضخمة في العدة والعدد، فانهزموا فيها كلها على التوالي¹ لأن الجزائر صممت على مواجهة العدوان بما يستحق من القوة والإستعداد وأصررت على ضرورة طرد الإسبان من وهران والمرسى الكبير مهما كان الثمن².

وألحقت الجزائر بالإسبان وحلفائهم هزائم عسكرية كبرى، وعرضت تجارتهم البحرية لمخاطر كبيرة أدت إلى بوارها وكسادها، فإضطروا في النهاية أن يتخلوا عن منطق القوة، والتهديد، ويلجؤوا إلى سياسة الحوار والتفاوض والمناقشة، ولم يتحقق ذلك بكيفية سهلة، بل تطلب جهودا مضيئة وأزمنة طويلة، قدمت الجزائر خلالها تضحيات كبيرة مادية وبشرية.

¹- يتعلق الأمر بحملة الضابط الإيرلندي الأصل: أوريلي عام 1775م، وحملتي الضابط دون أنطونيو، عامي 1783م-1784م، أنظر : أنظر يحي بوعزيز، مفاوضات الصلح بين الجزائر وإسبانيا من خلال مراسلات الداى عثمان باشا، مجلة التاريخ عدد 18، (الجزائر 1985م)، ص 152، ومجلة أوراق جديدة، عدد 7-8 (مدريد 1985م)، ص 75-89 والمجلة التاريخية المغاربية، عدد 45-46 (تونس ، جوان 1987) م، ص 15-36.

²- عن قصة إحتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير وطردهم منها، أنظر يحي بوعزيز ، وهران ، الجزائر: دم ج 1985م ، ص 169.

وهنا تأتي المراسلات الطويلة والمكثفة التي تبادلت بين ساسة البلدين الجزائريين، والإسبان، في عقدي الثمانينات والتسعينيات من القرن الثامن عشر، حول عدد من القضايا والأحداث والمشاكل، وإنتهت بإبرام الصلح بين البلدين عام 1786م، ذلك الصلح الذي مهد الخروج الإسبان من هران والمرسى الكبير عام 1792م، ودام حتى حملة الإحتلال الفرنسي عام 1830م.

أهم أصحاب هذه الرسائل من الجزائريين، الداوي محمد عثمان باشا 1766م-1791م، ووكيل الحرج حسن الذي أصبح دايا من عام 1791م إلى عام 1798م والخزناجي سيد علي برغل، من الإسبان: الملكان، كارلوس الثالث، وكارلوس الرابع والوزير الأول الكونت دوفلوريدا بلانكا، خلفه من بعده، قودوي، وبعض القناصل الإسبان وأسراهم بالجزائر.

وتمتد تواريخ هذه الرسائل ما بين 1780م، 1798م، مع فقدان رسائل أعوام 1781م و1782م و1783م، 1790م، بسبب إنقطاع العلاقات ونشوب الحروب بين البلدين في السنوات الثلاث، الأولى، وتوترها في الأخيرة، خاصة بعد حصول زلزال 9 و 10 أكتوبر 1790م.¹

■ محتويات الرسائل:

تحتوي هذه الرسائل على موضوعات كثيرة ومتنوعة، ويمكن حصرها في الأمور والقضايا التالية:

1. مشاكل الأسرى الإسبان بالجزائر والجزائريين بإسبانيا، ومالقا بإسبانيا، والمفاوضات والمراجعات التي تمت في شأن تحريرهم، والمبالغ المالية التي إقترحت لإفقتائهم، وثورة الأسرى الإسبان بالجزائر ضد القنصل الإسباني، والراهب المساعد له، وشكاواهم إلى الملك الإسباني ضدهما وضد مماطلاتهما.

¹ - يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا، ص 287.

2. المفاوضات التي جرت من أجل الصلح بين البلدين، والمراجعات التي تمت في شأن وضع بنوده وشروطه، وإستطلاع الرأي الدولة العثمانية حولها، وإلحاح إسبانيا على تحقيق هذا الصلح بأي ثمن، وتدخل سلطان المغرب الأقصى محمد بن عبد الله لدى إسبانيا وإلحاح عليها بعدم إرسال أية حملة عسكرية بحرية ضد الجزائر قبل أن يتصل برأيها، وتأكيديه بأن الجزائر ستبرم الصلح لامحالة، طوعا أو كرها، وعلى إسبانيا أن ترسل إليه وإلى السلطان العثماني نسخة من جوابها حالما تتصل بها مهما كان ذلك الجواب .
3. طلب إسبانيا من الجزائر أن تتفاوض كذلك مع كل من إمارة نابولي والبرتغال لإبرام صلح معهما، وذلك لأن هذين البلدين لهما صلة وثيقة على ما يبدو بإسبانيا.
4. رغبة الجزائر في أن يكون من ضمن شروط الصلح مع إسبانيا إلزامها بتزويدها بكمية من الأسلحة والذخائر، وإعتذار إسبانيا عن ذلك، وتعويض الأسلحة بمبالغ مالية.
5. طلب إسبانيا من الجزائر أن تتوسط بينها وبين تونس لإبرام صلح بينهما على غرار صلحها مع الجزائر، وتحمسها لذلك، وإرسالها وفدا خاصا إلى تونس مع مبعوث إسباني ورسائل أخرى، والإتفاق على توقيع هدنة بين البلدين لمدة ثلاثة أشهر تمهيدا لذلك الصلح¹.
6. تشكي إسبانيا من باي معسكر محمد بن عثمان الكبير، الذي كان يكثر من الهجومات على الإسبان المحتلين لمدينة وهران، وطلبها من الداوي ووزارته أن يتدخلوا لديه حتى يكف عن ذلك، واقتراحها تخطيط حدود رسمية بين المدينة وبايلك الغرب، وتزويد المدينة بالموونة والأغذية، وذلك على ما يبدو كحيلة من الإسبان إلى جر الجزائر إلى الإعتراف الرسمي بالإحتلال الإسباني لهذه المدينة، والمفاوضات التي جرت بعد ذلك لإخلائها بعد أن قبلت إسبانيا الجلاء عنها، وطلبت مهلة ستة أشهر بدلا من ثلاثة لتتمكن من تهديم

¹ - يحي بوعزيز، إسبانيا تتوسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس، المجلة التاريخية المغربية، عدد 49-50 (تونس، جوان 1988)، ص 23-29 .

تحصيناتها وقلاعها الضخمة، بدعوى أن إبقاءها سالمة سيسمح لقوى أخرى أوروبية معادية لإسبانيا بإحتلالها، وذلك يهدد أمنها وسلامتها، ولكن الجزائر قبلت بشهرين فقط، ورفضت تهديم الحصون والقلاع ومنطق وجود قوى أخرى أوروبية للإحتلال،بالإضافة الى مجموعة من المقترحات الاسبانية على حكومة الايالة، شملت التجارة، مشكل حجز السفن أو مصادرتها، ألقاق مترجمين اسبان بالايالة، احترام بنود المعاهدات¹ .

مناقشة نفوذ الإخوة اليهود من الأسرة باكري لدى دايات الجزائر ووزرائها، وإحتكارهم لتجارة قمحها وبضائعها مع البلدان الأوروبية، وتدخل الجزائر لمصالحهم لدى الساسة الإسبان عندما تعرضوا لمشاكل في قضايا التجارة بإسبانيا، ولربما في القضايا السياسية والأخلاقية.

مناقشة مسألة تشجيع الفرنسيين لبحارة جنود بممارسة التجارة السوداء على مراكب تحمل أعلاما إسبانية، لتثويته سمعة إسبانيا، وإفساد العلاقات بينهما، وقد طلبت إسبانيا من الجزائر أن تعاقبهم، وتبرأت منهم، وإعتبرتهم أقواما همجا، وقد تم التعرف على هذه القضية عندما إعتقل البحارة الجزائريون مجموعة، من البحارة الجنوبيين في البحر، متلبسين بالعمل الإجرامي أمام الشواطئ الجزائرية.

الحديث عن أسرى مغاربة بمالطة كاتبوا سلطان المغرب الأقصى المولى سليمان، وطلبوا منه أن يتوسط لدى ملك إسبانيا من أجل تحريرهم.

- هذه خلاصة القضايا والأحداث التي تحدثت عنها هذه الرسائل، وناقشتها وعالجتها أو أشارت إلى خلفياتها، وهي توضح صلات الجزائر وعلاقتها بالدولة العثمانية ، وطبيعة علاقات الأوروبيين مع الجزائر وباقي بلدان المغرب الإسلامية، وعلاقات الجزائر بجيرانها الأشقاء في المغرب الأقصى وتونس وليبيا، تلك العلاقات التي حاولت الكتابات الأوروبية أن تظهرها وتبرزها في شكل عداة وصراع وتنافس وحروب، لتبرير ما كانت تستهدف الوصول إليه، وهو إبراز الجزائر في شكل دولة القرصنة والقراصنة .

دأب الأوروبيون على القول والتأكيد بأن الجزائر لا تحترم إلتزاماتها ولا تفي بتعهداتها، وليس لها كلمة شرف، وأنها دولة للعدوان ولقرصنة، وما إلى ذلك من الأوصاف، بينما الحقيقة غير ذلك تماما، لأن الدول الأوروبية هي التي كانت تخلق المشاكل وتتعمد إثارتها وإستمرارها، لتفسد العلاقات الطيبة، وتما رس التهديد والعدوان والحروب، وكثيرا ما تنازلت عن بعض حقوقها المشروعة للحفاظ على السلم وصونه، والتمسك بالعلاقات الطيبة التي تخدم مصالح الطرفين، ولكن الدول الأوروبية عندما تشاهد هذه المواقف الجيدة تفسرها بالضعف، وعدم القدرة على المواجهة، ولا تعتبرها من قبيل التعقل وحسن السياسة ورشد التصرف.

فرنسا مثلا طوال العصر الحديث كانت تتعمد إثارة المشاكل والصعوبات لتعكر صفو العلاقات بين البلدين، وتبرر ما تقدم عليه من إعتداء وغارات وحروب، وهجومات، ومؤمرات، وما أكثرها، وإتخذت من مراكزها التجارية في سواحل القالة وعنابة، منفذا ووسيلة لممارسة هذه السياسة العدوانية التأميرية، وواصلت ذلك حتى حملة الإحتلال الفعلية عام 1830م¹.

أما إسبانيا فكانت أكثر حقا من فرنسا، ولم تشذ عنها لظروف تاريخية، فإتبعته نفس الأسلوب والسياسة وإتخذت من قواعدها العسكرية المحتلة في سبتة ومليلية والمرسى الكبير ووهران منطلقا لممارسة العدوان وتطبيق سياسة التآمر، متى كان ذلك ممكنا، لأن الجزائر لم تكن سهلة على أي حال².

بحيث نجد الساسة الإسبان، من الملك ورئيس الوزراء في القمة إلى أبسط تاجر في القاعدة الشعبية، يتعمدون خلق المشاكل، ويتجرؤون على الإقدام حتى على تغيير بنود المعاهدات الرسمية المبرمة بين البلدين دون الرجوع إلى الجزائر الطرف الثاني والمعني بالأمر، وهو أمر قد لا يوجد له نظير، ويتناقض ويتنافى مع القوانين والأعراف الدولية.

¹- يحي بوعزيز ، العلاقات، ص 17-18-79-94.

²- نفسه، ص ، 64-74-105-106.

وأورد يحي بوعزيز رسالتين تبين طبيعة العلاقات الإسبانية الجزائرية، تمثلان نموذجا حيا ودليلا قاطعا على هذا الرأي.

الأولى: من الداى محمد عثمان باشا (1766م- 1791) إلى الوزير الأول الإسباني ووزير الخارجية الكونت دي فلوريدا بلانكا، بتاريخ 9 رجب 1201 هـ (24 أفريل 1787م) حول قيام الحكومة الإسبانية بتغيير ثلاثة بنود من معاهدة صلح جوان 1786م.

الرسالة الأولى إشتكى الداى محمد عثمان باشا من إقدام الحكومة الإسبانية على تغيير ثلاثة بنود من معاهدة 1786م، وهي : البند السابع والبند العشرون والبند الخامس والعشرون، ومما قاله في رسالته للوزير الإسباني،: " وبعد فليكن في محفوظ علمك أنه لما ظهر لنا خيانة الكوندي كسبيلي¹ في بعض الأمور، طالعنا الأهطمان² فصلا فصلا وأمعنا النظر فيه، فوجدنا في بعض فصوله مخالفة".

فالبند السابع ينص في صيغته الأصلية على أن التجار الجزائريين في إسبانيا، والإسبان في الجزائر، يؤخذ منهم العشر في نشاطهم التجاري، ولكن الإسبان غيروا في ذلك وطالبوا بمقادير مخالفة، ولذلك قال الداى في رسالته:

" وأما الفصل السابع المذكور فيه التجار، فإتفقنا فيه على أن من قدم إليكم من عمالتنا منسوبا إلينا بأي وجه كان، تأخذون منه العثور مثلما تأخذوه (كذا) وإن قدم إليكم من بلاد أخرى غير منسوبة إلينا مثل فرنسا وغيرها، فتأخذون منه كعادتكم التي تأخذون من أهل تلك البلاد".

والبند العشرون ينص على منع أي أحد من الدخول إلى وهران برا او بحرا، وعل عدم أسر من يقدم من البحر مسلما كان أو كافرا، وعلى جعل أمرها ومشاكلها في أيدي باي الغرب، وإحترام كل القوانين والإجراءات التي يتخذها، ومنع أي أحد من التدخل في شؤون هذا الباي، مع التأكيد على أن الحوادث التي ربما تحصل حول وهران لاينبغي أن تكون سببا في قطع العلاقات بين البلدين، حتى ولو كانت حربا

¹ - يقصد بها الكونت دي سبيلي el Conde D'expelly التاجر والمفاوض الإسباني في الصلح المشار إليه.

² - يقصد بها الصلح المبرم في شهر جوان 1786م.

وسالت فيه الدماء وسقط قتلى، ولكن الإسبان خالفوا هذا وغيروا فيه، وهذا ما عناه الداى بقوله: فمنها فصل وهران مضمون مضمون كتابنا وخطبنا فيه، موافقة لما إتفقنا عليه، ومقابلة الذي ينبغي أن يكون على طبقة كتابكم وخطكم مخالف له، فطالعوه وتأملوا ومعناه يظهر لكم ذلك".

والبند الخامس والعشرون ينص على حرمة المراكب الإسبانية في السواحل الجزائرية والإسبانية، والبلدان التابعة لإسبانيا، تقتصر على مسافة رمي المدافع فقط، ولكن الإسبان غيروا وخالفوا، وأضافوا الولايات البابوية في البند، فرفض الداى ذلك رفضا قاطعا، وقال: " ومنها الفصل الخامس والعشرون المذكور فيه بونطفيسة¹ فهذا اللفظ لم تعرفوا (كذا) معناه أولا، والآن حيث ظهر لنا معناه لم نوافق على ذلك، ونحن إنما جعلنا الحرمة لمراكبكم في مجرى عمالتكم وبلدانكم التي تحت حكمكم منسوبة عليكم على رمية المدافع فقط، وأنتم بالنسبة إلينا كذلك، هذا هو الذي إتفقنا عليه، وأما غير بلدانكم إلى بونطفيسة فلا مدخل فيه، حاصل أمركم بركم المنسوب إليكم حرمتكم فيه على رمية المدفع، لا غير" وفي الأخير أكد الداى للوزير الإسباني قائلا: " حاصل الأمر، هاهي الفصول الثلاثة تصلكم فما وجدتم فيها فعليه العمل" أما غيره فلا طبعاً.

وقد عزا الداى هذا التصرف الإسباني إلى الوساطة السيئة، لعدم وجو قنصل إسباني معتمد آنذاك خلال مفاوضات الصلح: وتوقيعه: " وإتخذ موقفا حازما وحاسما في الموضوع، ولم يترك الإسبان أي خيار وهو ما يتطلبه الأمر بالنسبة لمثل هذه المشاكل الوطنية والدولية في آن واحد.

¹ - يقصد الولايات التابعة للبابوية في روما، من كلمة pontife الفرنسية .

أما الرسالة الثانية فطويلة، وإشتكى فيها الداى حسن من قضايا كثيرة إرتكبها الطرف الإسباني، خاصة القنصل بالجزائر، ومنها الإقدام على تغيير أحد بنود إتفاقية إخلاء وهران والمرسى الكبير عام 1792م، فقد حدثه فيها على نسخه الصلح الموقع بين البلدين، ولاحظ له بأنهم (الإسبان) زادوا فيها بعض الأشياء، ولكنه مع ذلك وافق عليها، وأمر بوضعها في سجل المحفوظات، وأن الفصل الإسباني إشتكى له من باي وهران الذي منع التجار الإسبان من شراء عشرة آلاف كيلة من القمح المتفق عليه، وأوضح له بأنه أجاب القنصل بإستحالة عمل أي شيء قبل أن يتصل برسالة من الملك الإسباني، وطلب منه (من القنصل) أن لا يتحدث على أشياء غير موجودة، وأبلغه بأنه قرر إلغاء البند المتعلق بإحتكار الإسبان للتجارة بوهران، وكتب إلى باي معسكر (وهران) بأن يمنع تصدير الحبوب المتحدث عنها، وقرر من الآن أن يكون كل الناس أحرارا في البيع والشراء، ويوضع حد للإحتكارات والإمتيازات الإسبانية، وتلغى الضرائب، الجمارك على الجميع، ومما ذكره له في هذا الميدان قوله: "وقد أخبرناكم بهذا حتى لا تحتجوا مرة أخرى على هذا الإلغاء والإجراء، أما إدعاء القنصل الإسباني بأن تاجركم بوهران أخذ منه مبلغ 52 سكيناً، فالحقيقة أن هذا المبلغ ينص عليه العقد المبرم بيننا، وأرجو أن تعالج هذه المشاكل حتى تدوم الصحبة بيننا، إن هذا القنصل يبدو عليه أنه يبالغ في فهمه، فقد رغم أن الباى لا كلمة له، وليس برجل محترم، وذلك تدخل في شؤوننا الداخلية، ولذلك أطلب نقله من الجزائر وتعويضه بآخر جديداً".

وقد أسر باي وهران في الأيام الأخيرة مر كبا يحمل قائده جواز سفر مزورا، وأطلقنا سراحه حتى لا نعكر صفو العلاقات بيننا، وأسّر البحارة مركبا محملا بفاكهة الدلاع (البطيخ) وعليه ثمانية رجال ويحمل قائده جواز سفر ورخصة لنقل الأسلحة، وليس بضائع التجارة الأخرى، وإكتشفنا عند تفتيشه أسلحة داخل الفواكه فصادرناها، وحضر القنصل الإسباني وإحتج، زاعما أن لدى قائد السفينة جواز سفر خاصا يحمل الأسلحة، ويريد بذلك أن يغلطنا، إننا لانتحل على هذا الأساس بقاء هذا القنصل".

"لقد أخرجنا له (للقنصل) نص العقد الذي يشتمل على القوانين البحرية التي أبرمت بيننا، وتتعامل بمقتضاها مع بعضنا البعض، وتدخل كل قناصل الدول الأخرى لتهدئته فلم يمتثل، ولو تحدث معنا باللين لقبنا تدخلاته، ولكن بما أنه إستعمل أساليب العنف، فإننا نرفضه ونرفض أساليبه تلك، وقد أطلقنا سراح المركب المتحدث عنه حفاظا على الصداقة معكم أنتم، أما هذا القنصل فإنه وقح".¹

" وقد هرب 12 أسيرا بينهم واحد كان يعمل عند هذا القنصل وعندما أعدناهم، جاء القنصل ليحتج ويطلب عدم معاقبتهم، وبسببه قتلنا إثنين منهم، إننا نرفض تدخله في شؤوننا الداخلية، ونرفض أن يحاول إعطاء دروس لنا، لقد مللناه وكرهناه، ونرجو منك عزله ونقله من هنا".

" وعلى العكس، نشكر القنصل السابق ميقيل دولاريا، الذي يلم نسمع منه أية إدانة رغم طول مدة التي قضاهما عندنا، وأؤكد لكم أنه ليس غرضنا من نقل هذا القنصل وتعويضه هو الحصول على الهدايا ، أبدا بالله وتالله لانقصد ذلك".

"إن هذا القنصل ليس له ترجمان أصلا، ولربما كان ذلك أحد الأسباب في سلوكه السيء، وكل ترجمان نحضره له يرفضه ولا يعجبه، فقد رفض إثنين أحضرناهما له، على عكس القناصل الآخرين نرجو منكم وضع حدا لبقائه بالجزائر، وتعويضه بآخر دون إرسال هدايا معه، إذ تركتموه يخلق المشاكل بيننا، بقد طلب منا أن نحضر له التاجر الإسباني من وهران فأحضرناه وسجنه في منزله، بينما بقي مركبه مهملا بوهران وذلك عقابا له على العقد الذي أبرم مع باي معسكر (وهران) حول التجارة".

إن حوادث الرسالتين السابقتين رغم كونها عينة بسيطة جدا وصغيرة ومحدودة الزمن، تكشف عن مدى تعنت الإسبان وسعيهم لتكدير العلاقات وإفسادها بين البلدين، كما تكشف عن مدى حرص الجزائر وسعيها الدائم والمتواصل للحفاظ على العلاقات طيبة وحسنة معهم،

¹ - يحي بوعزيز ، العلاقات ، ص110.

ومعالجة كل القضايا والمشاكل بالطرق السلمية، إلا إذا تجاوزت الحدود وأصبحت تمس بشرف البلاد وسيادتها، فإن السياسة الجزائرية لا يترددون في حسمها بما يخدم مصلحة الوطن¹.

¹ - يحي بوعزيز، العلاقات، ص 120.

خاتمة

خاتمة

شكّلت الطائفة اليهودية ببايالة الجزائر مجتمعا إثنيا مغلقا وهذا راجع إلى طبيعة الوجود اليهودي بالجزائر الذي يخضع إلى اختلافات كثيرة من حيث بداياته الأولى وواقع الهجرة اليهودية والحراك الاجتماعي اليهودي بشمال إفريقيا الذي استوقفنا من خلاله تهود بعض القبائل المحلية بالجزائر ضمن بلاد المغرب عموما قبل الفتح الإسلامي للمنطقة، الأمر الذي أطلق العنان للكتاب اليهود والترويج لفكرة إثبات الأصل اليهودي لبعض القبائل البربرية، وهذا ما تستبعده المعطيات التاريخية.

أدى استقرار اليهود بالجزائر إلى تفاعلهم مع ظروف الداخلية والخارجية التي تحكمت في نموهم الديموغرافي وتوزعهم السكاني بمختلف مناطقها مما أدى إلى تضارب الإحصائيات حول التقديرات العديدة لليهود بين المصادر الغربية .

انتظم اليهود في شكل تجمعات بشرية وسط أحياء خاصة بهم، مما تطلب إيجاد هيئة نظامية للإشراف على أمورهم الدينية والاجتماعية وهذا ما يعرف بالمؤسسة الدينية التي أشرف عليها المقدم والحاخام الذي ظهر كسلطة روحية وسياسية لليهود مع نهاية القرن الثالث عشر. سيطر عبر مراحل طويلة على الحياة اليومية لليهود، مما ولد الصراع بين السلطتين الدينيتين (المقدم والحاخام) أثرت على الواقع الاجتماعي لليهود بالبايالة.

تعتبر الهجرات الحديثة لليهود الاسبان (الميغورشيم) بداية التحولات في التركيبة العامة للطائفة اليهودية منذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وذلك من خلال الاختلاف الكبير بين التوشابيم والميغورشيم ومحاولة كل فئة السيطرة على الأخرى وفرض مبادئها وتقاليدها وهذا ما يوضح سبب اللا تعايش بين اليهود الاسبان واليهود الأهالي الذي يفسره اختلاف الشرق والغرب، مولدا صداما ثقافيا ودينيا بل نفورا إيديولوجيا بين الفئتين رغم أنهما يشكلان قطبا واحدا.

عاش اليهود في المجتمع الجزائري حياة عادية يساهمون في النشاطات الاقتصادية بعيدا عن السياسة وتبعاتها، لكن مع نهاية العهد العثماني أصبح لليهود نفوذ اقتصادي معتبر خاصة مع تنامي الرأسمال التجاري لليهود الذي أهلهم لخوض غمار السياسة في الايالة في عهد الداى حسن ومصطفى .

عرفت التجارة الداخلية حركة واسعة لليهود سواءا في المدن داخل أسواقها وحوانيتها أوفي البوادي بالمشاركة في قوافلها وأسواقها الأسبوعية أو عن طريق الباعة اليهود المتجولين ، أما مساهمة اليهود في التجارة الخارجية فقد مرت بمرحلتين متباينتين: مرحلة المشاركة حيث كان تجار اليهود تجار بسطاء يزاولون التجارة وه التجار المحليين في البحر المتوسط دون التدخل في سياسة الايالة.

أما مرحلة النفوذ والسيطرة هي المرحلة التي تحول فيها اليهود إلى تجار كبار انتظموا ضمن عائلات تجارية قوية أنشأت مؤسسات اقتصادية اهتمت بالتصدير والاستيراد نافست المؤسسات الفرنسية ذات الامتيازات في الشرق الجزائري، مما أهلها إلى التحول من النفوذ التجاري إلى النفوذ السياسي والتدخل في الدبلوماسية الجزائرية وعلاقتها الخارجية وهذا بعد السيطرة على السياسة الداخلية، حتى لقب أحد كبار أعيانهم نفظالي بوشناق ملك الجزائر فأثار هذا الأمر سخط الأهالي والانكشارية عليهم سنة 1805م. فترجع نفوذ اليهود نوعا ما لكن سرعان ما عاد إلى نفوذه ومركزه الأول بل زاد خطورة على الوضع والأمن العام للايالة. ذلك أن قوة التدخل اليهودي في الدبلوماسية الجزائرية في بعض المراحل حجب المؤسسة السياسية الجزائرية من الواجهة السياسية العالمية. وهذا ما يمكن اعتباره تمهيدا لمشروع استعماري في المستقبل خطت له القوى الأوربية بأيادي يهودية.

ارتبط الوجود النصراني بمنطقة شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة بطابع استيطاني استعماري جسده الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية التي عملت على ترسيخ نفوذها السياسي والاقتصادي بعيدا عن الأهالي، لذلك لم يظهر التمازج الاجتماعي بين النصارى والسكان

المحليين إلا في حالات شاذة ونادرة. حيث كان للكهنة ابن رومي، ورغم ذلك حاول النصارى ترسيخ ديانتهم في الأقاليم التي سيطروا عليها، ولا سيما اليهود، هذا دون استثناء للحملات التبشيرية المسيحية للقديس أوغستين بين القبائل البربرية التي دانت بالنصرانية في مرحلة من مراحلها التاريخية.

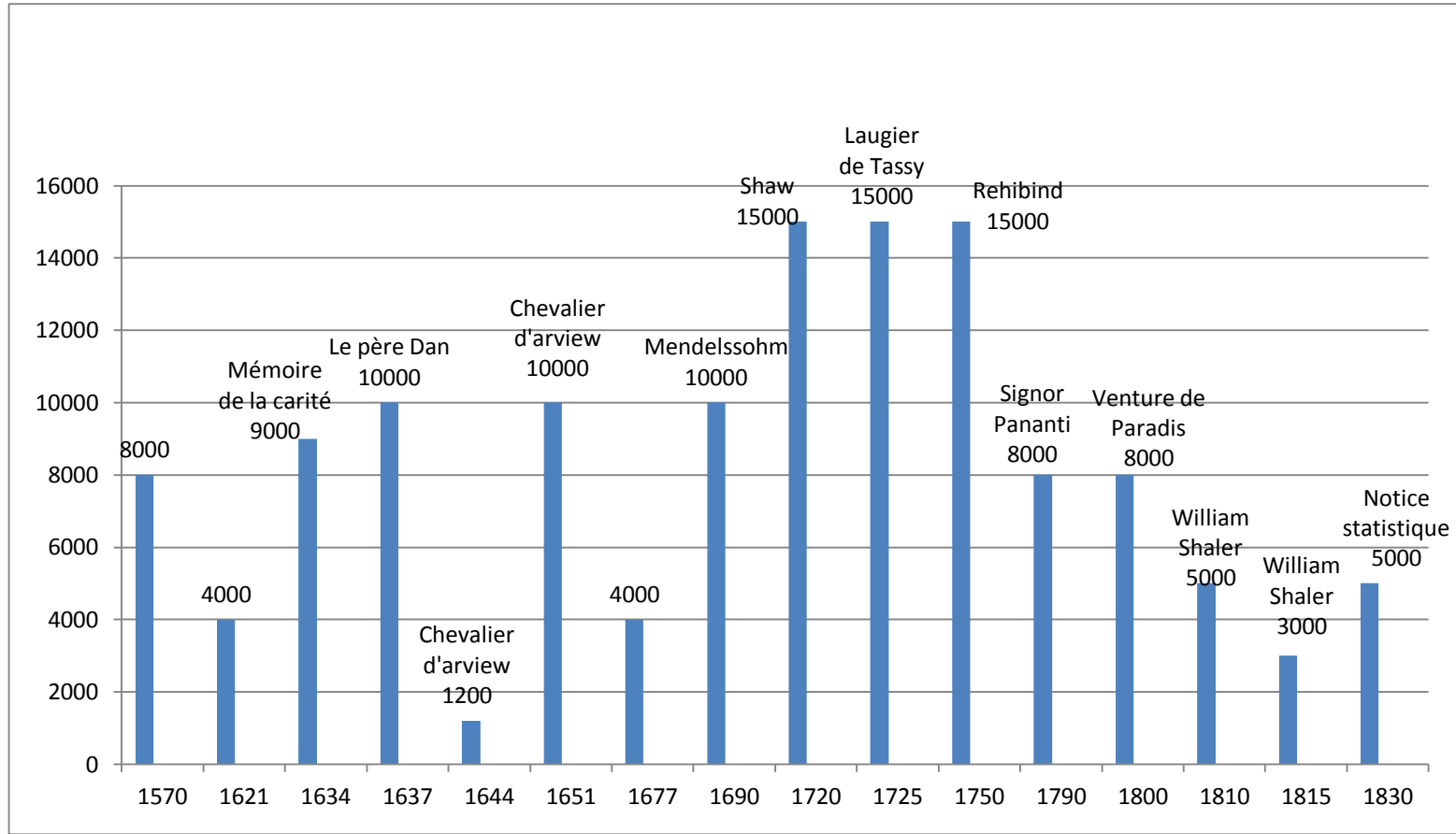
وبحلول الفتح الإسلامي ببلاد المغرب وجد الكثير من هذه القبائل على النصرانية، أما النصارى فقد اندحروا واستقروا في المناطق الشمالية لبلاد المغرب، لكن هذا لم يؤثر على الحضور النصراني بالدويلات المتعاقبة حيث استغل سماحة الإسلام تجاه الأديان المخالفة لتثبيت وجوده، حيث وصلوا في عهد الدولة الموحدية إلى رتبة التروبادور وهي أعلى هيئة عسكرية في الجيش، ولم يختلف الأمر مع الدولة الزيانية التي استخدمتهم في السياسة كمستشارين وفي المجتمع كأطباء للملوك والسلاطين ولم تقيد حركة هجرتهم بل جعلتها مفتوحة.

أما في العهد العثماني تغيرت الصورة العامة للنصارى للمناطق الخاضعة لنفوذ الدولة العثمانية فمثلا بإيالة الجزائر نسجل أول حضور للنصارى حوالي 1553م وهوتاريخ تنصيب أول قنصل فرنسي في الجزائر مما سمح بعودة الوجود النصراني بهذه المنطقة بعد الصراع المسيحي الإسلامي في الحوض الغربي والشرقي للمتوسط في إطار حروب الاسترداد الاسبانية.

أدت سياسة التسامح الديني التي انتهجها السلاطين العثمانيين اتجاه الأقليات الدينية إلى استقرار عدد كبير من النصارى بالإيالة، ظهرت عدة فئات للنصارى بمجتمع الإيالة على اختلاف ظروف وجودهم بها والتي يمكن تقسيمها إلى فئتين الأحرار وتضم الاعلاج، القناصل، التجار، الأطباء، المهندسين والحرفيين وفئة الأسرى الأرقاء وهم ضحايا العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والدول الأوروبية على اختلاف جوهرها ونتائجها.

اختلفت المصادر الغربية والوثائق العثمانية في تقدير أعداد وأهمية وجود النصارى بالايالة التي لم تخرج عن المستوى السياسي والاقتصادي، عمل الاوربيين على ترسيخ وجودهم بالايالة عن طريق احتكار الموارد الاقتصادية بها والتي مثلتها الشركة الافريقية الفرنسية في بداية الأمر وهذا ما أدى بالانجليز للبحث عن امتيازات اقتصادية بالجزائر، فظهر الصراع الانجليزي الفرنسي الذي استخدم فيه الطرفان اليهود. كما يمكن اعتبار مشكلة الأسرى احدى نتائج هذا النفوذ وفي الأخير يمكن القول أن موضوع اليهود والنصارى من المواضيع الشائكة والمعقدة التي تستدعي كثير من البحث والتمحيص وما هذه الدراسة إلا مساهمة متواضعة فيه.

الملحق رقم 01



الملحق رقم 1 : تطور عدد سكان اليهود في مدينة الجزائر 1570 – 1830. حسب المصادر الغربية

الملحق رقم 02

جدول بأسماء التجار اليهود الذين كانوا يمتلكون أسرى حسب ما أورده

Haddey

الصفحة	جنسية الأسير	اسم الأسير		اسم التاجر اليهودي		السنة
		باللاتينية	بالعربية	باللاتينية	بالعربية	
المصدر Haddey, Op.cit., p.15	هولندي	Drik Elasen Riuter	دريك إلسان رويتير	Aron, Iliou Malco	أرون وإليأو مالكو	1722
p. 16.	هولندي	J. B. Conte Villefrache	فيلفرونش	Iliou de Aron	إليأو دو هارون	1722
p. 16.	هولندي	Pedro Mathieu	بدرو ماثيو	Samuel Moure	صموئيل مور	1722
p. 16.	من البندقية	Nicoladi Bianchi	نيكولاي بيانشي	Joseph Levy	جوزيف ليفى	1722
p. 26.	برتغالي	Domingo Gouzalave s	دومينيغو قوزلاف	Joseph Coen	جوزيف كوهن	1722
p. 30.	من هامبورغ	Benedix Hananel	بنينكس هننل	Ben Nahman	بن نعمان	1722
p. 31.	جنوي	Georgi Gianovich	جيورجي جيانوفيتش	David Moïse Ammar	دافيد موسى عمار	1722
p. 31.	من	Peter	بيتر فوس	David	دافيد	1722

	هامبورغ	Voos		Ben Naman	نعمان	
الصفحة	جنسية الأسير	اسم الأسير		اسم التاجر اليهودي		السنة
		باللاتينية	بالعربية	باللاتينية	بالعربية	
P. 31.	من هامبورغ	German Guekom	جيرمان كوكوم	Joseph Coen	جوزيف كوهن	1722
P. 31.	برتغالي	Ignacio Decomto	إغناسيو دو كومتو	Fifo Korkos	فيفو كوركس	1722
P. 31.	برتغالي	Juan Batista Moraun	جون باتيستا مورون	Samuel Ben Tibi	صموئيل بن تبيي	1722
P. 31.	برتغالي	Manuel Bottelo	مانيول بوتلو	Joseph Cohen Solal	جوزيف كوهن صولال	1722
P. 34.	نابولي	Di Regiero	دي روجيرو	Mora Seror	مورا سرور	1722
p. 40.	دانمركي	Albert Jansen	ألبير جونسون	Joseph Coen Jonatan	يوسف كوهين جونتان	1722
p. 40.	دانمركي	Albert Jansen	ألبير جونسون	Joseph Coen Jonatan	يوسف كوهين جونتان	1722
p. 40.	هولندي	Class Maire	كلاس ماير	Issac Soliman	إسحاق سليمان	1722
p. 40.	هولندي	Michel Laman	ميشال لامان	Salamo n Simagi	سالمون سيماجي	1722
p. 40.	إيطالي	Cati	كاتي	Chalon Smegea	شالوم سميجا	1722
p. 41.	برتغالي	Manuel De Campo Danico	ماتيو دو كنبو دونيكو	David Ben Tibi	دافيد بن تبيي	1722
P. 41.	من البندقية	André Donellé	أندري دونولي	Mordac hee	مردخاي عمار ودافيد	1723

				Amar et David Levy	ليفي	
الصفحة	جنسية الأسير	اسم الأسير		اسم التاجر اليهودي		السنة
		باللاتينية	بالعربية	باللاتينية	بالعربية	
p. 42	هولندي	Gosligh Daniels	قوزلايت دانيال	Mordache e Amar	مردخاي عمر	1724
p. 42.	هولندي	Michel Poulsen	ميشيل بولسن	David Ben Tibi	دافيد بن تبيي	1724
p. 44.	هولندي	Andric Friel	أندريك فرييال	Sadia Coen	سعدية كوهن	1725
p. 44.	هولندي	Laurent z Holius	لورانتر هوليوز	David Ben Tibi	دافيد بن تبيي	1727
p. 45.	جنوي	Ambrosio de Falco	أمبروسيو دي فالكو	David Tabet	دافيد ثابت	1727
p. 45.	هولندي	Reatic Vithem	راتيك فيدام	Jacob Moati	داكوب مواتي	1727
p. 46.	هولندي	Johan Cristian Van Barger Marco Preve	جوهان كريستيان فان برجر كاركو بريف	Ben Tibi	بن تبيي	1730
p. 46.	جنوي	Joseph Boula	جوزيف بولا	Ben Tabet	بن ثابت	1730
p. 48.	جنوي	Simon Singa	سيمون سينجا	Natan Tobina	ناتان توبيانا	1731
p. 48.	جنوي	Ambrosio Garbiti	أوبروسيو جاربيتي	David Ben Tibi	دافيد بن تبيي	1731

الصفحة	جنسية الأسير	اسم الأسير		اسم التاجر اليهودي		السنة
		باللاتينية	بالعربية	باللاتينية	بالعربية	
p. 51.	نابولي	Fransisco Hiacinthe	فرانسيسكو	Levy Lisa	ليفى ليزا	1734
p. 51.	نابولي	Francisco De Fria	فرانسيسكو دي فريا	Checho u	شيشو	1735
p. 51.	نابولي	Marino	مارينو	Moïse Farfaro	موسى فارفارو	1735
p. 51.	جنوي	Bernando Scala	برناندو سكالا	David ben Tibi	دافيد بن تيبى	1735
p. 51.	من نابولي	Francisco Lobrano	فرانسيسكو لوبرانو	Moïse Tobiana	موسى توبيانا	1735
p. 51 et 52.	جنوي	Bartolomeo Malinaro	بارتولوميو ملينارو	Moïse ben Tibi	موسى بن تيبى	1735
p. 57.	من جنوة	Bortolomé Figaro	برتلموي فيجارو	Juda Tubiana	جودا توبيانا	1737
p. 57.	من جنوة	André Payanie	أندري بياني	Mouchi Abouca ya	موشي أبو قايا	1737
p. 57.	من جنوة	Augustin Félien	أوقيستانتان فيليو	David Soliman	دافيد سالمون	1738
p. 57.	من جنوة	Emanuel Sozzo	إيمانويل سوزو	Moïse Soror (Contador)	موسى سرور وكان يعمل محاسباً لدى الداي	1738
p. 57.	من جنوة	Andrea Guiseppe Revello	أندريا قويسب روفيلو	Mouchi Tabet	موشي ثابت	1738
p. 59.	من جنوة	Léandro de Marqui	لياندرو ماركو	Juda Moati	جودا مواتي	1740
p. 59.		Pierre Robert	بيار روبرت	David Pedoul	دافيد بدول	1741
P. 74.	نابولي	Rosario Ludivico	روساريو ليتيفيكو	Chelabi Moati et les	شلبى مواتي وورثة عثمان	1779

				héritiers d'Osma n Cogea	خوجة	
--	--	--	--	--------------------------------	------	--

الملحق رقم 03

أهم وأبرز التجار اليهود في مدينة الجزائر (1686-1826)،

حسب ما أورده (Haddey) في كتابه (Le Livre d'or)

نقلًا عن السجلات الخاصة بخروج ودخول السفن من وإلى ميناء مدينة الجزائر

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1686	Ibraham Moati Jacob Arob Ruben Miara Samuel Inriquez	إبراهيم مواتي جاكوب أروب روبان ميارة صموئيل انريكاز
1689	Isaac Mondez Moise Isaac Cohen Aron de Paz Isaac Fernandez Diaz	إسحاق مونداز موسى إسحاق كوهن أرون دو بار إسحاق فرننداز ديار
1690	David Aronas Moise Ammar Moise Isaac	دافيد أروناس موسى عمار موسى إسحاق
1691	Moise de Sadia Cohen Moise Aboucaya Chaloum Toubiana	موسى دو سعدية كوهين موسى أبو كايا شالوم توبيانا
1692	Benyamin Zacuto Moise Gabison Jacob Rafael Ibraham Vaïs	بن يامين زقوتة موسى قابيوسن جاكوب رفائيل إبراهيم عياش
1693	Mordakhaï Moise Cohen	موردخاي موسى كوهن

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1699	Ibraham Cresy Samuel Sultan Sadia Delbaz Ibraham Vaez	إبراهام كرسى صموئيل سلطان سعدية دلباز إبراهام فاز
1700	Ibraham Delmar Jacob del Valle	إبراهام دلمار جاكوب دلفال
1701	Ibraham Lelouch Ibraham Verdugo	إبراهام لولوش إبراهام فارديغو
1702	Moise Hakon	موسى أكون
1703	Mouchi Tubiana	موشي توبيانا
1704	Aron Nathniel	أرون ناتنيال
1705	Jacob de Abraham Flores Massoud bel Aïnous	جاكوب إبراهيم فلورس مسعود بل عينوس
1707	Samuel de Compos	صموئيل دو كمبوس
1710	David Levy Valansi David Ben Naman	دافيد ليفي فالنسي دافيد بن نعمان
1711	Nantan Sidaka David Siary	نانتان صيداكا دافيد سياري
1713	Ibraham Kolida Jacob de Lakoz Salamon Hini	إبراهام كوليدا جاكوب دولاكوز سالمون هني
1714	Nantan de Joseph Latad	نانتون دو جوزيف لاتاد

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1715	David de la Roza	دافيد دولا روزا
1716	Jacob Cohen Bacri Zahout	جاكوب كوهين بكري زهوط
1717	Isaac Soliman	إسحاق سالمون
1718	Levy Youssoub Benyamain Levy Salamon Serror	ليفي يوسوب بن يامين ليفي سالمون سرور
1720	Moise Serror Ibraham de Aron Molet Jacob Serfa Mendes Mose Spinoza Issouva Canna	موسى سرور إبراهام دو أرون مولات جاكوب سرفا ماندز موسى سبنوزا إسوفاكانا
1721	Issouf Bonjourno	جاكوب بونجورنو
1722	Amauoy Nantan de Joseph Chaloum Smegea Mordacay Temim Issouf Zaportaz	أمواي نانتان دو جوزيف شالوم سماحة موردخاي تميم إسرف زابورتاس
1723	Mordekaï Bouchara	موردخاي بوشارة
1724	Naphtali Boujnah Lazare Sforno Judas Sades Ibraham Boudjenah	نفتالي بوجناح لازار سفورنو جودا سادي إبراهام بوجناح
1725	Sadia Cohen	سعدية كوهين
1726	Samuel Cohen Belinfant	صموئيل كوهن بلينفان

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1727	David Tabet Abraham Kebejon	دافيد ثابت إبراهام كيجون
1730	David Cohen Salmon Youssef Serfati (Négociant et changeur)	دافيد كوهن سالمون يوسف سرفاتي
1731	Haim Hanoun Ephraïm Doran	حاييم حنون إفرايم دوغو
1732	Abraham Bouchara	إبراهام بوشارة
1733	Ephraim Zelomodou Eliezer Sforno	إفرايم زولومودو إليزو سفورنو
1734	Daniel Levy Lusada	دانيال ليفي لورادا
1735	Moise ben Tibi	موسى بن تيبى
1737	Abraham Gabison Juda Toubiana Ben Darmon Mouchi Tabet	إبراهام قابيسون جودا توبيانا ابن دارمون موشي ثابت
1738	Joseph Bouchara Saul Levy	جوزيف بوشارة صول ليفي
1739	Alphonse Zorillo Moise Levy Braham	ألفونس زوريلو موسى ليفي براهام
1740	Juda Moati	جودا مواتي
1741	Emmanuel Tedeso David Siari	إيمانويل تديسو دافيد سياري

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1743	David Pegna Isaac	دافيد بينيا إسحاق عزلان
1757	Ibraham Bouchara	إبراهام بوشارة
1766	Ibraham Boussara	إبراهام بوسارة
1769	Mouchi Boudjenah	موشي بوجناح
1772	David Zeraf Salamon Karouby	دافيد زراقي سالمون خروبي
1774	Cohen Solal Joseph Cohen Bacri Rphael Issac Soltiel Ibraham Taher Haïm Ibn Dana	كوهين سولال جوزيف كوهن بكري رفائيل إسحاق سولتيل إبراهام طاهر حاييم ابن دانا
1777	Moïse Maty	موسى ماتى
1779	Chalabi Ben Tibi	شلمى بن تيبى
1782	Joseph Sidaka	جوزيف صيدقا
1783	Chalabi Ben Aïssa	شلمى بن عيسى
1785	Mimoune Portugais Zakaria Sodaxa	ميمون برتغالي زكريا سوداكسا
1786	Issac ben Namoun Azoulai	إسحاق بن سمعون أزولاي
1787	Elie Etimimi	إيلي التميمي
1790	Ibraham Bialami Joseph Levy Fassina Issac Aboukker Raphael Kobda	إبراهام بيالامي جوزيف ليفي فاسينا إسحاق أبو الخير رفاييل كوبدا

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية
-------	---------------------------

1792	Simon Ben Siti	سيمون بن سيتي
1797	Israel Zaportas	إسرائيل زابورتاس
1802	Jacob Coen Solal Ibrahim Coen Solal	جاكوب كوهن صولال إبراهام كوهن صولال
	Juda Marchina Jehano Albo Moïse Ben Finini Abraham Mesguich	جودا مارشينا جوهان ألبو موسى بن فينيني إبراهام ماسقوش
1809	Nassim Driguï	نسيم دريقاز
1811-1810	Meklouf Azuilai	مخلوف أزولاي
	Chalom Azoul Chouatmsit David Chouraqui Isaac Mordakaï	شالوم أزولاي شواتسميث دافيد شوراي إسحاق موردخاي
1813	Jacob Zermati Mordakaï Azoubib Joseph Cabeza David Cabeza Israel Cabeza Salamon Cabeza	جاكوب زرماتي موردخاي أزوبيب جوزيف كبيزا دافيد كبيزا إسرائيل كبيزا سالمون كبيزا
1814	Mimon Timsit Mordakaï Haïm Medioun	ميمون تمستت موردخاي حايم ميديون
1815	Angelo di Moïse Seror	أنجلو دي موسى سرور
1817	Salamon Narboni Elias Yais Cohen Cholal Barchicha	سالمون ناربولي إلياس ياييس كوهين شولال بارشيشا

السنة	الاسم بالعربية واللاتينية	
1818	Isaac Oualid	إسحاق وليد
	Moise Ziza	موسى زيرا
	Salamon Melih	سالمون مليح
1820	Sadia Kaskerri	سعدية كسكري
	Judas Ben Icthi	جودا بن إشتي
1822	Léon Saportas	ليون زابورتاس
	Chiche Mayer	شيش ماير
1823	Moise Amour	موسى عمور
	Moise Netbot	كموسى نوبو
1824	Haïm Messaoud	حاييم مسعود
	Albot	أبو
1825	Iliaou Durand	إليو دوران
1826	Haïm Medioni	حاييم مديوني
	Samuel Yafi	صاموئيل يافي

الملحق رقم 04:

جدول بأسماء اليهود ممن شغلوا مناصب رسمية (1810 - 1518)

السنة	الاسم	الوظيفة	المصدر
1540	سننات Sénanat	كان ملازما في جيش عروج في بجاية.	Cahen, « Les juifs de l'Algérie et tuggurt », in R.S.H.C, 1866, p8.

1794	نفظالي بوجناح Naphtali Boudjnah	كان مستشارا لدى الباي الوزناجي، ثم مستشارا له بعد تعيينه دايا، وكان أيضا قنصلا للإيالة لدى جمهورية راجواز.	Fernand, Histoire de la Calle, op.cit., p.500.
1795	جاكوب بكري Jacob Bacri	ممثل الداوي ومكلف بشؤونه في مرسيليا.	Heildscheimer, op.cit., p. 391.
1803	جودا شوراكي Jehuda Chouraqui	كان مساعدا لنائب قنصل أسبانيا بالإيالة.	Isaac Bloch, op.cit., p.88.
1805	أرون كاردوسو Aron Cardoso	مكلف بشؤون الداوي في جبل طارق. أرسل كمبعوث خاص من طرف البريطانيين إلى الداوي الوزناجي.	Isaac Bloch, op.cit., p.91.
1805	جوزيف بكري Joseph Bacri	نائب قنصل أسبانيا في الإيالة.	Isaac Bloch, op.cit., p. 88.
1809	سالمون باسيفيكو Salamon Pacifico	مستشار لدى باي وهران سيدي محمد.	Isaac Bloch, op.cit., p.91.
1809	جوزيف ملال Joseph Melul	كان المسئول عن خزينة الباي بوكبوس، باي التيطري.	Isaac Bloch, op.cit., p.95.

المصدر	الوظيفة	الاسم	السنة
Isaac Bloch, op.cit., p.90.	كان القنصل العام للإيالة لدى جمهورية راجواز (Raguse). كما كان مساعدا لممثل قنصل فرنسا في الإيالة السيد (Négroto).		1810
Isaac Bloch, op.cit., p.92.	قنصل الإيالة لدى جمهورية راجواز.	إبراهيم بوشارة Ibrahim Bouchara	1810

الملحق رقم 06:

قائمة قناصل، نواب فرنسا بالجزائر من 1558 إلى 1830:

1564	Bartholle	بارتول	01
------	-----------	--------	----

1558-1578	Maurico Souron	موريكو سورون	02
1579	François Ghigiotto	فرانسوا قيجيوتو: (نائب قنصل)	03
1585-1587	Le P.Bienneau	الأب بيننو	04
1527-1687	Jacques de Vias	جاك دوفياس	05
1587-1596	Jean Olivier	جان أوليفي (نائب قنصل)	06
1618-1624	François Chaix	فرانسوا شي	07
1623-1624	Etienne	إتيان	08
1624-1625	Thomassin	طوماسان	09
1625-1625	Martelly	مارتيلي	10
1626-1627	Enselem	أنسلم	11
1627-1646	Balthazar de Vias	بالتزار دوفياس	12
1627-1628	Clavel	كلافيل (نائب القنصل)	13
1628-1629	Thomas Fréjus Ricou	طوماس فريجوس (نائب القنصل)	14
1629-1631	Thomas Ricou	طوماس ريكو	15
1631-1634	Blanchard	بلانشار (نائب القنصل)	16
1634-1639	Jacques pio	جاك بيو (نائب القنصل)	17
1639-1646	Thoumas Picquet	طوماس بيكي (نائب القنصل)	18

1646	Charles Moulard	شارل مولار	19
1646	Lamber aux Cousteaux	لامبير أوكوستو	20
1646-1661	P. Jean Barreau	الأب جان بارو	21
1661-1673	le P. jean Aremand	الأب جان أرماند دو برديو	22
1674-1675	Laurent d'arvieux	لورانث درافيو	23
1673-1684	Le p . jean Levacher	الأب جان لوفاشي	24
1683-1684	Dennis Dusaults	دونني دوسولت (نائب القنصل)	25
1684-1685	Sorhainde	سورهاند (نائب القنصل)	26
1685-1688	André piolle	اندري بيول	27
1688 L e p-	Michel Mantmansson	الأب ميشال مونتماسون (نائب القنصل)	28
1689-1690	Barthélémy Mercadier	بارتليمي ميركادي (نائب القنصل)	29
1690-1697	René Lemaire	روني لومير	30
1697	Jean de Clairmbault	جان دوكليرمبولت (نائب القنصل)	-31
1698-1705	Philippe Jacques Durand	فيليب جاك دوراند	32
1705-1717	Jean de clairambaut	جان دوكليرمولت	33
1717-1719	Jean Baume	جان بوم	34

1720-1730	Antoine Gabriel Durand	أنطوان قابريال دوران	35
1731	Thomas Natoire	طوماس ناتورا (نائب القنصل)	36
1731-1732	Léon Delane	ليون دولان	37
1732- 1735	Benoit lemaire	بنوا لومير	38
1735-1740	Alexis- Jean Eustach taibout	ألكسيس جان أوستاش تيتبو	39
1740-1742	De jonville	دو جونفيل (نائب قنصل)	40
1742	François d'Evant	فرنسوا ديفانت	41
1743-1749	Pierre Tomas	بيير طوماس	42
1749- 1756	André –Alexandre le maire	أندري أليكساندر لومير	43
1757	Le p.Bossu	الأب يوسو (نائب قنصل)	44
1757- 1760	Joseph- Barthélémy Pérou	جوزيف بارتليمي بيرو	45
1760-1763	Le P.théodore Groiselle	الأب ثيودور قروازيل (نائب القنصل)	46
1763-1773	Jean Antoine Vallière	جان أنطوان فاليري	47
1773- 1782	Robert –Louis Langoisseur de la Vallée	روبيري لوي لانقواسوردولافالي	48
1782	Rendaudot	رندودت (نائب القنصل)	49
1782 -1791	Jean –Baptiste Michel de kercy	جان باپتيست ميشال دوكيرسي	50
1791-1796	Philippe Vallière	فيليب فاليري	51

1796	Louis Alexandre Herculais	لوي أليكساندر هيركولي (ناشب القنصل)	52
1796-1798	Jean Bon Saint André	جان بون سانت أندري	53
1798-1800	Dominique –Marie Moltédo	دومنيك ماري مولتيديو	54
1800-1814	Charles François Dubois Thianville	شارل فرانسوا دوبوا تيانفيل	55
1809-1810	Alexandre Louis Ragueneau de la Chaisnaye	أليكساندر لوي (نائب القنصل) رانفو دولاشيبي	56
1814	Roche Ferrier	روش فريي (نائب القنصل)	57
1815	Pierre Duval	بيير دوفال	58
	Charles François Dubois Thianville	شارل فرانسوا دوبوا تيانفيل	59
1815 -1827	Pierre Duval	بيير دوفال	60

الملحق رقم 09:

قائمة المحافظين المبعوثين الفرنسيين إلى الجزائر ما بين 1534م- 1830م

1534	De laforest	01-دو لافريست
------	-------------	---------------

1537	De Montluc	02- دومونتلوك
1551	D'Aramon	03- دارامون
1552-1553	D'Albiss	04- دلبيس
1561	San pierto D'Ornano	05- سان بيارتو دورنانو
1573	De Menillon	06- دومينيلون
1605	Savary de Brèves	07- سافاري دو بريف
1618	Dumas de Castellani	08- دومادوكاستيلان
1619	De Mortier	09- دومورتي
1625-1628	De Sanson Napollon	10 – دو سانسون ناپليون
1632	D'Estampes , sr de l'ysle	11- ديستامب س ردوليزل
1634- 1637	Sanson De pap	12- سانسون دوباب
1637	De Mantin	13 دومنتان
1639	Du Coquiel	14- دوكوكيل
1640	De Montigny	15- دومونتيني
1641	De Montemeillan	16- دومونتيميلان
1659	De Romanhac	17- دورومانهاك
1661	De Clerville	18- دو كلارفيل
1666	Trubert	19- تروبير

1668- 1672	De Martel	20- دومارتيل
1668	Devivonne	21- دوفيفون
1673	D'elmeras	22- دالميراس
1675	De Gabaret	23- دوقاباري
1679	De Tourville	24- دوتورفيل
1680	Duquesne	25- دوكان
1681	Hayet	26- هايي
1681	De virelle	27- دوفيرال
1683	Dussault	28 – دوسول
1684- 1685	De Tourville	29- دوتورفيل
1686	De Blainville	30- دوبلانفيل
1697	Dortierres	31- دورتيار
1689-1690	Marcel	32- مارسيل
1697	Dussault	33- دوسول
1714	Duquense Monier	34- دوكانس موني
1719	Dussault	35- دوسول
1724	D'Andrezei	36- داندريزي
1724	De Grampré	37- دوقرانبري

1724	De Beaucaire	38- دبوکیر
1727	De Monts	39- دومونت
1730	De Genzien	40- دو جانزیان
1730	Duguay Trouin	41- دوفای تروین
1731	De Gaylus	42- دوکایلوس
1732	De Watan	43- دواطان
1734	De Court de la Bruyère	44- دوکور دولابرویار
1742	De Maissiac	45- دومیسیاک
1748	De Revert	46- دوریفار
1762	De Rochemaure	47- دوروشمور
1762	De Cabanous	48- دوکابانوس
1763-1764	De Fabry	49- دوفابری
1767	De Sade	50- دوصاد
1776	De Forbin	51- دوفوریان
1777	De Bonneval	52- دوبونفال
1777	De Tott	53- دوطوط
1777	De vialis	54- دوفیالی
1778	De Martelly	55- دومارتیلی

1781	De cypières	56- دوسبييار
1781	De vialis	57- دوفياي
1781	De Martineq	58- دومارتيناك
1783	De Bessay	59- دوبيساي
1785	De lingoudez	60- دولنقوداز
1788	De Blanchon	61- دوبلاشون
1788	Vanture	62- فانفور
1789	De Senneville	63- دوسنفيل
1791	Brus	64- بروس
1791	De Maissiessy	65- دوميسييسي
1792	Gavoty	66- قافوتي
1792	Randeu	67- راندو
1793	Raccord	68- راكورد
1796	Herculais	69- هيركولي
1797	Barré	70- باري
1801	Demay	71- دوماي
1802	Leségué	72- ليسيق
1802	Hulin	73- هولان

1802	Berge	74- بارج
1805	Ponapert (Jérôme)	75- بوناپارت (جيروم)
1808	Troud	76- طرود
1808	Boutin	77- بيوتان
1811-1814	De Maynard	78- دومينار
1814	De Saint Belin	79- دوسان بلان
1815	Touffet	80- توفتي
1815	De parseval	81- دوبارسفال
1816	Raynouard	82- رينيوار
1819	Jurien de la Gravière	83- جوريان دو لاقرافير
1819	Duval D'Ailly	84- دو فال دي لي
1822	De Méry	85- دوميري
1824	Drouault	86- درولت
1826	Fleury	87- فلوري
1827	Faure	88- فور
1827	Collet	89- كولي
1828	Bézard	90- بيزار
1829	De la Bretonnière	91- دوربروطنيوار

1829	De Nérciat	92- دونورسيا
1830	De Clairval	93- دوكليرفال
1830	Bézard	94- بيزارد
1830	De Bourmont	95- دوبورمون
1830	Duppré	96- دوبري

الملحق رقم 10: 1106

أمر بالسماح بمزاولة نشاط تجاري لذمي المدعو بولس جونز

رئاسة الجمهورية

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الامانة العامة

الجزائر في :

صحيفة رقم 216

مهمة دفتري رقم 37



حضر المدعو بوليس جونس الذي (مخط) هو اعرب عن قبااه
بصيد المرجان في موضع يدعي مستابقة (كذا) التابع لجزائر الخرب ، وبما انه
لا يتاجر بالسلع المحظوره بموجب الامر الشريف ، وبناء على رجائه الخاص بالسماح
له ببيع وشراء المرجان الذي يصطاده .

فقد صدر باعطاه حكما شريفا بشأن مزاولته لنشاطه التجاري في ظل
ايام عدالتنا الطوكية ، فلا يعترض سبيله احدا خلافا للشرع والقانون طالما انه لا يتاجر
بالامتعة الممنوعة بموجب الاوامر .

تحرير : محمد داود التميمي

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

- أونياس: ص 18
دارمون: ص 19
كلود مارتن: ص 19
داود (عليه السلام): ص 20
سليمان (عليه السلام): ص 20، 21.
ينبوخذ نصر: ص 22، 43، 66.
تيتوس: 22.
القديس أوغستين: ص 24.
جوستيتيان: ص 29.
الكاهنة: ص 20، 31.
عثمان سعدي: ص 30.
بوشناق: ص 169، 172، 173،
حاييم الزعفراني: ص 72.
روزت: ص 67، 69، 174.
موسى (عليه السلام): ص 71، 73.
الحخام ابن سماية: ص 73.
إفريم عنقاوة: ص 73.
حسين باشا: ص 76.
شلوكان عروخ: ص 132.
مسعودة بنت يوسف: ص 143.
وليد شمعون ننوشي: ص 144.
عزيزة بنت شعة: ص 144.

- بايزيد الثاني: ص 157.
- الباي محمد الكبير: ص 158.
- محمد بلكباشي بن بابا حاجي: ص 159.
- محمد دادة: ص 167.
- حسان باشا: ص 172.
- موردخاي دارمون: ص 175.
- تيدينا: ص 188.
- إدريس الأكبر: ص 32، 35.
- ابن خلدون: ص 32.
- خير الدين: ص 42.
- عروج: ص 42.
- هايدو: ص 47.
- فونتير دي برادي: ص 52، 59، 202.
- وليام شالر: ص 52، 107، 119، 160، 174.
- اللورد اكسموت: ص 56.
- مصطفى الوزناجي: ص 52، 95، 96، 97، 168، 172.
- كلود مارتن: ص 56.
- عائشة غطاس: ص 58.
- جورج الثالث: ص 59.
- الداي مصطفى: ص 59.
- جون فلكان: ص 60.
- بلانكي: ص 60.
- بوجناح: ص 62.

- شارل الثاني: ص 76.
- هادي: ص 77، 175، 186، 190، 197، 200
- ريباش: ص 81، 83.
- الحام برشيش برقت: ص 92.
- سيمون بن سماح ديرون: ص 92.
- إبراهيم بن حقون: ص 96.
- موشي قباي: ص 92.
- إبراهم بوشعرة: ص 96.
- نفظالي بوجناح: ص 96، 97
- دافيد بكري: ص 97.
- الداي الحاج علي: ص 98.
- يعقوب بكري : ص 98.
- يعقوب بن إبراهيم: 100.
- جلاذ بن معطي: ص 101.
- يوسف بن يعقوب: ص 101، 102.
- محمد القزاز: ص 108، 109.
- ديمومة بنت أحمد الحرار: ص 108، 109
- مريومة بنت محمد: ص 108.
- مصطفى يولداش بلكباشي: ص 111.
- ابو عبد الله السيد محمد قاضي الحنفية: ص 111، 113.
- الحاج محمد بن الحاج قاسم: ص 112.
- مصطفى الانكشاري الخياط: ص 113.
- سميح بن يامين داران: ص 112، 127.

- اسحاق بن مردخاي ابن شمول: ص 112.
- يعقوب بن زهية: ص 112.
- اسحاق بن هارون: ص 122.
- يعقوب بن شلومو: ص 123.
- يعقوب بن عمران: ص 122، 127، 123.
- نسيم بن ابراهيم مزغيش: 124.
- ناصر بن اسحاق: ص 124.
- موشي اسحاق: ص 124.
- موشي بن لياه ليفي: ص 125.
- اسحاق بن نييطان: ص 127.
- موشي بن يعقوب: ص 145.
- يعقوب ازرائيل: ص 198.
- صامويل كوين: ص 198.
- جوزيف وموزدي: ص 198.
- ارون جوناتون: ص 198.
- جاكوب دولاروز: ص 198.
- موز سولار: ص 198.
- جوزيف بن ثابتي: ص 198.
- نفظالي بوشناق: ص 198.
- دافيد ثابتي: ص 198.
- دانيال دوكيستا: ص 208.
- اسحاق باروس: ص 210.
- ارون مالكو: ص 212.

أرون إسرائيل: ص 215، 217، 218.

اسحاق سليمان: ص 219.

دافيد كوهين سالمون: 223 ن 224.

جاكوب دي رافائيل بوشارة: ص 226 ن 228.

زكريا حلفون: ص 238.

إبراهيم مالو: ص 238.

نفتالي بوجناح: ص 239.

فهرس الأماكن

غرناطة: ص 56.

قرطاجة: ص 19.

إيطاليا: ص 62، 99، 229

تلمسان: ص 19، 46، 63، 64، 68، 71، 155

قسطنطينة: ص 54، 82، 90، 92، 142، 144، 159، 178، 177

صور: ص 19، 21.

لبنان: ص 20.

القدس: ص 21، 22، 13، 25.

افريقيا: ص 21، 22، 23، 26، 29، 34، 35، 36

الشام: ص 22، 23، 32.

سطفيف: ص 23.

صور الغزلان: ص 23

قالمة: 23.

خنشلة: ص 23.

مصر: ص 270

نفوسة: ص 32

تونس: ص 42، 215

القسطنطينية: ص 46.

وهران: ص 46، 58، 68، 81، 92، 155، 159، 123، 224، 225، 227،

237، 239،

عنابة: ص 46، 58، 192.
أوربا: ص 48، 56، 75، 205.
اسبانيا: ص 50، 63، 65، 69، 71، 74، 78، 83، 85، 99، 169.
واد ميزاب: 155.
تقرت: ص 155.
مازونة: ص 155، 178.
توات: ص 155.
غرداية: ص 155.
تركيا: ص 99.
لندن: 169.
هامبورغ: ص 169، 187، 189، 227.
مرسيليا: ص 170، 195، 199، 214، 219.
الاسكندرية: ص 187، 195.
مليانة: ص 68.
سوق أهراس: ص 66.
مستغانم: 63، 68.
ندرومة: ص 63.
معسكر: ص 63، 155، 159، 178.
بجاية: ص 68، 155.
تنس: ص 68.
البرتغال: ص 59، 69، 78، 169.

ليفورن: ص 63، 75، 78، 85، 86، 99، 190، 195، 210، 112، 1213، 214،
217، 219، 220، 221، 223، 224، 225، 227، 237، 239

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

أ- الوثائق الأرشيفية:

1- سلسلة المحاكم الشرعية:

1. س. م ش. ع 38 (21).
2. س. م. ع 71-72 (41).
3. س. م. ع 1-16 (36).
4. م. ش.، ع: 96-97 وثيقة رقم (8).
5. س م ش ع 109-110 (36).
6. س م ش ع 109-110 (46).
7. س م ش ع 109-110 (47).
8. س م ش ع 109-110 (34).
9. س م ش ع 1-26 (20).
10. م ش ع 1-26 (29).
11. م ش ع 109-110 (36).
12. م ش ع 109-110 (34) -. م ش ع 109-110 (47).
13. م ش ع 57 (28).
14. م ش ع: 49 (59).
15. م ش، ع: 142-143 (8).
16. م ش ع: 11 (7).
17. م ش ع: 11 (7).
18. م. ش. ع؟ (28).

19. م.ش ع: 40 (17).
20. م.ش ع: 151 - 152 (3).
21. م.ش ع: 10 (3).
22. م.ش ع: 57 (13).
23. م.ش ع: 28 (34).
24. م.ش ع: 28 (33).
25. م.ش ع: 140 (19).
26. م.ش ع: 44 (45).
27. م.ش ع: 57 (36).
28. م.ش ع: 41 (18).
29. م.ش ع: 85 - 86 (3).
30. م.ش ع: 28 (34).
31. م.ش ع: 140 (16).
32. م.ش ع: 71 - 72 (15).
33. م.ش ع: 1 - 37 الرقم الجديد 31 (40).
34. م.ش ع: 91 الرقم الجديد 101 (20).
35. م.ش ع: 140 (16).
36. م.ش ع: 1 - 37 (26).
37. م.ش ع: 88 (24).

38. م ش ع: 08 (72).

39. م ش ع: 41 (18).

40. م ش ع: 51 (41).

41. علبة 31 (21) السنة 1239 - 1824.

42. م ش ع 99 - 100 (27).

43. م. ش. ع 41 (19).

2- الرسائل الديوانية:

1. مجموع رسائل، 3205 الملف الثالث، رسالة من الحاج عمر بن الحاج أحمد المركانتي بعناية إلى مصطفى كوجك باي قسنطينة، بدون تاريخ،

2. مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم 53 من صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة بعام 1775.

3. مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة رقم 41 من باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة في أوائل رجب 1185.

4. مجموع رسائل 1641، الملف الثاني، رسالة صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة عام 1779 الرسالة كاملة.

5. مجموع رسائل رقم 1641 الملف الثاني: رسالة رقم 53 من صالح باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة بعام 1775، ص 01.

6. مجموع رسائل رقم 1641، الملف الثاني: رسالة رقم 41 من باي إلى وكيل الباتسيون مؤرخة في أوائل رجب 1185، ص ص 01 و 02.

3- خط همايون:

1. خط همايون، عدد 5746، تاريخ 1217، الموضوع تقرير السيد تاليران إلى السلطان العثماني حول تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا التي يعتبر الأسرى إحدى محاورها، تعريب فكري طونا، ص 02.
2. خط همايون، عدد 144، تاريخ 1203هـ، الموضوع بخصوص قتل الأسرى الموجودين بالسفن التجارية، تعريب فكري طونا، ص 01.
3. خط همايون ، عدد 5825 تاريخ 1215 تعريب فكري طونة .
4. خط هامايون، عدد 22556 بتاريخ 1231 خلاصة التحريرات الواردة في طرف خسرو باشا قبطان دريا الحالي) .
5. خط همايون، عدد 22486 تاريخ 1231.

4- دفتر مهم:

1. دفتر مهم: رقم 35 ، حكم رقم 314، صحيفة 122 ، تاريخ 986
2. دفتر مهم، عدد 14، علبة 05، صحيفة 274، حكم 390، الموضوع حكم على أمير أمراء الجزائر "علج علي" بتاريخ 07-03-978هـ، تعريب محمد داود التميمي.
3. دفتر مهم، عدد 12، علبة 03، صحيفة 579، حكم 1102، الموضوع حكم إلى أمير أمراء الجزائر، "علج علي" بتاريخ 08-11-979هـ، تعريب محمد داود التميمي.

5- أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا:

1. ACCM, série J, art. 1354.

2. ACCM, série J, art. 1355.

ACCM, série J, art. 1356. .3

ACCM, série M, 05.1/13. .4

ACCM, série J, art. 1358 .5

ACCM, série J, art. 14. .6

A.C.C.M Série J Art 03 .7

A.C.C.M série LII Art : 85 .8

A.C.C.M Série Art 03. .9

A.C.C.M Série Art 04. .10

6- الوثائق الأمريكية: وثائق مكتبة وليام كليمنتز

Tobias Lear, Copy of Letter to James Madison N°6, Inclosing Diary .1
or Journal of Occurrences at Algiers by Tobias Lear, January 1,
1804, Tobias Papers, William I. Clement Library, University of
Michigan..

ب - قائمة المصادر باللغة العربية:

1. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية
وتونس ، تحقيق محمد تمام، نشر مكتبة العتيقة، تونس .

2. ابن أبي زرع بن عبد الله (ت 726هـ/1325م) الانيس المطرب بروض
القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ، دار المنصور.

3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ- 1406م) وديوان
المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الأكبر (14 ج- 7 مجلدات) دار الكتاب اللبناني، طبعة ثانية، بيروت 1979،
الجزء 6.

4. ابن عبد البر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م) القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم والبربر، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1931.
5. ابن منظور، محام بن مكرم (711هـ-1311م)، لسان العرب (15ج)، دار صادر، بيروت، جزء4 .
6. البكري عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق دي سلان، نشر مكتبة المعنى، بغداد، 1965.
7. بن افراهيم ازرياح بيكو "جنة لعيتم"، إدراك أزمنة العبادة وهو مجموعة من المواعظ الخاصة بشفעות (الخزانة العامة بالرباط).
8. بن حمادوش عبد الرواق، لسان المقال في عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983.
9. بن خردادية المسالك والممالك ، لندن، 1885.
10. دوفان تيدينا، مذكرات تيدينا، تقديم وتحقيق عميراوي احميدة تحت عنوان الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، الجزائر، شركة الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
11. الزهار احمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1980.
12. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م) تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب.
13. الطبري محمد بن جرير(ت 310هـ- 933م) تاريخ الأمم والملوك (11ج) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار سويدان ، بيروت، جزء 1.

14. عبد البر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م) القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم والبربر، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1931.
15. علي بن حبيب الماوردي البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية .
16. كاتكارت جيمس لندر، مذكرات أسير الداوي كاتركارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
17. الكتاب المقدس(التوراة) أي كتاب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة 1960.
18. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492- 1792)، ط2 منقحة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976.
19. المراكشي ابن عذارى أحمد بن محمد (ت 695هـ/1295م) البيان ، المغرب في اخبار الأندلس والمغرب (4ج) تحقيق جس- كولان ، ليفي بروفنسان، الجزء 1 ، مطبعة ريل 1948.
20. المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647هـ/1249) العجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريلان، القاهرة 1963.
21. الناصري أحمد بن خالد (ت 1319-1911) لاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى (9ج) تحقيق جعفر محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج1.
22. وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500- 1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

23. اليعقوبي أحمد بن وهب بن واضح (ت 292هـ/904م) البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثالثة 1957 .

ج- قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

1. Anonyme , notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger, résumé des meilleurs documents ancien sur pays, imprimerie du roi, 1830.

2. Arvieux Chevalier L.L.d, Mémoires du chevalier d'Arvieux, mis en ordre par le R.P. Jean Baptiste Labot, T. 5, paris : Delespine le Filo 1735.

3. Cano A., Nouvel aspect de la topographie d'Alger, traduit par Bonnaute,

4. Cisar Philipe Vallière, mémoire du consul, c.h, Vallières, publie par le chaillou, sous le titre l'Algérie en 1781, imprimerie Carqueiranne, France 1978.

5. G P, The Present State of Tangier in a letter to his Grace The Lord Chancellor of Ireland and one of the Lord Justice there to which is added the present state of Algiers, London: H Herring, 1676.

6. Gerrit Metznan, Journal de captivité à Alger (1814-1816), traduit en français par G.H. Bousquet et A.v Bousquet Miranchole, Alger : édition Houma

7. Gonzales P.A., Voyage en Egypte du père Antonius Gonzales 1665- 1666, traduit par Charles Libois S.J., 2 volumes, paris : Publications de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1977.

- Haddey (M-J-P), le livre des israélites Algériens, Recueil de .8
renseignement inédit, et authentique sur les principaux négociants
d'Alger pendant la période turque, imprimerie typographique de
Boyer, Alger, 1872.
- Haedo(Fray Don diego de haedo) topographie et histoire générale .9
d'Alger, traduit de l'espagnol par Dahmas de Grammont, édition
Grand Alger livres, Alger 204.
- Haedo, Histoire des rois d'Alger, traduit et annoté par H.D. de .10
Grammont
- Jaao Carvalho Mascarembas, esclave à Alger , récit de captivité .11
de Joao mascarembas (1621-1626) traduit du portugais et
présenté par Paul Teyssier, édition chandeigne, France.
- Laugier De Tassy, histoire des Royaume d'Alger Amsterdam , .12
Henri du Sanzet, sans date .
- Père Dan, histoire de la Barbarie et de ses corsaires, récolte .13
imprimerie du Roy, 2^e édition, édition paris 1637.
- Peysonnel, des fontaines , voyage dans la régence d'Alger, paris, .14
librairie la guide 1838
- Plantet Eugène, Correspondance des deys d'Alger avec la cour .15
de France 1700- 1833, T2, paris, 1889
- Rozet .M : voyage dans la régence d'Alger , ou description du .16
pays occupe par l'armée française, en Afrique , A.Bertonard,
édition 3tome, paris 1830.

S.D. goitien : A medeteranean society, the jewish communities of .17
the arabnord.as.protayel in yhedoenment of the cairo, geniza 969-
1250 U.S.A University Of California Press 1976 .

Signorpanante, narrative of resedence in Algiers ,copmrising a .18
geographical and historical, sketehas of the dey hisministers of
observiation of the barbary state with Christian powers and the
necessity and importansce of theircomplete subjugation, london
1818.

Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'administration de .19
l'ancienne régence d'Alger, traduit par A. Devoulx, conservateur
archives arabes des domaines, Alger, l'imprimerie du
gouvernement, 1852.

Thomas shaw, voyage dans la régence d'Alger au 18em siècle, .20
traduit de l'anglais par E.mac McCarthy 1830 Alger ; édition grand
Alger livres .

Venture de paradis Tunis et Alger au XVIII siècle , la bibliothèque .21
arabe Sind Bad , paris , 1989, page 258.

Virebaeaux (I.G) Algërusalem, L'Algérie terre juive, leçon .22
d'histoire algérienne d'un rabbin son fils, Alger, imprimerie A
.Joyeux 1937

ثانيا: المراجع

أ- قائمة المراجع باللغة العربية:

1. الأحمد علي محمد، مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، دراسة الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، الأردن.
2. الأرشيف الوطني، معاهات سلم وتجارة بين الجزائر والقوات المسيحية خلال العهد العثماني، الجزائر منشورات الأرشيف الوطني الجزائر.
3. اسماعيل محمد الخميسي، بنو اسرائيل، القصة الكاملة من التاريخ القديم...وحتى الوقت الحاضر، مصر مكتبة وهبية، 2000.
4. أمين محمد، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المغرب، مطبعة أنفو برانت، فاس.
5. بديعة الغازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 2007/1428، الرباط : مطبعة المعارف المغربية.
6. بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، 422هـ-462هـ / 642م-1070م، مصر " عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية" 2001.
7. بلحميسي مولاي، الجزائر خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979.
8. بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
9. بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500م-1830م الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1985م.

10. بوعمامة فاطمة، اليهودية في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-9 هـ / 13-15م، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكم.
11. الجوزية ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق وتعليق جمحي صالح، دمشق، مطبعة الجامعة.
12. جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى من البدء حتى الفتح الإسلامي 647، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر.
13. حيدر علي، دور الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، (بدون تاريخ).
14. خربوطلي حسن، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، مصر، المطبعة الفنية الحديثة، 1969.
15. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق، عمر بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
16. رزوق محمد، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، سنة 1989.
17. الزعفراني حاييم، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ط الأولى، 1987.
18. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
19. سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزء الأول، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1426هـ/2005.

20. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب .
21. شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة جمال حمادنة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
22. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926هـ-1246هـ/1519م-1870م)، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، طبعة 2009.
23. طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، الجزائر، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
24. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط3، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
25. العربي إسماعيل ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776-1816)، وهو ترجمة كاملة عن كتاب: Raw W. Irwin, The Diplomatic Relations of The United States with Barbary Powers (1776-1816)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 41.
26. علي ميلاد سلوى، وثائق أهل الذمة بمصر في العهد العثماني وأهمية التاريخية، القاهرة ، دار الثقافة المصرية، 1983.
27. الغازي بديعة ، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، الرباط: مطبعة المعارف المغربية. 2007/1428.
28. فارس محمد خير، تاريخ الجيش من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، سوريا، مطابع ألف باء، الأديب 1065.

29. الفقاري ناصر، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، طبعة 1993/1413،
العربية السعودية، دار ناصر العقل.
30. الفقاري ناصر، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، طبعة 1993/1413،
العربية السعودية، دار ناصر العقل.
31. فؤاد رشيدة، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية
المقدسة، الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ط الأولى، 2013.
32. كلو أندري، سليمان القانون مثل بين التمازج وبين الهوية، تعريب البشير بن
سلامة، بيروت: دار الجيل، ط1 - 1999.
33. كواتي مسعود، في المغرب الإسلامي من الفتح حتى سقوط دولة الموحدين، دار
هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
34. محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671)، بدون طبعة، الجزائر:
دار البصائر للنشر والتوزيع.
35. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا، داي الجزائر (1766-1791) سيرته،
عيوبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، الجزائر، المؤسسة الوطنية
للكتاب، ت. .
36. مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير
والواقع، الجزء 2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
37. مسعود محمد سعيد، العرب والقوات الأجنبية، دار الزائد العربي، لبنان.
38. المسيري عبد الوهاب، الموسوعة اليهودية، المجلد الثاني، الجزء الثاني، شركة
صخر لبرامج الحاسب 1999.

39. منصور محمد حسين، النظام القانوني للأسرة في الشرائع الغير إسلامية، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1983.
40. ناصر الدين سعيدوني، يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية، مجلة الثقافة، عدد 77، سنة 1983.
41. هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: دار الهدى، عين مليلة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
42. وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، بيروت: دار الفكر.

ب- قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- باللغة الفرنسية:

1. .1 Aben sur Jacob, Mishpat les daght beya agob (responsa), tome I, Alexandrie, 1894.
2. .2 Abraham Isaac Iaredo, Fragement d'onomastique, Juéo-marocaine, bulletin de la société d'arckeolage de tanger 1953, essai sur les juifs berberes contribution a l'énomastique Judéo-berber Rabat bibliothèque du protectorat paris : AFAS, T1 1927.
3. .3 André Chouraqui : Marche vers : l'occident : les juifs d'Afrique du nord, presse universitaire de France, saint Germain, paris, 1954.

- chouraqui, la saga des juifs en Afrique du nord, Hachette, André .4
 .paris, 1972
- André Chouraqui, marche vers l'accident, les juifs d'Afrique du .5
 nord, paris, PUF 1952.
- André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Othman, paris, .6
 édition Sindbad 1985, pa.
- Ariel Toaff, le Marchau de Pérouse ; une communauté juive au .7
 moyen âge, traduit de l'italien par Denis Armand Cana Ballant,
 1993.
- Armand Lévy, il était une fois les juifs marocains, édition .8
 l'harmattan, paris.
- Belhamissi (M), Les conflits algériens et l'Europe chrétienne (1518- .9
 1830), paris : Ed. France empire, 1984.
- Benachenhou connaissance du Maghreb ,Alger la presse des .10
 éditions populaire 1971.
- Bertrand Laçon Tiphane, Constantin un Auguste chrétien, paris, .11
 Arman Colin, 2012.
- Charles Feraud, Histoire des villes de la province de Constantine, .12
 La colle et documents, pour servir à des anciennes concessions
 française d'Afrique, Alger, 1871.
- Claude Martin : les israélites Algériens de 1830-1902 éditions .13
 Herkat les paris 1936.
- Ernest Mainz , les juifs d'Alger, sous la domination turque, extrait .14
 du journal asiatique, Année 1952, imprimerie national, paris.

- Gabriel Esquer, Le commencement d'un empire la prise d'Alger .15
1830, Alger, 1923.
- Grégoire Fernand, La juiverie algérienne, Radical Algerian 1888, .16
- H.Klein, feuillet d'le Djazair , comite de vieil Alger , tome2 édition .17
du tell , blida,Alger 2003.
- Haim Zafarani, « Les relations Judéo Musulmane dans la .18
littérature juridique », in « les relations entre les juifs et musulmans
en Afrique du Nord XIX^e- XX^e siècles », acte du colloque
international de l'institut d'histoire des pays d'outre mer Abbaye de
semanque, octobre 1979, éd. C.N.R.S. paris, 1980.
- Israél Hamet, les juifs du nord de L'afrique, nom et surnoms) paris .19
1968.
- Jaque Taieb, etre juifs au maghreb à la veille de collonisation , .20
édition Abbin, Michel, paris, 1954.
- Joseph toledamo : les juifs maghrébines, paris,1983. .21
- Jucher eau (D.S.D), considérations statistique historique militaire .22
et politiques sur la régence d'Alger, Belannay, paris, 1831.
- Louis René, des fontaines : fragments d'un voyage dans les .23
régences de Tunis et d'Alger, tome second, librairie de Gide ,
.Paris : 1838
- Maurice Eisen Beth, les juifs en Algerie ,esquise historique depuis .24
les origines jusqu'à se jour, inst, de l'encyclopédie coloniale et
maritime paris, 1930.

- Maurice Eisenbeth, le Judaisme nord africain, constantine , édition .25
pierre Brahan 1931
- N.J.M Haddy, le livre d'or israélites algériens, recueil .26
renseignement inédit et authentiques sur les principaux Négociants
juifs d'Alger pendant la période turque imprimerie typographique,
de Aboyer 1872.
- Pierre Lion , histoire économique et social du monde, l'ouverture .27
du monde XIVe- XVI siècle , T1, volume dirigé par Bartolone
Benassar et pierre haunu librairie Armand colin , paris 1977.
- Renan, les évangiles et la seconde génération chrétienne, paris, .28
1879.
- Richard Ayoun et Bernard cohen, les juifs d'Algerie 2000 ans .29
d'histoire, paris, édition Jean claude Lattes, 1982.
- Robert Brunschvicg, la barbarie sous les hafside des origines a .30
la du XV siècle , T1, librairie Henrique et d'orient, paris, 1940.
- Shiloah. A, Les traditions musicales juives, Maisonneuve et La .31
rose, paris, 1996.
- Shuval.T, La ville d'Alger vers la fin du XVIII^e siècle, CNRS .32
éditions, paris, 1998.
- Victor Malka, Les juifs sépharades, paris, PUF, 1991. .33
- Zafrani H, Poésie juive en occident musulman, paris : 1977. .34
- Zafrani Haïm, Mille ans de vie juive au maroc, édition paris 1985. .35

- باللغة الانجليزية:

1. Addison Lancelot, The present state of the Jews (More particularly relating to those in Barbary) London, printed by J.c for William Crooke, 1675.

2. Haim Hitch Berg, a history of the Jewish In north Africa, Leiden, from antiquity to the six tenth centry , Vol1, 1974.

3. J. Moorman, A History of the Franciscan Order from its Origin to the Year 1517, paris: Pierre Fontaine 1955.

ثالثا- المقالات:

أ- باللغة العربية:

1. جاد الله كمال محمد، الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 10، شوال- ذي الحجة، أكتوبر- ديسمبر 2011، بريطانيا: المنتدى الإسلامي، ص 04.

2. جاد الله محمد كمال، الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 10، شوال- ذي الحجة، أكتوبر- ديسمبر 2011، بريطانيا: المنتدى الإسلامي.

3. حسن أميلي " النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولادي و الراهب بييردان " ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 123 ، طبعة 2005 ، ص 179

4. حسن أميلي : " تاريخ برباريا و قراصنتها للراهب بيير دان في م ت م مؤسسة التميمي للبحث و المعلومات زغوان ع 106 فيفري 2002 ص ص 176-177

5. عائشة غطاس، أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني ، المجاعات والأوبئة 1830-1787 ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد 17-18، 1998 ، ص 362-361.

6. عائشة غطاس، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة إنسانيات، العددان 19- 20، جانفي- جوان 2000، وهران: مركز البحث والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والثقافية، ص 33- 45.

7. عبد الرحمن حسن العثماني إيمان، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر يوسف بن تاشفين، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 05، السنة 1435/2014، ص 04-05.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Balarbi Loula, le régime liberal des capitulations la cadre juridique cahier Maghrebins d'histoire , N° 07 juin 1990.

2. Boubaker sadouk, la peste dans les pays du Maghreb : attitude face au fléau et impacts sur les activités commerciales XVIe-XVIIIe siècle , revue d'histoire maghrébine N° 69-70, 1935 , p 31

3. Charles André Julien en Marseille et la question d'Alger à la veille d'une conquête, in R.A., N°60, P.U. Alger, p 17.

4. Charles André Julien, « La question d'Alger devant les chambres sous la restauration », in R.A, N°60, OPU, Alger, 1919, pp 278-281.

5. Commandant P Chalmin le colonel Boutin , une mission en Algerie en 1808 Revue historique de l'armée N 2 T -1953 , p P 7-24

6. Darmant : Origine et constitution de la communauté israélites de Tlemcen in R.A.N° O.P.U Alger 1840 pp376-377.

7. Devoux (A), relevé des principaux français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830 R A 1872, P 387- PP 420-429.

8. Dumay. L., « Projet pour l'entreprise d'Alger », in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps, Christophe Van Dyck, Cologne 1666, pp. 1- 13.

- Eizenbeth, les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque .9
1516- 1830, R.A. vol 96, 1952, p 373.
- Emerit Marcel, Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque .10
turque, in revue Algeria N°25/1952, pp 6- 13.
- Eric Conan, Les juifs et les chrétiens et l'argent, in l'Expresse .11
Multimédia, N° 2636, année 2002,
- Filipini, « Les relations entre Livourne et l'Afrique du Nord », In .12
Revue Maghrébine, N° 7/8, 1977,
- Françoise Hildescheiler, « Grandeur et Décadence de la Maison .13
Bacri de Marseille », In, R.E.J., tome CXXXVI, juillet-décembre
1977
- Isaac Bloch, « Les israélites d'Oran de 1792 à 1815 », in R.E.J., N° .14
25 juillet et septembre, tome XIII, 1886, p 9
- J.Juster, la condition légale des juifs sous les rois visigoths , in .15
études d'histoire juridique offertes à Paul F.Girard, Paris 1912-1913,
T1, p p 289-295.
- Lanfreducci et Bosio, O, Costa e discorsi di Barberia (1er .16
septembre 1587) traduit et notes de Ch. Monchicourt et P.G.
Randchamp, in R.A. n°66, 1925, p. 540.
- Maurice Eisen Beth : les juifs en Algérie et en Tunisie durant .17
l'époque turque in R.A, N°03, ,Alger, p 152.
- Maurice Eisen Beth, les juifs d'Algérie et en Tunisie durant .18
l'époque turque (1516-1830) i, R.A N° 96.

Maurice Eisenbeth, les juifs en Algerie et Tunisie, revue africaine .19
N°93.1952 , p 126-127.

Mémoire de thedmat ;écrites à ZURICH en 1785 in .20
..R.A. ,Année :1948 , PP. 157-183 , 330-363

Michel Perrin et Jean Pouillon, la pensée Mythique : de la forme a .21
l'usage in revue Française d'antopologie l'homme N°106-107, Avril,
sep 1988 .

Mohamed Amine, commerce et commerçant d'Alger, R. H . M .22
année 1995 , N° 77-78

Pestemaldjolou (A), le consulat français d'oran de 1732 à 1754 R . .23
A 1942 1^{er} et 2^{eme} Trimestre, pp 220-254 P 221.

Venture ,de Paradis , « Alger au 18 é siecle »in R ,A N° 40 .24
.1896.P.P 272-273.

YaconoX , note sur le nombre des juifs dans la régence d'Alger en .25
1830 ; cahier de Tunisie, N° 115-116 ; 1981, p 401.

رابعاً- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18م حتى
1830م)، مذكرة ماجستير جامعة دمشق، سوريا، 1985.

2. محمد دلباز، الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر أواخر العهد
العثماني على ضوء دفتر التشريعات، ترجمة وتعليق، أطروحة دكتوراه، جامعة
جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، غير منشورة

3. محمد دلّباز، صورة المورسكيين الاندلسيين في التراث العربي الإسلامي 1492م-
2000م دراسة تاريخية بيبليوغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة 2008-
2009، جامعة سيدي بلعباس ص 107.

خامسا- القواميس والموسوعات:

1. جورج الطرابيشي، معجم الفلاسفة، لبنان: دار الطليعة للنشر.
2. الفيروز أبادي محمد بن يعقوب (ت 833هـ/1420)، القاموس المحيط (4ج)، دار
الجيل، بيروت، جزء 1.
3. المسيري عبد الوهاب، اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، القاهرة، دار الشروق،
ط1، 1999.
4. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد العاشر، بيروت: دار
الفكر.
5. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، 1975، ص 213.
6. Dictionnaire encyclopédique de Judaïsme, édition Hachette, paris,
2001.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة

القسم الأول: اليهود في إيالة الجزائر العثمانية الفصل الأول: الإطار التاريخي و الإثني ليهود الجزائر

أولا - الوجود اليهودي بالجزائر.....

1- الهجرات الأولى لليهود إلى الجزائر.....

2- النمو الديموغرافي والتوزيع الجغرافي لليهود في إيالة الجزائر.....

3- مراحل تطور عدد السكان اليهود في الجزائر (1492م-1830م).....

أ- مرحلة الهجرات الواسعة.....

ب- مرحلة الاستقرار النسبي.....

ج- مرحلة التقهقر والتراجع.....

4- التوزيع الجغرافي للكثافة اليهودية في إيالة الجزائر.....

ثانيا: البنية العرقية ليهود الجزائر.....

1- فئات اليهود.....

أ- اليهود الأهالي Tochabim.....

ب- اليهود الاسبان Megorachim.....

ج- اليهود الإفرنج : يهود ليفورن Les juifs francs- les Grana...Les juifs francs- les Grana

الفصل الثاني: الطائفة اليهودية في مجتمع الإيالة

أولاً: النظام الطائفي.....

أ- المقدم.....

ب- مجلس الطائفة.....

ج- التنظيم الداخلي للطائفة.....

2 - الجزبار (le Guizbar).....

3- الجبائي (Le Gabai).....

4- الشابر (Le chaber).....

5- شرطة الطائفة.....

6- المحكمة الحاخامية.....

7- البيعة.....

8- القضاء.....

9- القضاة اليهود.....

10- كاتب اليهود.....

11- المذاهب الدينية.....

ثانياً: الواقع الاجتماعي.....

1- العائلة اليهودية.....

2- الزواج.....

3- المرأة اليهودية.....

أ- تربية الأولاد.....

ب- اليهودية المالكة.....

ج- الأسرة اليهودية.....

د- الولد البكر.....

هـ- الأملاك داخل الأسرة.....

.....ثالثا: العلاقات اليهودية الإسلامية

.....1- علاقة اليهود بالأهالي

.....2- الكراغلة

.....3- الأتراك

الفصل الثالث: دور اليهود الاقتصادي والسياسي في إيالة

.....أولا: سيطرة اليهود على النشاط الاقتصادي

.....1- ممارسة الاحتكار

.....أ- التجارة الداخلية

.....ب- التجارة الخارجية

.....ج- الرسوم الجمركية والضرائب

.....د- القروض

.....هـ- أهم الشركات اليهودية في إيالة الجزائر 1686- 1790

.....2- عائلي بوجناح و بكري

.....ثانيا: سيطرة اليهود على النشاط السياسي

.....1- دور اليهود في توجيه سياسة البايك

.....2- اليهود والعلاقات الجزائرية الإسبانية

.....3- اليهود والعلاقات الجزائرية الانجليزية

.....4- اليهود والعلاقات الجزائرية الأمريكية

.....5- دور اليهود في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية

.....6- موقف اليهود من احتلال مدينة الجزائر

القسم الثاني: النصارى في إيالة الجزائر (1518-1830)

الفصل الأول: المسيحيون في الكتابات الغربية

أولا - المصادر الغربية.....

1- فراي دياقو دي هايدو.....

2- الأب بير دان.....

3- لوجي دوتاسي.....

4- توماس شلو.....

5- مورقان جوزيف.....

6- تيدينا.....

7- جيمس ليندر كاتكارت.....

8- فونتير دي باردي.....

9- وليام شالر.....

ثانيا- طبعة الكتابات الغربية.....

الفصل الثاني: الأقليات المسيحية بالجزائر خلال الفترة العثمانية

أولا - المسيحيون بالجزائر.....

أ - الأحرار.....

ب- الأعالج.....

ج - القناصل.....

د- الأطباء.....

هـ - الجواسيس.....

و- الأسرى والأرقاء.....

الفصل الثالث: المسيحيون في ضل ثنائية العلاقات الجزائر الغربية

أولا - العلاقات مع فرنسا.....

1- العلاقات السياسية (1619 - 1830).....

2- العلاقات الاقتصادية.....

1- الشركة الإفريقية.....

2- شركة الهند الشرقية الفرنسية.....

.....3- الشركة الملكية الإفريقية

.....4- الوكالة الإفريقية

.....ثانيا: معاملات دايات الجزائر مع المسيحيين الاسبان (1830-1619)

..... فهرس الأعلام

..... فهرس الأماكن

..... البيبليوغرافيا

..... فهرس الموضوعات